
سبتيموس هيب
الكتاب السابع
الأكثر مبيعًا عالميًا
النار
إنجي ساج
مكتبة ٦٠١
دار نهضة مصر

سبتيموس هيب

الكتاب السابع



مكتبة | 601

العنوان: سبتيموس هيب: النار
تأليف: إنجي ساج
رسوم: مارك زوج
ترجمة: شيرين محمد حيدر
مراجعة: إدارة النشر والترجمة بدار نهضة مصر للنشر
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
Original English title: SEPTIMUS HEAP - Fyre
Copyright © 2017 by Angie Sage
Illustrations © 2017 by Mark Zug
All rights reserved.
Copyright © 2019 Arabic edition published by Nahdet Misr Publishing House
upon ageement with HarperCollins Children's Books, a division of HarperCollins Publishers.
195 Broadway, New York, NY 10007, USA.
All rights reserved.
ترجمة كتاب SEPTIMUS HEAP - Fyre
تصدرها دار نهضة مصر للنشر
بترخيص من شركة HarperCollins Publishers

ساج، إنجي
النـار، سبتيموس هيب / إنجي ساج
رسوم: مارك زوج، ترجمة: شيرين محمد حيدر
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
الجيزة: دار نهضة مصر للنشر / 2019
792 ص، 18 سم.
تدمك: 9789771457367
1- الملاحم الشعبية.
2- القصص الإنجليزية.
أ- زوج، مارك (رسام) ب- العنوان
يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب سواء النص أو الصور بأية وسيلة من وسائل تسجيل البيانات، إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.
الترقيم الدولي: 978-977-14-5736-7
رقم الإيداع: 2549/ 2019
طبعة: فبراير 2019

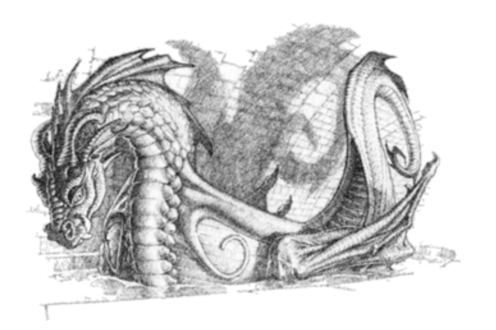


تليفـون: 33466434 - 33472864 02
فاكـس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nohdetmisr.com
E-mail: publishing@nohdetmisr.com
21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

سبتيموس هيب

الكتاب السابع

النار

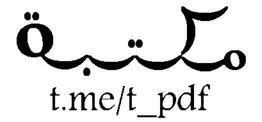


إنجي ساج

رسوم: مارك زوج

مكتبة | 601

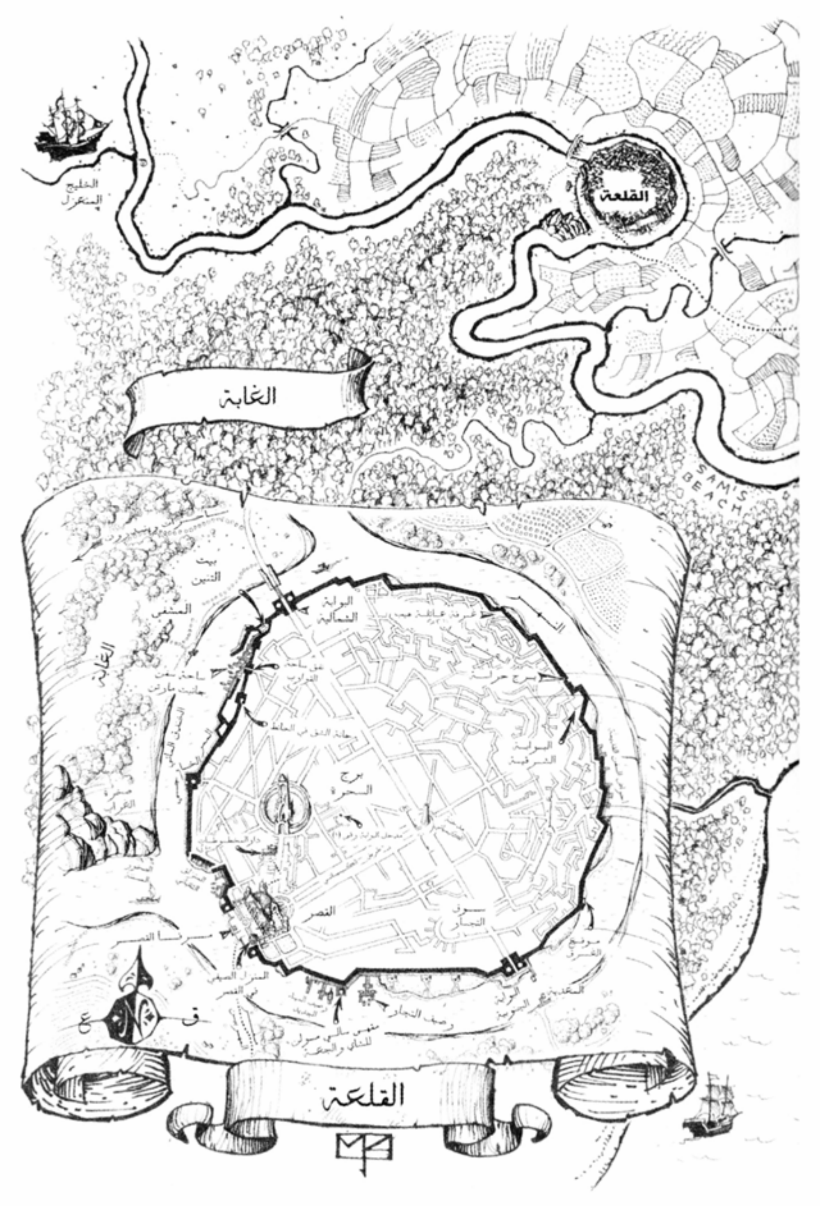
إلى أبي وأمي
شكرًا لكمـــا



محتوى الكتاب

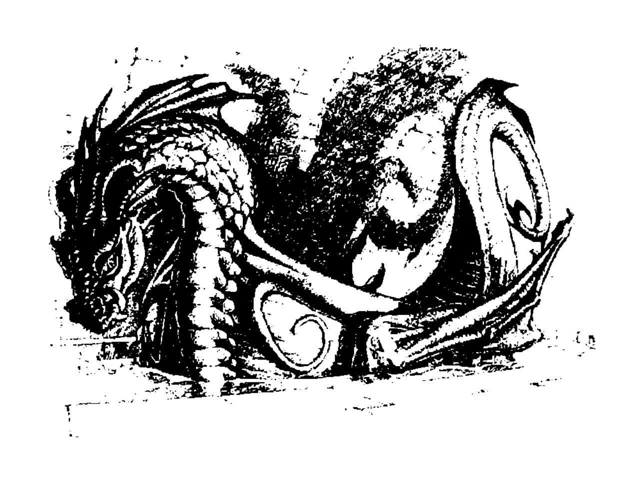
النار


إلى الأراضي الوعرة
والجبال الحدودية
ش
ق
ع
ج
المزارع
معبر المهربين
الخندق العميق
معبر المهربين
مستنقعات
مرام
جزيرة التنين
كوخ
جاك المجنون
الميناء
الكثبان
قصر
الميناء



الخليج المنعزل
القلعة
الغابة
SAM'S BEACH
بيت التنين
المشفى
الغابة
البوابة الشمالية
برج حراسة
البوابة الشرقية
برج السحرة
القصر
سوق التجار
المنزل الصيفي في القصر
رصيف التجار
البوابة الجنوبية
ق
ع
القلعة

مقدمـة:
النذيـر



اشتعل لهيب النيران في منتصف الليل. في إحدى جزر مستنقعات مرام، وقفت امرأة في مقتبل عمرها، تحمل بين يديها مشكاة، وشعرها الأسود الطويل يتطاير مع الرياح الدافئة المالحة القادمة من البحر؛ وقد ألقى وميض المشكاة ضياءً حول الدائرة الذهبية الصغيرة المحيطة برأسها والطرف الذهبي لردائها الأحمر الطويل؛ رداء ملكة القلعة.

لم تكن الملكة بمفردها، بل وقف بجانبها رجل مُسن ذو شعر أبيض مموج طويل، يسحبه للخلف بعقال رأس الساحر الأعظم. بدا الرجل متألقًا في ردائه الأرجواني الذي تكسوه زخارف برموز سحرية؛ ذاك هو أول ساحر أعظم، حُتب رع.

الجزيرة التي يقفون بها معروفة بأنها أحد أماكن الاستماع القديمة، وفيها وقف حُتب رع ليسترق السمع فيما حوله. وفيما كان يقف في سكون تام كما لو كان تمثالًا - وهو في حالة استغراق شديدة في شيء ما بعيد للغاية - ازداد وجهه عبوسًا. قال هامسا: «هذا ما كنت أخشاه. لقد اكتشفوا أمري في نهاية المطاف».

لم تكن الملكة ملمة بأمور السحر، إلا أنها تُكنُّ له قدرًا من الاحترام؛ كونه قد أنقذ حياة ابنتها ذات مرة. أومأت برأسها تعبيرًا عن حزنها؛ فقد كانت تعلم في قرارة نفسها أن هذا الأمر سوف يباعد بينها وبين حُتب رع إلى الأبد.

علت ألسنة اللهب بعد نصف ساعة من منتصف الليل، انتقلت الملكة ومعها حُتب رع تحت الأرض، وقد كشف الضوء المنبعث من المشكاة عن حائط أبيض أملس تكسوه أعمدة ساطعة من الطلاسم الهيروغليفية. كانت الملكة تبحث عن رمز معين، سرعان ما وجدته: وهو عبارة عن دائرة زرقاء وذهبية اللون تحوي بداخلها تنينًا. وضعت الملكة يديها على الدائرة وانتظرا معًا. وفي الوقت ذاته، رأت الملكة حُتب رع يلف الخاتم الذي يرتديه في سبابته

اليمنى وبه تنين ذهبي بالغ الرقة، يضع ذيله في فمه، وقد حل محل عينه حجر الزمرد الأخضر الساطع.

كان الخاتـم مصنوعًـا ببراعـة، بيد أن أروع ما فيـه كان هو ذلك الضـوء الأصفر الخافـت المنبعث مـن أعماقه، والـذي توهج في ظلال يده.

عندهـا، تراجـع الحائط ذو النقـوش الهيروغليفيـة إلى الخلف مصدرًا صوت قعقعـة بطيئـة رخيمـة، كاشفًا عـن مساحـة شاسعـة مظلمة أمامهما. ابتسـمت الملكـة لحُتب رع، فأعاد لها ابتسـامتها في حزن، ثم تقدما معًا إلى الأمام.

رفعت الملكةُ مشكاتها إلى أعلى فكشف الضوء المنبعث منها، عـن اثنين من الأعمدة الرخامية سـاطعة البياض اللذين ارتفعا إلى أعلى يشـقان الظلام. سارا بين العمودين، وتقدما ببطء عبر أرضية الفسيفسـاء التـي سـطعت بألوانهـا الحمـراء والصفـراء والبيضاء والخضـراء، إلى أن وصلا إلى وجهتهما. ناولت الملكة المشـكاة إلـى حُتب رع الذي رفعها بدورِه عاليًا؛ فسـطع ضوءُها كاشـفًا عن أجمـل المخلوقـات التي رآهـا على الإطـلاق، ألا وهـي المركبة التنينية المخلصة.

بـدا هيكل المركبة التنينية واسـعًا ومتينًا؛ نظـرًا لكونه مخصصًا للبحـر، ومؤخرًا قام حُتـب رع بطلائه بالذهـب. يعتبر هذا الهيكل والصاري وشـراعها السـماوي هو الجزء الجماد من المركبة، أما

سائر أجزاء المركبة فهي عبارة عن تنين حي، وقد طوى جناحيه بدرجات اللون الأخضر اللامع حول الهيكل، وقد حل رأس التنين محل مقدمة المركبة، بينما حل الذيل محل مؤخرتها. رقد هذا الكائن المتكون من نصف قارب ونصف تنين في سبات عميق، وحده في ظلام معبدٍ قديم تحت الأرض، بيدَ أنه استقيظ عند فتح الجدار.

رفع التنين رأسه في تكاسلٍ مقوِّسًا رقبتَه إلى أعلى مثل البجعة. اقتربت الملكة من التنين بهدوء؛ حرصًا منها على عدم إزعاجه. فتح التنين عينيه، وطأطأ رأسه؛ فلفت الملكة ذراعيها حول عنقه.

ظل حُتب رع واقفًا في الخلف، فقد كان يُحَمْلِقُ في المركبة التنينية المستقرة فوق أرضية الفسيفساء، كما لو كانت في انتظار مد الماء ليحملها إلى أراضٍ بعيدة. حتمًا، لقد كان ذلك هو ما يخطط له حُتب رع من أجلها؛ أن يأخذها في رحلته الأخيرة في شيخوخته. ولكن الآن بعد أن تعقَّبَه أعداؤه وتوصلوا إلى مكانه، علم حُتب رع أنه يتعين عليه ترك المركبة التنينية في مكانها الآمن تحت الأرض؛ ليخفي عنهم أسرارها. تنهد تنهيدة عميقة، سيكون على المركبة التنينية أن تنتظر حتى يأتي عليها الوقتُ الذي يحتاجُها فيه قائد تنين آخر. صحيح أن حُتب رع لا يعلم من يكون ذلك القائد، بيدَ أَنَّهُ يعلم أنه على يقين من أنه سيَلْتَقِيه في يوم من الأيام.

تعهدت الملكةُ للمركب التنينية بأنها سوف تعود في نفس ذلك اليـوم في غضون عام، في حين لم يتعهد حُتب رع للمركب التنينية بشيء. ربَّت بيده على أنف التنين، وسار بسرعة مبتعدًا عن المعبدِ. ركضـت الملكـةُ خلفـه، وراقبا معًا جـدار الطلاسـم الهيروغليفية يقعقع أثناء إغلاقه مجددًا.

سـارا ببطءٍ عبر الممر الرمليِّ الذي يقودهما إلى أحد المخارج السـرية التي تقع بالقرب من حافةِ الجزيـرة. وهناك خلع حُتب رع خاتـم التنيـن. واندهشـت الملكـة وهـي تـراه يلقـي بالخاتم على الأرض الرملية، كما لـو كـان لا يمثل أي شـيءٍ بالنسـبة لـه. وقـع الخاتم على الأرض، وتلاشى الضوءُ المنبعث منه.

لـم تكن قد استفاقت من صدمتها بعد عندما قالت هامسة: «لكنه خاتَمُكَ».

ابتسـم حُتـب رع ابتسـامةً تنم عـن الإنهاك، وقال لهـا: «لم يعد كذلك».

عادت الملكة ومعها السـاحر الأعظم إلـى القلعة، إلا أن حُتب رع لـم يغـادر على الفـور. كان يعلم أنه بذلك يخاطـر بلفت أنظار أعدائـه إلـى كل ما يهمه فـي هذا العالـم، ولكن كانـت هناك أمور يرغب في القيام بها؛ كي يوفر الأمان للقلعة ولملكتها.

أنشـأ حُتب رع طُرقًا آمنة تمكِّن الملكة من زيارة المركبة التنينية والأماكـن الأخرى الخاصة بها في أمان تام. كما ملأ برج السـحرة

الخاص به بكافة القوى السحرية التي أمكنه توفيرها، وأنشأ نظامًا للبحث عن أنبه وأفضل تلامذة السحر الأعظم. كان يعتقد أن هذه الطريقة سوف تمكنه من الحصول على أخبار من القلعة، وأنه سيتمكن من خلال ذلك من إسداء النصح عند الحاجة. ثم طلب من الملكة زيارةَ المركبة التنينية المحبوبة لديه في أحد أيام منتصف الصيف، كما أنشأ في أعماق جدار القلعة منزلًا للتنين كي يكون ملاذًا لراحة المركبة التنينية حتى تصبح الفرصة مواتية وأكثر أمنًا لها للقدوم والعيش في القلعة.

بيد أن حُتب رع مكث لفترة طويلة للغاية.

لقد ظل في القلعة لمدة تسع وأربعين ساعة بعد سماعِهِ اقتراب أعدائه، وقف حُتب رع على منصة الإرساء في القصر؛ ليودع الملكة. كان يومًا مظلمًا ورعديًّا وممطرًا، عكس مشاعر الملكة إزاء مغادرة حُتب رع.

كان الزورق البخاري الخاص بها قد استعد لنقله إلى الميناء، حيث تنتظره إحدى السفن. وفيما كان حُتب رع يهم بالصعود على متنه، انطلقت أصوات رعدية مُدَوِّية صحبها صراخ الملكة. لم تصرخ الملكة خوفًا من الرعد، وإنما صرخت بسبب ما رأته يطير من السحابة السوداء في السماء؛ اثنان من سادة السحر الأسود والسحرة المحاربين شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن. هبط الساحران من السماء، وقد نثرا الظلام من عباءتيهما، اللتين تمددتا

مثل أجنحة غربان سودٍ، كاشفتين عن درعين بلون أخضر مائل إلى الزرقـة مـن تحتهما. وتمامًـا مثل طائريـن مفترسـين ينقضَّانِ على فريستهما، ارتكزت عيونهما الثاقبة على الطريد الواقف أسفلهما.

لقد عثر أعداء حُتب رع عليه.

فـي المرة السـابقة التـي عثر فيها أعـداؤه عليه، أنقذتـه المركبة التنينية، ولكنه يعلم هذه المرة أنه سيتحتم عليه مواجهتهما بمفرده.

إلا أن الملكـة كان لديهـا رأي آخر؛ حيث أسـدلت من حزامها قوسًـا صغيـرةً، وقامت بتعبئتهـا. وبينما كان كل من شـاماندريجر سـارن ودراميندونور نـارن ينقضان على ما اعتقدا أنه فريسـتهما، أطلقت الملكة سهمًا من قوسها.

أصـاب سـهمها شـاماندريجر أسـفلَ الضلـع الرابع مـن جانبه الأيسر، فارتطم بالأرض، فاهتزت منصة الإرساء من قوة الارتطام. بيد أن السـاحر الأسود بالكاد تألم، فيما تدفقت الدماء من جسده، وأخـذ يغلق الجرح الذي ألمَّ بقلبـه. في تلك الأثناء، كانت الملكة قـد أعـادت تعبئة القـوس، وقد اسـتعدت لإطلاق السـهم الثاني. أصيـب حُتـب رع بالفـزع؛ لعلمـه بأن الملكـة لا تعـرف ماهية مَن تتعامـل معهم. ألقى حتب رع درع أمـانٍ حول الملكة، وهو ما أثار اشـمئزازَها، بيـدَ أن ذلـك كان بعـد أن تمكنت الملكـة من إطلاق سَـهْمَهَا ليستقرَّ في قلـب شـاماندريجر. هوى السـاحر المحارب

على الأرض هو الآخر، ولكنه سرعان ما **أغلق** الجرح في الوقت المناسب.

سرعان ما وقف الساحران على أقدامهما، فيما أصيبت الملكة بالرعب من ضخامة بنيتهما؛ حيث بلغ طولهما عشر أقدام، وكانا يمسكان في أيديهما **الصولجانات المتحولة** ذات السمعة السيئة التي وصفها حُتب رع لها. تقدم الاثنان تمامًا مثل الآلات، في تناسق - واحد- اثنان، واحد- اثنان - نحو درع **الأمان** وهما يرددان جملةٍ واحدة فيما بينهما:

«لهذا السبب».

«سوف».

«**نقتلك**».

«ونقتل نسلك».

«لن ننسى أبدًا».

وفي مقابل الهجوم الذي شنته **الصولجاناتُ المتحولة**، شرع درع الأمان في الانهيار. قام حُتب رع باستجماعِ قوة **الطيران السحرية** وانطلق في السماء؛ لعلمه بأن السحرة سوف يأتون في أعقابه.

وهو ما فعلاه بالفعل.

في تلك الأيام القديمة، كان لم يَزَلْ فَنُّ **الطيران** غائبًا، بيدَ أنه لا يزال من غير المعتاد أن تظل القلعة في حالة سبات تام، لا سيما

أنهـا تشـهد قتالًا بيـن ثلاثة من أعتى السـحرة. ولذلك سـرعان ما تسابق المراقبون للاحتماء من **وميض البرق المتطاير**، فيما شرعت أساسـات المباني في الاهتزاز. على إثر ذلك سـاور سـكان القلعة شـيءٌ مـن القلـق، فعلـى الرغم مـن أن الكثيريـن منهـم لا يزالون يتذكـرون ذلك الوقت الذي سـبق قـدوم السـاحر الأعظم وبرجه السـحري، فإنهم مـع مرور الوقت أحبـوا حُتـب رع؛ ذلك الرجل الطيـب الـذي لـم يتـردد أبـدًا فـي تقديـم يـد العـون لحـل جميع المشـكلات **بسحره**، كبيرة كانت أم صغيرة. ازداد اضطرابهم وهم يراقبـون ما يحدث من خلال نوافذهـم. فليس من العدل أن يتكتل سـاحرانِ على قتال ساحرٍ واحد، وبدا كما لو أن حُتب رع ستلحقُ به الهزيمة لا محالة.

قـد يكـون حُتب رع طاعنًا في السـن ولم يعد قويًـا كما كان من قبـل، بيـدَ أنـه لا يزال ماهرًا، حيث أغرى سـحرة **السـحر الأسـود** بالتوجه نحو الهرم الذهبيِّ الواقع في قمة برج السحرة، حيث يقف وهو فـي حال توازن حذر على طرف الهـرم الذي يتألف من مربع فِضِّيٍّ صغير للغاية، مركزًا كافـةَ قـواه **السـحريـة** على تلك الفرصة الأخيرة.

في أعين سحرة **السحر الأسود**، بدا حُتب رع كما لو كان حيوانًا جريحًا في غار؛ لذا، فقد استشعرا لذة الانتصار وشرعا في **التدمير**. وعلـى الفور حلقا حول قمة الهرم، وقد أحاطا حُتب رع بحلقة من

النار الحارقة، إلا أن ذلك هو ما يجيده حُتب رع تمامًا؛ حيث شرع في تلاوة **تعويذة الوهم** الطويلة والمعقدة، التي حجب صوتها زئير **النار** على نحو مريح.

بيد أن دائرة **النار** اقتربت أكثر ، فيما حلق ساحرا **السحر الأسود** فـي الأعلى فـي انتظار تلك اللحظـة التي **تنقض** فيهـا النيران على حُتب رع فيمسـه سـحرهما في نهاية الأمر. عندها سـوف يمرحان قليلًا مع عدوهما بمساعدة عنكبوت أو اثنين.

وحينما وصل حُتب رع إلى نهاية **تعويذته**، كانت حرارة **النار** قد استعرت؛ حتى إنه اشتم رائحة النيران التي أمسكت بتلابيب ثوبه الصوفـي، ولـم يعد بإمكانه الانتظار أكثر من ذلك. أصيب سـاحرا **السحر الأسود** بصدمة بالغة من هول ما رأياه، فقد انطلق حُتب رع نحو السماء مغادرًا حلقة **النار** مخلفًا وراءه بعضًا من ألسنة اللهب. ثم صرخ بآخرِ كلماتِ **تعويذةِ الوهم واختفى عن الأنظار**.

كانت تعـويذةُ **الوهم** مثالية تمامًا؛ فقد حدق كل من شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن لبعضِهما في هلع؛ حيث شاهد كل منهما حُتب رع وقد حل محل زميله، فاسـتنتج كل منهما أن حُتب رع قد قتل زميله. ومن موضعه **الخفيِّ**، راقب حُتب رع سـاحري **السـحر الأسـود**، وقـد أفحمهمـا الغضـب والحزن وقد شـرعا فـي تعقب بعضهما عبر أسـطح المنازل، متوجهين إلى خارج القلعة. كم أراد حُتـب رع أن يتركهمـا ليلاقيا مصيرهما المحتـوم، بيدَ أنه يعلم أنه

يتعين عليه أن يتأكد من عدمِ عودتهما مجددًا. وبينما كان حُتب رع يهم بالتحليق خلف الساحرَين، سمع صوت ارتطام هائل. وعندما نظر أسفله رأى قمة الهرم الذهبي مدفونة بالمقلوب أسفل فناء برج السحرة، فقد شقته **النار** مثل السكين في الزبد.

تعقب حُتب رع الساحرين المحاربين حتى وصولهما إلى خور الخليج المنعزل، وأخذ يراقبهما وهما يتقاتلانِ يومًا وليلة، لقد كانا متعادليـن؛ ولذلـك فإن أيًا منهما لـم يتفوق علـى الآخر. وفي نهاية المطاف، تحَلَّقَ الاثنان حول بعضهما وأخذا يلفان في حالة سُعار بشكل متسارع للغاية قريبًا من الماء، محدثين دوامةً عميقة ومظلمة فـوق فم الخور تمامًا. كانت دوامة عظيمة وهائلة حتى إنها ابتلعت الساحرين بداخلها، وقد اعتصرهما الغضب أثناء ذهابهما.

تبعَهما حُتب رع، وباسـتخدام سحر التعلق **الأسود** تحت الماء (فقد كان حُتب رع يُتقن الكثيرَ من فنونِ **السحر الأسود**، ولكنه في العادة لم يكن يفضل اللجوء إليه) غاص خلفَ الساحرين ليتخلص منهما تمامًا. بيدَ أنه في قاع الدوامةِ اكتشـف أن رأسـها قد كسر قاع النهر، ودخل في أحدِ الكهوف في قاعات **السـحر الأسود**، والتي تُعَـدُّ بمثابـة ملاذٍ قديم لكافة الكائنات الشـريرة. سـحب حُتب رع السـاحرَيْن مـن مدخل قاعات **السـحر الأسـود**. وعلـى الرغم من مقاومتهما له، فإن اسـتماتته فـي إبعادهما عن ذلك المكان منحت حُتب رع القوة اللازمة. وبما تبقى من طاقة، قام حُتب رع بسـحب

الساحرَين ودفعهما إلى السطح، ومثل الفلينة التي تنطلق من القارورة، خرج حُتب رع من الأعماق، ساحبًا ساحري **السحر الأسود** معه.

كان زورقُ الملكة البخاريُّ قابعًا في انتظاره؛ فقد تتبعته الملكة حتى وصوله إلى خور الخليج المنعزل، كانت مجادف الزورق البخاري تدور، فيما وقفت الملكة على مقدمة الزورق تُحملق بذعرٍ نحو رأس الدوامة، فقد كانت تعلم أن حُتب رع موجود في مكانٍ ما تحت الماء. بيدَ أنه بمجرد ظهوره على السطح، أصيبت الملكة بالهلع، فهي لم تر سوى ساحري **السحر الأسود**.

كان حُتب رع يعاني الآن من ضعف شديد، فلم يعد في إمكانه مواصلة **سحره**، فتلاشت تعويذة **الوهم** أولًا، ثم تبعها **اختفاؤه** عن الأعين. وهكذا تمكن شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن من رؤيةِ بعضهما للمرة الأولى منذ أربع وعشرين ساعة، ثم سُرعانَ ما شاهدا حُتب رع متعثرًا بجانبهما.

ولثوانٍ قليلة، حَملق السحرة الثلاثة في بعضهم وهم في حالة ذهول. سرعان ما عاد السحرة إلى سحر الكر والفر، ارتفع حُتب رع من الماء وقد أمسك **بتعويذة الطيران** الخاصة به، في حين تشبث كلٌّ من سارن ونارن بتلابيب ثوبه، وهكذا فقد هبطت كتلةٌ متشابكة من السحرة على زورق الملكة البخاريِّ.

علمت الملكة أن حُتب رع في حالة من الضعف والوَهْن لا تُمكنه من الانتصار في قتاله؛ لذلك فقد خلعت الملكة عن إصبعها ذلك الخاتم الذهبي **السحري** الذي كان حُتب رع قد أعطاها إياه لحمايتها من الأعداء، وهو الخاتم الذي لا تفسده سوى **النار** الكيميائية الصرفة. ناولته الملكة الخاتم قائلةً: «هيا **احبسهما** داخل الخاتم، بسرعة!». أعاد لها حُتب رع الخاتمَ وقال هامسا: «إنه خاتمُكِ. عليك أن تنطقي أنت **بتعويذة الحبس**. هل تتذكرين؟». أومأت الملكةُ، بالطبع تتذكرها. وكيف لها أن تنسى أو تغفُل عن شيء صُنع خصيصًا من أجلها؟! (في الواقع، إنه **السحر** الوحيد الذي تتذكره الملكة).

شرعت الملكة في تلاوة **تعويذة الحبس**. سرت كلماتُها فوق ساحري **السحر الأسود** كما لو كانت ظلًّا للكسوف، حاولا المقاومة، بيدَ أنهما كانا في حالة وهْنٍ شديد. استمع حُتب رع بقلق إلى كل كلمة، بيدَ أنه ما كان عليه أن يقلق، فعندما ترغبُ الملكة في تذكر شيء ما، فإنها تتمكن من تذكره. وفي نهاية المطاف، تصل الملكة إلى **الكلمة الرئيسية**، وهي: «حتحور». عندها ظهر وميض هائل بلون أرجواني ألقت فيه الملكة بخاتمها. وهكذا انقشع الظلام، ثم تفوهت الملكة بآخرِ سبع كلمات في **تعويذتها**، وفي الكلمة الأخيرة «**الحبس**» توقف الزمن نفسه، ورقد العالم في سبات عميق طيلة سبع ثوانٍ طويلة.

ومن قلب الظلام خرجت صرختان من جوف الألم، تمامًا مثل صوت الوحوش الجريحة، ثم هبت على المكان عاصفة كالإعصار، حتى إن صرير الرياح حجب صرخات ساحري الخاتم، وأزاح بكل من الملكة وحُتب رع على سطح الزورق. لفَّت الرياح ثلاث مرات ثم ذهبت، مخلفة وراءها حطام زورق الملكة البخاري، ومجدافين منبطحين من الخوف، وصمتًا غريبًا يغلف المكان، تخترقه طقطقة خفيفة؛ حيث سقط الخاتم الذهبي وقد انحشر بداخله وجهان أخضرا اللون على سطح الزورق، ثم تدحرج في بركة من المياه القذرة.

وعندما عاد حُتب رع إلى برج السحرة، أخبرته تلميذته القديمة تلمار راي بيل بتقلصِ قمة الهرم التي سقطت من قبل، وأنها لا تعلم السبب وراء ذلك.

ولكن حُتب رع كان يعلمُ السبب؛ فقد نجا لتوه وبصعوبة بالغة من واحدة من أسوأ **تعاويذ السحر الأسود**؛ وهي تلك **التعويذة** التي لا تقتل خصومها في الحال، وإنما تقوم بتقليص حجمهم، حتى يصبحوا فريسة سائغة لأكثر المخلوقات إثارة للرعب، وهي الحشرات.

لقد كان من العادات القديمة في **السحر الأسود**، أن توضع ضحية تلك **التعويذة** في شبكة عنكبوت، وتتم مراقبةُ النتيجة من

خلال **عدسة مكبرة**. سرت رجفة في جسد حُتب رع؛ فهو يهاب العناكب.

رقدت القمة الضئيلة للهرم الذهبي في قاع فوهة بركان هرمية كبيرة متلألئًا على أرض القلعة الحمراء، وكان لا يزال يتقلص، فيما وقفت تحرسه مجموعة من السحرة في اضطراب وقلق. (كان برج السحرة قد ذاع صيته، وصار يقطنه الآن ثلاثة عشر ساحرًا عاديًّا). نزلت تلمار راي بيل أسفل فوهة البركان، والتقطت الهرم الذهبي المصغر ثم ناولته لحُتب رع.

أوقف حُتب رع مفعول تلك **التعويذة الشيطانية**، ووضع الهرم الصغير الثقيل في يده، فتلألأ في أشعة الشمس بلونه الذهبي **الناري**. ابتسم حُتب رع وقال للهرم: «ستكون أنت **المفتاح**».

ها هو حُتب رع يقف مجددًا على منصة الإرساء في القصر، مودعًا للملكة في حزن وأسى، ولكنه في هذه المرة لم يكن بمفرده؛ حيث أصرت تلمار راي بيل على اصطحابه، فلقد كان حُتب رع يعاني من الوهن والضعف بعد قتاله مع ساحري **السحر الأسود**، ولذلك فقد خافت تلمار أنه لن يتمكن من خوض هذه الرحلة بمفرده.

قدَّم حُتب رع هدية الوداع للملكة، وهي عبارة عن كتاب صغير بعنوان «قواعد الملكة». كان غلافه مصنوعًا من الجلد الأحمر

الرقيق بزوايا ذهبية وإبزيم دقيق، وكان مزخرفًا برسم للمركب التنينية.

لم يكن خطؤه أن غلاف الكتاب قد تمزق إلى أجزاء صغيرة بعد مرور ألف عام أو نحو ذلك، وتساقطت صفحاته، واختفت **تعويذة حبس السحرة**. فلا يمكن لأي غلاف حتى ولو كان **سحريًّا** الحفاظ عليه إلى الأبد، ولكن الذكرياتِ سوف تبقى إذا تم تناقلُها من جيل إلى جيل.

استقل حُتب رع زورق الملكة البخاري متجهًا نحو الميناء. وهناك كانت سفينة في انتظاره، وقد فردت أشرعتها استعدادًا للإبحار. كان البحر هادئًا والشمس مشرقة. كان حُتب رع يقضي معظم وقته على سطح السفينة، يخزن ذكرياتِ الهواء الطلقِ ونسيم البحر، كي ترافقه مستقبلًا في مهجعه الأخير؛ بيت الفوريكس.

ومع دخول الليل واقتراب السفينة من جزر الحورية **المسحورة** المفزعة، رأى حُتب رع **أضواء** تسطع من المنارات الأربعِ المبنية على شكل قططٍ، المحيطة بالجزر. انتظر حتى يطمئن إلى مرور السفينة بأمان، وأخلد الجميع إلى النوم فيما عداه. وفي ضوء البدر المكتمل أسقط حُتب رع الخاتم ذا الوجهين في المحيط، فنزل إلى الماء، وتلألأ لونه الذهبي في ضوء القمر قبل أن تلتقمه إحدى أسماك البقر القبيحة.

هنـا تبـدأ رحلة طويلـة خاضها الخاتـم ذو الوجهيـن في طريق عودته إلى برج السحرة، حيث يرقد الآن في انتظار ما سيحدث.



I

ما يكمن تحت الأرض

في دار المخطوطات، كانت الخريطة الحية لما يكمن تحت الأرض منبسطةً على منضدة كبيرة. تضيئها مشكاة وهاجة معلقة أعلى المنضدة، وقد ثُبت ذلك الفرخ الورقي الكبير المصنوع من الورق السحري اللامع على المنضدة باستخدام ثُقالات الورق العادية، وهي عبارة عن مربعاتٍ من مادة الرَّصَاصِ المدعومة من الأسفل بمادة اللَّبَّاد الأزرق. كانت الخريطة الحية لما يكمن تحت الأرض عبارةً عن خريطة لكافة الأنفاق

الجليدية التي تمر أسفل القلعة، باستثناء ذلك الجزء المؤدي إلى جزر الحورية.

وكما يوحي اسمها، كانت الخريطة الحية أكثر قليلًا من مجرد خارطة عادية. لقد كانت **سحرية**، تظهر ما يحدث في الأنفاق الجليدية في كل لحظة.

تحلق حولها كلٌّ من رئيس الكتبة السحريين بيتل ومسئول التفتيش روميلي بادجر وكاتب الخرائط الجديد بارتريدج. إذا ما سرت إلى دارِ المخطوطات في تلك اللحظة، ما كنت ستعرف أي منهم رئيسُ الكتبة السحريين الفعليُّ؛ حيث كان بيتل قد علق معطفه ذا اللونين الأزرق والذهبي على معلاقٍ قريب؛ ذلك أن الأربطة الذهبية بأكمامه كانت تخدش الخريطة الحية الرقيقة، وبدلًا من ذلك كان يرتدي سترة البحرية المريحةَ التي اعتاد عليها قديمًا؛ لتقيه من برد الأقبية. وبشعره الأسود المتدلِّي أمامَه على عينيه، بدا بيتل كما لو كان في منزله تمامًا وقد عكف على الخريطة الحية مستجمعًا تركيزه.

وفجأة، صرخت روميلي - تلك الفتاة الهزيلة ذات الشعر البني الخفيف، والتي يعتقد بارتريدج أنها ذات ابتسامة لطيفة وبلهاء - في اندهاش، حين رأت بقعة خافتة مضيئة تتحرك على طول النفق أسفل القصر.

قال بيتل: «حسنًا فعلت، فليس من السهولة بمكان رؤية الأشباح الجليدية. أعتقد أنها هيلدا العويلة».

قالت روميلي وقد انتابتها حالة من الإثارة المفرطة: «هناك واحدة أخرى!». ثم أردفت قائلةً: «أووه.... انظر، ما هذا؟». قالتها وهي تشير بإصبعها إلى ظل ضئيل للغاية بالقرب من الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة القديمة.

ذُهل بارتريدج؛ حيث كانت هناك نقطة صغيرة للغاية في نهاية إصبع روميلي، ثم سألها: «هل هذا شبح جليدي أيضًا؟».

دقق بيتل النظر عن كثب ثم أردف قائلًا: «لا، إنها مظللةٌ للغاية، وبطيئة للغاية.. انظروا، إنها بالكاد تتحرك مقارنة بهيلدا العويلة، والتي أصبحت في نهاية الطريق الآن. كما أنها واضحة المعالم، ويمكنك أن ترى أن لها شكلاً واضحًا».

أُصيبت روميلي بالحَيرة، وتساءلت: «هل تعني أنها مثل الإنسان؟».

رد بيتل: «نعم، كالشخص المزعج!».

قالت روميلي في حزن: «لقد ذهبتْ. يا للأسى! لا يمكن أن تكون إنسانًا إذنْ، أليس صحيحًا؟ فلا يمكن لشخص ما أن يختفيَ أو يتلاشى فجأة. لا بد أن ذلك كان شبحًا».

أومأ بيتل برأسه، لقد كان مخلوقًا مصمتًا للغاية بالنسبة للأشباح. بيد أن الخريطة الحية تشير إلى أن كافة فتحات النفق

الجليدي لا تزال **محكمة الغلق**؛ لذا فلا يوجد أي مخرج يمكن أن يغادر من خلاله ذلك الشخص. الشبح وحده هو القادر على الاختفاء والتلاشي في منتصف النفق الجليدي على هذا النحو.

ثم قال: «هذا غريب، أكاد أقسم إنه كان إنسانًا».

لقد كان إنسانًا؛ إنسانًا يُدعى مارسيلوس باي. وكان مارسيلوس باي، الذي عاود الإقامة مؤخرًا في القلعة الكيميائية، وكان قد سقط إلى الأسفل عبر إحدى الفتحات الصغيرة في قاعٍ بوابة غير مُدرجة على الخريطة، وقد اقترب للغاية من النفق الجليدي، حتى أنه ظهر على الخريطة الحية. بمجرد مروره عبر الفتحة الصغيرة، علم مارسيلوس أنه أصبح آمنًا؛ ذلك أن الخريطة الحية لا تُظهر أي شيء أسفل هذا المستوى.

كانت هناك سارية مزودة بحواجز للأقدام تؤدي إلى أسفل الفتحة الصغيرة، تسلقها مارسيلوس وعيناه معلقتان إلى الأسفل، إلى أن وصل إلى منصة معدنية مهلهلة ووقف عندها دون أن يجرؤ على فتح عينيه؛ فلم يكد يصدق أنه قد عاد إلى غرفةِ **النار** بعد مرور ما يقرب من خمسمائة عام.

ومع ذلك، لم يكن مارسيلوس بحاجةٍ إلى فتح عينيه ليعلم أين هو، فقد عرف من تلك العذوبة المعدنية التي تسللت إلى مؤخرة لسانه أنه قد عاد إلى منزله، وهو ما تفجَّر على إثره فيضانٌ من الذكريات؛ تلك الدمعة التي انهمرت من قاعدة المِرْجَل، والصَّدْعُ

الحادُّ الذي حل بقضبان **النار** المتشـققة، وحرارةُ **النار** حين تخرج عن السـيطرة، وحشـود الطُّرَّاق التي تعمل بـلا توقف، في محاولة لاحتـواء الدمار، ورائحةُ الصخور المحترقة، فيما انتشـرت ألسـنة اللهب أسـفل القلعة، مضرمة النيران في المنازل الخشبية القديمة. والهلـع، والخوف الذي صاحب التهديدات بأن تتحول القلعة إلى جحيم مستعر. تذكر مارسيلوس كل ذلك، وهو يهيئ نفسه لمشهدٍ من الدمار الشـامل، ومن ثم أخذ نفسًـا عميقًا، وقرر فتح عينيه بعد أن عد من واحد إلى ثلاثة.

واحد... اثنان.... ثلاثة!

سـرت في جسده دهشـةٌ بالغة. بدا وكأن شيئًا لـم يحدث . توقع مارسـيلوس أن يغطي سـخام الدخان الأسـود كل شيء، بيدَ أنه لم يكن هناك أي سـخام علـى الإطلاق، بل على العكـس تمامًا؛ فقد توهجت المنصة المعدنية على إثر الضوء المنبعث من كرات **النار** الموضوعة ببراعة، والتي لا تزال مشـتعلة بألسـنة اللهب الخالدة. التقـط مارسـيلوس إحدى كـرات **النار**، ومِن ثمَّ وضعهـا في يديه. ابتسـم مارسيلوس وهو يرى ألسـنة **النار** داخل الكرة تلعق الزجاج الذي لمسـته يـداه، تمامًا مثلما يفعـل الكلب الوفـيُّ ترحيبًا بعودة صاحبـه للمنـزل. أعـاد وضع الكـرة إلى جانـب قدمِهِ، وتلاشـت ابتسـامته. لقد عاد إلى منزله بالفعل، بيدَ أنه عاد بمفرده؛ فلا يوجد أثر لأي من الطُّرَّاق.

عَلِم مارسيلوس أنه يتعين عليه الآن التطلع من أعلى حافةِ المنصةِ هائلة الارتفاع، والتي كان يقف عليها. كان يستعد للأسوأ. وبينما سار إلى الأمام بحذرٍ شديد؛ إذ شعَر بتراقص وتمايل طفيف في هيكل المنصة بأكملها . انتابته مشاعر الذعر من خلال قدميه. كان مارسيلوس يعلم تمامًا أن عليه أن يسقط بعيدًا إلى الأسفل.

دقَّقَ النظرَ من فوق الحافَة بعصبية.

كان مرجَلُ النار الكبير يرقدُ بعيدًا في الأسفل، وقد طوقت فمه دائرة كاملة من الظلام يحيط بها عقد من كرات النار. وقد تنفس مارسيلوس الصعداء إلى حد بعيد، فلم يُصَبْ مرجلُ النار بأذًى، بل كان سليمًا.

دقق النظر في الأعماق كي تعتاد عيناه الظلام.

وسُرعان ما شرع في التقاط المزيد من التفاصيل؛ حيث رأى الزخرفةَ التشجيريةَ المعدنية المحفورة في الصخور، والتي غطت الكهف تمامًا مثل شبكةِ عنكبوتٍ ضخمة تتوهَّج بوميض فضي باهت. كما رأى أيضًا نتوءات حلقات الظلام في الصخور التي تدل على دخول مئات، وربما آلاف، من جحور الطُّرَّاق. كما رأى كذلك الأنماطَ المألوفة من كرات النار التي تشير إلى مسارات تمتد عبر الكهفِ على عمق مئات الأقدام، والأفضل من ذلك أنه تمكَّن من رؤيةِ بريقِ الرسمة الجدارية التي تحتوي على مائةٍ وتسع

وثلاثين نجمةً، بجانب أطراف قضبان النار التي تَقِفُ في وضعٍ مستقيم تمامًا مثل الأقلام الجافة الصغيرة داخل المحبرة.

هزَّ مارسيلوس رأسه تعبيرًا عن دهشتِهِ البالغة. لقد وجد غرفةَ **النار** الخاصة به نظيفةً ومرتبة ومزودة ببراعة بمادة النفتالين، وبعد إلقائه نظرةً عليها، اكتشف أنها في أتم استعداد. لابد أن الطُّرَّاق قد عاشوا لمدة زمنية أطول مما كان يتخيل. لقد بذلوا أقصى جهدهم، ولم يكن هو يدرك ذلك. شعر بحشرجة في حلقه، ابتلع ريقه بصعوبة بالغة ومسح عينيه. وفجأة شعر مارسيلوس بأن عجلة الزمن تدور إلى الخلف، وأخذ يسترجع كافةَ السنوات الماضية، عندما كان واقفًا في ذات البقعة التي يقف فيها الآن.

كان الطُّرَّاق المخلصون قد احتشدوا حول مارسيلوس، فيما وقف جوليوس بايك، الساحر الأعظم والذي كان يومًا ما صديقًا له، على المنصة العليا، يصرخ بصوت مرتفع، علا على زئير ألسنة اللهب، قائلاً: «مارسيلوس، سوف أغلق هذا!».

رد عليه مارسيلوس متوسلًا: «جوليوس، فضلًا بضع ساعات فقط. يمكننا السيطرةُ على **النار**. أعلم أننا سنتمكن من ذلك».

وبجانبه على المنصة يُردف الطارقُ المسنُّ دوجليوس قائلًا: «أيها الساحر الأعظم، نحن الطُّرَّاق نضمن لك ذلك».

بيد أن جوليوس بايك لم يكن ينظر للطراق باعتبارهم كائنات حية، فلم يلق بالًا لما قاله دوجليوس. صرخ جوليوس قائلًا: «لقد

حصلتَ على فرصتك. سوف أغلق أنفاقَ الماء وأتركهم يتجمدون. لقد قُضي الأمر يا مارسيلوس».

سحبته مجموعةٌ من السحرة غليظي البنية باتجاه بابِ الغرفة، فيما أمسك مارسيلوس بتلابيب دوجليوس، عازمًا على الإبقاء على أحد الطُرَّاق على الأقل، بيد أن دوجليوس نظر في عينيه، وقال له في صرامة: «أيها الكيميائيُّ، دعني أنزل؛ فعملي لم ينته بعد».

وآخرُ ما وقعت عليه عيناه أثناء إغلاق الباب هو الطارق المسن الذي يسترق النظر مجددًا نحوه بحزن.. كان دوجليوس يعلم أن هذه هي النهاية.

وبعد ذلك، لم يعد مارسيلوس يكترث لما يحدث؛ حيث أعطى جوليوس كلمة السر الكيميائية الخاصة به، حتى إنه ساعد أيضًا على إغلاق غرفة الكيمياء الكبيرة، ولم يفعل أيَّ شيء إضافيٍّ سوى أنه هز كتفيه مستهجنًا بفتور عندما أخبره جوليوس، وهو يبتسم ابتسامة بايك المعتادة، أن كافةَ ذكرياتِ غرفة النار سوف تندثر. «للأبد يا مارسيلوس. لن يتحدث أحد عنها مجددًا. وفي المستقبل لن يعرفَ أحد ما الذي كان هنا في الماضي. سوف يتم تدمير كافةِ السجلات».

نفض مارسيلوس تلك الذكريات عن رأسه، فتلاشت أصداء الماضي البعيدة. قال لنفسه إن ذلك كان منذ زمن بعيدٍ. حتى

جوليوس بايك ذو الشخصية الرهيبة أصبح الآن مجردَ شبح، ويقال إنه عاد إلى حيث نما وترعرع عند مزرعة تقع بالقرب من الميناء، بيدَ أنه - أي مارسيلوس باي - كان لا يزال هناك، ولديه الكثير من الأعمال التي يتحتم عليه القيام بها؛ حيث يتعين عليه البدءُ في إشعال **النار** وتدمير الخاتم ذي الوجهين.

تأرجح مارسيلوس على السلم المعدني المؤدي إلى المنصةِ العليا إلى الأسفل، وبدأ بحذرٍ في النزول إلى غرفة **النار** أو إلى الأعماق، كما كان الطُّرَّاق يسمونها. وكان السلم يهتزُّ مع كل درجة يخطوها مارسيلوس بإصرار نحو الأسفل باتجاه منصة كبيرة تقع على مرمى بعيد عنه؛ حيث أطلت عليه المزيد من الكرات **النارية**. وبعد مرور ما يقرب من عشر دقائق طويلة، وطِئت قدماه على ما كان يعرف بمحطة المشاهدة، وتوقف لتقييم الموقف.

أصبح مارسيلوس الآن في نفس مستوى قمة مرجل **النار**.

دقَّق النظر نحوَ الأسفل؛ ليشاهدَ قمم قضبانِ **النار** المتراصة على شكل نجمة متلألئة بتوهُّجٍ فاتر انبعث من قضبان **النار** التي لم يلحق بها الدمار.

وكانت قضبان **النار** مشتعلة ومتفككة في آخر مرة رأتهم عيناه.

هزَّ مارسيلوس رأسه في إعجاب. كيف قام الطُّرَّاق بذلك؟

وكان هناك ممرٌّ ضيق يعرف باسم دائرة التفتيش يدور حولَ حافَةِ المِرْجَل. وقد صُنع ذلك الممر من شبكة مَعْدِنية، رأى

مارسيلوس أنه تم إصلاحها بعد أن كانت ملتوية بفعل الحرارة. وبعناية فائقة، خطا عليها، وهو يتمسك بالأسوار على الجانبين. ومن ثم التقط مطرقةً صغيرةً مِن داخل حزام أدواته، تعرف باسم الدقاقة، وأمسكها بإحكام ثم مضى في طريقه. وبعد كل بضع خطوات كان يتوقَّفُ ويقرَعُ الحافَةَ المعدنية لمرجل النار، مسترقًا السمع لذلك الدق. كان الصوت المنبعث منه يدل على أنه سليم؛ وذلك على الرغم من علمه أن سمعه ليس حادًّا بما يكفي للقيام بهذه المهمة.

كان هذا هو ما يفعله الطُّرَّاق طيلةَ فترة النهار والليل وفي كل وقت وحين. كانوا يحتشدون حول المِرْجَل، ويبدءون في الطرق والطرق والطرق باستخدام المطارقِ التي بحوزتهم، مع الاستماع إلى أصواتِ المعدن، واستيعاب كل ما يخبرهم به. علم مارسيلوس أنه كان بديلًا غيرَ كفءٍ لأي من الطُّرَّاق، بيدَ أنه فعل كل ما في وُسعه. عقب سيره على دائرة التفتيش، عاود التوجهَ نحو محطة المشاهدة، وهو على علم بأنه لم يَعُدْ باستطاعته تأجيل الأمر الذي يهابه أكثر من ذلك؛ حيث يتعينُ عليه النزولُ إلى أسفلِ أرضيةِ غرفةِ النار.

وكانت مجموعةٌ متواصلة من الدرجات المعدنية قد شقت طريقها حول سطح المِرْجَل المنتفخ في ذلك الظلام الدامس بالأسفل، والذي أضاءته مجموعةٌ صغيرة من الكرات النارية.

وعلى مهلٍ، نزل مارسـيلوس إلى الأعماق، وسرعان ما هبَّت عليه رائحـةُ الأرض الرطبـة. وفـي الدرجة السـفلى من السـلم، توقف ليسـتجمع رَباطـةَ جأشـه وشـجاعته لينـزل علـى الأرض. كان مارسـيلوس علـى يقين مـن أن أرضية الكهف لا بـد أنها قد حفت ببقايـا الطُّرَّاق، ولم يكـن يتحمل فكرة أن يسـحق عظامهم الرقيقة الصغيرة مثلَ قشر البيض تحت أقدامه.

بعد بضع دقائق، نزل مارسـيلوس إلى أسفل. وقد شعر بارتياح حين لم يشعر بصوت العظام تحت أقدامه. خطا خطوة أخرى على أطراف أصابعه، ثم أخرى، ولم يشعر بوجودِ أي شيءٍ تحت قدميه إلا أرضًـا خالية. وبقدر من الحذر، خطا مارسـيلوس على أطراف أصابعـه حول قاعدة المِرْجَل، وهو ينقر عليها باسـتخدام مطرقته، مستمعًا إلى الأصوات المنبعثة منها، ثم أخذ يتقدم إلى الأمام شيئًا فشيئًا، ولم يطأ بقدمه ولو مرة على أي شيء يصدر أصوات سحق من قريب أو بعيد؛ ولذلك فقد افترض أن تلك العظام الرقيقة لابد أنهـا قد تحولت بالفعل إلى تراب. وبعـد الانتهاء من جولته داخل الجانب السـفلي من المِرْجَل، أدرك مارسيلوس تمامًا أن كل شيء على ما يرام..

والآن حان الوقت للبدء في إشعال النار.

وبالعـودة إلى محطة المشـاهدة، توجَّه مارسـيلوس على طول ممر آخر مهلهل، معلق عبر الكهف على ارتفاع ثلاثين قدمًا. سـار

بخطوات حذرة، وهو سعيد بذلك الضوء المنبعث من خط الكرات النارية المقابل الموضوع على الأرض. وأخيرًا وصل إلى غرفةٍ مبنية داخلَ وجه صخرة في مؤخرة الكهف، وخطا نحو الداخل. ها هو ذا قد عاد إلى غرفةِ التحكم الخاصة به من جديد.

وأسفل طبقات من الغبار تراكمت عبر مئات السنين ، رأى مارسيلوس أن الجدران قد أعيد طلاؤها باللون الأبيض، وهو ما جعل كلَّ شيء يتوهَّجُ، ولم يكن هناك أي أثر لذلك الدخان الدهنيِّ الذي كان قد طغى على كل شيء. سار مارسيلوس إلى الجدار البعيد؛ حيث توجد عجلة نحاسية داخل الصخرة، بجوار صفٍّ من الروافع الحديدية. أخذ مارسيلوس نفسًا عميقًا، ثم أمسك بالعجلة، وقد تحركت بسهولة ويسر. وفيما أدارها مارسيلوس ببطء، شعَر بالانزلاق والانخفاض وأصوات الطقات وأصوات أخرى جوفاء منبعثة من سلسلة القيادة، والتي اخترقت الصخور، ووصلت إلى أعماق الممرات السفلية. وفي مكانٍ ما في الأعلى، انفتحت بوابة التحكم بتدفق المياه. انبعثت أصداء قرقرة عظيمة حول الظلام السخامي لرصيف الكيميائي في الوقت الذي بدأت فيه المياه البطيئة في التحرك. شعَر مارسيلوس بصوت القعقعة داخل الصخرة المواجهة للمياه المتدفقة عبر القنوات العتيقة والتي شرعت في ملء الخزان الموجود في أعماق جدران الكهف.

والآن أحـال مارسـيلوس اهتمامَهُ نحو ضِفةٍ أخـرى بها واحدة وعشـرون عجلةً تقـع في مكان أبعد. وبمجرد إشـعال النار، يتعين عليه إيجاد طريقة ما للخلاصِ من الحرارة المفرطة. قديمًا، كانت الحـرارة تتوزع من خلال ما يعرف الآن بالأنفاق الجليدية، وكانت تستخدم في تدفئةِ مباني القلعة القديمة. وكان مارسيلوس قد وَعَدَ السـاحرة العظمـى، مارشـا أوفرسـتراند، بالحفـاظ علـى الأنفاق الجليديـة، وهو مـا يعني احتياجَهُ لفتح نظـام التهوية الثانوي، وهو عبـارة عن شبكة من المسامِّ التي تمتد وصـولًا إلى سطح القلعة.

ولم يكن مارسـيلوس يجرؤ على المخاطـرة بذلك؛ حيث كان في حاجة إلى وقت ثمين لإشعال النار، كان بحاجة إلى الوقت كي يثبـت أنها لا تشـكل خطورة على القلعة. وعلـى الرغم من موافقة مارشا على إشعاله النار، كان مارسيلوس يعلـم أنها تتصور أن النار لا تعـدو أن تكـون مجـرد فـرن صغيـر داخـل الغرفـة الكيميائيـة والفيزيائيـة العظيمية. بالطبع، كان ذلك هو ما حملها على التفكير فيه. وكان جوليوس بايك قد أخبر مارسـيلوس أنه سيتأكد من عدم إقدام أي من السـحرة العظماء أبدًا على منحِ الإذن بفتح غرفة النار مجددًا، وهو ما صدقه مارسيلوس.

وبالتالـي، حوَّلَ مارسـيلوس اهتمامَهُ نحو العجلات النحاسـية الصغيـرة التي تفتـح منافذَ تهوية للحرارة المنتشـرة في كافة أرجاء القلعة، والتي تنزع فتيل الحرارة المفرطة بعيدًا عن النار المستعرة.

كان مارسيلوس قد فكر مليًّا في هذا الأمر، كانت الخدعةُ تتمثل في فتح منافذِ تهوية في الأماكن التي قد تُفسَّر فيها الحرارة غير العادية على أنها شيء آخر. التقطَ ورقةً مكرمشة من داخل جيبه ليراجع القائمة التي كان وضعها. أخذ يعد بحذر، وهو يدير تسعَ عجلات معينة حتى توقفتْ. تفحص مارسيلوس الورقة التي بحوزته من جديد، وفحص العجلات، ثم وقف إلى الخلف وهو راض عما فعله.

والآن، كان هناك مؤشر أحمر على قرص يُخبره باقترابِ امتلاءِ الخزان، عندها أدار مارسيلوس العجلةَ لإغلاق بوابة التحكم في تدفق المياه، وأعاد فحص القائمة التي بحوزته، ثم غادرَ غرفة التحكم.

لقد انتهتِ المهمة.

وبعد مرور ساعتين، كانت المياه تتدفق من خلال المِرْجَل، فيما بدأت النار في العودة إلى الاشتعال ببطء وخفة من جديد. وبشيء من الضجر، قام مارسيلوس بدفع المفتاح الكيميائي الخاص به في منحدر فتحة النار الصغيرة السفلية. كما تذكَّر تلك الأوقات، عندما تقدم هو وجوليوس في العمر، وأن جوليوس كان قد جاء لزيارته، وأعادَ المفتاح الكيميائي لمارسيلوس قائلًا: «أنا أثق فيك يا مارسيلوس، وأعلم أنك لن تُقْدِمَ على استخدامه».

وهو ما لم يفعلْه.

حسنًا، لم يحدث ذلك حتى الآن.

كان روميلي وبارتريدج قد عادا لمزاولة عملهما منذ فترة طويلة، ولكن في دار المخطوطات، بينما لا يزال بيتل يراقب الخريطةَ الحية؛ فقد كان يعلم أن ما يهبط بالأسفل لا بد أن يظهر من جديد. صدرت أصوات قعقعة من بطن بيتل. في الوقت المناسب، قام فوكسي بإزاحة رأسِه حول الباب الموارب، ومن ثم قام بيتل بالنظر إلى أعلى.

تسلق مارسيلوس من خلال فَتحةِ **النار** الصغيرة السفلية. ومرة أخرى، ظهر مثل نقطة ضوء على الخريطة الحية لما يكمن تحت الأرض. قال فوكسي: «شطيرة سجق!». ثم وضع حُزمةً مربوطة بإحكام بجانب شمعة بيتل، وكانت رائحتها زكية.

قام مارسيلوس بإغلاق فتحة **النار** الصغيرة السفلية، ومن ثم بدأ بالتسلق بسرعة.

قال بيتل: «أشكرُك يا فوكسي». ثم عاود النظر إلى الخريطة، إلا أن عينيه اللتين أصابهما الإعياء من كثرةِ التدقيق، لم تكونا في حالة تركيز كافيةٍ تُمَكِّنُه من رؤية نقطة الضوء التي تشير إلى مارسيلوس في تلك المرة. أخذ يحدق في شطيرة السجق باشتياق. لم يكن يعلم أنه كان جوعانَ إلى هذا الحد.

قال فوكسي: «سوف أحمله لك، فأنت بالتأكيد لا ترغب في إسقاط موادَّ لزجة على الخريطة الحية».

دقق بيتل النظر في الخريطة مرةً أخرى.

ومن ثم سأله فوكسي: «هل رأيتَ أي شيء؟».

أشار بيتل إلى نقطةِ الضوء التي تُشير إلى مارسيلوس وقال: «نعم، أعتقد ذلك ..»..

انحنى فوكسي إلى الأمامِ، وشكل أنفه الذي يشبه المنقار ظلَّ على نقطة الضوء.

وكان مارسيلوس قد وصلَ إلى فتحةِ **النار** الصغيرة العلوية.

قال بيتل في غضبه: «تَنَحَّ جانبًا يا فوكسي؛ فأنت تحجبُ عني الضوء».

«أوه، متأسِّفٌ».

نَظَرَ بيتل إلى أعلى وقال: «متأسف يا فوكسو، لم أقصد أن أكون قاسيًا. أشكرُكَ على الشطيرة».

كان مارسيلوس قد مرَّ مِنْ خلال فتحة **النار** الصغيرة واختفى من الخريطة المباشرة.

قَضَم بيتل شطيرةَ السجق التي بحوزته.

وفي أسفل الأعماق، بدأت **النارُ** في الاشتعال.

2

عرس أبيض

اجتاحت موجةٌ كبيرة من الصقيع القلعة فغطتها في دثار سميك من الجليد. وفي وقت لاحق بعدَ الظهيرة في أحد الأيام المشمسةِ فيما كان الهواء ثابتًا تمامًا، ارتفعت أعمدةُ الدخان الرفيعة مثل الأقلام من ألفِ مدخنة نحو السماء. وعلى طول طريق السحرة، تجمع حشدٌ مِنَ الناس لمشاهدةِ موكب الزفاف المتجه من منطقة القوس العظيم نحو القصر. وأثناءَ مرور الموكب، تسلَّل بعض الناس من الحشد خلفَه واتبعوه، وهم يتحدثون عن الزوجين الشابَّيْن،

سايمون ولوسي هيب، اللذين تزوجا لتوهما في الردهة الكبيرة الكائنة ببرج السحرة.

كان سايمون هيب، بشعره المجعَّدِ والأصفر اللونِ مثلَ القش، والمربوط إلى الخلف على نحو منمق في صورة ذيل حصان، يرتدي رداء أزرق جديدًا، وهو ما كان مسموحًا له بارتدائه في يوم العرس بصفته ابن أحد السحرة العاديين . بدا الرداء الأزرق المصبوغ حديثًا براقًا وقد زينته أشرطة الزفاف التقليدية ذات اللون الأبيض، والتي كانت تتطاير خلفه. أما لوسي هيب (وكنيتها قبل الزواج جرينج)، فقد كانت ترتدي فستانًا أبيض اللون طويلًا وواسعًا مصنوعًا من الصوف ، كانت قد حاكته بنفسها، وأحاطته بالفراءِ الورديِّ. وتعبيرًا عن حبِّها، قامت بتطريز الحروف الأولى من اسميهما في شكلٍ متشابك باللونين الأزرق والوردي على تنورتها. كانت والدتها قد عارضت ذلك التطريز، قائلة إن ذلك ينم عن سوء الذوق، وللمرة الأولى من حيث الذوق كانت السيدة جرينج على حق، بيد أنها كانت ليلة عرس لوسي، وكل ما أرادتْ لوسي القيامَ به تحقَّق. أشار روبرت إلى هذا الأمر قائلًا: «إنه لن يحدث ثمة تغيير في هذا الأمر إذن».

تقدمت حفلةُ الزفاف عبر طريق السحرة باتجاه القصر، تسحق في طريقها الثلوج التي تساقطت لتوها. كانت السماءُ زرقاء لامعة في ليل الشتاء، بيد أن سحابة ثلجية صغيرةً فوق الموكب مباشرة

أسقطت بضعًا من رقاقات الثلج الضخمة، والتي استقرت على شعر لوسي البنيِّ الطويل المزخرف، وبدت مثل قصاصات الورق الملون. كان لوسي وسايمون يضحكان ويتحدثانِ مع بعضهما بسعادة، وكانت لوسي تدور بين الحين والآخر على الجليد لتستعرض فستانها وتشارك المِزاح مع أشقائها الجدد.

وكان شقيق لوسي، روبرت وصديقته ماجي، يسيران بجوارها. وكان لسايمون عددٌ أكبر من الرفاق بشكل ملحوظ: شقيقته بالتبني، الأميرة جينا، وأشقاؤه الستة، بما في ذلك أشقاؤه الأربعة من فورست هيب: سام والتوءمان إد وإريك وجوجو.

كانت والدة العروسة، ثيودورا جرينج، تسير مباشرة خلف ابنتها، وتتقدم من حينٍ لآخر في موكب لوسي؛ رغبةً منها في السير في المقدمة. وعندما خرجوا من منطقة القوس العظيم، أُجبرت السيدة جرينج على التراجع عن قيادة حفلة الزفاف عبر طريق السحرة. كانت والدة لوسي أكثر الأمهات فخرًا بالعروس، تشهدها القلعة منذ أمدٍ بعيد؛ ذلك أن ثيودورا جرينج لم تتصور أبدًا أن يضم ضيوف حفلة زفاف ابنتها كبار الشخصيات المهمةِ في القلعة؛ الساحرة العظمى والأميرة ورئيس الكتبة السحريين، حتى الرفيق الكيميائي العجيب، لقد كانوا جميعًا هنا، وهو ما من شأنه - بما لا يدع مجالًا للشك - أن يرفع من شأن آل جرينج.

ولكنها فكرت في أنه من العار حقًّا أن يقترن ذلك بآل هيب، تلك الزمرة التي تمتاز بمظهرها السيئ، وقد حضر عدد كبير منهم العرس، حتى إنها حيثما نظرت، كان يطالعها ذلك الشعر الأصفر بلون القشِّ الذي يعتلي رءوس جميع أفراد عائلة هيب ذوي المظهر الوضيع. لقد كان عددهم يفوق عدد أفراد عائلة جرينج.

استفاقت ثيودورا جرينج من شرودها على صياح وضحكات تصدر عن مجموعةٍ من أربعة رجال مزعجين، كانوا يذكرونها بسايلاس هيب، ظنت (وقد صدق ظنها) أنهم أشقاء العريس. تجهَّم وجه السيدة جرينج وصوَّبَتْ عينيها الحادتين نحو أفراد عائلة هيب الذين تعرفتْ إليهم. كان عليها أن تعترف لنفسها على الأقل بأن سايلاس وسارة بدت عليهما الأناقة في ملابس الزفاف ذات اللون الأزرق والأبيض، إلا أن سارة بدت غريبة الأطوار، بسبب تلك الحقيبة السخيفة التي تحمل بداخلها بطتها. ألقت السيدة جرينج نظرة على البطة التي كانت منتوفة الريش ، وجاهزة تمامًا للمرق. قررت السيدة جرينج أن تقترح ذلك على سارة فيما بعد ، ثم أمعنت النظر إلى أولاد أسرة هيب، فانتابتها مشاعر مختلطة تجاههم. لم يكن أصغر الأبناء نكو وسبتيموس سيئَيْن للغاية.

الواقع أن سبتيموس بدا لطيفًا في رداء التلميذ الرسميِّ الرائع، وقد تدلت من أكمامه أشرطة أرجوانية طويلة. كان أطول من آخر

مرة رأته فيها السيدة جرينج. وعلى الرغم من أن شعره لم يختلف عن شعر سائر أسرة هيب فإنه كان ممشطًا وهو ما أكسبه مظهرًا رائعًا. بيد أن ضفائر البحار التي تتدلى من شعر نكو لم تنلِ استحسانها، إلا أن السترة القصيرة الرصينة ذات اللون الأزرق البحري وياقة البحار كانت مقبولةً بالنسبة لها.

وبمجرد أن وقعتْ عيناها على باقي أفرادِ عائلة هيب، لوت ثيودورا جرينج فمها تعبيرًا عن نفورها وكراهيتها لذوقهم المريع؛ حيث بدا أبناء فورست الأربعة في هيئة مخزية.

استهجنتْ مظهر سام وإد وإريك وجوجو وهم يتسكعون بجانب العروس كما لو كانوا - لم تكن الكلمات تسعفها - نعم كقطيع من حيوانات الشره. وعلى الأقلِّ كان باستطاعتهم الاحتشامُ والسير خلف موكب العرس.

أثناء مرور حفل الزفاف الذي كان يتم في فِناء برج السحرة، حاولت السيدة جرينج دفعَ أبناء فورست للمؤخرة. ونشبتْ على إثرِ ذلك مشاجرةٌ، واضطر زوجها جرينج إلى سحبها، ثم همس لها قائلًا: «دعي الأمر يا ثيودورا، فهم أشقاءُ لوسي الآن». كادت السيدة جرينج تسقط مغشيًّا عليها لمجرد تفكيرها في ذلك، ووجدت نفسها تمعن النظر طويلًا نحو أبرز ضيوف الحفل؛ السيدة مارشا أوفرستراند، الساحرة العُظمى؛ كي تتغلب على

مشاعرها، وهو ما سبَّب لمارشا القليل من الإحراج، حتى إنها سألتها بحدة ما إذا كان هناك خطب ما.

ساورها الخزيُ بسبب تلك الذكرى، تنهدت السيدة جرينج، ثم أدركت تخطي الحشد لها. على الرغم من سعادتها فإنها لم تدرك أن ذلك المثلث الطويل والمدبب الجاثم على قمة قبعتها ترك انطباعًا لدى المتفرجين بأن سمكةَ قرش تجوب حفل الزفاف، وتلاحق العروس. وسرعان ما شقت السيدة جرينج طريقها بمرفقها للعودة إلى المقدمة.

وفي النهاية، وصلَ الموكب إلى بوابة القصر؛ حيث تجمع المتفرجون حول العروسين؛ لتقديمِ التهاني والهدايا وأطيب الأمنيات.

تلقى لوسي وسايمون تلك التهاني والهدايا والأمنيات، وهما يضحكان ويناولان لأصدقائهما وأقاربهما الهدايا ليحملوها عنهما.

شبكت سارة هيب ذراعها في ذراع سايلاس وابتسمت له. كانت تشعر بسعادة غامرة؛ فقد كانت تلك هي المرة الأولى منذ ولادة سبتيموس، التي تجتمع مع جميع أولادها. شعرت كما لو كان حمل ثقيل قد أزيح من فوق كاهلها. في الحقيقة كانت سارة تشعر بخفة بالغة، لدرجة أنها لم تكن ستندهش أبدًا إذا ما نَظَرت إلى الأسفل ورأتْ قدميها ترتفعانِ بوصاتٍ قليلةً عن الرصيف.

أخذت تراقب قافلة أبناء هيب، وقد أصبحوا جميعًا في مرحلة الشباب، وهم يضحكون ويتمازحون مع سايمون كما لو أنه لم يبتعد عنهم على الإطلاق. «بعيدًا» هي الكلمة التي استخدمتها سارة لوصف أيام سايمون المظلمة. أخذت تراقب سبتيموس، يخطو خطوات واثقة بردائه الخاص بالتلامذة، وهو يتحدث مع صغيرتها جينا، التي بدت طويلة وجميلة مثل الملكات. بيد أن أفضل ما حدث، هو أن رأت سارة عيني أكبر أبنائها مرة أخرى خضراوين لامعتين متوهجتين بالسعادة حينما كان ينظر حوله، فهو لم يعد منبوذًا بعد الآن، بل عاد إلى حيث ينتمي... إلى القلعة، مع عائلته.

كان سايمون لا يكاد يصدق نفسه؛ فقد هالته كل تلك الأمنيات الطيبة والمشاعر التي بدت على وجوهِ الناس من حوله والتي عكست حبهم له. فمنذ زمن ليس ببعيد، حينما كان يعيش تحت الأرض في الظلمات، كانت تراوده أحلامٌ كتلك الحقيقة الماثلة أمام عينيه، بيد أنه كان يستيقظ من تلك الأحلام في منتصف الليل، في حالة اضطرابٌ شديد عندما يدرك أنها كانت مجرد أحلام، ولكنه الآن يرى تلك الأحلام قد استحالت إلى حقيقة.

واصل الحشدُ ازدياده، وبدا كما لو كان سايمون ولوسي سيقفان بعض الوقت أمام بوابة القصر. وعلى طرف الحشد، وقفت مارشا أوفرستراند بمهابة وجلال. كانت ترتدي الرداء

الاحتفالي للساحرة العُظمى والمصنوع من الحرير الأرجواني المزخرف والمحفوف بفراء مارشموس، الأكثر نعومة والأغلى ثمنًا. ومن أسفل الرداء، برز حذاؤها الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان فوق الثلوج البيضاء. كانت مارشا قد سحبت شعرها الأسود المموج في عقال الرأس الرسمي الذهبي الخاص بالساحرة العُظمى، والذي توهج وبرق في ضوء شمس الشتاء. وقد بدت مارشا مثيرةً للإعجاب على الرغم من الحنق والغضب الباديينِ عليها. وقعت عيناها الخضراوتان على سبتيموس، فأشارت بعصبية وانفعال إلى تلميذها كي يحضر إليها، فاستأذن سبتيموس من جينا وهُرِع نحو مارشا؛ ذلك أنه كان قد وعد سارةَ بأنه «سوف يتأكَّد من عدم قيام مارشا بتولِّي دفة الأمور»، وها هو يرى البوادر التحذيرية.

سألت مارشا: «هل رأيتَ هذه الفوضى يا سبتيموس؟».

نظر سبتيموس نحو الجهةِ التي أشارت إليها مارشا بإصبعها، وذلك على الرغم من علمِه تمامًا بما كانت تتحدَّث عنه تحديدًا.

ففي نهايةِ طريق الاحتفالِ والذي يبدأ مباشرةً من بوابةِ القصر، كان هناك صف طويل من السقالات المغطاة بمشمع لامع أزرق اللون بدا وكأنه زخارف على الثلجِ الأبيض، وقد تناثرت حوله كومات غير منظمة من الأحجار، ومجموعة من معدات عاملي البناء.

رد سـبتيمـوس قائـلًا: «نعـم». لم تبدُ تلـك الإجابة مفيدة من وجهة نظر مارشا.

هز سـبتيموس كتفيه قائلًا: «إنه مارسـيلوس، أليس كذلك؟ ما الـذي يفعلـه وبدأ فيه بالفعل؟» ولكنه لم يتوصل إلى السببِ وراء سؤال مارشا له، لا سيما أن مارشا لم تحدد له موعدًا لبدء شهره مع مارسيلوس.

ثم قال: «لمَ لا تسألينه؟».

بـدا على مارشـا الشـعور بالذنب قليـلًا، وقالت: «حسـنًا، لقد وعـدت والدتـك عندما قدمـت لرؤيتي بأنه لن يكـونَ هناك أية ... جدالات».

بـدت الدهشـة على وجه سـبتيموس ثم سـألها: «وهـل قَدِمتْ والدتي لرؤيتك؟».

تنهدتْ مارشا ثم قالت: «نعم. لقد أحضرتْ لي قائمة الضيوف وأخبرتنِي بأنه في حال وجود أي شـخص لا يعجبني، فإنها سـوف تتفهَّـم تمامًا عدمَ حضوري. وبطبيعـة الحال، قلت لها بالطبع إنني سـأحضر زفـاف سـايمون، ولا يهم علـى الإطلاق من سـيتواجد هنـاك. بدت غير مقتنعة؛ ولذلك فقد اضطـررت في النهاية إلى أن أعدهـا بأن أكون لطيفة مع الجميع». قالت مارشـا جملتها الأخيرة وهي تلوي وجهها ممتعضة.

ألقى سبتيموس بنظره نحو سارة هيب باحترام متجدد وقال لها: «أحقًّا فعلت؟!».

انتبها على صوت مارسيلوس باي يناديهما: «أيها التلميذ! مارشا!». كان مارسيلوس قد لاذ بالفرار من قبضة السيدة جرينج، وكان قد أصابه اليأس، ودفعه ذلك إلى الحديث مع أي شخص حتى ولو كانت مارشا.

قال بابتسامة: «حسنًا، حسنًا، أنتما الاثنان تبدوانِ رائعين للغاية».

قالت مارشا: «لسنا في مثل روعتك يا مارسيلوس». قالتها مارشا وهي تنظر إلى عباءة الكيميائي السوداء الجديدة، وقد شجَّ أكمامها ليكشف عن القميص الأحمر الْمخْمَلِي الذي كان يرتديه تحتها. كانت العباءة والسترة مزينتينِ بأربطة ذهبية تبرق في ضوء الشمس. أدرك سبتيموس أن مارسيلوس بذل جهدًا كبيرًا؛ حيث كان قد قص شعره الداكن في قصة قصيرة، وقد فرشه إلى الأمام فوق جبهته بنفس الطريقة القديمة التي لا يزال الكيميائي يفضلها في المناسبات الخاصة، كما كان يرتدي حذاءه المفضل الأحمر، وهو الحذاء الذي أهداه إياه سبتيموس في يوم ميلاده منذ عامين. لاحظت مارشا الحذاء، وأعربت عن استهجانها. كان النظر إلى الحذاء يثير في نفسها شعورًا بالغيرة، والواقع أنها كانت تشعر بالخجل من ذلك الشعور.

لوَّحَت مارشا بيديها في اتجاه المشمع، قالت مستهجنة: «أرى أنك قد بدأتَ بالفعل». ثم أرغمتْ نفسها على الامتناع عن إضافة أن مارسيلوس قد وافق على عدم البدء في بناء المدخنة حتى يعاد افتتاح غرفة الكيمياء الكبيرة.

رأى سبتيموس الشعور بالذنب يتسلل إلى مارسيلوس وهو يقول: «يا إلهي! ما الذي يجعلك تقولين هذا؟».

«حسنًا، أعتقد أن الأمر واضحًا، تلك القمامة القابعة في نهاية طريق الاحتفال».

رأى سبتيموس نظرة ارتياح على وجه مارسيلوس وهو يرد قائلًا: «آه، المدخنة! إنها مجرد استعدادات. أنا أعلم أنك لا ترغبين في الاحتفاظ بالخاتم ذي الوجهين لفترة أطول من اللازم، فلابد أن الاحتفاظ بذلك الخاتم أشبه ما يكون بالكابوس».

جاهدت مارشا نفسها لتحافظ على ذلك الوعد الذي قطعته لسارة قائلة: «نعم هو كذلك، ولكن الفضل يعود لك يا مارسيلوس في وجوده معنا».

ذهل سبتيموس، لقد أسدت لهم والدته خدمة جليلة.

تشجع مارسيلوس وقرَّرَ أن يطلب خدمة من مارشا: «أتساءل يا مارشا، إذا ما كان لديكِ اعتراض على تغيير الاسم».

أصيبت مارشا بالذهول ثم قالت: «أنا سعيدة للغاية باسم مارشا».

«لا، لا .. أنا أعني طريق الاحتفال. في قديم الأزمان، عندما كانت الغرفة الكبيرة تعمل وكانت لدينا المدخنة في نهايتها – كما سيحدث قريبًا – كان هذا الطريق يطلق عليه اسم الطريق الكيميائي. أتساءل إذا كنت ستسمحين بالعودة إلى استخدام اسمه القديم؟».

قالت مارشا: «حسنًا، لا أمانع في ذلك. كان طريق الكيميائي هو الاسم الذي يطلق عليه قديمًا، ولا أرى بدًّا من إعادة استخدام هذا الاسم مرة أخرى».

قال مارسيلوس مبتسمًا: «أشكركِ!» ثم تنهَّد قائلًا: «قريبًا سوف يؤدي الطريق الكيميائي إلى مدخنة الكيميائي التي سيتم بناؤها مجددًا. حسنًا، سوف يحدث ذلك حينما يبدي عمال البناء الرغبة في الظهور».

سرت في الحشود موجة من الهتافات والتصفيق في إشارة إلى أن حفلة الزفاف ستشرع في التوجه نحو القصر. تسلل مارسيلوس بعيدًا عن مارشا قبل أن تواتيها الفرصة في طرح المزيد من التساؤلات الخرقاء.

راود مارشا شعورٌ بالحزن والكآبة؛ فقضاء أمسية مع خليطٍ من أفراد عائلة هيب وعائلة جرينج لا تحتلُّ أيَّ ترتيب في قائمة أمسياتها الممتعة، حتى إنها لا يمكن إدراجها حتى في أسفل القائمة، ومن ثم عاودت نظرَها تجاه برج السحرة في شوق وحنين، وهي تتساءل في نفسها ما إذا كان في إمكانها أن تهرع إلى هناك.

أبدى سبتيموس اعتراضه على تلك النظرة، ثم قال لها بجدية: «لا يمكنكِ المغادرة الآن. سينم ذلك عن قلة ذوق وافتقار إلى الكياسة».

ردت مارشا بحدة: «بالطبع لن أقدمَ على المغادرة الآن، ما الذي أوحى إليك بتلك الفكرة؟».

***

تم تقديمُ عشاء الزفاف في وقت متأخرٍ من الليل، ولم يندمج أفراد عائلة هيب وأفراد عائلة جرينج تمامًا، بل كان هناك بضع لحظات شائكة، وخاصة عندما اقترحت السيدة جرينج حَساء البطة على سارة هيب. بيد أنه ما من شيء كان ليفسد على سارة فرحتها وسعادتها في تلك الليلة، ولا حتى إصرار السيدة جرينج بأنها لن تمانع على الإطلاق في اصطحاب البطة إلى المنزل، وبما أنها بطة كبيرة وسمينة فستكون كافية للجميع، وستحضر حَساء البطة في اليوم التالي كي توفر على سارة مجهود طهيها. لقد كانت سارة في تلك الليلة في صحبة أولادها جميعًا للمرة الأولى على الإطلاق، وكان هذا يكفيها.

تعجبت مارشا، فقد تبين لها في النهاية أن أمسيتها لم تكن بالسوء الذي توقعته. فبعد الاستماع إلى بعض الخطب المملة العصماء على لسان أعمام هيب المبتهجين بشكل متزايد، حدثت واقعة صرفت انتباه الجميع، وهو ما كان محل ترحيب منها. فمن

خـلال النوافذ الطويلـة في قاعة الرقص، والتـي تصل إلى الأرض وتطـل على المـروج الخضراء الممتدة نحو النهر، شـاهد الجميع زورقًـا بخاريًّـا تنيـره الأضـواء يرسـو على رصيـف الرسـو التابع للقصر.

تسـاءلت مارشـا وهي توجه حديثها إلى الجالسـة إلى جوارها قائلةً: «يا إلهي! ترى من يكون هذا؟».

كانت جينا تعلم من هو: «إنه والدي، متأخر كعادته».

ردت مارشـا: «حسـنًا يـا لَـه مـن أمـر لطيـف!»، وسـرعان مـا اسـتدركت كلامها قائلةً: «ليس مـن اللطفً أن يأتي متأخرًا بالطبع، ولكن من اللطيف أنه قد تمكَّن من حضور العرس».

قالت جينا: «بالكاد أدركه».

شعر كلٌّ من سايلاس وأعمام هيب الأربعة بالارتياح؛ لأن ذلك قـد أعطاهـم عذرًا للانصراف، وذهبـوا لتفقد الزورق ومرافقة ميلو إلى عشـاء الزفاف. وصل متألقًا وهو يرتدي زيًّا، رآه البعض أشـبه ما يكون بزي عميد بحري في الأسطول، في حين أن البعض الآخر كانـوا علـى يقين من رؤيتهم لهـذا الزي في نوافـذ محالِّ الملابس التنكريـة في الميـنـاء، ولكن بغض النظر عمـا كان يرتديه؛ فقد أثار ميلـو ضجـة لـدى وصوله. خطـا بخطـوات كبيرة نحـو العروس، وانحنى لها ثم قبَّلَ يَدَيْهَا، وأهداها مجسمًا ذهبيًّا صغيرًا على شكلِ سـفينة في زجاجةٍ شـفافةٍ، وقد شعرت لوسي بسـعادة غامرة لدى

تلقيها تلك الهدية، وبعدها قام بتهنئةِ سايمون، واتخذ مقعدًا بجوار جينا.

ولـم يمـرَّ وقـت طويـل حتـى التمسـت جينـا عـذرًا للذهـاب والتحدث مع الأبناء فورست هيب في الطرف الأبعد من المنضدة. عندهـا جلـس ميلو فـي مقعد جينـا المجـاور لمارشـا، ومنذ تلك اللحظة أحست مارشا بأن تلك الأمسية قد تغيرت كثيرًا للأفضل، وهو ما دفعها للمكوث لفترة أطول مما خططت له من قبل.

3

برك الماء

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية صباحًا عندما شقت مارشا طريقَها نحو بوابة القصر عبر الجليد الممهد للسير. هبَّت رياح باردة، مُحدِثةً أزيزًا من النهر، حبكت على إثرها عباءتها الشتوية الأرجوانية، المبطنة بالفراء الأزرق حولها بإحكام، وهو نفس ما فعله رفيقها، رئيسُ الكتبة السِّحريين بعباءَته الكثيفة الكُحلية السميكة.

كان مظهرهما مثيرًا وهما يسيران عبر الجليد، وعباءتاهما ترفرفان في الرياح.

وكان رئيس الكتبة السحريين الآن تقريبًا في نفسِ طول الساحرة العُظمى. كانت مارشا على يقين من أن بيتل قد نما وترعرع منذ أن **تقلَّدَ** منصبَ رئيس الكتبة السِّحريين، أو لعله، في ظنها، يقف الآن فـي وضعيـةٍ مسـتقيمة، رافعًا رأسـه إلـى أعلى. وبغـض النظر عن ذلك، فقد كان من السـهل أن ينظر بيتل في عيني مارشـا، كما فعل في تلك اللحظة.

قال لها: «أتمنى لو أسديتِ لي نصحًا. إن المكان ليس ببعيد إذا لم يكن لديكِ مانع في إلقاء نظرة».

كان سـبتيموس سـيقضِي ليلتَه في القصر وكانت مارشا سعيدة بتأخيـر تلك اللحظة التي تعود فيها إلى غرفة نومها بمفردها، لتجد شـبح جيلي دجين، رئيسـة الكتبة السحريين السـابقة، جالسة على أريكتها في حزن وأسًى. قالت مارشا: «يسعدني ذلك يا بيتل».

وبينمـا خرجا من بوابة القصر معًا، جال بخاطر مارشـا أن تلك المحادثة لم يكن من الممكن أن تتم قطُّ مع الراحلة، غير المأسوف عليها، جيلي دجين. وأدركت حينها أن تعيين شخص تحبه وتفهمه في منصب رئيس الكتبة السـحريين يسـهل عليها الكثير من الأمور ويبعـث على السـرور كما يبث في نفسـها شـعورًا بالأمان. أدارت

وجهها وابتسمت في وجه بيتل قائلةً: «أنا سعيدة للغاية أن الاختيار قد وقع عليك في هذه المرة».

تورد وجهُ بيتل خجلًا وقال لها: «حسنًا، أشكرك».

صعِد الاثنان إلى منتصف الطريق الجديد الذي أطلق عليه للتوِّ طريق الكيميائي، ووطئت أقدامُهُما الجليد، مخلفين آثار أقدامٍ على صفحة الجليد البيضاء. امتد الطريق أمامهما، خاويًا، وواسعًا، ولا يضيئه إلا بريق الجليدِ المنعكس تحت ضيِّ القمر. وعلى مقربة من القصر، كان المكان مهجورًا تمامًا. هنا في يوم من الأيام كانت تقبع ثكنات جيشِ الشباب، وقد صارت هذه المنطقة مغطاة الآن بألواح خشبية وحَلَّ بها الخراب. أسرع بيتل ومارشا، وسرعان ما قادتهم مباني الجيش إلى المنازل الكبيرة، والتي كانت مهجورة هي الأخرى، وفي ذلك الوقت من الليل، كانت مظلمة وهادئة. كان الطابق الأرضي من تلك المنازل عبارة عن واجهات لمتاجر صارت الآن مغطاة بألواح خشبية. في يوم من الأيام، كانت تلك المتاجر تخدم الصناعة المزدهرة التي قامت على غرفة الكيمياء الكبيرة. بيدَ أنه عقب إغلاق غرفة الكيمياء الكبيرة، غابت الحياةُ عن طريق الكيميائي، وصار المكان خاويًا تعصف به الرياح، وكانت الحياة تعود إليه فقط بشكلٍ مقتضب كونه بمثابة أرضٍ للحفر خاصة بجيش الشباب، ومقرًّا للمواكب والعروض الفخمة التي كان الولي الأعلى يستمتع بإقامتها من وقت لآخر.

وجـد بيتل الأمـر غريبًا ومحزنًا. ثم سـرعان ما شـعر بالارتياح عندمـا كشـفت لـه مشـكاةٌ تتدلـى مـن أحـد الأعمدة عـن مدخل سارسـون السـريع، وهو الزقاق الذي كان يبحث عنه. وكان زقاق سارسون السريع، كما هو معروف، أفضل كثيرًا ومثيرًا للبهجة إلى حـد كبيـر. وكان مـن الواضـح أنـه محتـل من قبـل بومـاتِ الليل المؤنسـة؛ حيث سـرت همهمات محادثاتهم وقعقعةُ كئوسهم من زجاج تلك المنازل الصغيرة التي يولونها عنايتهم.

انعكست أضواء الشموع من نوافذهم على الجليد وأنارت لهم الطريق. وبعد أن قَطَعَا مسـافةً قصيرة مـن الزقاق، توقف بيتل أمام بركـة من الماء رآها تتناقض مع الجليد. انحنت مارشـا وغمسَـتْ أصبعَهـا في المـاء، ثم نظرت إلى بيتل نظـرةً يعلوها القلقُ وقالت: «ما عدد تلك البركِ التي قلت إنَّها موجودة هنا؟».

«هناك ثماني بركٍ على حدِّ علمي».

جـزت مارشـا على أسـنانها مصدرة صريـرًا واضحًـا، وقالت: «وأنت تعتقد أنهم جميعًا منافذُ.. كما تزعم؟».

هـزَّ بيتل رأسـه بالموافقـة، وقال: «نعـم، على ما يبـدو أنَّه نظام للتبريد».

«حقًّا؟ وما الذي تُبرده تلك المنافذ؟».

قال بيتل: «حسنًا، هذا هو الأمر المعنيُّ بالبحث عنه، ليس لديَّ أدنـى فكـرة. فقد عثرت روميلـي بادجر على خريطـة قديمة..» ثم

التقط بطرف عينيه حركةً ما، ونظر حوله ورأى ثلاثةَ وجوه تطل من النافذة يبدو عليها الاندهاش، وتحملق في مشهد رئيس الكتبة السحريين والساحرةِ العُظمى وهما يحققان في أمر بركة الماء الواقعة خارج عتبة دارهم. «أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن أخبرك بهذا في الطريق».

«حسنًا؟».

أومأ بيتل برأسَه باتجاه النافذة.

«أها» لوحت مارشا إلى مراقبيها في سعادة على نحو أذهل الجميع، ذلك أن مارشا كانت لا تزال متأثرة بأجواء الإثارة التي حفلت بها أمسيتها. ثم وضعت ذراعها حول كتفَي بيتل وقالَت، على نحو يذكرها بميلو باندا: «للأمام سِر، انطلق يا بيتل».

وأثناء تجولِهما على طول ممرات الأزقة الجليدية، متوجهين نحو طريق الساحر، شرع بيتل في شرح الأمر.

«بصراحة، يا مارشا، إن دار المخطوطات في حالة من الفوضى، ولا نعلم أين ذهبت نصف المخطوطات. لقد اتخذتُ قرارًا بإعادة فهرسة وفرزِ كل شيء، وفي الأسبوع الماضي بدأتُ بالأقبية، وكم كانت صدمتي عندما وجدت كومات من الأوراق في كافةِ أرجاء أرضية الأقبية، كما توجد كومة أخرى من الأوراق في قطاع الأنفاق تركت لتتعفن في بركة من المياه، حتى إن إيفانيا قال إنه لا يُمكنه إصلاحها».

قالت مارشا: «هذا أمر سيئ للغاية ولا شك، كان إيفانيا جريب الكاتبَ المسئول عن حفظ دار المخطوطات، وهو معروف بقدرته على إصلاح واستعادة كل شيء تقريبًا».

قال بيتل: «هو كذلك، لقد فقدنا كمًّا كبيرًا من المعلومات عما يوجد أسفل القلعة. وعلى أي حال، لقد بدأت بالأرفف الخاصة بالأنفاق الجليدية، وطلبت المساعدةَ من روميلي بادجر – وهي مسئولةُ التفتيش – نظرًا لأنني رغبت في أن أشرح لها أكبر قدر ممكن عن تلك الأنفاق. لن تُصدقي الأمر، لكنها لم تكنْ بحوزتها خرائط مناسبة».

قالت مارشا: «للأسف، أصدقُ».

«نعم، حسنًا. بعد أن قامت روميلي بتنظيفِ الأرفف، عثرت على إحدى الأوراق المهملة والمثبتة على ظهرِ أحدِ تلك الأرفف. كانت سوداءَ وملوثة بالسخام، ورقيقةً للغاية، بيد أنني لم أستطع أن أتخلصْ من الشعور الذي كان يراودني بأهميتها. ولحسن الحظ، قال إيفانيا إنه سيكون بوُسعه إصلاح تلك الورقة».

سألت مارشا: «وكيف حال إيفانيا؟».

«لقد صار أكثر قوة الآن، بيدَ أنه لا تزال تنتابه الكوابيس، على ما أعتقد».

قالت مارشا: «لسوء الحظ، هذا أمر متوقع».

كانا قد وَصلَا إلى متجر تيري تارسال الإسكافي. توقفت مارشا للحظة لتدقق النظر من خلال الباب وكي ترى المعروضات على الأرفف بالداخل، عندها شعرت بشيء ما يتأرجح تحت قدميها.

قال بيتل: «احذري! توجد واحدة أخرى هنا!».

قفزت مارشا برشاقة إلى الأرض الثابتة، وقالت: «على الأقل، فإن تيري يتمتع بالفطنة الكافية ليضع شيئًا فوقها». قالتها وهي تدق بفضول على قطعة الخشب المتذبذبة بقدميها. «هذا يجعلهم تسعة إذنْ، أخبرني يا بيتل، ما الذي وجدته في قصاصة الورق تلك؟».

انطلقا على طول أحدِ ممرات قطاع الطرق باتجاه المصابيح اللامعة على طريق الساحر، ثم شرع بيتل في توضيح الأمر.

«في البداية، اعتقدتُ أن تلك الورقة كانت تحتوي على رسم لشبكة عنكبوت، بيد أن روميلي أشارتْ فيما بعد إلى أن شكلها يتوافق مع شكل القلعة. وبالتالي، قام إيفانيا بطرحها في **طبقِ تكبير الرؤية** ليرى ما إذا كان بوسعه العثور على أي شيء آخر. وهو ما حدث بالفعل حيث ظهرت خريطةٌ باهتة للغاية للقلعة؛ ومن ثَمَّ رأينا العنوان».

تساءلت مارشا: «وما هو العنوان؟».

«المنافذ: نظام تبريد المِرْجَل».

«نظام تبريد المِرْجَل؟! هل هذا هو نوع من أنواع السحر الأسود؟».

«لا أعتقـدُ ذلك. إنها متقنـة للغاية بحيث يصعب أن تكون نوعًا من أنواع السحر، والأهم من ذلك أنهم لا يقومون بتدوين الأشياء، أليس كذلك؟».

قالت مارشا: «هذا صحيحٌ».

«أشارتْ روميلي إلى وجودِ العديد من الخروقِ في الشبكة وأنها تنتهي جميعًا بنقطة، كما لو كان شخصٌ ما قد ترك القلمَ على الورقة لفتـرةٍ طويلـة. كما لاحظنا أن كافة النقاط توجد فـي أزقةٍ هادئة. كان الأمر مثيرًا للاهتمام، لذا ذهبت أنا وروميلي في رحلة بحث، لنرى ما إذا كان هناك شيء ما يمكن رؤيته على سطح الأرض».

تساءلت مارشا: «وهل وجدتم شيئًا؟».

تنهَّـد بيتل وقال: «لا، لقد كان ذلك هو اليومَ الذي أعقب موجة الصقيع الكبيرة والتي على إثرها غطى الجليد كل شيء. وفي ذلك الوقـت، راودنـي شـعور بأن ذلـك حظ عسـر، وأننا سـنضطر إلى الانتظـار حتـى ذوبـان الجليد. ولكن فـي الأسـبوع الماضي، جاء فوكسـي للعمـل والمـاء يقطـر منه وقال إنه سـقط فـي إحدى برك الماء. حسـنًا، لقد ضحكنا جميعًا، فكيف له أن يسقط في بركة ماء فـي الوقـت الـذي تجمَّد فيـه كل شـيء؟!! بيد أن فوكسـي انزعج كثيرًا، وأصرَّ على اصطحابي معه لرؤية بركة الماء».

حاولت مارشا أن تغيظه فقالت له: «أعتقد أن رئيس الكتبة السحريين لديه أشياء أخرى أهم من الذهاب لرؤيةِ بركة ماء يا بيتل».

«نعم، حسنًا، كان عليَّ الاختيار ما بين الذهاب ورؤية البركة أو عدم الحصول على مزيد من شطائر السجق، أو على الأقل أنني لن أحصل عليها من فوكسي، للأبد».

«حسنا، لقد فهمت».

«هالني ما رأيت، فقد كانت هناك بركةُ ماء بالفعل. وبالتالي، تحملتُ تكلفةَ شطائر السجق ذلك اليوم. وفي اليوم التالي، سمعتُ عن بركة أخرى من بارتريدج، ثم بركة أخرى وأخرى. بدا الأمرُ كما لو كان كافة الكتبة يتعثرون في برك الماء. طلبت من بارتريدج رسم خريطةٍ عن أماكن تلك البرك ثم راودتني فكرة غريبة وقمت بتركيبها على شبكة المنافذ. والغريب أن كل بركة ماء تصادف وجودها عند إحدى النقاط الموجودة في نهاية الخط. كل منهم».

قالت مارشا: «حسنًا، حسنًا، حسنًا».

كانوا قد وصلوا إلى متجرِ بوت للعباءات، وقد علقت على بابه لافتة كبيرة تقول: عباءات السحرة: قديمة وجديدة، زرقاء وخضراء. نحن متخصصون في تقديم العباءات المثالية، العباءات التي ستحبها حتى قبل أن تراها. كان متجر بوت للعباءات كبيرًا ومثيرًا إلى حد كبير، كان يقع على الجانب الآخر من دار

المخطوطات، بيدَ أنه الآن قد خفَت نَجمُه على نحو مؤسف؛ نظرًا لأن مالكه بيرتي بوت صار في عداد المفقودين، ويعتقد أن كائنًا ما قد التهمه. كانت السيدة بوت قد كست التماثيل المتوهجة عادةً بالملابس السوداء، ووضعت شمعةً واحدة مشتعلة عند النافذة.

تنهدت مارشا ودققتِ النظر في النافذة، وقالتْ: «يا له من مسكين بيرتي، أشعر أنني مسئولة عما حدث له. ماذا لو أنني لم أصرَّ عليه أن يقف في دوام الحراسة..»..

قال بيتل: «ولكن كان من الضروري أن يقف أحد في الحراسة، ولو لم يكن بيرتي، كان من الممكن أن يكون أي ساحر آخر، لم تكوني أنتِ السببَ في قتله، لقد كان .. حسنًا، كان ميرين».

قالت مارشا: «لا، لقد كان **السحر الأسود**، وكان ميرين هو أداته، تمامًا مثل سايمون. إن **السحر الأسود** يبحث عن نقاطِ الضعف الكامنة في الأشخاص ويقوم باستغلالها».

قال بيتل: «أعتقد ذلك». أثار الحديثُ حول **السحر الأسود** الفزع في نفس بيتل كما لم تكن فكرةُ الدخول إلى دار المخطوطات المهجورة مشجعة بالنسبة له. وعلى الرغم من أن الوقت كان متأخرًا، فقد قال: «يقوم إيفانيا بمحاولة أخيرة **لتكبير** حجم مخطط منفذِ التهوية الليلة. فقد اعتقد أنه رأى ظلال بعض الكتابات بخط اليد، لذلك يعتزم إلقاءَ نظرة فاحصة عليها. أعلم أن الوقت صار متأخرًا، لكن هل تودين القدوم وإلقاء نظرة؟».

قالـت مارشـا دون تـردد: «بالتأكيد». لم تكن فكـرة العودة إلى شبح جيلي دجين وهي تتطلع إليها بعينين خاليتين مشجعة بالنسبة لمارشـا تمامًا، كان شـعورها إزاء ذلك أشـبه ما يكون بشعور بيتل إزاء دار المخطوطات المهجورة.

وهناك في الدور السـفلي في قبو صيانة المخطوطات الذي بدا غارقًـا في هدوئه يكتنفه البيـاض في كل مكان، أطل إيفانيا جريب بهيئتـه الضخمة مرتديًا عباءة بيضاء ويحمل في يديه صينية شـفافة تحـت الضـوء. كان إيفانيـا جريـب، نصـف رجـل ونصـف فـأر، وسـرعان ما التفت إلى مارشـا وبيتـل. وكان النصفُ السـفليُّ من وجه إيفانيا، تمامًا مثل جسده، مغطى باللون الأبيض.

وقد كشف الشكلُ المغطى تحت الأغطية الحريرية عن سمات الفأر بيدَ أن عينيه البشـريتين البنيتين برقتا خلف نظارته الطبية وهو يرفع إبهامه لهما ليشـير إلى نجاحه فيما يفعله. من ثم وضع إيفانيا الصينيـة على طاولـة العمل، ودفـعَ البطاقة البيضـاء الصغيرة نحو بيتـل ومارشـا. كانت الكتابة على البطاقة تقول: لبن، بدون سـكر، من فضلك.

قال بيتل معربًا عن حيرته: «ماذا؟».

أخـرج إيفانيا صوتًا يمكن أن يكون ضحكة فأر، ثم أدار البطاقة على الجانب الآخر، وكان مكتوبٌ عليها: اكتمل التكبير.

دقَّـق كل مـن بيتـل ومارشـا النظـر فـي قطعـة الورق السـميكة واللامعـة الواقعة أمام أعينهما. تتبع إيفانيا بإصبعه الطويل والرفيع الذي يشـبه أصبعَ الفأر بعضَ الكتابـات الباهتة المكتوبة بخط اليد والمتفرقة أسـفل الرسم كفكرة مسـتدركة. سـحبت مارشا **عدستها المكبرة** وناولتها لبيتل.

هزَّ بيتل رأسَه وقال: «لا، أنت أولًا».

أمسكت مارشـا **بالعدسـة**، ووضعتها بالقرب منَ الكتابة، ومن ثم دققـت النظر باهتمام. أعربت عن اسـتهجانها أثنـاءَ القراءة، ثم ناولت **العدسـة** إلى بيتل. وعندما انتهى من القراءة، قالت له: «ماذا تعتقدُ أنها تقول؟».

«جوليوس هـ ل، م. هذا هو ما بَدَرَ إلى ذهنِك؟».

«نعم إنه هو. من يكون جوليوس هـ ل ؟ أنا أتسـاءل؟ هذا اسـم غريب».

قال بيتل: «هذا ليس اسمًا. إنه اختصار قديم: هذا للعلم. لم يعد أحدٌ يستخدمه في الوقت الحالي».

قالت مارشـا: «حسـنًا. كـم عمر هـذه الورقة وفق اعتقـادك، يا إيفانيا؟».

قلب إيفانيا في بطاقات الأرقام الخاصة به ووضع رقم «475» أمام مارشا.

«يوم؟ أسبوع؟ عام؟».

سحب إيفانيا إحدى البطاقات من صندوق التقويم الخاصِّ به مكتوب عليه: عام.

قالت مارشا: «حسنًا! ذلك منطقي».

تساءل بيتل: «أحقًّا؟».

«حسنًا، لم أفسر كل شيء. بيد أن جوليوس لابد أن يكون جوليوس بايك، والذي كان ساحرًا أعظم في ذلك التوقيت. وأنا أراهن ببرج السحرة مقابل حلوى النبيذ أنني أعرف تماما ماذا يعني حرف م».

قال بيتل: «ماريسلوس؟».

«بالتأكيد. إنه كيميائي القلعة الذي عينته مؤخرًا. يا بيتل، لا بد وأن له علاقة بتلك البرك». استدارت مارشا نحو إيفانيا، الذي كان لا يزال يقلب في بطاقاته وقالت: «أشكرك شكرًا جزيلًا يا إيفانيا».

تجعدتْ أعين إيفانيا بابتسامة ثم وضعَ بطاقة ملطخة أمامها، تقول: لقد كان ذلك من دواعي سروري.

صعد كلٌّ من بيتل ومارشا ثانية إلى دار المخطوطات.

ثم سارا من خلالِ الغرفة الخالية، والتي كانت طاولاتها الطويلةُ تُشبه حراسَ الظلام، في ضوء الشموع المحترقة. فتح بيتل الباب المهلهل المؤدي إلى المكتب الأمامي، فتوهج ضي القمر من الطريق الجليدي بالخارج، مرسلًا ظلالًا حادة عبر صناديق من الأوراق، والتعويذات المعاد ترميمها القابعة في انتظار من يجمعها

في الصباح. تبع بيتل مارشا عبر الظلال والضوء، حتى وصلت إلى البوابة الرئيسية، حيث توقفت وقالت:

«سـوف أسـتدعي مارسـيلوس إلى برج السـحرة أول شيء في الصباح الباكر. أريد تفسيرًا لما يحدث».

لم يكن بيتلِ واثقًا من ذلك «أعتقدُ أنه يتعين علينا الانتظار بعض الوقت لنرى ما سيحدث. أنا لا أتوقع أن يعترف مارسـيلوس بأي شيء».

تنهدت مارشا وقالت: «لا، لا أعتقد ذلك».

علَّـق بيتـل مازحًا: «لا يحبُّ أي شـخص أن تُوَجَّـه إليه أصابع الاتهام بإحداث برك ماء في كل مكان».

اندهـش بيتـل عندما رآها تقهقه وهي تقول: «لا سـيما إذا قمتُ بإعداد خريطةٍ تُوَضِّح مواقع تلك البرك». ثم سحبت الباب وخطت نحو الجليد. «سـوف أسمح لسبتيموس بالبدء في عمله هذا الشهر مع مارسـيلوس بدءًا من الغد، وبتلك الطريقة سوف يكون بوسعي أن أراقب ما يدبره ذلك الرجل، وسوف ننظر في الأمر، أخبرني إذا ما ظهر المزيد من البرك. أشكرُكَ يا بيتل».

قالتها مارشـا وهـي تغلق البـاب. تنامى إلى سـمع بيتل صوت حذائها المدبب المصنوعِ من جلد الثعبان وهو يسـحق الجليد من تحته. وظن أنه يبـدو وحيـدًا إلى حد كبير.

4

الرحيل

رقم واحد، المنزلق الثعباني
من مكتب مارسيلوس باي، كيميائي القلعة.

عزيزتي مارشا، لقد بدأ العمل الآن في المدخنة الكبيرة وأقترح عليك - مع الأخذ في الاعتبار تغيير طبيعة الخاتم ذي الوجهين في أسرع وقت ممكن - النظَرَ في افتتاح غرفة الكيمياء والفيزياء الكبيرة. بالطبع، لا يمكن البدء في إشعال النار، حتى تتم إعادة بناء المدخنة، بيدَ أنه كلما عجلنا في العمل تحت الأرض كان ذلك أفضل. ولتحقيق هذه الغاية، سوف أطلب من تلميذي سبتيموس البدء في شهر العمل معي في أسرع وقت مناسب.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

مارسيلوس

قرأتْ مارشا الخطاب أثناء احتسائها فنجان القهوة الثاني على الإفطار. ناولته لسبتيموس، الذي كان في طريقه للانتهاء من تناول عصيدته. قالت له: «حسنًا، ما رأيك في الذهاب إلى مارسيلوس اليوم؟».

كان سبتيموس يتطلع إلى كسر الروتين اليومي. حيث كان يعمل على وَحدة فك الرموز التحليلية المتقدمة من برنامجه الدراسي، وكان يجد الأمر مملًا للغاية. قال لها: «لا بأس». لم يرغب في إظهار حماسه الزائد كي لا يجرح مشاعر مارشا.

قالت مارشا بلطف وخفة: «حسنا فلتذهب إذن لحزِمْ أمتعتك».

«حسنًا، سوف أفعل».

راقبت مارشا سبتيموس وهو يقفز من الكرسيِّ وينطلق مسرعًا خارج المطبخ. لم تكن تتطلع للأسابيع الأربع المقبلة بدونه.

وهناك في غرفته، واجهَ سبتيموس مشكلةً في إغلاق حقيبة ظهره.

«فرشاة الأسنان؟».

نظَر بعينَيْهِ ورأى مارشا تُطِلُّ برأسها عبر مدخل الباب. صاح سبتيموس قائلًا: «نعم، ومشطي أيضًا تمامًا كما أخبرتِني».

جالت مارشا بعينيها في غرفة سبتيموس، لم تكنْ بالغرفة الكبيرة - دائمًا ما تكون غرف التلامذة في برج السحرة صغيرة - بيد أن ما أسعدها هو أن الغرفة كانت مرتبةً ترتيبًا جيدًا على نحو

احترافي وعملي. كانت الأرفف مُكدسة بمجموعة من الصناديق التي وضعت عليها الملصقات والأوراق المتعلقة بمشروعات ومهامٍ سبتيموس السحرية المختلفة، كما ازدانت الأرفف أيضًا بصفٍّ صغير من الأواني المصنوعة من الحجر الأبيض (كانت قد أهدته إياهم في حفل منتصف الشتاء)، والتي احتوت على مجموعته المتنامية ببطء من **الأسحار والتعويذات**. أسفل النافذة، كان هناك مكتب كبير أسود اللون ذو ست أرجل، يُطلِق عليه سبتيموس اسم «الحشرة»، وكان يعتليه وعاءٌ من الأقلامِ الجافةِ وكومةٌ من الأوراق غير المستخدمة. تحاشت مارشا النظر نحو المكتب، بأرجله الطويلة الرفيعة المشعرة وسطحه المنبسط ذي اللون الأسود اللامع، والذي بدا لها كصرصار عملاق، وبدلًا من ذلك، نظرت إلى أعلى نحو السقف الذي كان سبتيموس قد طلاه بلون السماء الأزرق الداكن ورسم عليه أبراج النجوم فور وصوله في المرة الأولى. كانت النجوم الفضية لا تزال متوهجةً ومضيئة في ضي الشمس الذي تدفق من النافذة.

كتمت مارشا تنهيداتها. فما من شك في أنها ستفتقِدُ سبتيموس. ثم وقعَ نظرُها على كومةٍ مطوية من الملابس الصوفية ذاتِ اللون الأخضر تتدلى منها الأجزاء الأرجوانية اللامعة.

قالـت مارشـا: «لقـد نَسِـيتُ إحضـارَ رداءِ التلميـذ الاحتياطيِّ الخـاص بك، إنـه الطاقـم الجديد الذي وصـل صباحَ اليـوم. لقد أرسلت في طلبه خصيصًا لك».

ردَّ سـبتيموس بقليل من الخجل: «حسنًا، لا، لم أنسَ». جذب سـبتيموس الإبزيـم الأخير مغلقًـا حقيبة ظهره ثم وضـع الحقيبة على الأرض، حيث رقدت محدثة جلبة كبيرة.

قفـزت مارشـا من مكانها. فكـرت في أن سـبتيموس قد أصبح ضخمًـا وأخـرقَ للغاية. فكل شـيء فعلـه أحدث صوتًـا عاليًا. ثم قالـت: «أعتقـد أنـه ليس لديـك مكان لتضعه، سـوف أرسـل أحد السحرة به في وقت لاحق».

قال سبتيموس: «الواقع أنني لن أكونَ في حاجة إليه».

تنهدت مارشا وقالتْ: «لا يمكنك ارتداءُ الرداء نفسه لمدة شهر كامل يا سبتيموس».

«لا، أعلم ذلك ..»..

«لذا سوف أرسلُه لك».

«لا يـا مارشـا. لن أكـون في حاجـة إليه ... سـوف أرتدي رداء تلميذ الكيميائي الخاص بي».

شعَرت مارشا بغصة في حلقها وقالت: «سوف ترتدي ماذا؟».

«رداء تلميـذ الكيميائي الخـاص بي. لقد وافقت على أن أصبحَ تلميذًا لمارسيلوس طيلة شهر كامل».

غمغمت مارشا: «لم أوافقْ على ذلك الأمر، بل وافقتُ على إرسال تلميذي لمساعدته لشهر واحد، وهو أمر مختلف تمامًا. وطيلةَ ذلك الشهر، سوف تظل تلميذي يا سبتيموس، لن تكون تلميذ الكيميائيّ».

تمتم سبتيموس: «أعتقد أن مارسيلوس يرى الأمر على نحو مختلف».

انفجرت مارشا فيه وهي تقول: «لا أعبأ بما يراه مارسيلوس، سوف أرسل الرداء الاحتياطي في وقت لاحق. وأتوقع منك أن ترتديه».

كتم سبتيموس تنهيدته. كان يتمنى أن يتوقف كلٌّ من مارشا ومارسيلوس عن التصارعِ عليه. ثم قال: «كنت أعرف أنك ستقولين ذلك».

وبعد مرور نصف ساعة، كان سبتيموس يجلس على صندوق السنديان القديم بجانب الباب الأرجواني الأمامي في انتظار مارشا. في الماضي، كان سيختار أحد الكتب المثيرة لقراءتها ويتمدد بأريحية على الأريكة الناعمة ذات اللون الأرجواني في انتظار خروج مارشا من مكتبها، بيد أن الشبح البدين والقصير للسيدة جيلي دجين، رئيسة الكتبة السحريين السابقة، كان قد احتلَّ الأريكة التي كانت يومًا هي المفضلة لديه. فلسوء الحظ، كانت جيلي دجين قد وافتها المنية على أريكة مارشا منذ أشهر قليلة.

ويتحتم على الأشباح البقاء لمدة عام ويوم في المكان الذي انتقلوا فيه إلى عالم الأشباح، وهو ما يعني أن مارشا ستنعم بصحبة جيلي دجين لمدة تسعة أشهر أخرى قبل أن يتحرر شبحها.

ولكونها شبحًا جديدًا، كان شكل جيلي دجين لا يزال واضحًا: حف رداءها ذا اللون الكحلي خطوط متموجة، وكان من السهل رؤية التعبير البادي على وجهها .. بدت منزعجة، كما لو كانت على وشك الإفصاح عن أمر جلل لشخص ما. كان سبتيموس ومارشا ممتنين، أن جيلي دجين لم تتحدث بعد، وذلك على الرغم من تفاعُلِها مع ما كان يدور حولها، حتى إنها تمكنت من التخلص من رفيقها على الأريكة مؤخرا، جني سبتيموس، الذي يدعى جيم ني. ففي مساء يوم من الأيام استيقظ جيم ني، الذي كان يرقد هناك في بياته الشتوي، على حين غرة، ومشى أثناء نومه حتى وصل إلى غرفة النوم الاحتياطية، حيث يرقد الآن ويشخر.

حملقتْ عينا جيلي دجين الصغيرتان الداكنتان دون أن تطرف صوبَ سبتيموس. بدا الأمر مربكًا له ولم يجل بخاطره من قبل؛ نظرًا أن الأشباح لا تحتاج إلى طرف أعينها. ولكنه تنفَّس الصُّعَداء أخيرًا فور ظهور مارشا.

سألته: « مستعد؟ ».

التقط سبتيموس حقيبة الظهر الخاصة به وقال: «نعم».

نظـرت مارشـا نظرةً صـوبَ جيلي دجيـن، ثم قالـت: «تعالَ يا سبتيموس، دعنا نغادرْ هذا المكان».

وقف كلٌّ من مارشـا وسبتيموس في صمت على درج السلالم الفضيةِ الحلزونيـة التـي تقودهمـا إلى أسـفل برج السـحرة، أثناء دورانهمـا عليه برفق. اشـتمَّ سـبتيموس **عبق** السـحر ، والذي كان أقـوى من المعتادِ؛ نظرًا لوجـود طاقة إضافية متمددة للحفاظ على الخاتـم ذي الوجهيـن فـي أمان داخـل **الغرفة المغلقـة**. نزلت بهم السـلالم إلـى الأسـفلِ والأسـفل، عبـر كل طابق، حيـث تواصل النشاط **السحري** اليوميُّ بشكل هادف، أثناء نزول الساحرة العُظمى وتلميذها في هدوء.

وبينمـا كانـا يخطوانِ مِـن على الـدرج إلى أرضية البهـوِ الكبير الناعمـة، توقفـت مارشـا - وهـي تحـاول التخلـي عـن أسـلوب المعلـم - وقالـت: «أنـت لـم تـرَ **الغرفـة المغلقـة** من قبـل، أليس كذلك؟».

«لا، لم أرَها».

«أعتقـد أن الوقت قد حان كي تراها، يتعين علينا فحصُ الخاتم ذي الوجهين قبل أن نذهب».

وصـلا إلى النفقِ الطويـل الذي يؤدي بهما إلـى **الغرفة المغلقة** عبر الدهليـز **المغلق**، تلك الغرفة الصغيرة الواقعة خلف السـلالم

الحلزونية. خارج الدهليز، كان هناك ساحرانِ يحرسان الغرفة. ذلك أن مارشا لم تكن لتخاطر في أمر كهذا.

داخل الدهليز **المغلق**، ساد السكونُ المكانَ. كانت جدران الغرفة الفضية قد غمرها ضوء أرجواني **سحري** يتوهَّج من **القُفل** المحكم الموضوع على الباب المؤدي للنفق. وقد تم تصميمُ جدرانها اللامعة وزواياها الدائرية للتشويش على أية أنشطة أو أية **أسحار** حية يحتمل هروبها، وما من شك في أنها قد أربكت سبتيموس. وعندما دخل، مرَّ بتجربةٍ غريبة؛ حيث رأى ما يقرب من خمس أو ست صور لنفسه تدلف إلى المكان. وعندما أغلقت مارشا الباب خلفه، شعَر كما لو كان يقف في منتصف فقاعةٍ أرجوانية اللون.

داخل الدهليز، وقفت إحدى الساحرات تُدَقِّقُ النظر نحوَ **القفل** المحكم المؤدي إلى النفق، وتراقب أيةَ تغييرات قد تُشير إلى حدوث اضطراب في الجانب الآخر. لقد كانت مراقبة **القفل** المحكم مهمةً تتسِم بالملل، وتتطلب قليلًا من المهارة وكثيرًا من التركيز، كما أنها لم تكن مهمةً واسعة الانتشار. كانت نوبات الحراسة تتغير كل نصف ساعة، وهو ما أدى إلى مشاركة كثير من السحرة فيها على مدار الأربع والعشرين ساعة.

اقتربت مارشا من الحارسة وقالت: «جئتُ للقيام بعملية تفتيش. هلا تنحيت جانبًا من فضلك؟».

كان ذلـك من دواعي سـرور توماسـين تيم، السـاحرة **حارسـة القفـل**، التـي تنحـت جانبًـا وهزت رأسـها. حيث كانـت الأضواء اللامعـة قد خلَّفت لديها شـعورًا بالغثيان وأصابتهـا بصداع هائل. لقد كانت مهمة مريعة.

قالتْ مارشـا بصوت خفيض: «سـوف أصطحبُ معي تلميذي لمعاينـة **الغرفة المغلقـة**، عليكِ أن تظلي واقفة في الحراسـة. وفي حـال عـدم خروجنا في غضون عشـر دقائـق، أنتِ مُخَوَّلَـة، بدافع الأمان، **بإعادة إغلاق** الباب».

نظر سـبتيموس بعينيه في دهشـة صوبَ مارشـا. لقد كان الأمر قاسيًا بعض الشيء، في ظنه.

همسـت توماسـين قائلةً: «حسنًا، يا سيدة مارشـا، وهل سأقومُ بمراقبة حقيبة الظهر الخاصة بك، أيها التلميذ؟».

هزَّ سبتيمـوس حقيبةَ الظهر التي بحوزته فسقطت على الأرض وقال: «أوه، أشكرك».

صرخت توماسين تعبيرًا عن الألم وقالت: «آي.. قدمي!».

أسكتتها مارشا قائلةً: «ششششش!».

اعتذرَ سبتيموس لها وقال: «يا إلهي! أنا آسف».

قالت مارشا: «حقًّا، يا توماسين، إنها مجرد حقيبةِ ظهر صغيرة. هيا بنا يا سبتيموس».

عقدت مارشا يديها على ارتفاع حوالي بوصة عنِ **القفل** المحكم المتلألئ، واستجمعت تركيزها. وفجأة، دفعت يدَيْهَا من خلالِه وقامت بسحبهما بسرعة وهي تفرقهما بشكل سريع؛ وبذلك فتحت **القفل** المحكم، الذي كشف عن باب فضي ضَيِّق.

دفعت مارشا الباب ومرَّت بصعوبة من خلاله، ثم قالت: «تعال يا سبتيموس. بسرعة!».

انزلق سبتيموس إلى الداخل، وأغلقت مارشا الباب خلفهما برفق. من ثم ضغطت بيديها على سطحه الأملس، فظهر **قُفل** مؤقَّت كضوء أرجواني. ثم التقطت المصباح المعلق بجوار الباب، وأضاءته ثم انطلقت، وتبعها سبتيموس. رفعت مارشا المصباح إلى أعلى، وسارت على طول النفق المنحدر المبطن بالحجارة والمؤدي إلى أسفل **الغرفة المغلقة** المدفونة في القاعدة الصخرية لبرج السحرة.

سارا بسرعة، وقد امتصت سحب السحر الرقيقة المنتشرة في الداخل وقع أقدامهما. وكل سبع ياردات، كان سبتيموس يرى بابًا صغيرًا في جدار النفق، كان يعلم أن خلف كل باب تقع غرفة تُستخدم في تخزين كافة أنواع الأشياء المسببة للإزعاج، كان سبتيموس يشعر بالإثارة؛ فقد كان يعلم كيف تعمل **الغرفة المغلقة**، لدرجة أنه تمكن أثناء العام الأول من دراسته، من صُنع نموذجٍ

مصغر لها، بيدَ أنه فعليًّا لم يذهب إلى نهاية النفق أبدًا، ولم يرها على الحقيقة، ناهيك عن دخولها.

لقد كانت **الغرفةُ المغلقة** أكثر الأماكن أمنًا في برج السحرة؛ حيث كانت تستخدم في حبس وتقييد أخطر وأقوى **الأشياء السحرية والكيانات والتعويذات والأسحار**، وآخرُ من سكنها كان جنيَّ سبتيموس، جيم ني، والذي تعرض للتقييد المحكم، حتى وافق على عرض مارشا. بيدَ أن الخاتم ذا الوجهين هو ما يرقد الآن في فتورٍ خلفَ الباب الصغير للغاية الخاص **بالغرفة المغلقة** القابعة في نهايةِ النفق.

ولمزيد من الاستخدام الفعالِ للإغلاق السحريِّ المحكم، لم يزد ارتفاع ذلك الباب على ثلاثة أقدام كما كان أضيق من باب المدخل. وبالفعل لم يتمكنْ كافة السحرة العظماء السابقين من المرور من خلاله، فقد انحشر به دومدانيال في إحدى المرات، الأمرُ الذي كان مسليًا إلى حد كبير بالنسبة لتلميذه آنذاك. (وهي الذكرى التي لا يزال ألثر يعتز بها حتى الآن).

وما افتقده الباب في الارتفاع والعرض، عوضه في السمك. لقد كان الباب، تمامًا مثل الأبواب العظيمة المؤدية إلى برج السحرة، مصنوعًا من الفضة الصُّلبة، التي تَوَهَّجَت عبر الغيوم الضبابية الأرجوانية الخاصة **بالقفل المحكم**، والتي أحاطت بالباب بأكمله.

وضعـت مارشـا مصباحها على أحـد الأرففِ الصغيـرة بجوار الباب، ومن ثم وضعت يديها داخل اللون الأرجواني، وبضربة من رُسْـغها قامت بكسـرِ **القُفل** الْمُحْكَم، التقطت ثلاثـةَ مفاتيح فضيةً صغيرة من جراب السـاحرة العُظمى الذي بحوزتها، ووضعتها في ثـلاثِ فتحات للمفاتيح: الفتحة الأولى فـي أعلى الباب، والفتحة الثانية في أسـفل البـاب، والفتحة الثالثة فـي المنتصف. ثم أدارت مارشـا المفتاحَ الأوسـط، ومن ثم استمع سـبتيموس لثلاثة أقفال براميـل مـن طرازٍ قديـم أثناءَ تناوبها في انسـجامٍ تـامٍّ، اهتزَّ الباب؛ ليفتحَ بصوتِ صريرٍ خفيف.

قامت مارشـا برفع زوجِ **الملقاط المحميِّ الطويل** (والمعروف باسـم أعمدة البارجة) والـذي كان معلقًا بجوار الباب، ثم التقطت المصبـاح الـذي بحوزتهـا، وضغطت نفسـها للمرور مـن الفتحة الضيقة داخل الغرفة، وتبعها سبتيموس بسرعة.

عقـب إغلاق البـابِ، حول ضـوء المصباح المـكان المظلم – الـذي كان مبطنًا بطبقة مـن الفضة الصُّلبة يبلغ سـمكُها بوصتَين – إلـى جوهـرة براقة لامعة. بيـدَ أن لمعانهـا لـم يخـفِ حقيقة حجم **الغرفة المغلقة** الصغيرِ للغاية، شـعَر سبتيموس بالأسف تجاه جيم نـي، علـى الرغم مـن كون هـذه الغرفـة أفضلَ مـن قـارورة مبطنةٍ بالفضةِ. في حقيقة الأمر، انتابه شـعورٌ أشـبه ما يكون بكونه داخلَ

قارورةٍ فضيةٍ ضخمةٍ للغاية؛ ذلك أن الجدران البراقة في نهاية النفق كانت تتخذ الشكل المستدير.

وبداخل الجدار المتقوِّس، كان هناك رفٌّ عريض، يتواجد في منتصفِه الوعاءُ الذي يحمل بداخله الخاتم ذا الوجهين: وهو صندوقُ القَيد. وكان عبارةً عن صندوقٍ مصنوعٍ من طبقاتٍ من خشب الأبنوس المتشابكة مع الفضة والمحميةً بشرائط فضية. أمسكت مارشا بملقاط أعمدة البارجة أمامها، ثم تقدمت صَوبَ الصندوقِ، كما لو كانت تقترب من ثعبانٍ صغير لكن مميت في نفس الوقت. وفجأة، لهثت، وقالت كلمة وقحة للغاية: «ياللهول! ما كان ينبغي عليَّ التفوهُ بذلك، انظر إلى هذا يا سبتيموس».

دقَّقَ سبتيموس النظرَ من وراء كتف مارشا. ليجد الخاتمَ ذا الوجهين بارزًا من خلال صندوق القيد مثل سائل مغلي أخضر كريه. انقضتْ مارشا على الخاتم مثل النمسِ، وأدخلت ملقاط أعمدة البارجة في ذلك الشيء الآخر داخل الصندوق، وأمسكت به في انتصار.

«لقد أمسكت به!».

في نهاية مِلقاطِ مارشا، تلألأ الخاتم ذو الوجهين بغضبٍ، حيث كان وجهاهُ الشريرانِ ذوا اللون الأخضر ينظرانِ بغضبٍ نحوهما. نظر سبتيموس بعيدًا. وانتابه شعورٌ كما لو كان وجها الخاتم يراقبانه بالفعل.

سرت رجفة في جسده وقال: «أنا سعيد أنهم غيرُ حقيقيين». عندها همس صدَى الصوت المميَّز داخل الغرفة المغلقة مكررًا كلماته:

حقيقيين، حقيقيين، حقيقيين.

فتحت مارشا الصندوق وأسقطت الخاتمَ فيه مرة أخرى.

تبادر إلى مُخَيِّلَة سبتيموس أن بوُسعه الاستماعَ إلى سيلٍ منَ اللعنات أثناءَ اصطدام المعدن بالخشب. من ثم أغلقتْ مارشا الصندوقَ بعنف وبدأتَ في تأمينه وحمايته بالشرائط المحيطة به.

قالت مارشا في تجهُّم: «سيتحولون إلى حقيقة عما قريب بهذا المعدل. سوف يتعين على مارسيلوس المضي قدما».

المضي قدمًا، المضي قدمًا، المضي قدمًا.

أُصيب سبتيموس بالصدمة. وتساءل: «هل تقصدينَ أنه منَ المحتمَلِ أن يعود هذان الساحران بالفعل إلى الحياة؟».

الحياة، الحياة، الحياة.

وضعت مارشا أصابِعَها على شفتيها لإسكاتِه. ثم تمتمت بكلمات لصنع قفلٍ جديد للصندوق. ثم قالت: «هيا بنا نذهبْ».

نذهب نذهب نذهب

وافقها سبتيموس الرأي وهو يشعر بسعادة بالغة. تسلَّق إلى الخارج، وانتظر مارشا التي تعقَّبتْه على نحوٍ غريب من خلال

المدخل الضيِّق، من ثـم صفقت الباب لتغلقَه، محدثةً صوتًا هائلًا على نحو مرضٍ، وقامت بتعليقِ ملقاط أعمدة البارجة.

وبالعـودة إلـى الدهليـز، بـدت مارشـا شـاحبةً تمامًـا. سـألتها توماسين: «سيدة مارشا، هل أنت بخير؟».

أومـأت مارشـا برأسـها، وقالـت: «بخير». بيـد أن يديهـا كانتا ترتجفانِ أثناء إغلاقها للبابِ المؤدي إلى النفق.

انتابت مارشـا حالةٌ من الغضب تجاهَ نفسـها. فقـد أدركتْ أنها تأخَّرَتْ فـي فتح غرفة الكيمياء الكبيرة لمدة طويلة بشـكل خطير. ومثلُهـا مثل كافة السـاحرات، أقسـمت مارشـا يمينًا أثنـاء تقلدها منصبهـا بـ «التخلي عن كافة الأشـياء الكيميائية»، وقد تعاملت مع الأمـرِ بجديةٍ. لقد كان قرارًا صعبًا السـماحُ لمارسـيلوس بإشـعال النـار مرةً أخرى من أجل تغيير طبيعـة الخاتم ذي الوجهين، وعلى الرغـم من علمها بأنها كانـتِ الطريقةَ الوحيـدة لتدمير الخاتم ذي الوجهين، فقد ارتعدت من إشعال النار، وترددت في البدء بالأمر. لقد كانت تلك خطوة هائلة بالنسـبة لأي ساحر، وقبل فتح الغرفة، أرادت مارشا فَهم ما كانت تفعله، ومع ذلك، كلما حاولت اكتشاف المزيـد عن النار، قل فهمها للأمر. لم يبد أي من ذلك منطقيًّا. فقد فقـدت الكثيرَ من الوثائق، ويبدو أن الكثيـر من الأمور قد تغيرت، وكان يساورها شـعور دائم بأن هناك حلقةً مفقودةً في الأمر؛ شيء

كبيـر. ولكن الآن، بغض النظر عن مخاوفها، علمت مارشـا أنه لـم يعد بوُسعها الانتظار أكثر من ذلك.

رفع سبتيموس حقيبةَ الظهر على كتفَيْه، وسار عبرَ البهو الكبير بصحبةِ مارشا. وسألها: «هل قصدتِ ذلك بخصوص الساحرين؟ هل بوُسعهما بالفعل العودة مجددًا للحياة؟».

تنهَّدَت مارشا، وقالت: «إنه أمر محتمل.، هذا كل ما في الأمر. بشـكل نظري منحتهما الهيمنةُ الشيطانية تلك القوة، ولهذا السببِ نحتفِظُ بالخاتم تحت تلك الحماية المشددة».

«بالتالي.. هل من الممكن حدوثُ ذلك قريبًا؟».

«لا، لا يا سبتيموس. هذه الأمورُ تستغرقُ سنوات».

تنفَّس سـبتيموس الصعداءَ، وقال: «مارسـيلوس لن يسـتغرقَ كل تلك المدةَ الطويلة ليشعل النار».

خرجت هيلدا جارد بيجون - وهي ساحرة فرعية، بيدَ أنها في القريب العاجل سـوف تُصبح سـاحرةً عادية - من خزانة حارسـي البوابة.

سـألتها مارشـا: «هل لا تزالين في مهمةِ حراسـة الباب يا هيلدا جارد؟ كان لديَّ اعتقادٌ بأنكِ تعملين الآن في قسم البحث والإنقاذ في الأعلى؟».

ابتسمتْ هيلدا جارد، وقالت: «الشهر المقبل يا سيدة مارشا. بيد أنني أستمتعُ بعملي هنا. لديَّ خطابٌ لكِ. تركه لك السيد باندا هذا الصباح».

«هل فعل ذلك؟ حسنًا، أشكرك يا هيلدا جارد». انتاب سبتيموس شعورٌ بأن مارشا قد تورَّدت قليلًا.

قامت هيلدا جارد بيجون بتسليم مارشا ظرفًا رائعًا بحافة باللونين الأحمر والذهبي. لاحظ سبتيموس قفازاتِ هيلدا جارد الزرقاءَ الرقيقة والمصنوعة من الدانتيل. كانت هيلدا جارد تداري دومًا أطراف أصابعها، والتي دُمِّرت عندما قَضَمها **الشيءُ الذي يسكن بداخلها**. وذكَّر سبتيموس ذلك كم كان **السحر الأسود** مدمرًا، وأنه سيكون من المهم بمكانٍ التخلصُ من الخاتم ذي الوجهين.

انفتح البابُ الفِضي الكبير المؤدي إلى برج السحرة في النهاية.

كانت مارشا تتحرك ببطء على أعلى درجات السلم، وهي تقرأ رسالة ميلو. في حين أن سبتيموس لم يعد يطيق صبرًا للخروج .

قال لها: «هيا يا مارشا».

«نعم، نعم، لحظة واحدة».

انطلق سبتيموس أسفلَ السلالم، بينما وضعت مارشا الخطابَ بعناية في جيبها ثم تبعته. قالت مارشا: «لم يكن ينبغي أن يستغرقَ

تلـك المدةَ الطويلة في فتح بـاب الغرفة القديم الذي يعلوه الترابُ المؤدي إلى الغرفة».

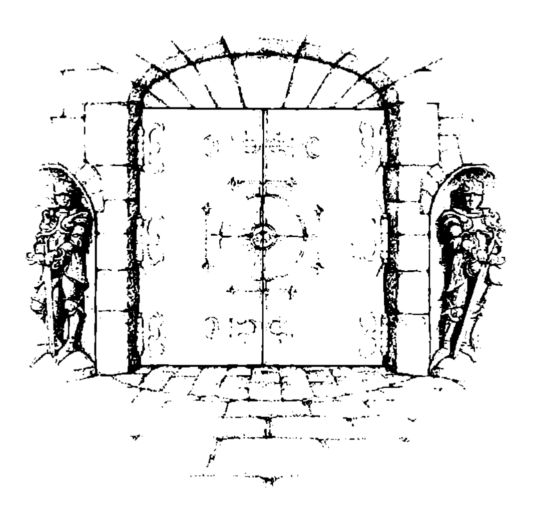
وقـف سـبتيموس أسـفل الدرج فـي انتظار مارشـا، وقـال لها: «أعتقـد أن فتـحَ غرفـة الكيمياء والفَيزيـاء الكبيرة قـد ينطوي على تعقيد أكثر من ذلك. وعلى أي حال، لا يوجد لها باب».

قالت مارشـا: «هذا أفضلُ إذن، سـوف أُعلن فقـط أنها مفتوحةٌ ومن ثم سوفَ أذهب في طريقي، سأكون مشغولةً هذا المساء».

انتاب سبتيموس انطباعٌ مميَّز بأن مارشا كانت تتوقع بأنها سوفَ تقصُّ شريطًا احتفاليًا وتعود إلى منزلها، ولكنه كان يعرف في قرارة نفسه بأن الأمر ينطوي على ما هو أكثر من ذلك، وهكذا فقد انطلق مسرعًا.

أسـرعت مارشـا عبر الفناء في محاولة للحاق بتلميذها. وأثناء سـيرها بشـكل سـريع خلال منطقة القـوس العظيم، تذكَّـرت مرةً أخرى العهد الذي قطعته على نفسها أثناء تقليدها منصبَ ساحرة. تَنَهَّدَت مارشا، وانتابها شعورٌ بأنها في طريقها لخيانةِ القلعة.

5
الغرفةُ الكيميائيةُ الكبيرةُ



كانت الأجواء مشحونة بعض الشيء بيد أنها كان يشوبها التهذيب بوجه عام، حيثُ قاد مارسيلوس باي كلًّا من مارشا وسبتيموس إلى داخل منزلِهِ الواقع في منطقة المنزلق الثعباني.

قال لهما باسمًا: «أهلًا ومرحبًا يا مارشا. أهلًا ومرحبًا يا سبتيموس، أم أناديكَ بالتلميذ؟».

سمع سبتيموس أصواتًا مستنكرة من مارشا، بيدَ أنه تنفس الصعداءَ حين صمتت ولم تنطق بشيء، سحب حقيبة ظهره إلى الداخل، وألقى بها على الأرض فأحدثت صوت ارتطام عالٍ. كان العبوس باديًا على وجْهَي كلٍّ مِن مارشا ومارسيلوس. وقعت عينا سبتيموس على عباءته المخملية ذات اللونين الأسود والأحمر وأربطتها الذهبية الثقيلة المتدلية منها الخاصةِ بتلميذ الكيميائيِّ والتي كانت معلقةً في المدخل في انتظاره. ألقى نظرةً يُساورها القلقُ صوب مارشا إلا أنها ولحُسن الحظِّ لم تدرك ماهيتها.

قالت مارشا وقد نَفَد صبرُها: «هلا ذهبنا الآن؟».

سألها مارسيلوس: «ذهبنا؟».

«نعم يا مارسيلوس إلى الغرفةِ الكيميائية الكبيرة، أليست هذه هي الفكرة في الأساس؟».

بَدَا مارسيلوس مصدومًا وقال: «ماذا.. هل ستأتين أنتِ أيضًا؟».

«بطبيعة الحال سآتي أنا أيضًا، تمامًا كما تقول. بالتأكيد لم تكن تعتقد بأنني سوف أسمح لكَ بفتح ذلك المكان وحدك؟».

كان هذا بالضبط ما اعتقده مارسيلوس. حاول أن يخفي ارتباكه، حيث كانت غرفةُ **النار** تقعُ أسفلَ الغرفة الكيميائيةِ الكبيرة، وكانت **النار** قد بدأت في العودة إلى الحياة من جديد. ماذا لو لاحظتْ مارشا تلك الحرارةَ التي تنبعث إلى أعلى، ألن تظن أن الأمر غريب؟ أخذ مارسيلوس يؤكد لنفسه في حزم أن مارشا لن يكون

بُوسعها معرفةُ ما كان غريبًا وما لم يكن كذلك. عليه ألا يثيرَ لديها الريبة.

قال لها: «لا بالطبع، لا يا مارشا، مطلقًا». ومن ثم أضافَ بحذر: «أنت... لا تُخططين للبقاءِ هناك، أليس كذلك؟».

قاطعته مارشا حين تذكرتْ رسالة ميلو وقالت: «لديَّ كثيرٌ من الأمورِ التي أفضل القيام بها، أشكرك».

قال لها: «إذن بالطبع يتعيَّن عليكِ القدومُ» قالها كما لو كان يدعو مارشا برَحَابَةِ صدر لحضورِ حفلة لم يُدَوَّن اسمُها في قائمة المدعوين فيها.

قالت مارشا بتحجر: «نعم، عليَّ أن أفعلَ».

لم يكن من السهولة بمكانٍ الوصولُ إلى الغرفة الكيميائية الكبيرة، حيث كانت واحدةً من أنجح الغرف الكيميائية التي تم إخفاؤُها في العالم. وقد اعتقد سبتيموس وبيتل ذاتَ مرة بأنهما قد عَثَرَا على الغرفة الكيميائية الكبيرة الفارغة والمجمدة في الأنفاق الجليدية، بيدَ أنها كانتْ غرفةً معدة للتمويه، تم تنصيبُها في قديم الزمان حينما كانت عصابات اللصوص المسافرين تهاجم الغرف الكيميائية؛ بحثًا عن الذهب. وكانوا يتركون ما يكفي من الأشياء الذهبية الكافية لإرضاء اللصوص في تلك الغرفة البديلة، التي يمكنُ التوصل إليها بسهولة، بينما تظل الغرفة الكبيرة الحقيقية غير مكتشفة.

وفـي أعقـاب الكارثة الكيميائيـة الكبيرة، تمت إزالـة المداخلِ الخفيـة المؤديـة إلى الغرفـة الكبيرة مـن خرائط القلعـة، حتى يتم نسـيانها في نهايـة الأمر، فيما عدا خرائط مارسـيلوس. بيـد أنَّه لـم يكنْ على استعداد للكشـف عن أي منهم لمارشا. وعلى حد علم مارشـا، كان المدخـل الوحيـد يمر من خلال مجـرى مظلم وكريه الرائحةِ تحت الأرض يُعـرف باسـم الممرِّ السُّفْلي، وكان ذلك هو الطريـق الذي يتوقع أن يسـلكوه. كان القاربُ الكيميائيُّ القديم قد تفسَّـخ وتعفـن منذ زمـن بعيد؛ لـذا ذهب مارسـيلوس إلـى الباب المجاور نحو مرفأ روبرت جرينج ليستأجِرَ قارب بمجاديف.

كان روبـرت يُجـري الصيانة الشـتويةَ على قافلـة قواربه البراقة ذات المجاديـف، والتي كان يؤجرهـا في فصل الصيف للرحلات الترفيهيـة على طـول الخندق المائي. وكان روبـرت قد اعتاد على جـاره غريـبِ الأطـوار الـذي يسـكن إلـى جـواره، بيـد أن طلـب مارسـيلوس بالحصـول على قـارب بمجداف فيمـا كان الخندق المائي قد بدأ في التجمد هو أمر أذهله حقًّا.

قـال لـه وهو يمـرر يده فـي شـعره القصيـر الشـائك ذي اللون الأحمر: «ماذا تُريد؟».

ردَّ مارسيلوس عليه قائلًا: «أرغب في استئجار قارب».

نظر روبرت إلى مارسيلوس كما لو كان مجنونًا وقال له: «ماذا؟ الآن؟».

«نعم، الآن في الحقيقة».

«لكن هناك جليد في الخارج».

قال له مارسيلوس: «يمكن كسر الجليد».

«سوف يُكلفك ذلك كثيرًا، لقد قمتُ بصيانتها جميعًا الآن وسوف يتعين عليَّ إعادة صيانة ذلك القارب بعد الشتاء من جديد».

ناول مارسيلوس روبرت عملة ذهبية ثقيلة للغاية وقال له: «حسنًا».

نظر إليها روبرت، وأخرج صفيرًا من بين أسنانِهِ وقال له: «للأسف لا يوجد لدي باقي ثلاثة كورونا أعتذر عن ذلك».

قال مارسيلوس: «احتفظ بالباقي، أعطِني القاربَ وحسب».

«بالطبع. لا تقلقْ، سوف أفعلُ في الحال».

هزَّ روبرت جرينج رأسَهُ وهو يراقب كلًّا من الساحرة العُظمى وكيميائي القلعة والتلميذ المتنازع عليه وهم متكدسون على نحو غير مريح في القارب الوردي ذي المجدافين، يتوجهون دون توقف على طول الخندق المائي، بينما كانت الساحرةُ العُظمى تجرُش الجليد بعصا مدببة. كان سعيدًا؛ أنه لم يضطر إلى الجلوس بين أولئك المتذمرين، ليجدف لهم. تمنى لنسيبه حظًّا طيبًا ليعود بعدها إلى مرفئه الدافئ.

كان الممر السفلي مظلمًا وباردًا، بيدَ أنه كان خاليًا من الجليد، وكان القارب ذو المجدافين مناسبًا بالكاد للمرور من النفق الضيق، وقد تعاظم الصوت الناتج عن التجديف مئات المرات أثناء مرورهم بين الجدران الحجرية، جلست مارشا في مقدمةِ المركب مثلَ كلبة أرجوانية كبيرة، مالت إلى الأمام ممسكة مصباحها اليدوي كي تنير النفق المنخفض المقوَّس الممتد أمامَهُم. كان صوتُ المجاديف المرتد عبر الجدران قد ملأ رءوسهم بضوضاء عالية. كان سبتيموس يجدف بسرعة محركًا الماء بعنف ناثرًا قطرات المياه المعتمة على الأحجار الزلقة تارة، وداخلَ القارب تارة أخرى. كانت تلك هي المرة الأولى التي يذهب فيها تحت الأرض منذ أن كان في **قاعات السحر الأسود**، وقد تفاجأ من ذلك الشعور بالخوف الذي تسلل إليه.

وبعد مرور عشرِ دقائق طويلة على قيادة سبتيموس للقارب ذي المجدافَين في الممر السفليِّ، اتسع النفقُ وشعَر برائحةِ الدخان المكتومة في تلك البرودة القارصة. من ثم قام بإبطاءِ التجديف واتَّجَه بالقارب نحوَ الكهف الكبير ذي السقف المنخفض.. لقد وصلوا إلى بركةِ الممر السفليِّ. تنفَّسَ سبتيموس الصعداءَ، ثم ترك المجدافين، وجلس في وضع مستقيمٍ حتى يلتقطَ أنفاسَهُ مجددًا.

عَلِم سبتيموس بالتحديدِ أين كانوا. لقد رأى ذلك المكانَ منذ خمسمائة عام، بيدَ أنه حينئذٍ كان به سقف مُقَبَّب جميل من مادة اللازورد، أما الآن فقد أصبح كلُّ شيء كئيبًا ومظلمًا. التقط مقبضي المجدافَين مجددًا، وناور بالقارب الصغير كي يقف بمحاذاة رصيفِ الميناء. انحنى مارسيلوس، وربط القارب.

لم يتحدَّثْ أحد، شعَر مارسيلوس بالانفعال، في حين هيمَنَ على مارشا الإحساسُ بالغموض. لقد كانت في طريقها للدخول إلى جزء من القلعة لا تعلَمُ عنه شيئًا، وكان ذلك بالنسبة لساحرة عُظمى، أمرًا عجيبًا في حدِّ ذاتِهِ.

بيد أن الأمر الأكثرَ غرابةً هو أن ذلك المكانَ قد شَهِد ذات مرة أحداثًا رهيبة كادت أن تُدمر القلعة على إثرها. والآن هم موجودون هناك، ثلاثةُ أشخاص في قارب صغير وردي سخيف، أول من يعودون إلى هذا المكان بعد مرور ما يقرب من خمسمائة عام.

قفز سبتيموس من القارب. كان رصيف الميناء زلقًا وموحلًا تحت قدميه. تعثر وانزلق، ولكنه حاول أن يحمي نفسه من السقوط بيديه. وعندما وقف على قدميه رأى في ضوء المصباح اليدوي راحتي يديه وقد تحولتا إلى اللون الأسود.

قال مارسيلوس بتجهُّم: «إنه سخام».

وفجأةً، أدرك سبتيموس السببَ وراء تحول كافةِ الأشياء إلى اللون الأسود. نَظَرَ حولَه، ورأى الكهفَ بعينَيْن مختلفَتَيْن. وهمس لنفسه: «في كلِّ مكان».

تحدث مارسيلوس بصعوبة وقال: «نعم». وكان قد نَسِيَ كم كان المكان سيئًا، لم يكن هناك أيٌّ من الطُّرَّاق في هذا المكان لتنظيفِه، ثم أمسكَ بولاعة وقطعة معدنية رقيقة، وقام بطيها ليصنعَ مجسمًا على شكل هرمي، ثم أخرج من جيبه شمعةً صغيرةً سميكة، ثم أشعلها ووضعها في حاملِ الشموع، وقام بتغطيتِها بالقطعة المعدنية الرقيقة التي طواها على شكل هرمي.

سألته مارشا: «ماذا تفعل؟».

«أحولُ دون وقوع أية انفجارات».

تحول صوت مارشا إلى ما يشبه الصراخ الخافت وقالت: «انفجارات؟».

شَرَحَ مارسيلوس الأمرَ قائلًا: «توجد الكثير من الغازات، والمواد القابلة للاشتعال، علينا أن نتوخى الحذر».

«بوُسعنا استخدامُ المصباح اليدوي الذي بحوزتي؛ فهذا لن ينفجرَ».

«أشكركِ يا مارشا، بيدَ أنني أريد أن أفعل ذلك بطريقتي. مصباحِي فقطْ، إذا لم يكنْ لديكِ مانعٌ».

أحست مارشا بنبرة توتر في صوت مارسيلوس. وتبادر إلى مُخيلتها كيفَ سيكون شعورُها في حالِ العودةِ إلى برج السحرةِ عقب تدميرِه بفعل كارثة فظيعة.. كارثة تسببت هي فيها. لم تتحمل مجرد التفكير في ذلك الأمر.

قالت: «بالطبعِ، يا مارسيلوس، ليس لديَّ مانعٌ على الإطلاق».

ثم قامت بإغلاَق المصباحِ اليدوي الذي بحوزتها.

كانت هناك ثلاثةُ مداخلَ يكسوها الدخانُ في رصيفِ الميناءِ الكيميائيِّ، وقد تم سد اثنين منها باستخدام الطوب. توجه مارسيلوس نحوَ المدخل المقنطرِ المفتوح الواقع على يساره، حيث توقَّف وأدار وجهَه، الذي أضاءته الشمعةُ التي بحوزته بشكل مخيف، وهو الأمر الذي دائمًا ما يجعل الرعب والفزع يتسللان إلى سبتيموس.

ثم قال بصوت منخفض: «سوف ندخل الآن إلى المتاهة. يجب أن تعلموا أنها لا تسير وفقَ نمط قياسيٍّ، توجد العديد من التفريعات التي قد تقودكم إلى متاهات وأنفاقٍ أخرى صغيرة، يرجى التحقق من السير خلفي وعلى مقربة مني، فإن تهت منكم، فأرجو أن تظلوا في مكانكم وأن تنادوا عليّ فقط، وسوف آتي إليكم».

تذكَّرَ سبتيموس المتاهة جيدًا، بيد أنها كانتْ نفقًا جميلًا ومتعرجًا، كانت جدرانها زرقاء ناعمة ومبنية من مادة اللازورد

ذات خطوط متباعدة ملونة باللونين الأحمر والذهبي، وتُضيئها أضواء ساطعة تظهر وتختفي. أما الآن، فقد صار يكتنفها الهباب الأسود كسائر الأشياء الأخرى، وعلى الرغم من تذكر سبتيموس كافة الأنفاق والمنعطفات، بدا الأمرُ في غاية الاختلاف؛ حتى إن الشك قد ساوره في قدرته على إيجاد طريقه الآن.

سارت مارشا ومعها سبتيموس خلف مارسيلوس عبر المدخل المقوس، وظلا على مقربة منه، وقد فَتَرَ وقع أقدامهم بسبب طبقة الهباب التي افترشت الأرض كالبساط. خطا مارسيلوس بحذر، بعد أن أثارت خطواته الأولى سحابة من السخام في الهواء، جعل ثلاثتهم يسعلون ويبصقون. سار الثلاثة ببطء من خلال منعطفات المتاهة السوداء، وهم مكبوتون كما لو كانوا يسيرون خلفَ جسدٍ ما في طريقِه نحو القارب المغادر. وعلى الرغم من ارتفاع الهباب في الهواء ووصوله إلى رئاتهم، فإنه قد جعلهم يشعرونَ بمذاقِ **النار** التي هبت منذ فترة طويلة مضت.

وكلما ازدادت منعطفات الدهليز ضيقًا، أيقن سبتيموس أنهم بالتأكيد يقتربون من المركز، وفجأةً أصبحوا هناك. يا لها من صدمة، رأى سبتيموس مارسيلوس وهو يُدقق النظرَ صوب الممر المقوس المغطى، والذي كان يومًا ما مدخلًا للغرفة الكيميائية الكبيرة، بيدَ أنه الآن لا يُؤدي إلى أي مكان.. كان مسدودًا بلوح

سـميك من المعدن الذي دمرتـه الحرارةُ، وكان مثنيًّا من الأسـفل مثلَ عُلبة صفيح نصف مفتوحة.

انحنى مارسيلوس؛ كي يعاينه ثم قال: «لقد احترقَ المتراس».

قالت مارشا: «حسنًا، لن يحدث ذلك فرقًا».

«ربما أنا في حاجة إلى إلقاءِ نظرة عن كثب». لم يكن مارسيلوس يُحِب استخدامَ **السحر** في الغرفة الكبيرة والمناطق المحيطة بها، حيث كان على قناعةٍ بأنه يخلُّ بالتوازن الرائع في التفاعلات الكيميائية. بيدَ أن القليل من **السحر** لن يضر في ظل الدمار المحيط بهم، «ربما سأطلب منك يا مارشا استخدام **مصباحِك اليدوي**».

قامت مارشا بتشغيلِه وما إن فعلت ذلك حتى انفجر سبتيموس ضاحكًا.

سألته مارشا في اضطراب: «ماذا؟».

«أنت ومارسيلوس وأنا..!».

أدركتْ مارشا أن الهباب قد كساهم من قمة رءوسهم حتى أخمص أقدامهم، همهمت مارشا: «عظيمٌ».

وللمرة الأولى لم يبالِ مارسيلوس بشكل ملابسه. حتى إنه مرر كُمَّه المكسو بالسخام على وجهه، مُخَلِّفًا وراءه خطًّا أسودَ بين عينيه مثل القناع.

لَمَست مارشا ذراعَ مارسيلوس. ثم عرضت عليه المساعدة برفق: «سوف أقوم بإزالته، أتسمح لي؟ هذا المتراس ثقيل للغاية بالنسبة لنا لن نتمكن من نقله بأي حال من الأحوال».

«نعم، أشكركِ يا مارشا».

خطا مارسيلوس وسبتيموس خطوة للخلف، وشاهدا مارشا وهي تلقي بوميض السحر الأرجواني عبر اللَّوْح المعدني. انتظرت لحظة حتى تستقرَّ السحابة اللامعة، ثم قامت بتنحية المتراس بعيدًا عن المدخل.

بدأ اللَّوْح المعدنيُّ في التحرك، وانتابت مارسيلوس حالةٌ مفاجئة من القلق. كان هناك شيء ما يتعين عليه أن يتوخى الحذر منه، ولكن ما هو؟

قال مارسيلوس: «سبتيموس، ابتعد عن الطريق، خذ ساترًا».

أحس سبتيموس بلهجة تحذيرية في صوت مارسيلوس، وتسلل بسرعة إلى مدخل المتاهة، ثم استرق النظر؛ ليرى ما يحدث. كانت مارشا في حالة تركيز كبيرة، ولم تدرك بأن مارسيلوس كان يتنقل في قلق حول المكان.

قال مارسيلوس: «مارشا! هل يمكنك عمل شيء للحماية؟».

«ماذا؟».

«أريدك أن تصنعي درعًا واقية أو شيئًا من ذلك القبيل».

صوبت مارشا نظرة غاضبة نحو مارسيلوس. ما الذي كان يفعله؟ ألم يدرك أنه كان يشتت تركيزها على هذا النحو؟ إن لم يتوقف عن هذه التحركات الغريبة، فسوف يكون محظوظًا إن لم يسقط المتراس فوق حذائه الغبي. قالت بسخرية: «شيء من هذا القبيل؟».

«أعني تعويذة. أنا لا أعلم ما هو الاسم الذي تطلقينه على ذلك».

قالت مارشا: «أنا مشغولة الآن، ليس بوُسعي القيامُ بشيء آخر، اهدأ ودعني أركز يا مارسيلوس».

جزَّ مارسيلوس على أسنانه، بينما كان اللَّوْح المعدني يراوح مكانه وأصبح بوُسعه رؤية الفجوة بين أحجار المدخل المقوس واللوح المعدني المتحرك. في غضون لحظة واحدة سوف يخرج المتراس. كان على يقين بأن هذا هو الجزء الأكثر خطورة. والسؤال: لماذا؟

وفجأة، كان المتراس يسبح في منتصف الهواء، وكانت مارشا تقوده عبر الفراغ المتواجد في مقدمة المدخل المقوس تمامًا مثل عامل البناء المخضرم الذي يقوم بتوجيه أحد الأوزان الثقيلة التي تتمايل في طرف سلسلة. تنفس مارسيلوس الصعداء؛ لم يحدث شيء سيئ. ثم قال: «الأمورُ على ما يرام يا سبتيموس، يمكنك الخروجُ الآن».

وجهت مارشا اللَّوْح الْمَعْدِنِي السميك، الذي كان لا يزال أملس ولامعًا من الداخل، إلى الجدار الواقع في الجهة المقابلة، ثم أنزلته على الأرض. خلف اللوح المعدني فجوة كبيرة من الظلام، يقع وراءها ما تبقى من الغرفة الكيميائية الكبيرة.

ابتلع مارسيلوس ريقه وقال: «سوف أدخل أولًا».

قالت مارشا: «سوف ندخل معًا».

أومأ مارسيلوس برأسه. كانت تروق له مارشا في بعض الأحيان. رفع الشمعة التي بحوزته ورأى شيئًا ما يتلألأ أمامه.

لقد كان هناك شخصٌ ما في أعماق الظلام، ممسكًا بشمعة.. وينظر إليه. من كان ذلك الشخص؟ مَن الذي كان في الغرفة الكيميائية الكبيرة في انتظاره؟

سرت رعشة في جسد مارسيلوس فورَ رؤيته كائنًا مظلمًا بائسًا، ذا عينين واسعتين تحملقان وتبرقان في ضوء الشمعة. وبشجاعة، خطا مارسيلوس خطوةً نحوَ الأمام، ثم خطا خطوةً أخرى .. «آخ!».

مدت مارشا يديها وقالت: «أعتقدت ذلك، إنه زجاج».

مرر مارسيلوس يديه على السطح الأملس المتموج وقال: «زجاج؟».

«نعم، إنه قفل ثانٍ من الزجاج. سوف أتخلص من ذلك أيضًا».

وفجأة استوعب مارسيلوس الأمر. وصرخ قائلًا: «توقفي!».

قفزت مارشا للخلف.

قال مارسيلوس: «توجد رمال».

«رمال؟».

«مانـع الحريـق؛ الرمال. كنا نحتفظ أعلـى الغرفة بكم هائل من الرمـال. حتى إذا ما خرجت الأمور عن السـيطرة، بوسـعنا إخراج الرمـال وملء الغرفة بها لحمايتها. كانـت لدينا كافةُ أنواع التأمين، كمـا تعلمين. لقد كنا حريصين للغاية، علـى الرغم مما قاله الناسُ عنا».

قالت مارشـا بقدرٍ من الهشاشـة: «ولكنْ مـن الواضح أنكم لم تكونـوا حريصين بالقَدرِ الكافـي». لقد انتابتها حالـةٌ من الصدمة؛ نتيجةَ ما رأته حتى الآن.

انهار مارسـيلوس إلى الخلف وهو يستند إلى الجدار، وقد بدا عليه الشعور بالهزيمة «لقد أحالت الحرارة الرمال إلى زجاج».

كان سـبتيموس مفتونـًا بالأمـر؛ حيـث وضـع أنفَـه فـي مقابل الزجـاج، وحـاول أن يلقي نظرة في الداخل ثم قال: «هل تقصدُ أن الغرفة ممتلئة بالزجاج المصمت الصُّلب؟ مثل ثقالات الورق التي تباع في السوق ؟».

قـال مارسـيلوس: «نعم، الأمـرُ برُمَّتِهِ عبارة عـن..». بحث عن كلمات مناسـبة، بيـدَ أنه لم يتمكنْ من التفكير في شـيء لا ينطوي على كلمات وقحةٍ. ثم استعار إحدى كلمات سبتيموس التي قالها مؤخرًا، وقال: «... عبارة عن نفق مسدود».

انتابـت مارشـا حالة من الرعب والهلع، «لكـن ماذا عن الخاتم ذي الوجهين؟».

قـال مارسـيلوس بضجر: «حسـنًا، سـوف يكون الأمـر على ما يـرام. أدرك أنـه قد انهـزم الآن، ولقد حان الوقت كي يخبر مارشـا بالحقيقة المتعلقة بغرفة **النار**. «أترين يا مارشا. **النار** الحقيقية عبارة عن..».

بيدَ أن مارشـا لم تكـنْ في حالة إنصات له؛ لقد كانت مشـغولة بتوجيـه شـعاع الضـوء مـن **المصباح اليـدوي** صوب الزجـاج، ثم قالت: «أنـا عـلى يقين بأن هنـاك رمـالًا وراء هذا الزجاج».

توقف مارسيلوس عن مواصلـة اعترافه وقال: «حقًّا؟».

اقتـرح سـبتيموس المسـاعدة قائـلًا: «سـوف أفحـصُ الأمـر، أتسمحين؟»

قــال كـلٌّ من مارسـيلوس ومارشـا معًا، على نحـو أزعجهما: «كُنْ على حذر».

تناولَ سـبتيموس **العصا الحرارية** من جرابه الخاص، ووضعها على الزجاج. انصهرَ الزجاج أسـفل تلك النقطة، فدفع سـبتيموس **العصـا الحرارية** بحذر أكثـر فأكثر نحو الزجاج، ممـا أحدث ثقبًا. واصلـت **العصـا الحراريـة** في الدخـول أكثر حتى اختفـت تقريبًا، وحينها بدأ سـبتيموس في الاعتقاد بأنَّ الغرفة كانت ممتلئةً بالفعل بالزجـاج الصُّلب. وفجـأةً، ارتطمت نهاية **العصا الحرارية** بشـيء

صلب. سحب سبتيموس **العصا الحرارية** للخارج، وبدأت قطرات من الرمال في التدفق.

ثم أعلنها قائلًا: «ها هي».

ضحِك مارسيلوس بارتياح.

قالت مارشا: «بالتأكيد لديك عربتان كبيرتان لنقل هذه الرمال يا مارسيلوس».

ابتسم مارسيلوس، ولم يبالِ بعدد العربات التي سيكون في حاجة إليها، بعد أن علم أن الغرفة الكيميائية الكبيرة العزيزة لديه لم تندثر، ولم تكنْ حقيقة دفنها أسفل مئات الأطنان من الرمال سوى مجردِ أمر مقلق بسيط. يمكن لتلميذه إصلاح ذلك الأمر.

قاد مارسيلوس مارشا وسبتيموس في طريق العودةِ من خلال المنعطفِ السُّخاميِّ في المتاهة المؤديةِ إلى الرصيفِ الكيميائي.

نظرت مارشا نحو تلميذها وهزَّت رأسها، لقد أصبحَ رداؤُهُ الخاصُّ بالتلميذ، والذي كان نظيفًا ذلك الصباح، ملطخًا بالسخام.

ثم قالت له: «أمنحك الإذنَ في ارتداء الرداءِ الكيميائي الخاص بك طيلةَ هذا الشهر يا سبتيموس، بصراحة، بعد قضاء يوم في هذا المكان بالأسفل، لا أعتقد أنه بوُسع أحد ملاحظة الاختلاف».

☩ 6 ☩

الاستماع

لم تكن فترةُ الشهر التي قضاها سبتيموس في الغرفةِ الكيميائية الكبيرة مثيرةً بالقدر الذي تمناه. وفي أعقاب انشغاله في البداية بإزالة الرمال، وهو الأمر الذي تمكّن من القيام به في غضون ثلاثة أيام عن طريق تثبيت نظام الشفط، قام بسحب الرمال عبر المتاهة، بحيث تقوم الرمال بتمشيط المتاهة وتنظيفها في طريقها إلى الخارج ثم ألقيت الرمال في بركة الممر السفلي، وبهذه الطريقة قضى

سبتيموس تلك المدةَ في التنظيف والتفريغِ والقيامِ بمزيد من التنظيف.

وكان مارسيلوس متواريًا عن الأنظار طوالَ الوقت - أتفحص الأمور يا تلميذي - لذلك قضى سبتيموس معظم الوقت بمفرده. حتى إنه كان يعد الأيام المتبقية كي يعود إلى برج السحرة.

وكانت فترات اختفاء مارسيلوس - بالطبع - هي الفترات التي كان يراقب **النارَ** فيها ويعتني بها. لقد كانت **النار** تَسِيرُ على ما يرام بيدَ أنه لم يمتلك الجرأة على تركها لفترة طويلة للغاية. كان تدفُّق الماء جيدًا، وكان يساوره قليل من القلق حيالَ إلقاء الرمال في بركة الممر السفلي، بيدَ أنه كان عميقًا بالقدر الكافي لاستيعابه، وكان اهتمامه الرئيسي الآن منصبًّا على إيجاد منفذ تهويةٍ لحرارة المِرْجَل، والتي كانت تتزايد بشكل يومي. ومع انتهاء فترة الشهر التي قضاها سبتيموس، اتخذ مارسيلوس قرارًا -على مضض- بفتح أربعة منافذ تهوية إضافية. وقد اختار مواضِعَها بعنايةٍ وكان لديه أملٌ بألا يلاحظَ ذلك أحد.

وفي فجر جميل ولامع قبل يومين من انتهاء مدة سبتيموس مع مارسيلوس، كان سبتيموس يسير للعمل وقد أنهكه التعب، متوجهًا نحو مدخلِ الغرفة الكبيرة التي قام مارسيلوس بافتتاحها مؤخرًا. مر في طريقه عبر القصر ومجموعة التماثيل الجليدية غريبة الشكل التي ظهرت على المروج الخضراء في مقدمة

المكان. ثم توقف للحظة لإلقاءِ نظرةٍ على التماثيل الجديدة، ثم انطلق على مضض. كان من المتوقع أن يكون يومًا آخرَ من الأيام الجميلة، بيدَ أنه سيقضيه تحت الأرض في ضوء الشموع، وسوف يكون الظلام قد خيم على المكان لدى عودته.

وعلى الجانب الآخر من القصر، كانت جينا تفتح ستائر النافذة في حجرة نومها. رأت الشمس تُشرق على التلال التي يكسوها الجليدُ في الأفق البعيد، وطبقات السحب المنخفضة ذات اللون الوردي الأخضر في السماء وومضات الضوء البرتقالي المتوهج منعكسة على سطح النهر البراق. كان المنظر جميلًا، بيد أن الجو كان باردًا. أحست جينا بقشعريرة. لم تُصَبْ بالدهشة عندما رأتِ الجليد يكسو النوافذ، فقد مر الآن ما يزيد على أربعة أسابيع منذ حلول موجةِ الصقيع الكبير، وقد خيمت أجواءُ البرد على كل شيء. ارتدت رداءها الشتويَّ على عجل، ثم لفت نفسها في عباءتِها المبطنة بالفراء، وخرجت من غرفة النوم سريعًا.

وكان شبحُ السير هيروارد – الذي يقوم بحراسة غرفةِ النوم الخاصة بها – قد استيقظ للانطلاق. تبعتها كلمات الشبح فيما كانت تهرول بخفة عبر الممر، قائلًا: «صباح الخير يا أميرة».

ردت عليه دون أن تلتفت، قائلة: «صباح الخير سير هيروارد».

ثم اختفت عن الأنظار عند الزاوية.

هز السير هيروارد رأسه. فكر في أن الأحياء دومًا في عجلة من أمرهم. استدار الشبح بطريقةٍ عسكرية على الطراز القديم، وتحرك بخطوات ثابتة لأسفل نحو أبواب القصر، فبمجرد مغادرة الأميرة لغرفتها كان يقضي باقي أيامه في الحراسة.

في الطابق السفلي، التقطت جينا بعضًا من بقايا طعام العشاء من على الطاولة، وأحكمت لف عباءتها الشتوية الحمراء المبطنة بالفراء حول جسدها، ثم توجهت إلى الخارج، وسلكت طريقَها عبر مجموعة التماثيل الجليدية، مع التوقف من حين لآخر عند التماثيل المفضلة لديها. وفيما كانت تقترب من بوابة القصر، رأت جينا هيكلين ضخمين ليس لهما شكل محدد يرقدان على الجانبين. اقتربت بحذر، متعجبة من ماهية هذين الهيكلين، ثم تذكرت.. لقد كان اليوم المحدد لإقامة المسابقة السنوية لرجل الجليد في القلعة، دفعتِ البوابةَ ومرت من بين اثنين من الحراس من رجال الجليد.

قال لها أحد رجال الجليد: «حظًّا سعيدًا في يوم رجل الجليد أيتها الأميرة».

قفزت جينا؛ تعبيرًا عن دهشتها، ثم رأت حافة قبعة حمراء على رأس فتى صغير يبتسم ابتسامة واسعة يطل من خلف رجل الجليد. كان الفتى يقف على كتفَي أحد أصدقائه الأكثر طولًا منه، وكان يقوم بوضع اللمسات الأخيرة على رجل الجليد.

بادلته جينا ابتسامة، وردت قائلةً: «حظًّا سعيدًا في مسابقة رجل الجليد».

وأشارت إلى رجل الجليد وقالت: «إنه رجل جليد جيد».

ضحك الأولاد وقالوا: «سوف نفوز بالمسابقة».

قالت لهم: «حظًّا طيبًا»، ثم سارت في طريق الساحر وهي تطأُ بحذائها المبطن بالفراء طبقة الجليد الجديدة من تحتها. كانت عباءتها الحمراء تميزها عن غالبية العباءات الشتوية لسائر الناس والتي تتسم بألوانها الهادئة فيما كانت تسلك طريقها على طول الطريق الذي تمت إزاحة الجليد من عليه للتوِّ الممتد بجانب المتاجر. مرت بجوار مجموعة من رجال الجليد متعددي الألوان؛ حيث وقف أمام مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة رجل جليد مختلف، كان فمه المبتسم عبارة عن شريحة كبيرة من البطيخ، وكان يرتدي الوشاح المفضل لدى لاري. اعتقدت جينا في قرارة نفسها أن تلك الابتسامة وذلك الوشاح سرعان ما سيختفيان بمجرد رؤية لاري لهما. أما متجر شطائر السحرة فقد تباهى بأحد رجال الجليد المثير للانتباه والمصنوع من الجليد المصبوغ بألوان قوس قزح، وخارج قصر ساندرا للحيوانات الأليفة كان هناك أرنبٌ عملاق خجول، وبحوزتِه جزرة هائلة الحجم. ثم مرت جينا ببطءٍ على ثلاثة محلات للطباعة، وقد وقف خارج كل منها ثلاثة رجال جليد متطابقين يرتدون مئزر الطباعة،

ومع كل منهم كتاب يقرؤه. وفيما كانت تقترب من برج السحرة، رأت شخصًا مألوفًا متوجهًا نحو منطقة القوس العظيم. كان يرتدي الرداء الكحليَّ الذي كان لا يزال غير مألوف - بالنسبة لجينا - والخاص برئيس الكتبة السحريين وبحوزته أسطوانة معدنية طويلة مطوية تحت ذراعه.

ثم قالت وهي تزيد من سرعتها: «أهلًا يا بيتل».

استدار رئيس الكتبة السحريين نحوها ولوَّح لها، ثم انتظر جينا لتلحق به.

لهثت جينا قائلةً: «أهلًا، كيف حالك؟».

ابتسم بيتل وقال: «الأمور على ما يرام، بالفعل. ماذا عنكِ؟».

نظرت جينا إلى بيتل بخجل وقالت: «نعم، بخير حال، أشكرك».

بدا بيتل مختلفًا للغاية في ردائه الرسميِّ، كان من الصعب تصديقُ أن هذا الشخص هو بيتل ذاته الذي كان يعمل منذ فترة ليست بالطويلة لصالح لاري سريع الغضب. لقد بدا أطول وأكبر سنًّا، كما كانت عيناه البنيتان تنظران إليها من بعيد على نحو غريب. كان بيتل يبدو سعيدًا للغاية عند رؤيتها، على الأقل هذا ما كانت جينا تعتقده، بيدَ أنه الآن بعد أن أصبح رئيس الكتبة السحريين بدا أكثر تحفظًا، لم تكن على يقين بأن هذا الأمر يروق لها. لمعت الشرائط الذهبية المتدلية من أكمام رداء بيتل، وهو يرفع ذراعه

الذي لا يحمل به شيئًا ليحجب عينيه من أشعة الشمس الساطعة، ومن ثم قام بطريقته السعيدة المعتادة بتمرير يده من خلال شعره الأسود الجامح، وابتسمت جينا.

نظر بيتل في ساعته وقال: «منَ الأفضلِ أن أذهب، سأقابل مارشا، في غضون..». نظر في ساعته وقال: «خمس دقائق واثنتين وأربعين ثانية بالتحديد».

بدا على جينا الشعور بالذعر.

ابتسم لها بيتل ابتسامة عريضة، وقال لها: «لقد خدعتك!».

ضحكت جينا، تعبيرًا عن سعادتها برؤية لمحةٍ من بيتل القديم، وقالت له: «يا لك من خنزير صغير، لقد راودني اعتقادٌ لوهلة بأنك قد تحولت إلى جيلي دجين!».

«كلا. ليس بعدُ على أية حال».

«أممم... كيف حالك إذن؟ لم أرَكَ منذ فترة طويلة، منذ... يا إلهي... حفل زفاف سايمون، أعتقد ذلك. هل أنت منشغل بشيء ما؟ حسنًا، أعتقد ذلك..».

اختفى بيتل القديم الذي كانت تعرفُه، ونظر رئيس الكتبة السحريين في ساعته. «آسف، أيتها الأميرةُ جينا، حقًّا يتعين عليَّ الذَّهاب، لدي أشياءُ عليّ القيام بها».

كان بوُسع جينا أن ترى أن بيتل الذي أمامها كان يتحرق شوقًا للذهاب، شعرت كما لو كانت مصدر إزعاج بالنسبة له، ولم يكن

ذلك بالأمر الجيد. تسلل إلى جينا شعور غير مريح بأنها ذات مرة تسببتْ في شعور بيتل بنفس الشعور الذي كانت تشعر به الآن.

قالت: «حسنًا، نعم، بالطبع، إذن سوف أراك في نفس المكان، أتمنى لك يومًا لطيفًا».

«وأنت أيضًا». قال هذه الكلمات وانطلق رئيس الكتبة السحريين بردائه الأزرق الطويل المتدلي على الجليد، مُخَلِّفًا وراءه أثرًا هادئًا وممهدًا. راقبته جينا بيتل أثناء دخوله في ظلال منطقة القوس العظيم المبطنة بمادة اللازورد، واختفى بعدها في عالمه الجديد المجهول. أخذت نفسًا عميقًا، في محاولة منها للتخلص من حالة الكآبة التي خيمت عليها، ثم انطلقت للأمام صوب الفجوة الواقعة بين آخر منزلين في طريق السحرة. وهنا قامت بالدوران لليسار نحو أحد الأزقة الممتلئة بالجليد، المؤدية إلى جدار القلعة. كان الزقاق مكسوًّا بالجليد بارتفاع حوالي قدم، وهو ما اجتازته جينا بصعوبة وبطء، لم تكنْ تتعجل الذهاب نحو المكان الذي تقصده.

ولكن سرعان ما وصلت جينا إلى مجموعة متواصلة من درجات السلم المبنية من الأحجار المؤدية إلى ممر يمتد أعلى جدران القلعة، تحديدًا خلف أسوار تحصين القلعة أعلى الجدار.

أخذت تركل الثلوج التي تساقطت لتوها بعيدًا عن طريقها؛ حتى يتسنَّى لها رؤية درجات السلم، تسلقت جينا أعلى السلم

لتجدَ نفسـها واقفةً على طريق واسـع يكسـوه الجليـدُ، يحمل آثارَ خطوات أقدامٍ غير واضحة كادت تمحوها الثلوج المتسـاقطة ليلة أمس. وقفت جينا على قمة درجات السـلم ونظرت حولها. كانت تحـب ذلك الجزءَ من القلعة، لا يفكر الكثيرون في السـير بجانب الأسـوار، لقد كان الأمر مُحَرَّمًا أثنـاء فترة حكم الأوصياء في تلك الأيـام، التـي صارت تعرف الآن باسـم الأيام القديمة السيئة، ولا يـزال كثيرٌ من الناس يعتقدون بأن اسـتخدام ذلـك الطريق لا يزال قاصـرًا على السـحرة العظمـاء والأميـرة فقط. كانت جينا سـعيدةً بذلك الأمر، لقد كان ذلك هو أحد الأماكن القليلة في القلعة التي يمكنها التجولُ فيها دون أن يراودها شعور بأنها ملكية عامة.

كانـت أسـوار تحصين القلعة منخفضة في تلـك النقطة، لذلك كان بوُسْع جينا النظرُ عبر ذلك الجزء بسهولة. نظرت عبر الخندق المائي المتجمد إلى الأشجار الطويلة في الضفة المقابلة التي بدت مثل فرسـان الغابة وحراسـها، كانت أفرع الأشـجار محملةً بطبقة سميكة وثقيلة من الثلوج التي تقابل لونها مع لِحاء الشجر الأسود، فكـرت جينـا في أشـقاء آل هيب فورسـت الأربعة. كانت سـعيدةً للغايـة أن سـارة تمكنت مـن إقناعهم بالمكـوث في القلعـة؛ أثناء موجـة الصقيعِ الكبيرة اقشـعر بدنها ، فحتى مـع وجود نار المخيم المشـتعلة ليـلَ نهار، وحتـى مع كافة ملابـس الفـراء ذات الرائحة

الكريهــة التي يرتدونها، لابد أنهم كانوا سيشـعرون ببردٍ قارس في الغابة.

أحكمـت جينـا عباءَتها حول جسـدها ثـم انطلقَت ببـطءٍ على الطريـق، متتبعةً آثـار الأقدام التـي خلفتها في الأيام السـابقة. كان الطريـق الواقـع أعلى جـدران القلعة يتبع منحنـى الخندق المائي. وقد تكشـف الخندق المائي ببطءٍ أمامهـا، متجهًا على الدوام نحو اليميـن قليلًا تمامًا مثل ثعبان في مسـتنقعات مرام. وعلى الجانب الأيمـن، كان الطريـق محاطًـا بالجـدران الخلفيـة لمنـازل القلعة الطويلة الضيقة ذات الطول الواحد، وهو ما يفسـح المجال بشكل منتظم أمام الانزلاقات شـديدةِ التحدر والمثيرة للأعصاب، والتي بوُسـعها أن تقود المشـاة غير الحذرين إلى الزقاق الواقع على بعد عشرين قدمًا إلى الأسفل. وفي تلك النقاط، ظلت ملاصقة لأسوار تحصين القلعة، وحرصت على عدم النظر إلى الأسفل.

مـرت جينا بسلاسـة - ودون أن تدري - فـوق الحفرة القديمة المتواجـدة في حانة الجدار، وهو أحد الأماكن المشـهورة بكونها معقلًا لاجتماعات الأشباح التي كانت جوفاء في الجدار الأسفل، ثـم اقتربت مـن انحناء في الطريق، قامت بالالتفـاف حوله، وفجأة ألقت نظرة إلى الأسـفل فشـاهدت مرفأ صناعـة المراكب الخاص بجانيـت مارتيـن، والـذي أصبـح الآن مجرد مجموعة مـن التلال الجليديـة علـى شـكل مراكب. تابعـت جينـا طريقها، متتبعـةً آثار

أقدامها التي كساها الجليد، حتى وصلت إلى مكان واسع في الجدار، فسيح مثل الهضبة، حيث انتهت آثار أقدامها في دائرة من الجليد الذي داسه كثيرٌ من المشاة، حيث وطئها الكثيرون. توقفت للحظةٍ ونظرت حولها، كانت تلك المساحة المفتوحة مهجورة، كما كانت على الدوام.

ومع ذلك، أثناء سيرِها للأمام ببطء، لم تستطع جينا التخلص من ذلك الشعور بأنها كانت تسير عبر حشود.

وقد صدَق شعورها، حيث كانت تمشي بين حشد من أشباح الملكات والأميرات والوصيفات الذين كانوا ينتظرونها بشوق. ومع كل خطوة تخطوها جينا بحذرٍ، كانت الأشباحُ الخاصة بجَدَّاتِها وجداتِ جداتها وعماتها وخالاتها وجدات عماتها وخالاتها تأخذ خطوةً للخلف؛ تحاشيًا لمرور جينا من خلالهم. تتبعت أعين الأشباح الأرجوانية سليلتهم وهي تتخذ طريقها ببطء نحو بقعةٍ جليدية واقعة في منتصف المكان، أزيح الجليد من عليها. توقفت جينا وارتجفت، ثم نظرت حولها مرة أخرى، ثم خطت خطواتٍ قليلة عبر فتحات أسوار تحصين القلعة الواقعة على حافة الجدار، ثم انحنت ونظرت إلى الأسفل لتتأكدَ من وقوفها في المكان الصحيح؛ للتحقق من كونها لم تسلك الطريق الخطأ. وعلى بعد ستة أقدام بالأسفل، رأت قرصًا ذهبيًا لامعًا موضوعًا في الجدار. وقفت جينا خلف أسوار تحصين القلعة

وتنهدت. كانت في المكان الصحيح، بالطبع كانت كذلك. تفرق حشدُ الأشباح الملكية عندما عادت إلى البقعة الجليدية. جثت جينا على ركبتيها، وشرعت في فك رباط حذائها الشتويِّ المبطن بالفراء.

وفي الأعلى، في أحد المنازل القريبة من الممر، كان هناك متفرج آخر قد أضيف إلى جمهورها - وهو فتى صغير - كان ينظر من نافذة السندرة العلوية في أحد المنازل وشاهد الأميرة ثانية. وسرعان ما انضمت إليه والدته وجدته.

كانوا قد ألصقوا أُنوفَهم على الزجاج، وأخذوا يراقبون الأميرةَ أثناء قيامها بخلعِ حذائها وخلع زوج من الجواربِ أرجوانيةِ اللون والمصنوعةِ مِن الفراء، ثم وقَفت حافية القدمين على الأحجار الباردة.

همس الفتى الصغير قائلًا: «أرأيتما، لقد أخبرتُكما أنها فعلت ذلك».

همست الأم قائلةً: «يا لها من مسكينة، أتمنى ألا تكونَ قد أصابها الجنون مثل داتشت».

قالت الجدة موبخة إياها: «صه، سوف تسمعك».

ردت الأم: «بالطبع لن تسمعني».

بيد أنه هناك بالأسفل في حشد الأشباح، كانت تلك الكلمات قد تناهت إلى أسماع شبح الملكة داتشت الثالثة. فالواقع أن أولئك

الذين كانوا مصابين بجنون الشـك أثناء حياتهم تتطور لديهم قدرة مذهلة عندما يتحولون إلى أشـباح لسماع أسمائهم فور نطقها على بعد أميال عديدة. بيد أن جينا لم تسمع شيئًا، لا صوت الأم الواقفة في نافذة السـندرة، ولا الصوت الذي اشـتاقت للاسـتماع إليه ولا صـوت نبضات قلـب المركبـة التنينية البطيئـة والمنتظمـة، والتي كانت تنبض من خلال الأحجار ومن أسفل أقدامها من قبل، حتى الأيـام الأخيرة القليلة، حاولت جينا أن تسـتمع إلى تلك النبضات التـي لم تكن لتخطئها أبـدًا. راودها اعتقاد بأن المركبة التنينية ترقد أسـفل الطريـق، محصورة فـي المنـزل التنيني المصنـوع من مادة اللازورد. تذكرت المرةَ الأخيرة التي رأت فيها المركبة التنينية.

ومن خلال الصورة العالقة في ذهنها، كان لا يزال بوسعها رؤيةُ رأس التنيـنِ الأخضر الكبير مسـتلقيًا على الممـر الرخاميِّ الممتد على جانبيِ المنزل التنيني المقبب بالبراميل، وقد التفَّ ذيل التنين السـميك مثـل الحبـل الأخضـر الضخـم، مسـتلقيًا علـى الحافـةِ الرخامية التي تمتد على جانب الجدار الخلفي. تذكرت جينا كيف بدت المركبة في شـكل رائع، بعد أن تم إصلاحه بشكل جميل من قبل جانيت مارتين، ومع ذلك قد بدا التنين مترهلًا ومفتقدًا للحياة.

ثـم تذكـرت أن العمة زيلدا لم تسـمح لها بعـد بالحصول على **القـارورات الثـلاث** لتغيير المادة؛ حتى يتسـنى لها اسـتخدامُ مادة **إعـادة الإحياء** التي كانت قد حصلت عليهـا من برودا باي منذ أمد

بعيـد، سـيطرت عليها موجـةٌ من السـخط والغضب، بيـد أن جينا قامت بتنحية المشـاعر السيئة جانبًا، وأخذت نفسًا عميقًا، وفرغت ذهنها من أي شيء - أي شيء - فيما عدا ما يمكنها الشعورُ به من خـلال باطـن قدميها. وقفت في سـكون تـام مثلَ الحجـارة، وفي صمت واستغراق تام، بيدَ أنها لم تشعر بأي شيء على الإطلاق.

في غرفة السندرة، وقف المراقبون الثلاثة في صمت تام. كانت الجـدة على علم بمـا تنتظره الأميرة، فلم تكن لتسـكنَ أعلى منزل التنين دون التفكير في التنين الجميل الذي يرقد تحته، لا سيما في الليالي الشتوية الطويلة والباردة، وكان يساورها تساؤلٌ حول ما إذا كان ذلـك المخلوق لا يزال على قيد الحياة أم لا. وهذا بالضبط ما كانت تفكر جينا فيه الآن.

تسـبب الجليد في تخديرِ قدمَيْ جينا، بيد أنها كانت لا تزال في انتظار أي بصيصِ أملٍ بسماعِها لصوت نبضات التنين.

وفجأةً هبَّتْ عاصفةً شـديدة من الرياح نتج عنها تسـاقطٌ كثيف للثلوج على أسـوار تحصين القلعة؛ ورشـت تلـك العاصفةُ الثلجَ الأبيـض المجمد على أصابع قدميها الزرقـاءِ. عندها أدركت جينا أن قدميهـا قـد فقـدت الإحسـاس تمامًـا. لـم يكـن هنـاك أي أمل للإحساس بأي شيء الآن. وعلى إثر الرياح -أو شيء آخر- ذَرَفت عيناها الدموع. ثم جَثَت على ركبتيها ببطء، وقامت بارتداء جوربها المصنوع من الفرو وحذائها الجلديِّ ذي اللون البني. وقفت جينا،

وهـي لا تـدري مـاذا ستفعل تحديـدًا، ثـم شـرعت في تتبـع آثار خطواتهـا على الجليد ، تراقبها أعين العائلةُ الواقفة أعلى السـطح، وأشباح أربع وخمسين ملكة وأميرة ووصيفة.

راقـب الفتـى الصغير جينـا أثناء ذَهابهـا، وهمس قائـلًا: «تبدو حزينةً يا جدتي».

تابعـت الجـدةُ جينـا أثنـاء سـيرها ببطء علـى جانـب الطريق، ورداؤهـا الأحمر اللـون يبدو كبقعةٍ لونية تتقابـل مع خلفية الثلوج البيضاء ودرجات اللون الرمادي في الجدران التي كسـاها الجليدُ، والخندق المائي المظلم والأشجار الشتوية القابعة خلفه.

وافقته الجدة الرأي قائلة: «نعم، إنها حزينة، وليس من الجيد أن تكون الأميرة حزينة».



7
مساراتٌ خاطئة

راقبت مارشا تيري تارسال وهو يلفُّ حذاءَها الجديد في ورق المنديل الذهبي الخاص فقط بالساحرة العُظمى.

ثم قالت له: «أشكرك يا تيري، لقد قمتَ بعمل رائع».

شعر تيري بالفخر؛ حيث لم يكن من المعتاد غالبًا أن تقوم مارشا بالثناء على أحد. قال تيري: «لقد كان ذلك من دواعي سروري يا سيدة مارشا؛ أشعر بسعادة بالغة عند صُنْع قطعة خاصة كهذه. أعتقد أن لبريقهما طابعًا خاصًّا. كما يروق لي ذلك الفراء الأزرق الذي يظهر من الأعلى. لقد كانت هذه القطعة مصدر إلهام بالنسبة لي».



ثم تنهَّد تيري، وهو يضع الحذاء الملفوفَ بعناية في صندوق ذهبيٍّ أنيقٍ، وقال: «لقد أنقذ هذا الحذاء حياتي.

فقد كنت أصنع تسعة وعشرين زوجًا من الأحذية المطاطية المقاومة للماء والخاصة بجمعية تشجير الأسطح بمنطقة العشوائيات. كان أمرًا يبعث على الاكتئاب».

قالت مارشا: «بوُسعي أن أتخيل الأمر، لا يوجد ما هو أسوأ من الأحذية المطاطية».

قال تيري: «لا سيما الأحذية بنية اللون». قالها وهو يربط أفضل عقدة أنشوطية حول الصندوق باستخدام الشريط الكحلي الذي كان يحتفظ به لعملائه المميزين. ناول العلبة لمارشا، التي أخذتها بحماس، وهو يقول لها: «نصف كورونا، من فضلك».

«يا إلهي!»، بَدَت مارشا في حالةِ ذهول، بيد أنها دفعت النقودَ المطلوبة بالضبط. فقد كان الحذاء الجديد يستحق.

سرعان ما قام تيري بتسجيل النقود في سجل المدفوعات النقدية قبل أن تتاح الفرصة لمارشا كي تغير رأيها. ثم سألها: «هل أنت ذاهبةٌ إلى مكان مميز هذا المساء؟».

كانت مارشا ذاهبةً إلى مكان مميز بالفعل، حيث دعاها ميلو باندا لمرافقته لمشاهدة العرض الجديد بالمسرح الصغير بمنطقة العشوائيات، بيد أنها لم تكن لديها رغبةٌ في إطلاع تيري على الأمر، ردت قائلةً: «يكفيني أن أعرف أنا ذلك، وأن تتساءل أنت فقط يا سيد تارسال». كانت تشعر بالارتباك بمجرد التفكير في

تلك الأمسـية، أسـرعت مارشـا بالخروج، حيث انفتـح الباب من تلقاء نفسِه، فهرعت إلى الخارج.

تناهى إلى أسماع تيري صوت طرطشة ماء، فشحب وجهه على الفور، فقد أدرك تمامًا ما حدث.

إنهم الأطفالُ البائسون المقيمون في الجوار، لقد فعلوها ثانية. لقـد قاموا بتحريـكِ غطـاء البركة الصغيـرة، اندفع تيـري للخارج ليكتشف أن أسوأ كابوس يمر عليه قد تحول إلى حقيقة، لقد كانت عميلته المميزة غارقة حتى عنقها في الماء المثلَّج والموحل خارج متجره، ولم تبدُ سعيدة بما حدث.

همهمت مارشا قائلةً: «أخرجني ... من هنا!».

كان تيري صغيرًا ونحيفًا بيدَ أنه كان أقوى مما يبدو عليه، حيث أمسك بذراعي مارشا وسحبها بقوة.

هبطت مارشا على جسد تيري بخفة.

«أُف!»، قالها تيري لاهثًا.

اسـتجمعت مارشـا نفسـها، ونفضت أكبر قدر ممكن من الماء عن عباءتها **السحرية**، تمامًا مثل كلبة كبيرة أرجوانية اللون، زَحَف تيـري في ألـم نحو البركة، واسـتخرج الصنـدوقَ الذهبي الخاص بالحـذاء الـذي كان طافيًـا على نحـو بائس فوق سـطح الماء، كان عليه أن يعلم أن الأسبوع الذي قضاه في صنع تسعة وعشرين زوجًا من الأحذية المطاطية بنية اللون لم يكن لينتهي نهاية جيدة.

وقف تيري على قدميه، وقال: «أقدم بالغ أسفي يا سيدة مارشا، إنهـا البركـة البغيضـة، لقـد حاولت ردمهـا. لا يمكن تخيـل كمية النفايـات التي ألقيـت بها في تلك البركة، بيد أنهـا لا تزال هناك .. حفـرة ضخمة ممتلئة بالمـاء. لا أفهم، لا ينبغي أن يكـونَ لدينا أيةُ بـركٍ من الماء في هذا الوقت من العام». ثـم نظر تيري نحو الرُّكامِ الذهبي المشبَّع بالماء في يديه.

«سوف أُعيده إلى حالته كما لو كان جديدًا، أعدك بذلك».

قالـت مارشـا: «أشـكرُكَ». قالتهـا وهـي تعصـر حز عباءتهـا المصنـوع من الفـراء. ثم أضافـت: «ليس هناك فرصـة أن أحصل عليه هذا المساء، أليس كذلك؟».

«سوف أواصلُ العملَ حتى أنتهي منه. في أي ساعة ستخرجين؟».

قالت مارشا دون تفكير: «في السابعة والنصفِ».

ابتسـم تيـرِي، ثم قـال: «سـوف يكـون بحوزتك بحلـولِ ذلك الموعد. سوف أُحضره لك. ومرة أخرى، أُقَدِّم بالغ أسفي».

همهمت مارشا قائلةً: «ليس بقدرِ الأسف والحزن الذي سيشعر به شـخص ما». سـارت مارشـا والماء يقطـر منها على طـول ممرِّ المشاة، وارتطمت بأحد المشاة من رجال الجليد الشعبيين، يحمل عصا مدببة ومزعجة.

تسلَّق بيتل درجاتِ السلم الرخامية الكبيرة ذات اللون الأبيض، والمؤديـة إلى برج السـحرة. وفـي الأعلى، توقـف ليستمتعَ بتلك

اللحظة. ثم أدار وجهَهُ، ونظر إلى الفناء الجليديِّ الجميل الذي أزيح الجليد عنه بداية من القوس العظيم، وصولًا إلى سفح السلالم. وفيما وراء جدار الفناء المرتفع، كان بوسعه رؤيةُ سقف دار المخطوطات المكسو بالجليد، في حين كانت خيوطُ الدخان المتصاعدة من لهيب النار المشتعلة في غرفة الجلوس الجديدة الخاصة بالكتبة ترتفع إلى عَنانِ السماء.

شعَر بيتل بسعادةٍ لا تُوصف خاصة وأنه لم يستعد ثباته بعد أن ارتطم بجينا.

حاول أن يتوقف عن التفكير في جينا ، واستدار ثانية، ونظَر إلى الأعلى نحو الأبواب الفِضيةِ الضخمةِ الشاهقة. كان برجُ السحرة رائعًا بشكل خاص في ذلك الصباح، وقد غمرته أضواءٌ متلألئة فضية مائلة إلى الأزرق، بالإضافة إلى ومضاتٍ أرجوانية خفيفة تهيم على السطح. لم يكن بيتل يصدق أنه على وشك أن يلقي كلمة المرور لبرج السحرة للمرة الأولى على الإطلاق، وأن الأبواب السحرية سوف تنفتح أمامه فقط. ثم ابتسم وهو يستشعر بلذة تلك اللحظة لفترة أطول قليلًا.

جاءه صوت مبتهج من الخلف يقول له: «هل نسيتَ كلمة المرور أيها الرئيس؟».

«لا، أنا..».

كان سـايلاس هيب يصعد السلالم، وشـعرُه المموج ذو اللون الأصفـر الذي يشـبه القـش شَـعثًا كالمعتـاد، وعينـاه الخضراوان تبتسمان. كان بيتل يروق لسايلاس . قال له: «اسمح لي». وقبل أن يتمكـن بيتـل مـن التفوُّهِ بأي شـيء، اهتـزت الأبـواب المزدوجة، وفُتحت في سـكون، ثم أخذ سـايلاس بذراعه، وسـار به عبر عتبة الباب.

ثم تجسدت كلماتُ مرحبًا بك يا رئيس الكتبة السحريين تحت قدمـي بيتـل. ثـم ومضـت كلمـات مرحبًـا بك يـا سـايلاس هيب وسرعانَ ما تلاشت.

قال سـايلاس توضيحًا للأمـر: «أعمل في **حراسـة القفل**. لقد، تأخرت قليلًا، بيد أنك تعرف ماذا يقولون في هذه المواقف».

قـال بيتـل مخمنًـا: «إنك تأخـرت؟ ما الـذي يقولونـه عن هذا التأخير؟ أين كنت بحق السماء؟».

نظر سايلاس في ارتباكٍ وقال: «لا، يقولون أن تأتي متأخرًا خيرٌ من ألَّا تأتي على الإطلاق».

راقـب بيتـل سـايلاس هيب يعبـر البهو الكبيـر باتجـاه الدهليز **المغلق** المحكم، وتناهى إلى سمعه أحد حراس السحرة يقول له: «أين كنت .. يا سايلاس هيب؟».

ابتسـم بيتـل وتوجَّه نحو درجات السـلالم الحلزونيـة الفضيةِ. لديه موعدٌ يجب أن يلتزم به في الطابق العشرين.

قابلت مارشـا بيتل عند البـاب. ثم قادته نحـو الداخل، وللمرة الأولـى يتمكَّن بيتل من مقابلة شـبح صاحبة العمل السـابقة جيلي دجين. وضعت مارشـا يدها على كتـف بيتل محذرة إياه، ثم قالت له: «تحرك عبر الغرفة ببطء، حاوِلْ ألا تزعجها».

حملق الشـبح فـي بيتل، الـذي كان يرتـدى رداء رئيـس الكتبة السـحريين الخـاص بـه. ثـم نظـرت إلـى الـرداء الـذي بحوزتهـا والخـاص برئيـس الكتبـة السـحريين، وعـاودت النظر إلـى بيتل. واعتلـت وجهَها حالةٌ من الحيرة والارتباك - تمامًا مثل الضباب - عندمـا شـاهدت بيتل أثناء تقدمه بحذر، كما لـو كان يعتذر عن أمر ما، عبر الغرفة. كان بيتل على وشك الخروج من الغرفة عندما تعثَّر فـي منضدة صغيـرة؛ ما نتج عنـه تمايلُ مجموعة مارشـا من أواني الجنياتِ الهشة الرقيقة. وعندئذٍ فقط، أدركت جيلي دجين - رئيسة الكتبة السحريين السابقة - أنها قد ماتَتْ.

فتحـت فمَهـا وأخـذت تصـرخ وتولـول مـن أعمـاق قلبهـا: «آآآآآآآآآآآآه..».

لم يتوقفِ الصراخ، فأسـرعت مارشـا بإخـراج بيتل من الغرفة، وسـرعان ما أغلقتِ الباب، بدا على وجهها الشحوبُ، لاحظ بيتل كذلك أنها مبللة. كان شـعرها الأسود لامعًا ومبللًا وتتدلى خصله اللولبية على كتفيها. وقبل أن يتمكن من سـؤالها عما حدث، قادته مارشا نحو مكتبها، وأغلقت الباب في وجهِ الصراخ والعويل الذي

يتردد في أرجاء المكان بالخارج. كان مارسيلوس باي متواجدًا هناك، جالسًا على كرسي صغير أمام المكتب. وقد بدا لبيتل أنه عصبي بعض الشيء.

وقد كان كذلك بالفعل، حيث قام مارسيلوس بإرسال سبتيموس في مشوار، في حين ذهب هو ليتحقق من مرجل النار، قبل أن يعود سبتيموس، وكان الوقت قد أزِف.

قالت مارشا: «أشكرُكَ على الحضور بسرعة يا بيتل».

أبدى مارسيلوس ملاحظة بغضبٍ قائلًا: «هو ليس الشخصَ الوحيد الذي أتى بسرعة بمجرد إخطاره بالحضور».

ردت مارشا في جواب سريع ولاذع قائلة: «لم يكنْ بيتل هو من تسبَّبَ في الأمر يا مارسيلوس، والأمر مختلف بالنسبة لك».

ظلت مارشا تنظر إلى مارسيلوس، وهي توجه كلامها إلى بيتل قائلة: «بيتل، لعلك ترغبُ في إطلاع السيد باي على نظام التبريد عبر منافذ التهوية؟».

ولم تتحركْ أي عضلة من عضلاتِ وجه مارسيلوس، تعبيرًا عن فهمه لما قالته مارشا، فقد ظل التعبير على وجهه كما هو - سبعون بالمائة انزعاج، وخمسة وعشرون بالمائة ذهول، وخمسة بالمائة شعور بالملل- دون أن يتغير.

أخـذ بيتـل قطعة الـورق البيضـاء اللامعة من الحافظـة التي في حوزته ووضعَها أمام مارسـيلوس، الذي نظـر إليها بدافع الفضول الطبيعي وحسب، ثم تساءل بأدب: «ما هذا؟».

وضعت مارشـا أصبعهـا بقوة على العنوان. وبـدأت في قراءتِه بتأنٍّ: «نظام التبريد عبر منافذ التهوية، كما تعلم يا مارسيلوس».

التقط مارسيلوس قطعة الورق وشرعِ في الاطلاع عليها، قائلًا: «يـا له مـن أمر غريب، تبـدو مثل شـبكةَ العنكبوت». ثـم نظر بتأنٍّ صوبَ العنوان وقـال: «ولماذا تعتقدين أنني على علم بهذا؟ نظام التبريد عبر منافذ التهوية؟».

حـاولتْ مارشـا كبحَ جمـاح غضبها المتأجج، حيـث كانت قد توقَّعَـت أن ينهـار مارســيلوس فـورَ مواجهته بالمخطـط، أو على الأقل أن يبدو عليه الشـعورُ بالذنب، وهو ما يعني أن مارسـيلوس إمـا ممثـلًا بارعًـا للغاية أو أنه لا علاقـة له بأي من ذلـك، لم تكن مارشـا علـى يقين بأيهمـا أصح. ثم وضعـت مارشـا أصبعَها على الملحوظة المكتوبة على عجل أسفل الصفحة.

«نظرًا لأنك كتبت عليها يا مارسيلوس. هناك!».

وببطء شديد -كي يكسب المزيد من الوقت كما تعتقد مارشا- بحث مارسـيلوس عن نظارته الدائريةِ الصغيـرةِ، وارتداها ووضع ذراعي النظارة الملتويتين بحذر وراء أُذنيه، مما دفع مارشـا إلى أن تقرع قدميها على الأرض بعد أن نفد صبرها.

دقق مارسيلوس النظر في الملحوظة وهمهم قائلًا: «جوليوس هـل – نظام التبريد عبر منافذ التهوية. م. هـل ... يا له من اسم غريب». بادر بيتل بتصحيح قراءة مارسيلوس للاسم، بيد أن مارشا رفعت يدَيْها لإيقافه. نظر مارسيلوس صَوْبَ مارشا وقال: «ومما لا شك فيه أنك تعتقدين بأن حرف م يرمز لمارسيلوس؟».

قالت مارشا: «نعم». وقد تسلل بعض الشك إلى صوتها.

اشتمَّ مارسيلوس رائحة النصر، ثم ابتسم، وأعاد وضع الورقة على المكتب. «حسنًا، آمل ألا تستدعوني لفحص كل ملحوظة من الملحوظات الصغيرة في أرجاء القلعة والموقعة بحرف م، فقد أقضي كل الوقت في الذهاب والمجيء على طريق السحرة، لابد وأن هناك كثيرًا من الملحوظات التي كتبها... دعيني أرَ الآن... ميلو وموروينا وماريسا ومورين وماركوس ..».

شحب وجهُ مارشا فورَ ذكرِ اسم ماركوس، وهو ماركوس أوفرلاند، الساحر العادي السابق، والذي أعطته مغسلة برج السحرة عباءة الساحرة العُظمى الخاصة بمارشا من قبل عن طريق الخطأ، وقد أخذ يتجول بالعباءة حول القلعة في خيلاء، ولكن بدرت عنه تصرفات سيئة للغاية حتى إن بعض الناس لا يزال على قناعة بأن مارشا كانت قد تجولت ذات مرة وهي تصرخ أسفل طريق السحرة، وتُلَوِّحُ بزوج من سراويل النساء الكبيرة على رأسها.

قالت مارشا: «يكفي هذا يا مارسيلوس، لا داعي للسخرية».

قال مارسيلوس: «لقد كنت أُشير فقط إلى الاحتمالات اللانهائية التي قد يرمز لها حرف الميم».

أخذ بيتل يراقب مارسيلوس بمزيج من مشاعر الإعجاب والغيظ، فقد كان معجبًا ببرود مارسيلوس ومغتاظًا في ذات الوقت من قدرته على إغضاب مارشا. شعر بيتل بأن الوقت قد حان لكشف الأوراق، فالتقط قطعة من الورق الشفاف من حافظته، والتي كان قد كتب عليها مواضع كافة برك الماء، ووضعها على مخطط منافذ التهوية.

ثم قال برفق: «لقد كنا نأمل أن تساعدنا يا مارسيلوس، فعلى مدار الأسابيع القليلة الماضية، لاحظتُ ظاهرة غريبة للغاية؛ ألا وهي ظهور برك الماء في أرجاء القلعة».

بدا على مارسيلوس المفاجأة حقًّا، اندهاش أصيل، كان بيتل على يقين من أنه شاهد لمحة من الذعر على وجهه. شعر بيتل بمزيد من الثقة، فواصل حديثَه قائلًا: «في بداية الصقيع الكبير كان لدينا تسع برك، كان الكتبة العاملون معي يقومون بفحصها بشكل يومي، وعلى الرغم من انخفاض درجات الحرارة أسفل درجة التجمد، أفادوا بعدم تجمدِ أيٍّ منَ البرك، وعلى مدار اليومين الماضيين، تم الإبلاغ عن وجود أربع برك إضافية؛ اثنين في حدائق

الكتبـة الخلفيـة، واثنين في الأزِقَّـة المتجمدة. إنه أمـر غريب، ألَا تعتقد ذلك؟».

قال مارسـيلوس: «أعتقد ذلـك، بيد أنني لا أعلمُ السـبب وراء إخباري بهذا الأمر».

أشار بيتل إلى الأوراق الواقعة أمامهم ثم قال: «سوف ترى أنني أعددتُ خريطة للقلعة على ورق الرسم الشفاف. وفي تلك الورقة، وضعـتُ نقطة حمراء في مواضع كل بركـة من برك الماء». ثم نظر بيتل إلى مارسيلوس وقال: «توجد ثلاث عشرة بركة إجمالًا».

تجهم مارسيلوس ثم قال بهدوء: «بالفعل؟».

ثم تابع في برود متسائلًا: «وهل يحمل رقم ثلاث عشرة مدلولًا خاصًّا؟».

قال بيتل: «من المفترض أن تخبرَني أنت بذلك».

لم يَتَفَوَّهْ مارسيلوس بشيء.

واصل بيتل حديثه: «والآن، إذا ما وضعنا ورقةَ الرسـم الشفاف على مخطط منافذ التهوية، مثل ذلك... نجد أن كل نقطة من النقاط الحمـراء فـي الورقـة تصـادف أعلـى نهايـة أحـد الخطـوط فـي المخطط».

همهـم مارسـيلوس قائـلًا: «أها، هكـذا إذن، يا لَهُ مـن أمر مثير للاهتمام».

ثم هـزَّ مارسـيلوس كتفَيْهِ باسـتهجان، وقال: «وما الـذي يعنيه منفذ التهوية بأي حال».

كان بيتـل على علمٍ بأنه يتعيَّنُ عليه الحفاظ على رباطة جأشـه، بيدَ أن ذلك لم يكن سهلًا.

حـاول بيتـل جاهـدًا أن يكبحَ جمـاح الغضب والتوتـر في نبرة صوتـه، وواصل قائلًا: «أنا –نحن– نعتقد بأنك أنت مَن كَتَبَ تلك الملحوظـة، ونعتقـدُ أنَّكَ قمـت بكتابتها لجوليـوس بايك، وترمز حروف (هـ ل) وأنا على يقين من أنك ما زلت تتذكر الاختصارات القديمة إلى عبارة: (وهذا للعلم).

أنا ومارشـا علـى قناعةٍ بأن هنـاك علاقة ما بين بـرك الماء تلك والنار المتواجدة في الغرفـة الكيميائية الكبيرة. نودُّ الحصول على توضيـح عن سـببِ ظهور تلك البرك قبل إشـعال النـار. أو بمعنى أدق: نود تفسيرًا لسبب ظهورها قبل افتتاح الغرفة».

لثوانٍ معدودة، اعتقد بيتل أنه قد فعلها.

تنهـد مـارسـيلـوس وقـال: «بالتأكيـد، هنـاك علاقـة، هـل يمكنني توضيح الأمر؟».

أومأ بيتل برأسه.

التقط مارسـيلوس قلمًا، وبدأ في إضافة سلسلة من التقاطعات السـوداء الكثيفة على النقاط الحمراء في خريطة القلعة التي أعدَّها

بيتل. ثـم قام بتوصيلِها جميعًا؛ مكونًا خطًّا متعرجًا يمتد من البوابة الجنوبية بجوار النهر، وصولًا إلى برج السحرة.

ثم قال: «سوف تكتشف أن جميع تلك الأماكن بها جليد مذاب».

ثم نظر إلى بيتل من فوق نظارته وقال: «سوف ترى أنه لا يمكن أن تكـون هناك منافذ تهوية - كما تقول - أسـفل جميع تلك البقع وفـقَ ما هـو موضَّح على المخطـط. ولعلها مجرد صدفة سـيئة أن تتطابـق البـرك التي قمتَ باكتشـافها مع منافـذ التهوية تلك. بغض النظر عن ماهيتها».

ثم هز كتفيه في لا مبالاة وقال: «إنها مجرد صدفة».

«صدفة؟».

خلع مارسيلوس نظارته ونظر إلى أعلى، ثم قال: «دم التنين».

«ماذا؟».

«دم التنين، فبعد قتالِه مع التنين **الأسود**، ترك لافظ اللهبُ مسارًا من الدم، بدءًا من البوابة الجنوبية وصولًا إلى برج السـحرة. وعليه تشـير كل نقطة من النقاط الحمراء، والآن كل تقاطع، إلى بقعة من الدم، وسوف تكتشفون ذوبان الجليد في كل تقاطع من التقاطعات التـي قمت برسـمها. أوافقُ على وجود علاقة مـا بين افتتاح الغرفة وذوبان الجليد المذاب، ألا وهي أن هروب ذلك لافظ اللهب هو ما قادنا إلى ذلك الحدث السعيد، وأعني بذلك افتتاح الغرفة». نظر

مارسيلوس نحو مارشا، وقال: «مما لا شكَّ فيه أنك على علم تام بالحرارة الخالدة واللانهائية التي يولدها دم التنين».

لم تكن مارشا على يقين بأنها على علم بذلك، بيد أنها لم تكن عازمة على إشباع رغبة مارسيلوس بالإقرار بذلك. قالت في ضجر: «بالطبع، أنا على علم بذلك».

أدرك مارسيلوس بأن المقابلة قد أوشكت على نهايتها، فخلع نظارته، وأعادها في العلبة الحمراء الْمُخْملية. «يعتبر دم التنين من الأشياء الرائعة، بيدَ أنه يميل إلى إحداث برك ماء في الجليد، وهو ما يُعدُّ مصدر إزعاج خاصة لأولئك الذين يسقطون فيها، أعتقد أن حذاءَك تعرض للتلف نتيجة ذلك يا مارشا، أليس كذلك؟».

«كيف علمتَ أنني ...».

وعندئذٍ وقف مارسيلوس، لقد انتصر، وأرادَ أن يبتعد عن مكتب مارشا في أقرب وقت ممكن، «والآن، اعذروني، لديَّ أعمال مهمة عليَّ مواصلة القيام بها. أتمنى في المرة المقبلة التي نلتقي فيها أن نتمكنَ من القيام بالمهمة التي نرغب جميعًا في القيام بها؛ **تغيير طبيعة الخاتم ذي الوجهين**».

فتحت مارشا باب المكتب، ثم التقطت نفسًا عميقًا وقالت: «نعم، بالفعل، أعتذر عن التسبب في تعطيل عملك يا مارسيلوس، أراك قريبًا».

جلس بيتل متنهدًا. وبهدوء، أعاد وضع مخطط منافذ التهوية وورقة الرسم الشفاف - التي تكسوها الآن تقاطعات كثيرة سوداء- إلى الحافظة التي بحوزته. لقد ارتكب خطأه الأول بصفته رئيسَ الكتبة السحريين، وقد انتابه شعور سيئ حيال هذا الأمر.

عادت مارشا دون أن تصطحب معها مارسيلوس، ثم وثب بيتل على قدميه وقال: «خالص أسفي يا مارشا».

قالت مارشا: «لا داعي للأسف يا بيتل، فقد كنت تبتغي الصالح العام، أما عن مارسيلوس فقد علم بأننا نراقبه الآن، من فضلك لا تدع ذلك الأمر يشتت تركيزك، عليك أن تطلعني أولًا بأول بأي من الأمور التي تحومُ حولها الشكوك.. أي شيء على الإطلاق».

شعَر بيتل بالارتياح، ثم قال: «نعم، نعم، بالطبع سوف أُخبرك، سوف أفحصُ كافةَ التقاطعات التي رسمها».

«أشكرك يا بيتل، الآن أعتقدُ أنَّنَا بحاجة إلى كوبين من القهوة القوية».

وأثناء مرافقة مارشا لبيتل على درجات السلم، قل شعوره بالخجل حيالَ المقابلة التي تمت مع مارسيلوس، وأثناء نزولهما على الدرج الحلزوني نحو المساحة المقببة من البهو الكبير، رأى بيتل أن هناك شيئًا ما قد جذب اهتمام مارشا، حيث كان ميلو باندا في طريقه للخروج من نوبة الحراسة في خزانة السحرة.

رأى بيتل ميلو وهو يتجمد في مكانه ما إن لمحهما، وبعدها ارتجف ميلو، بدا الأمر لبيتل كما لو كان ميلو أراد الهروب والعودة إلى الخزانة مرة أخرى، بيدَ أنه لم يكن على يقين إذا ما كانت مارشا قد رأته أم لا. إلا أن مارشا كانت قد اتخذت قرارها بالفعل، حيث قفزت منَ السلالم، وانطلقت عبر البهوِ الكبير في سرعةٍ فائقة. حافظ بيتل على مسافة تكتيكية بينه وبينها، كان هناك شيءٌ ما يحدث، بيدَ أنه لم يكن على يقين من ماهية ذلك.

قال ميلو متلعثمًا: «مارشا، يا له من أمرٍ لطيف. يا إلهي!! كنتُ أتمنى رؤيتك».

نظرت مارشا بارتباك ثم قالت: «بشكل عام أنا متواجدة هنا، هذا هو المكان الذي أعيش فيه، وهو أيضًا مكان عملي».

«نعم، نعم. بالطبع. ما قصدته أنني لم أتوقعْ أن أصطدم بك».

«لم تتوقعْ؟».

«لا. كان لديَّ بعض الأعمال هنا؛ مشروع صغير خاص بي».

«أوه، لم تخبرْنا عنه من قبل، ربما أمكنني تقديم العون لك».

«لا... لا، لا أعتقد ذلك».

«حسنًا».

قال ميلو بقلق: «لكن بالطبع، أشكرك على عرضِك المساعدةَ، أتمنى أن تتفهمي موقفي. لم أرغَبْ في إزعاجك، أعلم كم أنتِ مشغولة، لهذا السبب أنا آتي إلى هنا في الصباح».

«الصباح؟!».

«نعم، قالت هيلدا جارد إنه أفضل الأوقات».

«هيلدا جارد؟».

«نعم، بيدَ أنه بالطبع إذا كنت تفضلين ذلك، يمكنني مقابلة هيلدا جارد في أوقات أخرى».

ردت مارشا ببرودٍ شديد: «الأمر لا يُهمني ألبتة عندما تختار رؤية السيدة بيجون، ومع ذلك، سوف أتحدث مع السيدة بيجون حول قضاء أوقات العمل في ارتباطات شخصية». ثم استدارت مارشا على كعب حذائها الأرجواني المصنوع من جلدِ الثعبان، وانطلقت مبتعدة.

حاول ميلو اللحاق بها أسفلَ درجات السلالم، وقال: «ولكن الأمر ليس شخصيًا...».

نظرت مارشا نظرةً ساخطة صوب ميلو وقالت: «أعتقد أنني لديَّ ارتباطات أخرى هذا المساء. انطلق بسرعة مضاعفة!».

انصاعت درجات السلم إلى أوامر مارشا وزادت من سرعة التفافها إلى الأعلى. انطلقت صرخة بعيدة أعقبها صوت ارتطام في مكانٍ ما مرتفع للغاية ناتج عن سقوط أحد السحرة، نتيجة التغير المفاجئ في السرعة.

راقب كل من بيتل وميلو عباءة مارشا الأرجوانية وهي تختفي عن الأنظار.

قال ميلو: «أنا قلق، قلق، قلق، قلق».

قال بيتل: «أؤيدك في ذلك».

وفي طريق العودة نحو دار المخطوطات، شاهد بيتل عباءة جينا المميزة الحمراء تمر عَبْر دار المخطوطات، ثم اتخذ قرارًا بالالتفاف وفحص أقرب التقاطعات التي رسمها مارسيلوس. بعد مرور ساعة دون جدوى، اكتشف أن التقاطعات الثلاثة الأقرب إلى برج السحرة لم يكن من الممكن التحقق منها، حيث كان هناك اثنان منهما أعلى قمة الأسطح، بينما كانت واحدة داخل أحد المباني بالفعل، ثم توقع أن تكون التقاطعات الأخرى كذلك. سار بيتل ببطء، وعاد إلى دار المخطوطات، كان يعلم في قرارة نفسه بأن مارسيلوس باي كان يدبر شيئًا ما. لكن ما هو؟

8

كوخ الحارسة

كانت سارة هيب تقضي وقتها في مظلة النباتات الواقعة بحديقة الأعشاب عندما دلفت جينا إلى الحديقة من البوابة الجانبية. ومن التعبير الذي بدا على وجه جينا؛ علمت سارة الإجابة المتوقعة عن سؤالها، بيد أنها طرحت السؤال على أي حال:



«أهلًا وسهلًا، يا حبيبتي. هل حالفك الحظ؟».

«لا».

«حسنًا، الجو بارد للغاية. انظري إلى الضفادع».

بدا على جينا الغضب السريع وهي تقول: «ضفادع؟ أية ضفادع؟».

«بالضبط.. أية ضفادع؟ إنها مختبئة جميعًا في الجدران، نائمة. ذلك أن قلوبها بالكاد تنبض في فصل

الشتاء، كما تعلمين. وكذلك المركبة التنينية، إنها من ذوات الدم البارد هي الأخرى، تمامًا مثل الضفدع».

قالت جينا بسخط: «هي لا تشبه الضفادع في شيء يا أمي».

«حسنًا، قد لا يكون وجه الشبه واضحًا، بيد أنها..».

«على أية حال، لقد استمعت إلى صوتها على مدار آخر موجة من موجات الصقيع الكبير والموجة التي سبقتها. أخشى أن تكون **الهيمنة الشيطانية** قد استدرجتها بطريقةٍ أو بأخرى». ثم أخرجت جينا قارورة زجاجية صغيرة خضراء اللون. وقد كتب على الملصق البني الصغير عليها عبارة: **إعادة إحياء ثلاثية**. «لقد احتفظت بهذه القارورة منذ فترة طويلة حتى الآن، وفي كل مرة أقترح على العمة زيلدا استخدامها في إعادة إحياء المركبة التنينية بشكل مناسب، تجد ذريعة كي لا تفعل ذلك. ولكنني لن أنتظر أكثر من ذلك. سأذهب لرؤية العمة زيلدا في الحال». ثم انطلقت جينا إلى الخارج.

نادتها سارة: «جينا!».

توقفت جينا عند البوابة المسورة التي تؤدي إلى طريق مغطًّى نحو القصر: «ماذا؟».

سلكت سارة طريقها على طول الطريق الجليدي الممتلئ بالحصباء حيث كانت جينا تنتظرها وقد نفد صبرها. فعلى عكس

سارة، كانت جينا تحب إنجاز الأشياء التي تتبادر إلى ذهنها فور التفكير فيها. وضعت سارة يديها على ذراع جينا.

أخذت سارة تبحث عن الكلمات المناسبة، ثم قالت: «العمة زيلدا ليست ... آآآآ ... العمة زيلدا لم تعد كما كانت. لقد أصبحت كثيرة النسيان، كما تعلمين أنها نسيت القدوم إلى حفل الزفاف، كما أنها لا تدرك على الدوام أنها تنسى، بيد أنها تنزعج عندما تفعل. ... حسنًا، لا تتوقعي الكثير منها».

«ولكن يتعين عليها القيام بذلك يا أمي؛ لأنه يدخل في إطار وظيفتها كحارسة».

نظرت سارة نحو جينا بشغف وإعجاب: «أعلم ذلك. متى ستعودين يا حبيبتي؟».

ردت جينا: «في أقرب وقت ممكن». ثم منحت سارة قبلة خاطفة وانطلقت تركض على جانب الطريق المغطى نحو باب صغير في أسفل البرج الشرقي.

راقبتها سارة أثناء ذهابها. فكرت في أن جينا قد كبرت خلال الشهر الماضي، وفي أنها قد أصبحت تبدو مثل الملكات. ابتسمت سارة عندما راودتها فكرة أن ابنتها الصغيرة سوف تصبح ملكة ذات يوم. سوف يناسبها ذلك. إنها على استعداد الآن.

داخل القصر، ركضت جينا على درجات سلم البرج المتعرج، إلى أن وصلت لاهثة إلى الطابق العلوي ثم التقطت من جيب

عميق في سترتها مفتاحًا ذهبيًا به حجر أخضر كبير معلق مثبت في قوسه. خطت خطوة نحو الأمام، ودفعته نحو ما ظهر أنه جدار خالٍ، وسرعان ما قفزت بسرعة للخلف. ثم انتظرت لثوانٍ قليلة، وسارت إلى الأمام واختفت عبر الجدار.

وعلى بعد أميال بعيدة، في كوخ حجري واقع على جزيرة بيضاوية الشكل على الحافة الجنوبية لمستنقعات مرام، خرجت جينا من إحدى الخزانات الواقعة تحت الدرج.

ثم نادت برفق: «يا عمة زيلدا». إلا أنها لم تتلق الرد. نظرت جينا في أرجاء الغرفة التي تعرفها جيدًا، كانت هناك نار مشتعلة في الموقد، وكانت الأرضية منظفة جيدًا، وقد تلألأت قارورات جرعات العقاقير المصطفة على الجدران بألوان مختلفة. كانت الغرفة ذاتها طويلة ومنخفضة وفي الوسط، كانت توجد السلالم المؤدية إلى أعلى، وأسفلها تقع خزانة قارورات العقاقير غير المستقرة والسموم الخاصة، التي خرجت منها جينا لتوها. كان كوخ العمة زيلدا يتألف من غرفتين فقط: إحداهما في الطابق العلوي والأخرى في الطابق السفلي. ولم تحتسب جينا المطبخ الذي كان قابعًا في الخلف، والتي كانت تشعر أنه ليس غرفة حقيقية وإنما يبدو مثل حظيرة النباتات الخاصة بسارة هيب. صعدت السلالم وأخذت تبحث في غرفة السندرة الطويلة المنخفضة.

كانت الأسِـرَّة مرتبة، كما كانت الغرفة نظيفة ومنظمة، ولكن العمة زيلدا لم تكن هناك.

عادت جينا إلى الطابق السفلي، ثم نادت مرة أخرى: «يا عمة زيلدا» بيد أنها لم تتلق أي رد. فكرت جينا في أنها لا بد أنها قد خرجت برفقة ذلك الفتى الذئبي، ربما لقطع الكرنب أو للتأكد من وجود حفرة في الجليد من أجل البط. ثم قررت الانتظار ريثما يعودان من الخارج.

تجولت جينا في المكان، وهي مستمتعة لمجرد وجودها في الكوخ بمفردها. لقد كان كوخ العمة زيلدا مكانًا خاصًّا بالنسبة لها. في ذلك الصباح، كان الكوخ يبدو حيًّا، وقد تخلله الضوء المنعكس من أكوام الجليد بالخارج، وكانت تنبعث منه رائحة دخان الخشب ورائحة الكرنب المغلي الكامنة؛ وهو ما ذكرها بتلك الأسابيع السعيدة التي قضتها في ذلك الكوخ أثناء إحدى موجات الصقيع الكبير السابقة. لقد أحبت جينا الترتيب الهادئ للكوخ، والجدران المصفوفة بالكتب ومئات من قارورات جرعات العقاقير، وتلك الأرفف الخشبية المنخفضة المعلقة والتي تحمل الكثير من الأشياء المثيرة، البعض من تلك الأشياء ذكَّرها بالعمة زيلدا، مثل: حقائب الصدف، وقبعات التشجير، وحزم القصب، وقاطعات الكرنب، وباقات الأعشاب، وبعض من تلك الأشياء كانت تعلن أن الكوخ الآن أصبح منزلًا للفتى الذئبي

أيضًا، مثل: مجموعة من صنارات الصيد والشباك، ومجموعة رائعة من النبال.

سارت جينا نحو المدفأة، ووقفت لتدفئة يديها بحذر حتى لا تزعج البطة النائمة على وسادة بجانب الموقد. وهبت عاصفة من الرياح فجأة تسببت في هطول بعض من الثلوج الجليدية من سقف الكوخ؛ والذي تبعثر على زجاج النوافذ الخضراء وهو ما جعلها تقفز من مكانها. قررت جينا بأنها قد قضت وقتًا كافيًا بمفردها داخل الكوخ وعليها أن تذهب وتبحث عن العمة زيلدا والفتى الذئبي.

وبمجرد خروجها من الكوخ صُدمت جينا بالبرد الثلجي، لقد نسيت كم كانت مستنقعات مرام أكثر برودة من القلعة، لا سيما عند هبوب الرياح الشرقية.

واليوم، كانت الرياح الشرقية تهب بعنف، وهو ما عصف بجزيئات الثلج التي تسارعت فوق الجليد، حتى إنها شعرت بالبرد يتسلل إلى عظامها.

انطلقت على طول الطريق النظيف، الذي قادها إلى الجسر الخالي المصنوع من ألواح الخشب الذي يعبر الغِمد المتجمدة؛ وهي تلك القناة الكبيرة المحيطة بكوخ العمة زيلدا. توقفت جينا، وحاولت أن تحمي عينيها من لمعان الجليد، نظرت حولها باحثة عن العمة زيلدا أو الفتى الذئبي. لم يكن هناك أي أثر لوجودهما،

حيث لم تر أمامها سوى ذلك الامتداد الشاسع للون الأبيض اللامع. استدارت ونظرت إلى الكوخ الحجري الصغير الذي كساه الجليد حتى وصل إلى سقفه السفلي؛ وهو ما جعل الكوخ يبدو مثل كوخ مقبب صغير. توهج ضوء **النار** الدافئ النابع من المدفأة عبر النوافذ وهو ما أغرى جينا بالعودة ثانية إلى داخل الكوخ، بيد أنها كانت عازمة على إيجاد العمة زيلدا، وقالت في نفسها إنها كلما أسرعت في العثور على العمة زيلدا، فسرعان ما ستعود إلى المركبة التنينية.

وكانت جينا على علم بأنه على جزيرة التنين – وهي الجزيرة التي بُني عليها كوخ العمة زيلدا – تؤدي كافة الطرق في نهاية المطاف إلى طريق الكرنب، وكان طريق الكرنب هو المكان الذي ستكون العمة زيلدا فيه ولا شك. قررت جينا التحرك عكس اتجاه الرياح القارسة، فتوجهت نحو اليمين وشرعت في السير على جانب الطريق بجانب قناة الغِمد.

وكانت جينا قد نسيت كم تحب الخروج إلى المستنقعات. فقد كانت تحب تلك السماء التي تعصف بها الرياح، والتي بدت أنها تمتد إلى ما لا نهاية، كانت تشعر بالبهجة لتواجدها وسط تلك الحياة البرية، بيد أن أكثر ما أحبته على الإطلاق كان هدوء المكان. في فصل الصيف كان يخترق ذلك الهدوء أصوات تساقط السوائل وخرير الماء الناتج عن مخلوقات المستنقعات غير المرئية، أما في

فصل الشتاء فكان المقيمون في المستنقعات يدفنون أنفسهم في أعماق الطين البارد، وكانوا ينجرفون في نوم طويل وبطيء، فكانت المستنقعات تغرق في سكون تام. كانت ثلوج موجة الصقيع الكبير أكثر حالات السكون عمقًا وروعة ومثالية على الإطلاق، وهو ما جعل جينا تستمتع بذلك. سارت جينا ببطء وبحذر واضعةً حذاءها على الجليد حتى لا تحدث صوتًا، ثم سحبت عباءتها لأعلى لتهدئ من صوت حفيف احتكاك ملابسها بالجليد.

لذا، عند سماع صوت جلجلة كبير خلفها، سقطت جينا تمامًا على قناة الغِمد المجمدة وقد أصابتها صدمة كبيرة. ثم لفَّت حول نفسها وصاحت صيحة عالية. فقد كان سبتيموس واقفًا على الطريق وعلى وجهه نظرة تقول إنه لا يعرف أين يكون. وكان يتمايل بخفة، وهو محاط بضوء أرجواني غريب.

قالت جينا لاهثة: «سِب! ماذا... أنا أقصد... أين كنت؟.. كيف فعلت ذلك؟».

كان سبتيموس يتحدث، بيد أنه لم يخرج منه أي صوت. فقط عندما تبخرت آخر ومضة من السحر، كان بوسع جينا الاستماع إلى ما كان يقوله سبتيموس.

«... كان ذلك غريبًا، يا جين. أنا آسف، لم أتوقع وجود أي شخص هنا.. لا سيما أنت. ماذا تفعلين هنا؟».

قالت جينا ضاحكـةً: «ماذا أفعل هنا؟ فقط أقضي بعض الوقت فـي المشـي. أنت تعلم، أمـر مثير للملـل أن تضع قدمًـا في مقابل القـدم الأخـرى. على الأقل أنا لـم أظهر على حين غـرة من مكان مجهول محاط بوميض أرجواني يتوهج حولي».

ابتسم سبتيموس ابتسامةً عريضة وقال: «إنها وظيفتي يا جين».

سألته جينا: «هل كان لذلك علاقة **بنقل الأشياء**؟».

بدا سـبتيموس معتدًّا بنفسـه وقال: «نعم، لقد كان لذلك علاقة **بنقل الأشياء**».

بدت جينا منبهرة بما قاله: «على طول الطريق من القلعة؟».

«صحيـح، هذا أمر جيد، أليس كذلك؟» كان سـبتيموس يشـعر بسعادة غامرة كونه قد خرج إلى ضوء الشمس أخيرًا – إلى جانب قيامـه بأمـر مثير للاهتمام – شـبك سـبتيموس ذراعه بـذراع جينا وشرع في السير للأمام صوب الكوخ.

قالـت جينا: «إذا كنت تريـد العمة زيلدا، فهي ليسـت هناك في الكوخ، لقد قدمت إلى هنا للبحث عنها».

قال سبتيموس: «حسنًا، أنا أرغب في رؤية العمة زيلدا، بالطبع، أرغب في ذلـك، بيد أنني في حقيقة الأمر أرغب في القارورة التي بحوزتها، أو لنقل، القارورة التي يريدها مارسيلوس».

«القارورة؟ أية قارورة؟».

هز سبتيموس كتفيه في عدم اكتراث وقال: «لا أعلم. لم أرها من قبل، بيد أن مارسيلوس يقول إنها تحتفظ بها في إحدى الخزانات. خزانة بناها خصيصًا لتلك القارورة».

أُصيبت جينا بالدهشة وقالت: «هل قام مارسيلوس ببناء خزانة للعمة زيلدا؟ لم تفصح عن ذلك أبدًا».

قال بإثارة: «لا، ليس للعمة زيلدا، لقد بناها لبرودا زوجته. كما تعلمين، لقد كانت تعمل حارسة عندما كان مارسيلوس في فترة شبابه. أقصد أنه كان شابًّا في يوم ما، في عهد الملكة إثيلدريدا. إحدى جداتك الرائعات يا جينا».

قالت جينا ضاحكةً: «أعلم كل شيء عن برودا .. لقد التقيت بها. وإذا لم تكن حذرًا، يا سبتيموس هيب، فعندما أصبح ملكة سوف أكون مثل الملكة إثيلدريدا وأكلف كافة تلاميذ السحرة بالمجيء وإزالة الأعشاب الضارة من حديقة القصر كل يوم سبت».

«هي لم تفعل ذلك، أليس كذلك؟».

«بلى. هذا ما يقوله كتابي».

ابتسم سبتيموس هيب وقال: «أها، كتابك». لقد كان على علم تام بكتاب جينا، وهو كتاب: قواعد الملكات. وكانت إحدى عادات جينا المزعجة تتمثل في اقتباس فقرات منه.

سارا معًا على طول طريق قناة الغِمد، يلتفان حول تل الجليد الذي غطى ما تبقى من المعبد الروماني القديم الذي كانت المركبة التنينية ترقد فيه ذات مرة. توقف سبتيموس هيب للحظة، ونظر حول التل؛ ليتذكر المرة الأولى التي رأى فيها المركبة الجميلة. ثم قال بهدوء: «هذا هو السبب وراء تواجدك هنا، أليس كذلك؟».

أومأت جينا برأسها.

«هل ما زلت غير قادرة على سماعها؟».

«لا. لا يمكن أن يستمر الأمر أكثر من ذلك يا سبتيموس. علينا أن نقوم **بمهمة الإحياء الثلاثية** على أكمل وجه هذه المرة؛ وذلك من خلال استخدام مادة **إعادة الإحياء الثلاثية** التي حصلت عليها من برودا. لا أقبل المزيد من الأعذار. لن أقبل أن تقول لي العمة زيلدا أن انتظر الوقت المناسب. بالطبع، سوف أكون في حاجة إليك هناك».

«فقط أخبريني بالموعد وسوف أكون هناك. أنت تعلمين ذلك يا جين».

ابتسمت جينا وقالت: «أشكرك يا سِب. نعم أعلم».

وعلى حافة الجزيرة البعيدة خلف الكوخ، ظهر ظلان أسودان على الجليد.

لوَّحت جينا قائلةً: «يا هلا! أيها الفتى الذئبي. أيتها العمة زيلدا!».

ما كانت ستخطئهما. فقد كان شكل المثلث الكبير الذي يسير ببطء هو العمة زيلدا، بينما كان ذلك المخلوق النحيف الذي يسير بتبختر ويعتليه عرف الفرس هو الفتى الذئبي، الذي كان يساعد الشكل المثلث في صعود المنحدر المنزلق نحو الكوخ.

قال سبتيموس: «جين، هل يعلم رقم 409 - أقصد الفتى الذئبي - بالأمر؟» كان لا يزال يتذكر صديقه القديم الذي رافقه في الجيش برقمه: 409. تمامًا كما كان الفتى الذئبي يتذكر سبتيموس برقمه في جيش الشباب وهو 412.

«يعلم؟ بشأن المركبة التنينية؟».

«لا يا جينا.. بشأن كونه أحد توائم ثلاثة مع ماركوس ومات».

تباطأت جينا... ففي ظل مخاوفها حيال المركبة التنينية، كادت أن تنسى أمر شقيقي الفتى الذئبي المفقودين. «حسنًا، لا، أنا لا أعتقد أنه بإمكانه معرفة الأمر. كنا سنخبره بالأمر في حفل زفاف سايمون، أليس كذلك؟ بيد أن العمة زيلدا تخلفت عن الحضور لنسيانها».

قال سبتيموس: «اعتقدت أنه من المحتمل أن تكوني قد التقيتِ به بالفعل».

هزت جينا رأسها نافية وقالت: «كلا».

«الواقع أنني أرغب في إخباره بذلك بنفسي. أتمانعين في ذلك؟».

«بالطبع ليس لدي مانع يا سِـب. إنه من الصواب حقًّا أن تخبره أنت».

قال سـبتيموس: «أشكرك». ثم تذكر حينما اكتشف العائلة التي ينتمـي إليهـا؛ لقـد كان ذلك الأمر في هـذه الجزيـرة بالتحديد منذ أربعة أعوام مضت. والآن، لا يستطيع أن يتصور أن يكون بلا عائلة وبلا هوية، بيد أن رقم 409 كان لا يزال كذلك. كان سبتيموس قد اقتـرح على الفتـى الذئبي الذهـاب إلى مكتب السـجلات بجيش الشـباب ليرى ما يمكن اكتشـافه، بيد أن الفتـى الذئبي رفض. فقد قال له إنه يعلم أنه وحيد، ولا يرى أي جدوى من التحقق من ذلك.

وصـلا إلى الكـوخ وأخذ الفتى الذئبي يسـاعد العمـة زيلدا في الدخول.

قالت العمة زيلدا وقد اعتلتْ وجهَها ابتسـامةٌ عريضةٌ: «حسنًا، انظر من هنا».

ثم قالـت: «كم هو رائع رؤيتكما أنتمـا الاثنين». ثم تمعنت في وجه سـبتيموس بشـيء مـن الحيرة وقالـت: «تبـدو مختلفًا بعض الشيء. إنه... حسنًا، أنا لا أعلم لماذا، بيد أنك مختلف يا عزيزي».

قال سـبتيموس شـارحًا الأمر: «حسـنًا، لعلك تقصديـن الرداء الخاص بتلميذ الكيميائي يا عمة زيلدا».

«تلميذ الكيميائي؟ يا إلهي! هل هذا ما أنت عليه الآن؟».

«فقط لمدة شهر يا عمة زيلدا. وفي حقيقة الأمر، حتى يوم الغد فقط».

هزت العمة زيلدا رأسها حيث كانت الأشياء تتغير بسرعة فائقة بالنسبة لها في تلك الأيام: «حسنًا، تعالوا إلى الداخل، يا عزيزيَّ، لنحتسي بعضًا من الشاي».

وبعد ما قالته سارة، تنفست جينا الصعداء لرؤيتها العمة زيلدا وقد بدت في وضع طبيعي وتقوم بنشاطها الصاخب، ثم جلست جينا بجانب النار واستمعت إلى الفتى الذئبي يتحدث دون توقف؛ وهو سعيد بوجود رفاق جدد بعد أسابيع عديدة قضاها في عزلة مع العمة زيلدا.

أحضرت العمة زيلدا خبزًا محمصًا مدهونًا بالزبد لجينا والفتى الذئبي، وشطيرة كرنب لسبتيموس، ثم جلست بجانب المدفأة وبين يديها وجبتها المفضلة، وهي عبارة عن صحن من أوراق الكرنب المهروسة ومربى التوت البري. كانت تنظر إلى زائريها بابتسامة تنبئ عن سعادتها بوجودهم.

ثم قالت: «من الرائع رؤيتكما، يا لها من مفاجأة سارة. والآن، أطلعاني على كل الأخبار».

كانت جينا على علم بأنه يتعين عليها أن تخبر العمة زيلدا بكل ما يتعلق بزفاف سايمون ولوسي، بيد أن المركبة التنينية لا بد أن تأتي أولًا. أخذت نفسًا عميقًا ثم قالت: «يا عمة زيلدا، لا أحمل

أخبارًا سارة. لقد أتيت إلى هنا لأنه لم يعد بوسعي الاستماع إلى نبضات قلب المركبة التنينية».

توقفت العمة زيلدا وفي يدها ملعقة من الهريسة الأرجوانية في منتصف الطريق نحو فمها. ثم رأت جينا نظرات القلق في عيني الساحرة الزرقاوين وقالت: «من الممكن أن تكون ضعيفة للغاية في فصل الشتاء، كما تعلمين.. وبطيئة للغاية أيضًا».

قالت جينا: «أعلم ذلك، أنا معتادة على ذلك. هذا هو فصل الشتاء الثالث الذي أستمع إليها فيه. بيد أنني لم أستمع إلى شيء منذ أربعة أيام إلى الآن. لا شيء على الإطلاق».

أعادت العمة زيلدا الملعقة إلى الوعاء وقالت: «هل أنت واثقة من ذلك؟».

«أنا متأكدة تمامًا».

وضعت العمة زيلدا وعاء الهريسة على الأرض ثم همهمت لنفسها قائلة: «حسنًا، يا عزيزتي، حسنًا يا عزيزتي، يا عزيزتي، يا عزيزتي».

قالت جينا: «يا عمة زيلدا ... أعتقد أنها تحتضر».

تنهدت العمة زيلدا تنهيدة صغيرة، ووضعت رأسها بين يديها.

تابعت جينا ضغطها وقالت: «علينا أن نقوم **بإعادة الإحياء** الآن، باستخدام الشراب السحري الذي حصلت عليه من برودا. من

فضلك يا عمة زيلدا، هل بوسعك إحضار الأوعية للمهمة الثلاثية والعودة معي أنا وسبتيموس الآن.. من فضلك؟».

نظرت العمة زيلدا باضطراب شديد، ثم رفعت نفسها بصعوبة من على الكرسي، وسارت ببطء حتى وصلت إلى خزانة قارورات العقاقير غير المستقرة والسموم الخاصة وبحثت بالداخل بقدر من الصعوبة. في حين نظرت جينا بقلق صوب الفتى الذئبي.

ثم همست قائلةً: «هل العمة زيلدا على ما يرام؟».

لوح الفتى الذئبي بيديه جِيئةً وذهابًا في إشارة إلى أنها ليست على ما يرام تمامًا. ثم قال: «إنها تنسى بعض الأمور وتفقد بعض الأشياء، وهو ما يزعجها، كما تعلمين».

قال سبتيموس: «بيد أنها لا تزال تحافظ على ترتيب الكوخ حقًّا». فهو لم يرَ أرفف الكتب بهذا التنظيم من قبل كما أن قارورات العقاقير كانت نظيفة تلمع وتبرق».

قال الفتى الذئبي عابسًا: «أنا لست بمدير منزل سيئ، كما أنني أستخدم منفضة غبار جيدة للغاية».

خرجت العمة زيلدا من الخزانة حاملةً أحد الصناديق الخشبية القديمة للغاية والمكتوب عليها بكتابة قديمة: الملاذ الأخير. ثم جلست بجانب النار وناولته إلى الفتى الذئبي، وهي تقول: «إليك هذا يا عزيزي. أنت تجيد فتح الأشياء».

قام الفتى الذئبي بفتح اللسان وأعاد الصندوق إلى العمة زيلدا، بيد أنها ترددت في أخذه، ثم قالت له: «لا يا عزيزي، أخرج الحقيبة لي».

أخرج الفتى الذئبي من داخله جرابًا جلديًا قديمًا.

ثم سـألته العمة زيلدا: «هلا أخرجت لي القارورات الموجودة بالداخل يا عزيزي؟».

قـام الفتى الذئبـي بإخراج قارورة ووازنها بشـكل صحيح على كف يده. على الفور، تعرف كل من جينا وسبتيموس على القارورة الذهبية الصغيرة المطروقة بقوة بحافتها الزرقاء المطلية التي رأياها فـي المرة الأخيـرة عندما كانـا هما والعمـة زيلدا يقومـون بإجراء **المهمـة الثلاثيـة** علـى المركبة التنينيـة التي كانـت مصابة بجروح خطيرة.

تنفست جينا الصعداء، فقد جعلها إحجام العمة زيلدا عن القيام **بالمهمة الثلاثية** تتسـاءل ما إذا كانت قـد فقدت القارورات، بيد أن كافة الأمور بدت على خير ما يرام.

وضـع الفتـى الذئبي يده مـرة ثانية في الجـراب وأخرج قارورة أخرى مماثلة للقارورة الأولى ثم قال: «جميلتان، أليس كذلك؟». قالها وهو يضع قارورة واحدة في كلتا يديه.

قالت جينا: «بلى.. وهناك واحدة أخرى».

أغلقت العمة زيلدا عينيها، وبدأت التفوه بشيء ما بصوت منخفض للغاية.

هز الفتى الذئبي رأسه وقال: «لا توجد قارورة أخرى، هذا كل شيء».

قالت جينا: «لا توجد قارورة أخرى؟».

«لا. آسف. يمكنك إلقاء نظرة بنفسك». قام الفتى الذئبي بتمرير الجراب إلى جينا، وبدورها قامت بإدخال يدها داخل الجراب ولم تشعر بشيء سوى الجلد البارد الذي يكسوه التراب. كانت جينا تأمل بأن تكون القارورة مخبأة بطريقة سحرية غامضة؛ لذا فقد ناولت الجراب إلى سبتيموس، الذي تحسس بيده داخل الجراب. ثم هز رأسه نافيًا.

قال لها: «للأسف يا جين. لا توجد أية قارورات».

قالت جينا برفق: «العمة زيلدا، أنت على علم بأنه لا بد من وجود ثلاث قارورات في الجراب؟ أتعرفين أين توجد القارورة الثالثة؟».

تنهدت العمة زيلدا وقالت: «لقد التهمها ثعبان المستنقعات».

✢ 9 ✢

ثلاثة توائم

كان الليل يسدل ستاره، فقام الفتى الذئبي من بين المجموعة الكئيبة الجالسة بجوار المدفأة، ثم أشعل المصابيح الموضوعة داخل عتب النوافذ ، في الوقت الذي بدأت فيها العمة زيلدا بشرح الأمر.

«لقد كان يومًا مشمسًا ورائعًا، وكنت قد تركت الباب مفتوحًا. لقد كنت أقوم بترتيب خزانة قارورات العقاقير، وفكرت في أن أقوم بتنظيف القارورات؛ لذا فقد وضعتها على المكتب هناك». ثم أشارت بيدها صوب مكتب غريب الشكل كانت قدمه مثل البطة.. «ثم

ذهبت للحصول على مستحضر **تلميع الذهب** من على الرف العلوي الموجود خلف السلالم.

إلا أنني لم أتمكن من العثور عليه؛ لذا كان عليَّ ترتيب وتصنيف كل شيء. أعتقد أنني قضيت بعض الوقت في البحث عنه. لقد كان مختفيًا وراء **قارورة الضفادع المنصهرة**، التي كانت بجوار قارورة **خليط العجائب**، وأنا على يقين أنها لم تكن موجودة أبدًا، بيد أن قارورة **خليط العجائب** دائمًا ما كانت تتوهج بشدة؛ مما يجعلك غير قادر على رؤية أي شيء فتقوم بإغلاق عينيك تقريبًا، وبالطبع فإن قارورة **الضفادع المنصهرة** هي قارورة كبيرة بالفعل؛ نظرًا لوجود العديد من الضفادع لدينا هنا، ومن العار عدم الاستفادة بها، بيد أن المشكلة تكمن في عدم قدرتك على رؤية أي شيء من خلال تلك الأشياء ذات اللون الأخضر القاتم، بيد أنني تمكنت من العثور عليه في نهاية المطاف محشورًا خلف الزجاجة في جزء صغير مقعر، وعندما عدت إلى المكتب، تعثرت فوقه».

كان سبتيموس قد تاه منها إبان حديثها عن قارورة **الضفادع المنصهرة**، فسألها: «ما الذي تعثرتي فوقه؟».

«ثعبان المستنقعات، ذلك الشيء الأخضر هائل الحجم، كان سميكًا مثل ماسورة المجارير، لقد تسلل عبر الباب حتى وصل إلى المكتب، وكان رأسه المفلطح يحملق فيما حوله، ولسانه الأخضر الطويل يخرج ويدخل من فمه.». سرت رجفة في جسد

العمـة زيلـدا وقالت: «لقـد تمدد ذلك الشـيء البائـس على طول الطريـق المـؤدي إلـى هنا من قنـاة الغِمـد؛ وفي حقيقـة الأمر كان معظمه لا يزال راقدًا في الخندق المائي. أعتقد أنه كان يسعى وراء بيـرت؛ لأنني وجدتها في وقت لاحق تحت سـريري وريشـها في حالة يرثى لها».

سألها سبتيموس: «وماذا فعلت؟».

«بعض اللبن وشرابًا مهدئًا، دائمًا ما يعمل ذلك على التهدئة».

«أعطيتِ الثعبان بعض اللبن؟».

«ماذا؟».

قال الفتـى الذئبي: «زيلدا تقصد أنها أعطـت بيرت بعض اللبن والشراب»، ثم أدار وجهه نحو العمة زيلدا وقال: «إذن، ماذا فعلتِ حيال الثعبان؟».

قالـت العمـة زيلـدا وهي لا تـزال ترتجـف لمجرد مـرور تلك الذكرى بخاطرها: «لقد أزحته بعيدًا باستخدام **المكنسة السحرية**، ولكننـي فيما بعد اكتشـفت فقدان إحدى القـارورات، وأدركت ما حـدث. لقد ابتلعهـا ذلك الثعبـان المثير للاشـمئزاز. بالتالي، فقد أعـدت وضـع القارورتين وتلوت **تعويـذة العودة**. المسـألة مجرد وقـت، وسـوف تعود القـارورة يومًا مـا؛ دائمًا ما يحـدث ذلك مع الأشياء التي ينتمي بعضها إلى البعض».

قالت جينا بصراحة: «سيكون الوقت قد تأخر حينها».

بـدا اليأس على العمة زيلدا وقالت: «عزيزتي جينا، أنا متأسـفة للغايـة. أعلم أنه كان يتعين عليَّ إخبارك بالأمر، بيد أنني كنت آمل أن تسـتعيد المركبـة التنينية قوتهـا بطريقتها الخاصـة دون الحاجة لاستخدام **القارورات الثلاث** مجددًا».

قالـت جينا: «والآن أنا أتفهم لماذا لم تقومي **بإعادة الإحياء**، لم يكـن الأمر يتعلق علـى الإطلاق بأنه من الأفضـل للمركب التنينية التعافي بنفسـها. لقد كان السـبب هو فقدانك لإحدى القارورات. أتمنى لو كنت قد أخبرتِني بالحقيقة».

كانـت جينا تحاول كبح جماح غضبها، بيد أنه لم يكن بوسـعها أن تصـدق أن العمـة زيلـدا قـد أخفـت عنهـا أمرًا بهـذه الأهمية. وتذكرت ما قالته سارة حول الساحرات: «إنهن يخبرنك بما يرغبن في إطلاعك عليه، ليس ما ترغبين في معرفته».

وكانـت جينا تمسـح بيديها علـى بيرت، التي كانـت نائمة على الوسـادة بجانبهـا. ولكـن المسـح عليهـا من قبل شـخص منزعج جعلها تشـعر بالتوتر. وفجأة، نقرت البطة يد جينا بمنقارها الحاد. شعرت جينا بالحرج البالغ فانفجرت باكية.

قال سبتيموس: «جينا، هل أنت بخير؟».

قالت جينا بتكشيرة: «لا، لست بخير».

واصـل سـبتيمـوس حديثه قائلًا: «يمكننـا إصـلاح الأمـر، أعلم أنه يمكننا ذلك».

تسـاءلت جينـا: «ولكن كيف ذلـك؟» قالتها وهي تمسـح أنفها بمنديلها الأحمر الحريري.

التقـط سـبتيموس إحـدى القـارورات وأخـذ يقلبها بيـن يديه: «عندما يشعل مارسيلوس النار، أراهن على أنه يمكنه صنع قارورة أخرى».

قالـت العمـة زيلدا: «أخشى ألا يتمكـن من ذلك، فلن تتناسـب القـارورة الجديدة مع القوارير الأخرى. لـن يمكنها التواصل مع القارورتين الأخريين.

كمـا تعلم، لقد صنعت تلك القـارورات جميعًا من قطعة ذهبية واحدة أصلية وعتيقة».

«أها... ذهب مستنسخ؟».

تسـاءلت العمة زيلدا التي لم تعد قدرتها على السمع كما كانت في الماضي: «الذهب المستفرخ؟».

«المستنسـخ. أي أن كلًّا منهـا تنتمي إلى الأخـرى، مثل التوائم الثلاثـة». يا إلهي.! وفجأة أدرك سـبتيموس ما قاله، ثم نظر صوب جينا.

إن الصدمـة الناتجـة عن اختفـاء القـارورة الثالثـة جعلت جينا تنسـى كل شـيء عن شـقيقي الفتى الذئبـي. بيد أنها كانت سـعيدة للتفكير في شيء آخر لوهلة. ثم نكزت سبتيموس برفق: «أكمل!».

قال سبتيموس بتوتر لافتًا الانتباه: «إحم. إحم». وفجأة، بدا أنه من الصعوبة بمكان إخبار الفتى الذئبي بالأمر.

وساد السكون أنحاء الكوخ الصغير، ونظرت العمة زيلدا بحزن صوب النار.

قالت جينا: «التوائم الثلاث» في محاولة منها لدفع سبتيموس نحو التحدث.

قال الفتى الذئبي: «هذا أمر عجيب. ألا تعتقدون ذلك؟».

سألته جينا: «ما هو الأمر العجيب؟».

هز الفتى الذئبي رأسه وقال: «ثلاثة توائم. توءمان. أن يكون الناس متماثلين، أنا لا أعلم لماذا، بيد أنني عندما أرى توءمين أو ثلاثة، ينتابني شعور غريب.. في هذا المكان بالتحديد». ثم أشار الفتى الذئبي بقبضة يده نحو بطنه: «ينتابني شعور ما حيال الأشخاص المتماثلين، على ما أعتقد».

تبادل كل من سبتيموس وجينا النظرات. ثم قالت له جينا دون أن تخرج صوتًا: «أخبره».

وكان الفتى المتوحش يجيد قراءة الشفتين، ثم سأل بشيء من الريبة: «يخبرني بماذا؟».

نظر سبتيموس صوب الفتى الذئب وقال: «حسنًا، ربما يوجد سبب آخر وراء ذلك الشعور الذي ينتابك». ثم أشار بقبضة يده إلى بطنه تمامًا كما فعل الفتى الذئب.

قال الفتى الذئب: «فعلًا؟» قالها وهو يلتقط إحدى القوارير ويلفها لرؤية انعكاسات الضوء المنبعث من النار.

قال سبتيموس: «أقصد الثلاثة توائم المتماثلين».

وضع الفتى الذئب الوعاء على الأرض ودقق النظر صوب سبتيموس في حيرة، ثم قال: «ماذا تقصد؟».

تلعثم سبتيموس في الكلام وقال: «حسنًا، هناك بعض الناس هم في الأصل ثلاثة توائم بيد أنهم لا يعلمون ذلك، إلا أنهم يشعرون بذلك في قرارة أنفسهم؛ فحتى وإن كانوا لا يتذكرون، فقد كانوا يومًا ما مقربين على نحو لا أحد يتخيله، ولهذا السبب ينتابهم ذلك الشعور الغريب بمجرد سماعهم عن التوائم الثلاثة و..».

سأله الفتى الذئب: «هل أنت بخير يا رقم 412؟».

«نعم، أنا بخير».

لم يعد بوسع جينا تحمل الأمر أكثر من ذلك، فقالت: «سِب، أخبره بالأمر مباشرة».

تسلل الشعور بالقلق إلى الفتى الذئبي، ثم تساءل: «ما الذي تريدينه أن يخبرني إياه بشكل مباشر؟».

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا ثم قال: «أنت أحد ثلاثة توائم متماثلين. لقد عثرنا على شقيقك.. حسنًا، بيتل هو من اكتشف

الأمـر. لقد ذهب إلى مكتب سـجلات جيش الشباب وكان هناك اثنان مثلك تمامًا: رقمي 410 و411».

جثـا الولـد المتوحـش علـى الأرض وقد هالتـه الصدمـة ثـم قـال: «يا إلهي!».

ابتسـم سـبتيموس ابتسـامة عريضـة ثم قـال: «أعتقـد أنك أنت القارورة المفقودة».

أضافت جينا: «التي ابتلعها الثعبان».

نظـرت العمـة زيلدا فـي صدمة، ثـم قالـت: «ابتلعهـا الثعبان؟ من؟».

قال الفتى الذئبي باسـمًا برفق: «لا تقلقي يا عمة زيلدا، لم يبتلع الثعبان أحدًا. بيد أن الأمر يبدو... ياه! غريبًا للغاية، يبدو أنني لدي شقيقان يشبهانني تمامًا».

ابتسـمت العمة زيلدا وقالـت: «ياه! نعم. أنت لديك شـقيقان، لقد نسيت».

تساءل سبتيموس: «هل كنتِ على علم بذلك؟».

«تذكـرت الآن. كان هناك ولـدان في حفلة عيد ميـلادك الرابع عشر. كانا يعملان في كهف ما ... ماذا كان اسمه؟».

قالت جينا: «الكهف القوطي».

«نعم، إنـه هو يا عزيزتي. وراودني اعتقاد - في ذلك التوقيت - أن أصواتكم متشابهة، بيد أن الأمر غاب عن ذهني».

همهم الفتى الذئبي قائلًا: «يوجد اثنان آخران يشبهانِني ..».

لم يكن بوسع سبتيموس التوقف عن الابتسام، ثم قال: «صحيح، اثنان آخران يشبهانك. فيما عدا أن لديهما شعرًا أقل، كما أنهما ليسا نحيفين للغاية، بالإضافة إلى كونهما شاحبين بالمقارنة بك».

قالت العمة زيلدا وقد شعرت بالسعادة لتمكنها من تذكر ذلك على الأقل: «هذا صحيح، وفي تلك الحفلة كنتَ تجلس في مقابلهما؛ أنت يا عزيزي الفتى الذئبي».

قال الفتى الذئبي في صدمة: «في مقابلهما؟».

قالت جينا: «إنهما لطيفان حقًّا».

قال الفتى الذئبي مهمهمًا: «نعم، نعم ..».

قال سبتيموس: «كان من الممكن أن يحدث أسوأ من ذلك بكثير». فقد كان خبيرًا في الأشقاء المفقودين منذ فترة طويلة.

هز الفتى الذئبي رأسه ثم قال: «إمممممم.. أعلم ذلك، لقد أحببتهما حقًّا. مات وماركوس، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح».

وضع الفتى الذئبي رأسه في يديه ثم قال: «إنه لأمر مريع حقًّا».

نظرت جينا بغضب صوب سبتيموس وتساءلت: «ما المريع في ذلك؟» ثم وضعت ذراعيها حول كتفي الفتى الذئبي.

قـال وقـد بدا عليه الانزعـاج: «إنه لأمر مريع أن ألتقي بشـقيقيَّ دون أن تكـون لـدي أدنى فكـرة. كان من الممكـن أن يكونا أيًّا من الأشـخاص الآخرين، كان ينبغي عليَّ التعرف عليهما، بيد أنني لم أتمكن من ذلك».

قـال سبتيمـوس: «كيـف كان بوسعـك ذلك؟ لقـد كان عمرك ثلاثة أشهر فقط عندما أبعدوك عنهما».

«أبعدوني عنهما؟».

«لقــد كان والدك أحـد الحـراس الأوصيـاء، وقد ألف مزحة بشـأن كبير الأوصيـاء؛ ولذلك فقد انتزعـوا أبناءه بعيـدًا عنه، أنت وأشقاءك».

مـدت العمـة زيلـدا يدهـا وأمسـكت بيد الفتـى الذئبي، وسـاد السكون بضع دقائق لم يتفوه أي منهم بكلمة واحدة خلالها.

وفـي نهاية المطـاف قال الفتـى الذئبي: «أتعلم يـا رقم 412 ما فعلوه بنا؟ كان أمرًا سيئًا للغاية، بئس الأمر».

قال سبتيموس: «نعم، بالفعل، إنه أمر مثير للاشمئزاز».

أمسـكت جينـا القارورتيـن الذهبيتين ووضعتهما فـي يديها ثم قالـت: «سبتيموس، أود أن آخذ هاتين القارورتين إلى مارسـيلـوس. علينا أن نذهب الآن».

تنهـد سبتيمـوس؛ حيـث كان يريـد المكـوث والتحـدث مـع الفتى الذئبي.

ثـم قال: «لكن يا جينا، لقد أخبرتك؛ مارسـيلوس ليس لديه نار مشتعلة بعد، سوف يستغرق الأمر أسابيع حتى تتاح الفرصة لإعداد قارورة أخرى».

هزت جينا رأسها في عناد وقالت: «عليَّ أن أحاول يا سبتيموس. عليَّ أن أحاول».

تدخـل الفتـى الذئبي لتسـوية الجدال فيما بينهمـا، حيث اقترح قائلًا: «لماذا لا نطلع على قواعد **المهمة الثلاثية** أولًا؟».

«يوجـد هنـا كثير مـن الكتب التـي لا تتوافـر في القلعـة - كما تعلمون - إنها كتب **سحرية**. ربما نتمكن من العثور على طريقة ما للتغلب على حاجتنا إلى القارورة الثالثة، تتمتع السـاحرات بقدرة جيدة في الالتفاف حول الأمور».

قال سبتيموس: «هذه نقطة جيدة يا جينا».

لـم يكن بوسـع جينا سـوى الموافقة على اقتـراح الفتى الذئبي. مـن الواضـح تمامًا أن السـاحرات يتمتعـن بقدرة جيدة فـي القيام بالأمور بطريقة مختلفة. ثم قالت: «حسـنًا، سوف نبقى هذه الليلة، ونبحث في كل الكتب الموجودة».

وكانـت وجبة العشـاء عبارة عن فطيرة من رِجـل الخنزير مزينة بـرءوس الثعابين المطهية على البخار، وأعقبها وعاء كبير مميز من أوراق الكرنـب المهروسـة ومربـى التـوت البري، التـي اقترحت العمـة زيلـدا عليهم غمس العصـيِّ الدودية الجافة فيهـا، إلا أن أيًّا

منهم لم يقم بذلك. أخذوا يتدافعون أطباق الطعام فيما بينهم، وحتى سبتيموس، الذي كان يومًا ما يحب طهي العمة زيلدا، وجد أن رِجل الخنزير المقدمة في طبقه يصعب ابتلاعها، ثم قاموا – بمساعدة العمة زيلدا – في تنظيف المائدة وغسل الأطباق؛ وبعدها صعدت العمة زيلدا للطابق العلوي لتنام، وتركتهم في حالة من الشعور بالغثيان، بيد أنهم كانوا لا يزالون يتضورون جوعًا.

أحضر الولد المتوحش ثلاث مراتب من القش ووضعها بجانب المدفأة، بالإضافة إلى ثلاث وسائد وثلاثة ألحفة. وما إن تناهى إلى أسماعهم صوت شخير العمة زيلدا في الطابق العلوي، بدأ الولد المتوحش في تنصيب حامل ثلاثي القوائم، يتدلى منه معلاق كبير.

تساءلت جينا: «في أي شيء يُستخدم هذا؟».

قال الفتى المتوحش: «إنه إناء الطهي ... تمامًا مثل الذي بحوزتنا في الغابة. أعتذر منكم للحظة واحدة». ثم نهض وذهب إلى المطبخ، وعاد بإناء دائري أسود، قام بتعليقه بحرص على المعلاق. ثم قام بإلقاء مزيد من الحطب في المدفأة، وعلى إثر ذلك تصاعدت ألسنة النار وأحاطت جوانب الإناء. قال الفتى الذئبي: «إنها يخنة الأرانب المطهية، مطهية كما ينبغي. وقد وضعت معها أشياء لذيذة مثل...».

تساءلت جينا: «أرانب؟».

«صحيح، مع البطاطا والبصل والجزر والأعشاب».

تساءل سبتيموس: «ألا توجد ثعابين؟».

قـال الفتـى الذئبي بثبـات: «لا توجد ثعابيـن، ولا توجد عصيٌّ دودية، وبالتأكيد لا توجد أرْجُل خنازير».

وفيمـا تصاعـدت أصـوات الفقاعات مـن الإناء برفـق، ملأت الغرفـة رائحة لذيذة أخرجت رائحة الثعابين العفنة من المكان. بدا علـى جينـا الجـوع الشـديد ثم سـألته: «هـل تقوم بطهـي طعامك دائمًا؟».

قـال الفتى الذئبـي: «لو لم أقـم بطهي طعامـي لكنت أصبحت نحيفًا مثل عصيِّ المقشـات تلك. العمة زيلدا لا تمانع، فهي تخلد إلـى النوم مبكرًا، وأنا أقوم بتنظيف المـكان، ثم أجلس هنا مع إناء الطهـي الخـاص بي، وأحفـظ بعض الوصفـات أو أشـياء من هذا القبيل».

سألته جينا: «ألا تشعر بالوحدة؟».

«لا، أنا لسـت بمفردي. زيلـدا في الطابق العلـوي، وبيرت هنا معي، كما أن المستنقع بالخارج. أنا أحبه».

شـعرت جينا باليـأس؛ ذلك أن البحـث في مكتبـة العمة زيلدا السحرية لم يسفر عن أي شيء على الإطلاق. وعندما ارتفع القمر أعلـى الجليد وملأ ضـوءه الفضي الكوخ، اسـتكانوا طيلـة الليل، وأخذوا يسـحبون الألحفة من بعضهم البعض في محاولة للتغلب

على ذلك البرد القارس الذي تسلل إليهم. وسرعان ما خيم الهدوء علـى الكوخ؛ وغطـوا جميعًـا في نوم عميـق، الذي عززه سـكون المستنقع المتجمد.

وفجأة، نهض الفتى المتوحش، ثم قال: «يا هذا!».

همهم سبتيموس بصوت غير واضح: «ما الأمر؟».

سأله الفتى الذئبي: «ما اسمي إذًا؟».

سألته جينا: «ماذا؟».

«اسمي؟ ما اسمي؟».

قالت جينا بارتباك: «الفتى الذئبي».

«لا، أنا أقصـد اسمي الحقيقي. هنـاك مــات وماركـوس، ماذا عني؟».

قال سبتيموس: «آه». ثم نظر صوب جينا.

قالــت جينـا: «لقبـك هو مارويـك، وهـذا أمـر جيــد؛ لأنه من الأسمـاء القديمة في القلعة».

قـال الفتى الذئبـي: «مارويك... نعم، هذا لقب لطيف، أشـعر بأنه مناسب إلى حد ما، لكن ماذا عن اسمي الأول؟».

بدت حالة من التردد على سبتيموس، وقال: «حسنًا».

كان صبر الفتى الذئبي قد أوشـك على النفـاد، وقال: «أوه، هيا تحدث يا رقم 412. لا يمكن أن يكون سيئًا لهذه الدرجة».

اعتقد سبتيموس أنه سيئ بالفعل، ثم قال: «ماندي».

تسـلل الشـك إلـى صـوت الفتـى الذئبـي، وقـال: «مانـدي؟ ماندي؟».

«نعم، آسف يا رقم 409».

دفـن الفتـى الذئبي رأسـه تحت اللحاف، وسـمعه سـبتيموس وجينا يهمهم قائلًا: «ماندي ..».



IO

قارورة السحاب



«**صباح** الخير يا ماندي!» قالها سبتيموس، وهو يجتاز جسد الفتى الذئبي المضطجع. وما إن قالها حتى برزت ذراعٌ نحيلة والتفت حول كاحل سبتيموس. ثم جاءه صوتٌ غاضب من تحت اللحاف يقول: «لا تنادِني بماندي».

«آه، يا رقم 409، هذا يؤلمني».

نهض الفتى الذئبي وقد تجعدت أطراف شعره المتشابكة بسبب النوم وقال: «حسنًا».

انبعث صوت جينا من الطرف الآخر من الغرفة وسألت: «بماذا نناديك إذًا؟».

كان ضوء المستنقع قد أيقظها في وقت مبكر، كالعادة، وكانت تنظر من النافذة لتراقب تساقط الثلوج الكثيفة وتسارعها عبر المستنقع، ثم قالت: «لقد أصبح لديك ثلاثة أسماء الآن».

أخذ الفتى الذئبي يفكر في الأمر ثم قال: «نعم. حسنًا، مارويك اسم جيد. يروقني اسم مارويك. أو الفتى الذئبي فقط. لا تفكروا كثيرًا في رقم 409، لا سيما بعدما فعلوه بنا. لا أرقام بعد الآن يا 412، أليس كذلك؟».

قال سبتيموس موافقًا: «نعم، لا أرقام بعد الآن».

قال الفتى الذئبي: «اتفقنا؛ لذا... أعتقد أنني سوف أستخدم اسم مارويك بشكل رسمي، وذلك عند الحاجة إلى التوقيع على أوراق الحراسة وما إلى ذلك. بيد أنني أعتقد أن اسم الفتى الذئبي سيكون مناسبًا في باقي الأوقات».

قالت جينا: «حتى تصبح كبيرًا وبالغًا، بحيث لا يمكننا أن نطلق عليك اسم الفتى».

«نعم، حينها سوف أصبح مارويك العجوز. للتمييز فقط».

استيقظت العمة زيلدا في وقت متأخر، وقد بدت متعبة وكأنها تجر جسدها، هذا هو ما فكرت فيه جينا، وهي تراقبها تنزل الدرج ببطء وتثاقل، وكان شعرها المنقط بالرمادي غير ممشَّط، وكانت أطراف ثوبها المرقع الواسع قد اكتسبت اللون الرمادي. أشفقت

جينا على عمتها؛ فجأة أصبحت العمة زيلدا طاعنة في السن. اندفعت جينا وأحاطت عمتها الكبيرة بذراعيها.

تأثرت العمة زيلدا. ثم قالت: «اعتقدت أنكم ربما غادرتم... وخشيت أن ..». بدت الكلمات كما لو كانت قد انحشرت في حنجرتها ثم تابعت قائلة: «خشيت ألا تأتوا لزيارتي مجددًا أبدًا». قالت جينا: «بالطبع سوف آتي لرؤيتك مرة أخرى، ولا تقلقي حيال القارورة. سوف يقوم مارسيلوس بصنع قارورة أخرى».

لم تعتقد العمة زيلدا أن ذلك الأمر ممكن، بيد أنها تنهدت فقط وقالت: «حسنًا، آمل أن يتمكن من ذلك، يا عزيزتي».

قالت جينا: «حسنًا يا سِب؟ هلا ذهبنا الآن؟».

وكانت العمة زيلدا قد لفت أحد مناديل الرأس المرقعة بين أصابعها الناتئة ثم قالت: «تعالي وأخبريني بمجرد الانتهاء من القارورة، أليس كذلك؟ من فضلك».

احتضنت جينا العمة زيلدا مرة أخرى ثم قالت: «سوف نحتاج إليك للقيام بالمهمة الثلاثية معنا أيتها العمة زيلدا. هيا يا سبتيموس. سوف نسلك طريق الملكة».

«نعم.. أوه، أنا أشعر بالقلق. انتظري دقيقة يا جينا؛ لا بد أن أحضر القارورة. لقد وعدت مارسيلوس».

«حسنًا، لكن أسرع».

انتظـرت جينـا وقـد نفـد صبرهـا بجـوار المدفـأة، فيما شـرع سـبتيموس بشـرح ما يريده للعمة زيلدا. بدت العمة زيلدا في حالة اندهاش، ثم قادتـه نحو أحد الأبواب الموجودة في الجدار الواقع في آخر الكوخ، وبعد أن تحسست داخل جيبها، سحبت مجموعة من المفاتيح النحاسـية الصغيرة. انتظر سبتيموس دون صبر، بينما عبست العمة زيلدا وهي تنظر إلى المفاتيح.

قـال لها الفتى الذئبي برفق: «أتسـمحين لـي بإيجاد المفتاح من بين هذه المفاتيح؟».

ناولته العمة زيلدا المفاتيح وهي تشعر بالامتنان وقالت: «نعم، من فضلك، يا عزيزي».

في خلال لحظات كان الفتى الذئبي قد فتح قفل الباب لتنكشف القارورة.

قال سبتيموس لاهثًا: «يا لها من قارورة ضخمة!».

هـز الفتى الذئبي كتفيه فـي عدم اكتراث ثم قال: «نعم، حسـنًا، إنها كبيرة إلى حد ما، أعتقد ذلك. بيد أن قارورات السـحاب لا بد أن تكون كبيرة، أليس كذلك؟».

«فعلًا؟» لـم يكن سـبتيموس يعلـم شيئًا عن قارورات السحاب، وبالتأكيـد لـم يخبره مارسـيلوس بذلك. كان يتصـور أنهـا عبـارة عـن إنـاء زجاجي صغيـر يمكنه وضعه فـي جيبه، بيـد أن القارورة الزجاجية السـميكة الواقفة أمامه علـى أرضية الخزانة كانت كبيرة

بحجم العمة زيلدا وأكثر طولًا منها بقدم أو نحو ذلك. كما أن تجويفها الدائري ملأ الخزانة تمامًا، بينما ارتفع عنقها الطويل فوق رأس سبتيموس.

نظر سبتيموس في ترقب صوب جينا التي كانت تسير جيئة وذهابًا أمام المدفأة، وعلم أنه لن يكون في إمكانه حمل ذلك الشيء الضخم والعودة به من خلال طريق الملكة. استجمع سبتيموس شجاعته وقال: «إممم، جينا.. هلا أتيتِ إلى هنا، من فضلك؟».

لم تسعد جينا بذلك، فقالت له: «لن تمر عبر ذلك الطريق يا سبتيموس».

تنهد سبتيموس قائلًا: «أنا أعلم ذلك، سوف أضطر لنقلها والعودة بها إلى الميناء على زلاجة، ومن ثم على الزورق البخاري».

أُصيبت جينا بالذعر وقالت: «لا يا سبتيموس! علينا أن نذهب إلى مارسيلوس اليوم، إنها مسألة حياة أو موت».

«لكن يا جينا، كما قلت لك، مارسيلوس لم يشعل النار بعد.. لا يمكنه القيام بذلك حتى يشعل النار».

«سِب، علينا أن نسأل.. علينا أن نسأل!».

عندهـا تدخـل الفتـى الذئبي وقـال: «سـبتيموس»، كان يشـعر بغرابة لاسـتخدامه الاسـم الحقيقي لنـداء صديقه للمـرة الأولى، «هلا نظرت إلى الخارج؟».

نظـر سـبتيموس عبر النافـذة، وكانت الثلوج تنهمر بسـرعة، ثم ذهـب نحـو البـاب الأمامي وقام بفتحـه. كل ما كان بوسـعه رؤيته عبارة عن غطاء من الجليد المتساقط الكثيف حتى بدا أن الهواء قد تصلب من البرودة. قال له: «أنا أشعر بالقلق».

انضم إليه الفتى الذئبي عند الباب وقال له: «يتعرض المسـتنقع الآن إلـى عاصفـة ثلجيـة حقيقية، ومـن الجنون الخـروج في هذه الأجواء. في غضون عشر دقائق فقط، ستتحول أنت والقارورة إلى كتلة صلبة من الجليد».

تساءل سبتيموس: «كم ستستغرق هذه العاصفة؟».

هـز الولد المتوحش كتفيه وقال: «مـن يعلم؟ بيد أنني أتوقع أن تسـتمر هـذه العاصفـة طـوال اليـوم. لقـد تعرضنـا إلـى عـدد من العواصـف الثلجيـة مؤخـرًا وما إن تبـدأ حتى، يسـتمر الجليد في الانهمـار إلى أن يهبـط علينـا الليـل بهوائه البارد».

كان سـبتيموس سيسـعد حقًّا بالانتظار إلـى أن تنتهي العاصفة الثلجيـة، هنـاك داخل كـوخ العمة زيلـدا الوثير. كما كان سـيحب قضاء اليوم بجوار النار يتجاذب أطراف الحديث مع الفتى الذئبي، ليطلـع علـى تفاصيل حياته، ويكتشـف ما كان يفعلـه. بيد أن نظرة

واحـدة إلـى جينا أخبرتـه أن ذلك لـم يكـن خيارًا مطروحًـا، فقال: «سـوف أضطـر للعـودة مـن أجلهـا غـدًا عندمـا تتوقـف العاصفة الثلجية».

دفعـت جينا سـبتيموس داخـل الخزانة الصغيرة الواقعة أسـفل السلالـم، ثم أغلقت الباب وأشعلت مصباحًا صغيرًا. توهج الضوء في الظلام، فرأى سبتيموس تلك الأرفف المعتادة وعلى أسطحها قارورات العقاقير غير المستقرة في وضع منظم، وفي الأسفل رأى فـي الجانب المظلم صفًّا من الأدراج، التـي كان لديه اعتقاد دومًا بأن السموم الخاصة تحفظ فيها. راقب ما حوله كما لو كان معتادًا علـى ذلك، مـدت جينا يدهـا إلى الدرج السـفلي وقامـت بفتحه. أحس سـبتيموس بشـيء ما يتحـرك داخل الدرج، وسـمع بعدها نقرة رقيقة قادمة من الخلف، فيما أُغلق باب الخزانة من تلقاء نفسه وأصبحـا في ظـلام دامس.

وكان الشـيء التالـي الذي رآه سـبتيموس هو جينـا تدفع الباب لفتحه مجددًا. فظن أنها ربما قد نسـيت شيئًا ما. خطت جينا خارج الخزانة فيما قبع سبتيموس في انتظار عودتها.

عـاودت جينـا النظـر مجـددًا إلى الخزانة وقالت: «هل سـتأتي يا سِب؟».

«ها؟».

«لقد وصلنا».

«إلى أين؟».

«لقد عدنا إلى القلعة. نحن في القصر الآن».

«أحقًّا؟».

ابتسمت جينا وقالت: «نعم، أمر جيد، أليس كذلك؟».

تبع سـبتيموس جينا خارج الخزانة فوجد نفسه في غرفة صغيرة ومريحـة. كانـت تحتـوي على مدفـأة صغيرة بهـا نار مشـتعلة في الموقد، وبجانبها كرسي يبدو مريحًا وباليًا بعض الشيء. إلا أنه لم يكن بوسـعه رؤية من كان يجلس على الكرسـي: إنه شبح الملكة، امرأة شـابة، ترتدي ثوبًـا طويلًا من الحرير الأحمـر، وعباءة ذهبية ملفوفة حول كتفيها. وحول شـعرها الأسـود الطويل طوق ذهبي؛ وهو الطوق الذي ترتديه جينا الآن.

عند فتحة باب الخزانة، قفز الشبح من مكانه. كانت تتحين تلك اللحظة. فقد مرت ابنتها بسرعة كبيرة وهي في طريقها إلى الدخول نحـو الخزانة، ولـم يكن لديها الوقـت الكافي لإظهـار ردة فعلها. والآن كانـت علـى اسـتعداد للرد، وقف شـبح الملكـة على قدميه وخطا خطوة أمام جينا.

تسمرت جينا في مكانها، لقد ارتطمت بشيء ما في طريقها.

كان سـبتيموس يقف خلف جينا مباشـرةً فقال لها هامسًـا: «ما الأمر؟».

تذكرت جينا شيئًا كان قد قاله لها شبح الملكة إثيلدريدا ذات مرة فقالت هامسة: «أعتقد أنه من المحتمل أن تكون والدتي هنا». على إثر ذلك وضعت يديها في تردد أمامها.

تراجع شبح الملكة سيريس خطوة إلى الخلف لتجنب **مرور يد جينا عبرها**، ثم قالت: «نعم، نعم، أنا هنا!»، بيد أنه لم يخرج أي صوت. ما لم تدركه الشبح هو أنه يلزمها بعض الوقت للتدرب على التحدث دون **ظهور**. وكانت سيريس على علم بأن الوقت لم يحن بعد لها **للظهور** أمام ابنتها.

أدارت جينا وجهها نحو سبتيموس وقالت له هامسة: «هل تشعر بها؟».

أومأ سبتيموس برأسه، وقد ساد في الغرفة الصغيرة شعور بوجود حركة غريبة تمامًا، كأنما كانت هناك تيارات من الهواء تدور في كل مكان.

أخذت جينا نفسًا عميقًا وقالت بصوت مرتفع: «هل يوجد أحد هنا؟».

رد شبح الملكة بصمت وتوتر بعض الشيء: «أنا هنا، يا بنيتي، تخبرني أمهاتنا بأن المركبة التنينية سوف تموت. عليك أن تنقذيها!».

وإلى جوار شبح الملكة سيريس، وقف شبح والدتها؛ جدة جينا، وهي الملكة ماتيلدا الرهيبة. وكانت الشبح البدينة – ذات

الشعر الرمادي المتموج، والتاج غير المستقيم قليلًا كما كانت دومًا في حياتها - كانت تستشيط غضبًا وهي تقول لابنتها: «بحق الرب، يا سيريس، قولي لها شيئًا».

«أنا أحاول يا أمي».

«حسنًا، ابذلي جهدًا أكبر يا عزيزتي. سوف تذهب في لحظة؛ فالشباب يتحركون بسرعة فائقة».

حاولت الملكة سيريس التركيز أكثر وقالت: «يا بنيتي؛ استمعي إليَّ!».

نظرت جينا صوب سبتيموس وتساءلت: «هل تحدثت للتو؟».

«أنا تحدثت للتو؟!!».

«لقد سمعت همسًا».

هز سبتيموس رأسه نافيًا، وتمنى الخروج من تلك الغرفة الصغيرة المريبة؛ نظرًا لما تحمله من ذكريات سيئة بالنسبة له. ثم قال: «هلا خرجنا من هنا؟».

أومأت جينا برأسها.

قالت الملكة ماتيلدا بحنق: «أخبريها يا سيريس!».

«كيف لي أن أركز في التحدث وأنت تشتتينني على هذا النحو؟».

نظرت سيريس في غضب، وهي تراقب ابنتها والتلميذ الكيميائي أثناء مرورهما بها.

قالت الملكة ماتيلدا تزجرها: «حسنًا، سوف أخبرها».

«لا، لن تفعلي».

«سوف أخبرها. إنها حفيدتي».

«وهي أيضًا ابنتي».

تأففت الملكة ماتيلدا وهي تقول: «أرى أنك تهملينها مع الأسف. في حقيقة الأمر، عليك القيام بمزيد من الجهد معها. تلك الطفلة المسكينة. تعلمين أنني لن أمانع أبدًا في جلوسي هنا في مكانك حتى يتسنى لك الذهاب إليها؛ هي في حاجة إليك يا سيريس».

خطت جينا خطوات قليلة نحو المساحة الخالية في الجدار حيث يوجد الباب الخفي المؤدي إلى الخارج. تبعها سبتيموس في ذلك، وهو ينظر خلفه بعدم ارتياح.

وكانت سيريس تنحدر بسرعة في أحد الشجارات اللانهائية التي اعتادت على خوضها مع والدتها. قالت سيريس: «يا ماما أنت على علم تام بقواعد الملكة. ليس بوسعنا **الظهور** حتى يحين الوقت المناسب. أنت على علم بذلك. كيف يتسنى لابنتي أن تصبح ملكة حقيقية إذا ما واصلنا **الظهور** لها، وإخبارها بما يجب أن تفعل، لنحول بذلك بينها وبين التوصل إلى طريقها الصحيح بنفسها؟».

قالت جدة جينا بصوت مزعج: «هذا مجرد كلام فارغ، لم أوافق يومًا ما على ذلك الجزء من القواعد. أبدًا لم أوافق عليه!».

«لا يمكنني انتقاء ما يعجبك من بين القواعد يا أمي وإهمال ما لا يعجبك. إما القبول بها جميعًا أو رفضها جميعًا. انتظري!».

رأت شبح الملكة سيريس ابنتها وهي تمسك بيد تلميذ الكيميائي، وسمعتها تقول له: «لنذهب يا سبتيموس!» ثم بدأت سيريس في الدوران في أرجاء الغرفة وقد انتابها شعورها بالإحباط. لمَ لمْ تكن تتحدث؟ لماذا؟

وبينما توجهت ابنتها نحو الجدار شقت صرخة خافتة ويائسة صمت الغرفة: «اسمعيني! أنت فقط القادرة على إنقاذ حياة المركبة التنينية!».

وعلى الجانب الآخر من الجدار حدقت جينا في سبتيموس وهي فاغرة فاها ثم قالت: «هذا صوت أمي!».

«هل أنت متأكدة؟».

«سبتيموس؛ أنا أعرف صوتها. أنا أعرفه. إنها أمي!».

«لقد كان مجرد شبحها يا جينا».

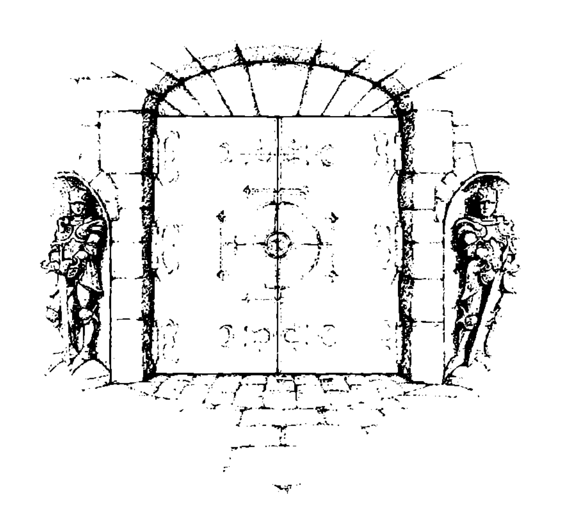
«إذًا لمَ لمْ تظهر لي يا سبتيموس؟ لماذا؟ لا بد أنها قد رأتني في كثير من الأحيان بما فيه الكفاية. إنها فقط مثل أبي؛ إنهما يتسمان بنفس الصفة، إنهما يفضلان الابتعاد. إنه لأمر مريع».

قال سبتيموس دون أن يجد الكلمات المناسبة: «أوه، يا جينا».

«والآن.. والآن كل ما تفعله هو إخباري بالقيام بشيء ما لا يمكنني القيام به!».

II

نار التنين



حمل سبتيموس في يده مصباحًا يدويًا مشتعلًا ليضيء له الطريق فيما شق هو وجينا طريقهما عبر الممرات الملتوية في المتاهة المبنية من اللازورد. كانت المرة الأخيرة التي زارت فيها جينا تلك المتاهة منذ خمسمائة عام، وقد أعادت ألسنة اللهب المتوهجة التي تضيء الجدران الزرقاء المبنية من اللازورد

إلى ذهنها ذكريات مرعبة حينما سُحبت جينا من خلال تلك المتاهة من قِبل شبح الملكة إثيلدريدا القاتل.

وفي نهاية المطاف وصلا إلى المنحنى المؤدي إلى الغرفة الكيميائية الكبيرة. وفي أعقاب التوصيفات التي أدلى بها سبتيموس حول السخام والرمال، كانت جينا تتوقع أن ترى دمارًا، بيد أنها وجدت غرفة مضيئة ولامعة، ممتلئة بالذهب... تقف شاهدًا على مهارات سبتيموس في النظافة.

على الفور انصرف نظر جينا صوب البابين الكبيرين المَطْليين بالذهب والواقعين في الجدار المقابل؛ وهما بابا الزمن الكبيران اللذان كانا يومًا ما مدخلًا إلى زجاج الزمن ذاته. وعلى الرغم من علمها بتحطم الزجاج وأنه ليس بوسع أحد الآن المرور من خلاله إلى زمنٍ آخر؛ فإن وجود هذين البابين في حد ذاته بث فيها شعورًا بالخوف. ارتعشت جينا ونظرت بعيدًا صوب المناضد الأنيقة المصنوعة من خشب الأبنوس والمصطفة على الجدران، نظيفة وملمعة، وتلك الصناديق التي تم تفريغها وصفها بعناية فائقة.

أحبت جينا تلك الأشياء الذهبية ذات البريق الخافت في ضوء الشموع؛ تلك المقابض الذهبية، والمفصلات الذهبية والفواصل الذهبية، والأدراج الذهبية الصغيرة الموجودة أسفل المناضد، والحوامل الذهبية التي تم تعليق الأرفف عليها، وحتى الأشرطة الذهبية البالية الموضوعة الممتدة أسفل المقاعد المصنوعة من

خشب الأبنوس، لحماية الأخشاب النفيسة من أحذية مارسيلوس وتلامذته الصغار منذ أمدٍ بعيد.

كانت جينا ومارسيلوس يشتركان في ولعهما بالذهب.

وعلى الجانب الأيمن من جينا، كان الفرن – الذي لم يوقد بعد – وأنبوب المدخنة الخاص به الذي اتخذ مسارًا ملتويًا وصولا إلى السقف المقبب. وفي منتصف الغرفة كانت هناك منضدة طويلة يوجد أعلاها صف من الشموع المشتعلة البراقة، بيد أن شيئًا ما كان مفقودًا.

تساءلت جينا: «أين مارسيلوس؟».

هز سبتيموس كتفيه في لا مبالاة وقال: «لا أعلم، دائمًا ما يكون بالخارج في مكان ما. سوف يعود قريبًا».

جلست جينا على المنضدة الطويلة ثم قالت: «إلى أين يذهب إذًا؟».

«لا أعلم، إنه لا يفصح عن ذلك أبدًا».

«ألا تسأله؟».

ضحك سبتيموس وقال: «أعلم أنكِ كنت ستسألينه لو كنت مكاني، بيد أنه ليس من اللائق بالنسبة للتلامذة أن نسأل عن أمور كهذه. كان سيخبرني إذا كان الأمر مهمًّا».

قالت جينا: «يبدو الأمر عجيبًا بالنسبة لي. أقصد، ما الأشياء الأخرى التي يمكن القيام بها هنا بالأسفل».

ثـم توقف الحديث بينهما على إثر صوت خطوات أقدام تسير في المتاهة. وبعد مرور ثوانٍ معدودة، ظهر مارسيلوس باي عبر الممر، وقد بدا عليه الاندهاش.

ثم قال وقد انتابه الفزع: «سبتيموس! كيف أتيت بهذه السرعة؟ ياه! ومعك إزميرالدا!».

في ضوء الشموع، بدت جينا كثيرة الشبه بشبيهتها الملكة إزميرالدا، التي رحلت منذ أمد بعيد. يبدو أن وجوده في غرفة النار تعيد إليه تلك الذكريات القديمة. ثم سرعان ما تعافى مارسيلوس من تلك الهفوة الزمنية التي أصابته وعرض على جينا الجلوس على أحد الكراسي في مقدمة الطاولة، قائلًا: «تفضلي، أيتها الأميرة جينا».

جلست جينا على المقعد الذي عرضه مارسيلوس في حين جلس مارسيلوس وهو يهتز قليلا على المقعد الواقع على جانب الطاولة، تاركًا لسبتيموس مقعده المعتاد على الجانب الأيمن».

قال مارسيلوس بشكل رسمي: «أهلًا ومرحبًا بك إلى الغرفة الكبيرة أيتها الأميرة، يسعدني قدومك لرؤيتها سريعًا، ذلك الجزء الذي لا يتجزأ من القلعة ، الذي طالما كان محل اهتمام من الملكات ، حتى إنني أعتقد أن اهتمامهن به يفوق كثيرًا اهتمامهن ببرج السحرة».

هزت جينا رأسها - وكان بوسعها تصديق ذلك. وخاصة أنها تعلم جيدًا السبب وراء قدومها، وضعت الحقيبة الجلدية على المنضدة وأخرجت القارورتين.

نظر إليهما مارسيلوس باهتمام ثم قال: «أها، **القارورات الثلاثية**، يا لها من قارورات رائعة». ثم قبع مارسيلوس في انتظار أن تضع جينا القارورة الثالثة على المنضدة.

قالت: «لا توجد قارورة ثالثة، لقد ابتلعها الثعبان».

بدت على مارسيلوس حالة من الصدمة ثم قال: «عليك أن تعيديها في الحال. اقتلي ذلك الثعبان البئيس إذا اضطررت إلى ذلك».

قالت جينا: «الأمر ليس بتلك السهولة، كما ترى ..».

وقف مارسيلوس على قدميه وقال: «حسنًا، سوف تضطر مارشا للذهاب دون حذائها السخيف».

تساءلت جينا في حيرة: «حذاء؟».

«حذاؤها الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان. أليس ذلك هو السبب الوحيد وراء إبقاء تيري تارسال على ذلك الثعبان المروع؟ قد لا تصدق مارشا هذا الأمر، بيد أن هناك بعض الأشياء التي تفوق قيمتها قيمة ذلك الحذاء، وهذه المجموعة من القارورات هي واحدة من تلك الأشياء. سوف يكون تيري تارسال مضطرًّا لقتل الثعبان الثمين الذي بحوزته».

فهمـت جينا مقصده، ثم تنهدت وقالـت: «إنه ليس ثعبان تيري تارسال، يا مارسيلوس. أتمنى لو كان كذلك».

«إذن من يملك ذلك الثعبان؟».

«هو ليس ملكًا لأحد. إنه ثعبان المستنقعات العملاق».

جلـس مـارسـيلوس ثـم قـال: «أها.. لسـوء الحـظ ليس من السهل تمامًا الإمساك به».

«لا».

«حسنًا، عارٌ كبيرٌ علينا؛ أن نفقد القارورات الثلاثية بعد كل تلك المدة».

قال سبتيموس بقلق: «لقد أخبرت جينا أنه بوسعك استنساخها».

ضحك مارسيلوس وقال: «يبدو أن إيمانك وثقتك فيَّ لا حدود لهما أيها التلميذ. بيد أن هناك الكثير الذي يتعين القيام به حتى قبل مجرد التفكير في ذلك».

ثـم تنهـد ووقـف كما لـو كان يرغب فـي إنهاء ذلـك الاجتماع وقال: «أنا آسف للغاية أيتها الأميرة، ليس بوسعي استنساخ الذهب لك الآن. لسنا على استعداد للقيام بذلك بعد».

قالت جينا برفضٍ قاطع: «إذن هذا هو كل ما لديك، إنها سـوف تموت».

بـدت علـى مارسـيلوس الصدمـة، ثـم قـال: «من التي سـوف تموت؟».

«المركبة التنينية».

«ماذا؟ المركبة التنينية الخاصة بحُتب رع؟».

أومأت جينا برأسها وقد منعها حزنها من الحديث.

سألها مارسيلوس: «عفوًا لطرحي هذا السؤال أيتها الأميرة، ولكن ما الذي دفعك إلى الاعتقاد بأنها سوف تموت؟».

«لم أستمع إلى دقات قلبها طيلة خمسة أيام حتى الآن. أذهب إليها كل يوم في موجة الصقيع الكبير. قالت العمة زيلدا: إنه ينبغي عليَّ القيام بذلك. وأستطيع أن أسمعها على الرغم من عدم قدرة أحد غيري على القيام بذلك، أفعل ذلك دومًا. والآن... لقد توقفت نبضات قلبها، فلم أعد أستطيع القيام بالشيء الوحيد الذي طلبت مني أمي القيام به».

رأى مارسيلوس في جينا نفس نظرة شبيهتها إزميرالدا عندما ينتابها غضب شديد؛ لذا قرر التقدم بحذر.

سألها برفق: «أخبريني يا جينا، ما الذي طلبت منك سارة القيام به؟».

«ليست سارة، ليست ماما؛ بل أمي. الملكة».

«الملكة؟ هل تحدث شبحها إليك؟».

قال سبتيموس بقدر من الريبة: «نعتقد أننا سمعنا شيئًا ما».

كانت جينا تتعقب بأصبعها تصميم الشمس المنحوت على الطاولة الخشبية القديمة. ثم نظرت إلى مارسيلوس وقالت:

«سبتيموس، لقد استمعت إلى أمي. أعلم أنها هي. لقد تحدث شبحها عندما كنا في غرفة الملكة».

قال مارسيلوس: «أها. إذن إنها أمك، إنه المكان الذي يقيم فيه دائمًا شبح الملكة السابقة».

تساءلت جينا: «فعلًا؟ لماذا لم تخبرني بهذا الأمر من قبل؟».

قال مارسيلوس: «حسنًا، افترضت أنك على علم بذلك».

قالت جينا: «لا. لم يخبرني أحد بأي شيء، ولا حتى أمي».

وقف مارسيلوس ثم قال: «إذن يبدو لي – أيتها الأميرة – باعتباري أقرب قريب لك من أفراد العائلة الملكية، أن الوقت قد حان كي أتدخل. سوف أخبرك بكل ما أعرفه عن أختي العزيزة الراحلة و.. إحم، أمي الأقل منها في المعزة، والتي قد رحلت هي الأخرى لحسن الحظ».

بدت جينا في حالة اندهاش. لم تفكر في مارسيلوس قَطُّ باعتباره أحد الأقرباء، بيد أن الأمر كان صحيحًا؛ لقد كان في حقيقة الأمر خالها الكبير. وعلى حين غرة، شعرت بأن عبئًا ثقيلًا قد انزاح عن كاهليها. ذلك يعني أنها لم تعد المسئولة وحدها عن المركبة التنينية. ثم قالت له وهي تبتسم للمرة الأولى في ذلك اليوم: «أشكرك».

قال مارسيلوس: «يشرفني ذلك يا ابنة أختي، والآن، أقترح الذهاب إلى مرفأ السفن لإصلاحه وفتح منزل التنين».

قالت جينا في حالة من الاستياء: «ولكن لماذا؟ لقد فقدنا **القارورات الثلاثية**، وليس بوسعنا إعادة **إحيائها** إذن». قالت ذلك وهي تتساءل إن كان مارسيلوس قد استمع إلى ما كانت تقوله أم لا.

قال مارسيلوس: «هناك أكثر من طريقة لسلخ القطة».

نفد صبر جينا، فوقفت في حالة من الغضب وهي تجر الكرسي القديم المصنوع من خشب البلوط عبر الأرضية الحجرية. ثم انفجرت فيه قائلة: «توقف عن الحديث بالألغاز يا مارسيلوس».

وضع مارسيلوس ذراعه ليوقف جينا عن الذهاب ثم قال لها: «سامحيني على الكلام الغامض يا أميرة، ما قصدته هو أن هناك أكثر من طريقة **لإعادة إحياء** التنين». ثم وقف ووضع ذراعه حول كتفي جينا: «لقد سُدّ الطريق **السحري** أمامنا؛ ولا تزال لدينا الطريقة الفيزيائية».

كانت جانيت مارتين جالسة في كوخها الذي تكسوه الثلوج والواقع في مرفأ السفن، تطهو يخنة السجق والفاصوليا المفضل لديها، حين رأت ما أدهشها، حيث شاهدت الكيميائي الجديد بالقلعة يسير إلى جوار الأميرة، معهم تلميذ الساحرة العظمى، ثم امتلأت نافذة كوخها الصغيرة للغاية التي يكسوها غبار الثلج باللون الأخضر، لا، إنه ليس ذلك التنين البائس. عندها تمتمت جانيت بإحدى لعنات البحارة، ثم نهضت على قدميها.

أثناء موجة الصقيع الكبير كانت جانيت ترقد في كوخها في بيات شتوي مثل السلحفاة. وكانت تتطلع إلى الأمان والهدوء اللذين تجلبهما رقائق الجليد الأولى. حتى إنها أرسلت تلامذتها والعاملين لديها في رصيف الميناء إلى منازلهم، وانتظرت في حالة من السعادة حتى ذلك اليوم الذي يتجمد فيه الخندق المائي بحيث لا يمكن حتى للزورق البخاري تعكير صفو السكون الذي يخيم على فناء السفن؛ ذلك أنها، طيلة أيام العام، كانت تصل النهار بالليل، كانت تأكل وتنام وتحلم بأعمال الفناء، بيد أن موجة الصقيع الكبيرة كانت بمثابة الإجازة السنوية بالنسبة لها. وخاصة بعدما طعنت في السن صارت جانيت تتطلع بشكل أكبر إلى موجة الصقيع، حتى إنها فكرت مؤخرًا في إغلاق الطريق عبر النفق؛ لئلا يزعجها أحد من القلعة. ولكنها حين رأت ثلاثة من كبار الشخصيات في القلعة يسيرون بجانب نافذة الكوخ الصغيرة التي يكسوها الجليد والتراب، إلى جانب ذلك التنين ثقيل القدمين، تمنت حقًّا لو أنها فعلت ذلك. سمعت قرعًا حادًّا على الباب؛ فكرت جانيت في التظاهر بأنها غير موجودة علهم يرحلون. بيد أن فكرة تجولهم دون إشراف حول الفناء - وحتى أسوأ من ذلك، مثل مرور التنين ثقيل القدمين على أجسام المراكب المقلوبة - دفع جانيت للقيام بفتح الباب قائلة في تذمر: «ماذا؟».

تحدث الكيميائي الجديد بالقلعة وقال: «نهارك سعيد سيدتي مارتين، أنا...».

اتخذت جانيت موقفًا معاديًا وقالت: «لست سيدة أحد أيها الكيميائي» تمكنت جانيت - التي لم تحب الكيمياء يومًا - من جعل صفة «الكيميائي» تبدو كما لو كانت سُبَّة.

«اسمي جانيت مارتين، وأنا لا أرد إلا على من يناديني بجانيت مارتين».

«أها. سامحيني.. يا جانيت مارتين. نعم. بالتأكيد. إحم».

عقدت جانيت - التي كانت أقصر من مارسيلوس بما يقرب من قدم - ذراعيها بشكل عدائي أمامه وهي تحدق فيه رافعة أحد حاجبيها. ثم قالت: «ماذا تريد؟».

نظر مارسيلوس أسفله إلى المرأة الصغيرة النحيلة الملفوفة في معطف البحَّار المصنوع من الصوف السميك ذي اللون الكحلي؛ والذي كان كبيرًا للغاية بالمقارنة بجسدها لدرجة أنه كاد يصل إلى الأرض، وكان يرى بوضوح أنها امرأة عملية. كان شعرها ذو اللون الرمادي المعدني مشدودًا للخلف على هيئة ضفيرة البحَّار التي بدت كما لو كانت عمودية من فرط غضبها، كما كان كل خط من الخطوط القاتمة وحروق الشمس في وجهها تعبر عن مدى استيائها لرؤيته. أخذ مارسيلوس نفَسًا عميقًا. حيث أيقن بأن ما كان ينوي قوله لن يلقى استحسانًا منها.

قال لها: «لقد أتينا لفتح منزل التنين، أنا آسف للإزعاج الذي قد يسببه ذلك لكِ».

نظرت جانيت في اندهاش وقالت: «أتيت لماذا؟».

عندها قررت جينا التدخل وقالت: «حقًّا أنا آسفة يا جانيت، بيد أنني أعتقد أن المركبة التنينية تحتضر. علينا أن ندخل إلى منزل التنين. علينا أن نحاول إنقاذ حياتها».

أحبت جانيت جينا التي ذكَّرتها بنفسها حين كانت فتاة صغيرة ذات شخصية واثقة من نفسها، قيادية ومتحملة للمسئولية. كانت جانيت تظن أن جميع الفتيات ينبغي أن يكنَّ كذلك.

«حسنًا، أيتها الأميرة، يؤسفني سماع ذلك. بالطبع يتعين عليك فتح منزل التنين، على الرغم من عدم علمي بكيفية تنفيذ تلك الفكرة. أنتم تدركون عدم وجود أي فتحات الآن. فقط مجرد جدار صلب».

أومأت جينا برأسها وقالت: «نعم؛ ولهذا السبب قد أتينا بلافظ اللهب معنا».

قالت جانيت بنبرة قاسية: «لقد لاحظت ذلك». ثم نظرت إلى أعلى صوب التنين، فالتقت نظرتها الساخطة بعيني لافظ اللهب الخضراوين اللتين تحيط بقزحيتيهما حلقات حمراء من النار. وهو ما جعل لافظ اللهب ينتقل بغير أريحية من قدم لأخرى؛ حيث راوده شعور بأنه قد ارتكب خطأ ما، على الرغم من عدم تيقنه من

ماهيـة ذلك الخطـأ. كان قد انتهى لتوه من مضغ عظـام البقرة التي أعطاه مارسيلوس إياها، فسقطت كرة كبيرة من اللعاب في طريقها إلى حذاء جانيت المصنوع من جلد الفقمة.

تمكنـت جانيت من تحريـك حذائها في الوقت المناسـب، ثم قالـت: «حسـنًا، أعتقد أنـه إذا كان يتعين عليكم القيـام بذلك، فلا تسمحوا له بدعس أي شيء، هلا فعلتم ذلك؟ أنا لا أريده أن يحطم أي شيء».

انحنـى مارسـيلوس أمامها قليـلًا وقال: «بطبيعة الحال، سـوف نأخـذ حذرنا». تنحنحـت جينا - التي اعتقـدت أن هناك تكلفًا في تلك الانحناءة - واستدارت في طريقها نحو كوخها.

قالت جينا: «شكرًا لك يا جانيت، شكرًا جزيلًا لك».

فرحـت جانيـت قليـلاً ثـم قالـت: «أتمنـى أن تجـدي المركبة الخاصة بك في حالة جيدة، على الرغم من مخاوفك، أيتها الأميرة جينا».

ثـم وقفت على بـاب الكوخ تراقـب المجموعة أثناء سـلوكهم الطريـق عبـر الفنـاء في طريقهـم نحـو جـدار القلعـة حيث كان منـزل التنيـن مخبأً. وبينمـا كانت جانيت تهم بإغـلاق باب الكوخ (وهي تمني نفسها بتناول وجبتها المفضلة من السجق والفاصوليا) رأت لافـظ اللهب على وشـك دعس كومة كبيـرة من الجليد، كان يقف تحتها زورقها المفضل.

صرخت وهي تسارع الخطى بالخروج من الكوخ وتلوح بذراعيها قائلة: «توقف!» إلا أن المجموعة لم تسمعها، رأت جانيت لافظ اللهب وهو على وشك أن يطأ بقدمه، وفجأة تذكرت شيئًا ما من طفولتها، ثم صرخت قائلةً: «تجمَّدوا في أماكنكم!». أفلحت في هذا الأمر، فتوقف جميع أفراد المجموعة في منتصف خطواتهم، بما فيهم ذلك التنين، الذي تأرجحت قدمه الكبيرة على ارتفاع بوصات قليلة من كومة الجليد. ركضت جانيت بسرعة إلى الجليد ثم صرخت: «انتظروا في أماكنكم، لا تتحركوا قدر بوصةٍ واحدة».

وقف لافظ اللهب بقدمه المتأرجحة في تشكك في منتصف الخطوة، وبدا أنه غير مستقر بشكل متزايد، وسرعان ما اندفعت جانيت للوقوف بجانبهم ثم قالت: «لا تخطوا هناك!».

نظر لافظ اللهب صوب جانيت وبدأ في التهادي؛ وهو ما دفع سبتيموس إلى الاعتقاد بأنه قد يسقط في أي لحظة وسيسحق أحد الموجودين.

قال سبتيموس: «اهدأ الآن أيها التنين، ضع قدمك هنا بجوار قدمي». ثم نظر إلى جانيت وقال: «هل من المناسب وضعها هناك؟».

تنفست جانيت الصعداء ثم قالت: «نعم، أشكرك أيها التلميذ».

لهث سبتيموس وقال: «آي!» حيث وضع لافظ اللهب قدمه فوق حذائه.

وبعدها أصرت جانيت على إرشاد المجموعة عبر الفناء، ثم أخبرت الزوار في حسم لا يمكن الجمع بين التنانين وأفنية المراكب أبدًا. وصلوا إلى الجانب الآخر دون أي كسور، وتوجهوا إلى حافة الشق الذي كان - على ما يبدو - عبارة عن مجرى مائي قصير ذي طريق مسدود ويؤدي إلى الخندق المائي، كما ينتهي عند جدار القلعة المرتفع. ونظرًا لعدم تأثر المياه الموجودة في الشق بشكل فعلي بتيارات الخندق المائي؛ فقد تجمدت مياهه في وقت مبكر. وكان الشق - كما أخبرتهم جانيت - سميكًا بالقدر الكافي ليتحمل وزن التنين بسهولة.

لم يكن سبتيموس واثقًا من ذلك، لقد كان لافظ اللهب - كما توحي وطأة قدميه - ثقيلًا للغاية، بيد أن الأمر كان صحيحًا؛ كان الشق هو البقعة المثالية لانطلاق التنين منها بشكل آمن بعيدًا عن ركام مرفأ السفن. وللوصول إلى أقرب نقطة انطلاق بديلة كان يتعين على سبتيموس السير بالتنين الذي بحوزته والعودة به عبر مرفأ السفن، ولم يكن سيستمتع أبدًا بإخبار جانيت بذلك. إذًا ليكن هو الشق.

تسلق سبتيموس إلى صندوق القيادة الخاص بالتنين ثم قال: «تمام، أيها التنين؛ تقدم للأمام. خطوة واحدة في كل مرة، وببطء».

نظر لافظ اللهب إلى الجليد وأخرج أصواتًا كالشخير تعبيرًا عن ارتيابه.

حثه سبتيموس على المضي قدمًا قائلًا: «هيا، أيها لافظ اللهب، ضع قدمك على الجليد».

مد لافظ اللهب قدمه اليمنى الضخمة؛ وكانت قشوره الخضراء تلمع على خلفية الجليد الأبيض الناعم الذي كسا الشق. ثم انحنى من على الحافة الجليدية، ومال للأمام قليلًا، وعلى حين غرة انزلق لافظ اللهب إلى داخل الشق. ثم خرج صوت تأوُّه من أعماق الجليد، وشعر سبتيموس بتغير السطح الواقع أسفل قدم التنين.

صرخ في وجه لافظ اللهب قائلًا: «إلى أعلى!» إلا أن صرخته ذابت مع صوت التصدع الذي انتشر عبر الجليد مثل صوت تمزيق آلاف الأوراق. لم يكن لافظ اللهب بحاجة إلى أن يحثه أحد على الارتفاع. حيث دفع أجنحته للأسفل بما يكفي لرفع وزنه عن الجليد في ذات اللحظة التي سقط فيها الجليد أسفل قدميه. وفي رذاذ من شظايا الجليد والثلوج أصبح لافظ اللهب وسبتيموس محمولين في الجو.

شاهد كل من جينا ومارسيلوس وجانيت لافظ اللهب أثناء نهوضه وتوجهه ببطء نحو الجدار الخالي الواقع في نهاية الشق. انبهرت جانيت، التي تقدر مدى صعوبة المناورة بمركبة غريبة

الشكل في مثل تلك الأماكن الضيق. وعندما كان لافظ اللهب على بعد أقدام قليلة من الجدار توقف ورفرف بجناحيه حتى كان أنفه في مستوى ارتفاع القرص الذهبي اللامع الموجود داخل جدار القلعة. وكان القرص أعلى صف من الأحجار المكسوَّة المصفوفة على شكل قوس رائع الجمال خلال جدار القلعة، كان ذلك هو الدليل الوحيد على المدخل السري المؤدي إلى منزل التنين.

بث ذلك الحماس في نفس سبتيموس؛ ما من شك في أنه سيتمكن بمساعدة لافظ اللهب من تحويل **النار** إلى حقيقة، بدلًا من مجرد تدريبات الجري لمحاولة إصابة الهدف **الناري** المعدني في ساحة التنين. كان من المتوقع أن يؤدي ذلك بالفعل إلى شيء ما، حيث كان سيؤدي إلى فتح منزل التنين. وبعدها كبح جماح لافظ اللهب ومسح على رقبته ثم صرخ: «إشعال!».

على إثر ذلك، بدأت قعقعة عميقة داخل بطن لافظ اللهب **الناري** حيث تم استخلاص مادة الفوسفور من العظام التي كان سبتيموس قد أطعمه إياها على عجل في طريقه نحو مرفأ السفن، ثم تحولت إلى الغازات التي يمكنها الاندماج وإشعال **النار**. تصاعدت سحابة من الغاز عبر المريء **الناري** للافظ اللهب واصطدمت بالهواء الذي اشتعل على الفور وصحبه صوت مرتفع ووووووومف! ثم انطلقت نفثة رفيعة وهاجة من **النار** من فم

التنيـن نحو مركز القـرص الذهبي بالتحديد. عندها توهج القرص وتحـول من اللون الذهبي الباهت إلـى اللون البرتقالي الداكن، ثم إلـى الأحمـر البـراق، ثم إلـى الأبيض السـاطع. ثم خـرج وميض مفاجئ باللون الأرجواني اللامع؛ وهو ما دفع كل الموجودين إلى الإحجام وإغلاق أعينهم؛ بما فيهم ذلك لافظ اللهب.

وعندمـا فتح المتفرجـون الواقفون بجانب الشـق أعينهم لهث جميع الحاضرين على نحو جماعي وحاد. لقد تلاشى الجدار وتم الكشف عن منزل التنين؛ وكان عبارة عن كهف شاهق مقبب مبني من مادة اللازورد ومكسوٍّ بالكتابات الهيروغليفية الذهبية. وأسفل ذلك الكهف كانت المركبة التنينية مثبتة في أعماق الجليد الأزرق، ورأسـها مسـتندًا إلى ممر رخامي، حيث وُضعت منـذ ثلاثة أعوام مضت تقريبًا.

خرجـت صرخـة مفاجئـة قادمـة مـن الأسـفل؛ حيـث نظـر سـبتيمـوس إلى الأسفـل ليرى جينـا تجـري باتجـاه منزل التنين.

وبعدهـا اسـتمع إلـى صرخـة جينـا وهـي تقـول: «إنهـا مغطاة بالجليد! لقد ماتت».

12

غرفة القلب

هبط سبتيمـوس بلافظ اللهب في المساحة الواسعة أعلى منزل التنين حيث كانت جينا تستمع إلى دقات قلب التنين. ولم يدرك سبتيموس أن ما ظنه جزءًا تمت إزاحة الجليد عنه كان في حقيقته جليدًا أسود إلا بعد أن لمس لافظ اللهب الأرض بقدميـه. فمـا إن لـمس الأرض حتى اختفت قدما لافظ اللهب من تحته، ليهبط بعدها بصوت مجلجل على بطنه السميك المبطن وينزلق بعدها في سرعة فائقة نحو الأسـوار. وبعد مرور لحظة، تلاشت الأسوار، مرسلةً بذلك انهيارًا ثلجيًا من الأحجار الهائلة أسفل الشق. ولم تكن سوى مخالب لافظ اللهب المحفورة داخل الجليد، إلا أن فرملة رائعة من ذيل التنين هي التي أوقفت

سبتيموس وتنينه وحالت دون سقوطهما في أعقاب الأحجار باتجاه الشق بالأسفل.

كان يتابـع ذلـك المشـهد وجـه مبتهـج يطـل من إحـدى نوافذ السـطح. ثم صـرخ الولد قائلًا: «جدتي، جدتـي؛ إنه لافظ اللهب! انظري !».

وكانت جدته أقل حماسًـا منه حيث قالت: «بوسـع ذلك الذيل أن يكسر جميع النوافذ».

انزلـق سـبتيموس من صندوق القيـادة وربت على أنـف التنين قائلاً: «لقد أبليت بلاءً حسنًا، يا لافظ اللهب. عد إلى منزلك!».

بيـد أن لافظ اللهب لـم تكن لديه الرغبة في العودة إلى المنزل. لقـد رأى تنينًا آخر في الأسـفل، وكان يرغب في لقائه؛ لذا هز ذيله تعبيرًا عن رفضه الانصراف.

صـرخ الفتى الصغير مـن فرط الإثارة، ثم فتحـت جدته النافذة وصرخت: «كن حذرًا!».

صـاح سـبتيمـوس قائـلًا: «آسـف!». ثم نظر إلـى تنينـه العنيد واسـتأنف الهمس بينه وبين لافظ اللهب. والآن تفهم السبب وراء رغبـة لافظ اللهب فـي البقاء. وضع سـبتيموس يده علـى أذنه في إشـارة إلـى لافظ اللهب للاستماع إليه. على إثر ذلـك أنزل لافظ اللهب رأسـه في طاعة كي يتسـنى لسـبتيمـوس التحـدث إلى أذن التنين التي نزلت إلى مستواه.

«يـا لافظ اللهـب، التنينة مريضـة للغاية، وربما تكـون في حالة احتضار. إذا ما بقيت هنا، فعليك الحفاظ على الهدوء بشكل كبير، لا يجوز لك أن تتحرك، غير مسموح بمجرد هز الذيل، ولا خدش المخالب، ولا الشخير، ولا أي شيء. هل تفهم ما أقول؟».

غمز لافظ اللهب بعينيه مرتين تعبيرًا عن الموافقة. ثم رقد على الجليـد، وأرخـى رأسـه بحزن فـوق أحـد المتاريس؛ وجـود تنين يحتضـر كان أمرًا فظيعًا. ربت سـبتيمـوس على رقبة لافظ اللهب تاركًا إياه في مراقبة الجدة المتوترة وحفيدها المتحمس.

كان صدى صرخة جينا «لقد ماتت» لا يزال يتردد في أذنيه، نزل سبتيموس مسرعًا إلى الأسفل عبر مخرج ضيق من درجات السلم الحجرية المؤدية إلى الجانب المقابل من الشق. وبينما كان يسلك طريقه على طول أسفل الجدار نحو منزل التنين؛ أنبأته تلك الحركة الخافتة وبرودة الهواء أنه يسـير عبر حشـد من الأشباح. ومن تلك الأجـواء المتحفظـة الرسـمية، خمَّـن سـبتيموس أن هذا الحشـد لمجموعة من الملكات والأميرات القدامى اللاتي يراقبنه بقلق.

تحرك سـبتيمـوس ببطء عبر الأشباح باتجاه مدخل منزل التنين المفتـوح، وكان بوسـعه الآن أن يـرى ما كشـفت عنه نيـران لافظ اللهب. كان المشـهد جميلًا ومخيفًا، حيث رقدت المركبة التنينية - بلونهـا الأبيض الناصع - على خلفية من منزل التنين المبني من

اللازورد الأزرق الداكن. كانت ترقد في ثبات الموتى، وقد غلفتها طبقة من الجليد.

ثم ظهرت أشـعة ضوء من شـمس الشـتاء جعلت الجليد يبرق بحركة خفيفة، حتى إن سبتيموس ظن لوهلة أن الأمور كانت على خيـر مـا يـرام، وأن المركبة التنينيـة لا تزال تتنفس. بيـد أن وجهي مارسـيلـوس وجينـا، وحتى وجـه جانيت مارتين - التي يعتريها القلق على الجانب الآخر من الشق - أخبرته بغير ذلك.

سار سبتيموس مسرعًا عبر ما تبقى من الجليد، ووصل إلى مرفأ السـفن فـي الجانب الآخر من الشـق، وتبع مارسيلوس وجينا في أجـواء البرودة داخل منزل التنين. ذكره الهواء في الداخل بالأنفاق الجليدية.. سـاكن وغريب ومتجمد. ثم سـلك سـبتيموس طريقه على طول الممر الرخامي الجليدي، وانضم إلى جينا ومارسيلوس، حيث كانا يقفان ونظر إلى أسفل نحو رأس المركبة التنينية.

كانت تلقي برأسـها فوق إحدى البسـط المفروشـة على الممر الرخامي، وقد ظهرت انحناءات رقبـة المركبة التنينية، والتفاصيل الرائعة لقشورها، وملامح رأسها المعقدة جميعها من طبقة الجليد المتجمد التي تحيط بها، تمامًا مثل المنحوتة الرائعة. في الحقيقة، بدا الأمر لسـبتيموس كما لو كانت التنين قد تحولت إلى قطعة من الرخام، فقد بدت باردة ومتحجرة تمامًا.

هز مارسيلوس رأسه لسبتيموس وقال: «كنت أشرح لجينا للتو أن التنيـن من الزواحف التي تحتوي على دماء تتعرض للبرودة بيد أنهـا لا تتجمد، تلك الدمـاء قد تجعلها في حالـة عميقة من فقدان الوعـي، ومع ذلك لا يزال بوسـعها العودة للحيـاة. بالتأكيد، يقول البعـض: إن دمـاء التنين بها حرارة خالـدة لا تنضب. وما أقوله أنا: من الجيد أنها مغطاة بطبقة من الجليد».

لقـد أصبـح ذلك مفهومًـا لدى سـبتيمـوس، بيد أنـه من خلال تعبيرات جينا كان بوسـعه أن يرى أن مارسـيلوس بحاجة إلى مزيد من الإقناع.

قال مارسيلوس: «إذن، هلا صعدنا على متنها؟».

«متنهـا؟» وكانت فكـرة الدخول إلى المركبـة التنينية قد أثارت شـعورًا بعدم الراحة لـدى جينا. بدا الأمر بالنسـبة لها ينم عن عدم الاحترام، تمامًا كالسير فوق القبور.

«هذا أمر طبيعي. هذا ما نحتاج إلى القيام به، أو لنقل: إن هذا ما يجدر بك القيام به».

«أنا؟».

«الملـكات هن اللائي يملكن اللمسـة المطلوبة. كما إن لديك قارورة **الإنعاش** الصغيرة على ما أعتقد».

أخرجـت جينا القارورة الخضراء الصغيـرة للغاية من جيبها ثم قالـت: «أوه!» وقـد كتـب علـى الملصـق الصغيـر **إعـادة الإحياء**

الثلاثية. «إذن، هل بوسعي استخدامها حتى بدون القارورات الثلاثية؟».

«بالطبع، هناك أكثر من طريقة لاستخدام قارورة إعادة الإحياء».

«إذن، ما الذي أفعله؟ هل أضعها على أنفها أو شيء من هذا القبيل؟».

قال مارسيلوس: «شيء من هذا القبيل». وبحرص شديد، صعد على متن المركبة التنينية، ومد يده لجينا التي أمسكت بها وصعدت بخفة إلى جواره، ثم تبعهما سبتيموس.

تحرك مارسيلوس في وقار نحو مركز سطح المركبة، حيث كان هناك زوجان من الأبواب الصغيرة للغاية مؤديان إلى كابينة مغلقة. لم يتمكن أحد من قبل من فتح تلك الأبواب. وعندما قامت جانيت بإصلاح المركبة، أقلقها كثيرًا حقيقة وجود جزء من المركبة لم تتمكن من الدخول إليه. وفي بعض الأوقات تراءى لها أن هناك أصواتًا تنبعث من الداخل.

جثا مارسيلوس على ركبتيه أسفل الأبواب التي كانت بالكاد مرئية عبر الجليد. وفك شاله المخملي الأسود، وفرك الجليد برفق حتى أصبح خاليًا من الجليد الرمادي، ثم دقق النظر عبر السطح الجليدي الزجاجي المؤدي إلى الأبواب الغامضة

اللازوردية بالأسفل ذات اللون الأزرق السماوي. «أيها التلميذ؛ أتساءل إن كان بحوزتك ما يمكننا من إذابة هذا الجليد».

التقط سبتيموس إحدى بقايا الشموع من جيبه ثم قال: «لدي برميل بارود. يمكنني إشعاله».

تنهد مارسيلوس وقال: «سوف يستغرق ذلك ساعات أيها التلميذ. هل لديك أي شيء آخر؟».

ابتسم سبتيموس؛ حيث كان مارسيلوس يصر على عدم ممارسته للسحر أثناء عمله كتلميذ له، ثم قال: «هل تقصد شيئًا ما مثل تعويذة سحرية؟».

«لا بأس باستخدام تعويذة سحرية، أشكرك».

جثا سبتيموس على ركبتيه بالأسفل بجانب مارسيلوس ووضع يديه على الجليد الذي كسا الأبواب.

وباستخدام باطن كفيه الذي كان مهددًا بأن يلتصق بسرعة، تفوه مسرعًا بإحدى تعويذات الإذابة البسيطة، ثم مال بوزنه على يديه وضغط بقوة. عندها شعر بانتشار الحرارة المنبعثة من باطن كفيه داخل الجليد، وسرعان ما تكونت حفرتان على شكل يدين في الجليد، أخذ الماء يجري داخل أكمامه ويديه إلى أن وصل إلى الخشب الناعم الموجود بالأسفل. نهض سبتيموس على كعبيه ثانية، وأخذ يحك يديه المتجمدتين ليعيد الدفء إليهما، وأخذ

يراقب انسحاب الجليد كاشفًا عن بابين لامعين مَطْليين باللون الأزرق، وعلى كل منهما رمز بسيط للتنين داخل شكل حلقي.

قال مارسيلوس: «توقف الآن، أعتقد أنه من الأفضل لنا الإبقاء على انخفاض درجة الحرارة حتى نكتشف ما... ما الذي نتعامل معه».

قالت جينا: «تقصد حتى نكتشف إذا ما كانت قد ماتت أم لا؟».

قال مارسيلوس: «أنا شخصيًا لا أعتقد أنها قد ماتت. الآن علينا فتح الأبواب».

هز سبتيموس رأسه ثم قال: «الأبواب لا تفتح. في الحقيقة؛ أعتقد أنها أبواب زائفة.. فقط مجرد قطعة واحدة من الخشب».

«هذا هو الشكل الذي صنعت لتبدو عليه أيها التلميذ. بيد أنها ليست كذلك. لقد قمت بفتحها ذات مرة من قبل».

تساءلت جينا: «متى فتحتها من قبل؟».

أجاب مارسيلوس: «أنَسيتِ أنني كنت متزوجًا من إحدى الحارسات».

ثم خلع مارسيلوس القرص الذهبي الثقيل المعلق حول رقبته - وهو **المفتاح** الكيميائي الخاص به - ووضعه في المسافة الفارغة الضئيلة عند التقاء البابين وهو يقول: «لقد انتابت عزيزتي برودا تلك الحالة من الذعر والقلق مثلك أيتها الأميرة».

«أنا لست قلقة».

«أثناء إحدى موجات الصقيع الكبيرة كانت أيضًا على يقين بأنها... أها، ها هي الأبواب تفتح!».

جثا كل من جينا وسبتيموس على ركبتيه بجوار مارسيلوس وشاهدا الأبواب وهي تنفتح كاشفةً عن ظلام عميق يشوبه الاحمرار. وبحذر شديد مال مارسيلوس للأمام ونظر إلى الداخل، ثم عاود الجلوس على كعبيه وأشار لجينا بأن تقترب. قال لها هامسًا: «هل بوسعك الاستماع إلى أى شيء الآن؟».

مالت جينا للأمام من خلال الباب المسحور المؤدي للظلام. وقد أثار الإحساس بالتواجد في أعماق المركبة التنينية الرعب في نفس جينا، حيث كان بوسعها اشتمام رائحة مثل الحديد الدافئ؛ كانت رائحة غنية وغريبة؛ مما جعلها تشعر بقليل من الغثيان. ثم همست متسائلة: «هل هذا هو مكان قلبها؟».

أومأ مارسيلوس برأسه وقال: «لننتظر دقائق قليلة، حيث ينبض قلبها ببطء عندما يكون الجو باردًا للغاية».

وتمامًا مثل الجراحين المتجمعين حول المريض على منضدة العمليات، قبع الجميع في انتظار سماع دقات قلبها.

أخرج مارسيلوس ساعة الزمن التي بحوزته، ونظر إلى عقرب الثواني الذي يتحرك. أكمل العقرب ثلاث دورات كاملة، ثم أربعًا، ثم خمسًا.

قالت جينا بحزن: «لا شيء... لا شيء».

قال مارسيلوس بحدة: «لا شيء، أنت على حق أيتها الأميرة. بالطبع».

قالت جينا في يأس: «لقد ماتت ... لقد ماتت».

«أنا لا أعتقد ذلك، إن كانت قد ماتت؛ فأعتقد أنها كانت ستكون قد تجمدت تمامًا، بيد أنه من المحتمل أن تكون على وشك الموت».

نظر مارسيلوس صوب جينا، وكان في عينيه تعبير جاد ثم قال: «كما قالت أمك بالضبط؛ أنت وحدك القادرة على إنقاذها».

«لكن كيف ؟».

«إنه أمر تتناقله الملكات واحدة تلو الأخرى».

«لم ينقل لي أحد شيئًا».

حاول مارسيلوس أن يهدئ من روعها ثم قال: «أعلم ذلك، ولكن بوسعي أن أخبرك بالأمر. في ذلك اليوم عندما لم تعد لدى زوجتي برودا القدرة على الاستماع إلى دقات القلب في موجة الصقيع الكبير، ذهبت للاستعانة بأختي إزميرالدا - التي كانت ملكةً حينئذٍ - وأتيت مع إزميرالدا التي كانت دائمًا تخشى السير في طريق الملكات، ثم شاهدت ما فعلته إزميرالدا». وبعدها ابتسم مارسيلوس ابتسامة متجهمة ثم قال: «ولقد ارتبكت كثيرًا عندها».

تساءلت جينا في توتر: «لماذا؟». في بعض الأحيان كان يراودها شعور بأن مارسيلوس كان يتمتع بذلك الغموض.

«سوف أخبرك».

فيما كان مارسيلوس يقوم بتوضيح الأمر، تعاطفت جينا كثيرًا مع إزميرالدا، وكذلك سبتيموس.

أنهى مارسيلوس حديثه قائلًا: «والآن، أيتها الأميرة، يتعين عليك أيضًا دخول غرفة القلب».

نظرت جينا صوب الظلام الذي يشوبه الاحمرار وراء البابين الصغيرين، وللحظة من اللحظات تمنت لو لم تقم بطلب المساعدة من مارسيلوس، فمثل غالبية ملكات وأميرات القلعة؛ كان لدى جينا ذلك الجانب الشديد الحساسية لأقل الأشياء، وفي تلك اللحظة كانت تشعر بالغثيان بالفعل. بيد أنه يتعين عليها القيام بالمطلوب منها. أخذت نفسًا عميقًا، ثم انحنت من خلال الفتحة المنخفضة وتسللت إلى الداخل، حيث وجدت الضلع الكبير والمنبسط الذي كان مارسيلوس قد وصفه لها، زحفت عليه بحذر شديد، ثم أدركت جينا أنه في الأسفل يرقد قلب المركبة التنينية.

واتباعًا لتعليمات مارسيلوس؛ وضعت جينا قطرات قليلة من **مادة إعادة الإحياء الثلاثية** اللامعة الزرقاء اللون على راحة يدها وقامت بفركها بين يديها. سرعان ما انتشرت رائحة النعناع الطازجة لتغطي على رائحة اللحم المنبعثة من الغرفة؛ وهو ما قضى على شعورها بالغثيان. مدت يدها في ذلك الظلام الدامس، إلى أن لمست بيديها سطحًا قويًا، كان باردًا ولكنه لم يكن متجمدًا، ولم

يكن لزجًا كما ظنت جينا. حتى إنها شعرت بأنها تلمس حصانها، دومينو، في ليلةٍ باردة.

وكانت تعرف أن ذلك هو قَلْب المركبة التنينية، مدَّت جينا كلتا يديها، وتدلت إلى الأمام ومالت بكل وزنها على القلب لثوانٍ قليلة، ثم أزالت الضغط. وقامت بتكرار ذلك مرتين، ثم عاودت الجلوس وانتظرت. لم يحدث شيء، عدَّت جينا من واحد لعشرة ببطء ثم عاودت الأمر مجددًا. واحد... اثنان... ثلاثة... ثم انتظرت مرة أخرى ولم يحدث شيء أيضًا. نزلت جينا للأمام للمرة الخامسة ومالت بكل وزنها على القلب الساكن لثوانٍ قليلة؛ أملًا منها في استجابته. ثم قامت بالعد مرة أخرى: واحد... اثنان... ثلاثة... لا انتظري، يجب أن أعد إلى عشرة والاستعداد للبدء مرة أخرى. وبينما كانت في طريقها إلى الانتهاء من العد حتى الرقم عشرة؛ شعرت جينا بأن شيئًا ما يحدث في الأسفل في الظلام. خفقة، انتفاضة خفيفة وبعدها سرى صوت نبضة بطيئة في أرجاء الغرفة. عندها خرجت جينا من الأبواب بأقصى سرعة.

همست بحماس: «لقد نجحت...لقد نجحت ... لقد نبض قلبها للتو بالفعل. إنها لا تزال على قيد الحياة»!

قال مارسيلوس بابتسامة: «أنت ملكة حقيقية، لم يكن بوسع أحد القيام بذلك سواك. أقترح الانتظار للاستماع إلى نبضة أخرى قبل إغلاق الأبواب؛ فقط للتأكد».

انتظروا، ثم انتظروا. قال مارسيلوس هامسًا: «دقيقتين». فتردد صدى همسه في الكهف بعدما انتابه شعور بأنه يتعين الانتظار عشر دقائق على الأقل بالنسبة لجينا. «ثلاثة... أربعة..».

وأخيرًا، تكرر صوت النبضة مرة أخرى في أرجاء منزل التنين.

همس مارسيلوس: «أشكرك يا إلهي. والآن، دعونا نغلق الأبواب بسرعة. فمن الخطر تعريض تلك المناطق الدقيقة والحساسة للهواء». وضع مارسيلوس المفتاح الذي بحوزته على الأبواب ليغلقها مرة أخرى. ثم قال لسبتيموس: «أعتقد أنه يمكنك وضع الجليد عليهما ثانية أيها التلميذ».

تساءل سبتيموس بابتسامة: «هل تقصد أن أستخدم **تعويذة للجليد**؟».

قال مارسيلوس الذي أصبح الآن - مثل مارشا - ملمًّا باللغة العامية التي يتحدثها سبتيموس: «أيًّا كان الأمر».

ترامى إلى سمعهم صوت نبضة أخرى من نبضات التنين.

نطق سبتيموس تعويذته، فتسللت طبقة جديدة من الجليد على الأبواب. خرج كل من مارسيلوس وجينا وسبتيموس من المركبة التنينية وساروا على طول الممر المؤدي إلى مرفأ السفن المتجمد الساطع، حيث كانت جانيت مارتين بجسمها الهزيل النحيل في انتظارهم. وفيما كانوا في طريقهم أسفل الممر الرخامي سمعوا

صوت حفيف أوراق الخريف تحييهم، والذي لم يكن سوى صوت تصفيق من حشد من أشباح الملكات والأميرات.

تررررم.

تفرق الأشباح لفتح الطريق أمامهم، وهم يتناقلون كلمات الإعجاب بقدرات جينا الملكية.

لم يعد بوسع جدتها الملكة ماتيلدا – التي تركت ابنتها عابسة في البرج – المقاومة بعد الآن؛ لذا فقد قامت **بالظهور** لجينا، وقالت لها: «لقد أبليت بلاءً حسنًا، يا عزيزتي».

بدت الصدمة على جينا، فلم يحدث أبدًا أن تحدث إليها أي شبح من أشباح الملكات – فيما عدا شبح إثيلدريدا. لقد كان هناك، كما تعلم من الفصل رقم 133 من قواعد الملكة – حظر على تحدث الأشباح إلى الأميرات والملكات اللاتي على قيد الحياة. وقد تم النص على ذلك الحظر لسبب وجيه متمثل في كون جميع الملكات على قناعة بأنهن الأعلم بالأفضل ولن يترددن في إخبار الملكة المتقلدة للمنصب بذلك. بيد أن الملكة ماتيلدا – التي كانت قد راقبت حفيدتها منذ يوم ولادتها – لم يكن بوسعها البقاء صامتة بعد الآن. فما من شك أن حفيدتها تحتاج إلى معرفة أنها قد أبلت بلاءً حسنًا، وقد عزمت الملكة ماتيلدا على إخبارها بذلك؛ لذا فقد ربتت برفق على ذراع جينا، وابتسمت ثم قالت: «سوف تكونين ملكة عظيمة».

قالت جينا: «أوه! أشكرك!».

ترررم.

إلا أن شهقة جانيت المفاجئة قطعت عليهم سكون تلك اللحظة، حيث صرخت قائلةً: «إنائي الساخن!». وانطلقت ركضًا عبر الفناء، ومالت وهي تقفز فوق المراكب المقلوبة صوب كوخها. كانت هناك سحابة من الدخان الأسود تتصاعد من المدخنة الموجودة في السطح، وفجأة أصبح بوسع كل الموجودين اشتمام رائحة حريق.

ذهب سبتيموس لتقديم المساعدة.

وفي خلفية من لعنات البحَّارة وصوت هسيس الوعاء المعدني في الجليد؛ نظر مارسيلوس وجينا إلى المركبة التنينية التي تستلقي بلونها الأبيض في سكون مهيب في زرقة منزل التنين.

ترررم.

قالت جينا: «لا أريد إحاطتها بسور مجددًا. أريد أن أكون قادرة على المجيء والتحدث إليها، كي أراقبها تمامًا مثلما كانت ستفعل العمة زيلدا لو كانت هنا».

قال مارسيلوس: «أتفهم ذلك أيتها الأميرة، بيد أنه يجدر بك طلب النصيحة من الحارسة أولًا».

لم تكن جينا على يقين من ذلك، ثم قالت: «العمة زيلدا تنسـى الكثيـر مـن الأمـور الآن، لا أعلـم إن كانـت لا تزال تعـرف ما هو الأفضل بعد الآن».

وكان مارسـيلـوس لا يزال غاضبًا من مارشـا، بيد أنه كان على علم بأنه يتعين عليه إسداء النصيحة المناسبة لجينا قدر المستطاع؛ لذا قال لها: «إذن اسألي مارشا، سوف تعرف بالتأكيد».

أخذ سـبتيموس لافظ اللهب الممانع بشـدة وأعاده إلى سـاحة التنيـن الخاصـة بـه، وقـام بترتيـب لقاء مـع جينا بجانـب القـوس العظيـم. أمـا جانيـت فقد عـادت إلـى كوخهـا، وأغلقـت الباب، وشرعت في طهي يخنى السجق والفاصوليا للمرة الثانية.

* * *

وفـي وقت متأخـر من تلك الليلة، اكتشـفت جانيت لدهشـتها وجـود تنينين في مرفأ السـفن. كان لافظ اللهـب قد عاد وجلس – فـي هـدوء تام – عند مدخل منزل التنين. لم تكن جانيت مسـرورة بذلك، بيد أنه كان هناك شيء ما حيال التنينين معًا لمس مشاعرها. لقد بدا الأمر في الغالب – في ظنها– كما لو كانا أُمًّا وابنَها.

13

عودٌ حميدٌ

كان شبح ألثر ميلا - وهو ساحر أعظم سابق ومعلم أيضًا - في العُلِيَّة في المكتبة الهرمية برفقة مارشا. وكان وجود ألثر في حد ذاته مخالفًا للأعراف والتقاليد السائدة بعدم عودة أشباح السحرة الأعظمين السابقين إلى برج السحرة، بيد أنه في أعقاب وفاة معلمها الخاص القديم - الذي كان له آثار صادمة عليها - افتقدت مارشا ألثر كثيرًا حتى إنها بعد إطلاق سراحه بعد قضاء عام ويوم في المكان الذي دخل فيه



إلى عالم الأشباح؛ طلبت مارشا من ألثر العودة مجددًا إلى برج السحرة، واستخدامه كما كان يقوم في السابق وهو على قيد الحياة. ولم تندم أبدًا على ذلك.

كان الشبح ذا القامة الطويلة والملابس الأرجوانية والشعر الأبيض المربوط للخلف في شكل ذيل حصان، يحتضن بين يديه كتابًا ضخمًا ذا صفحات ورقية رقيقة، كان يقلبها بخفة واحدةً تلو الأخرى. كان يقدم يد العون لمارشا في البحث عن شيء ما – أي شيء – بوسعه تفسير ظاهرة برك الماء تلك، ولكن دون جدوى، حيث إنهما لم يعثرا على شيء. بيد أنه لم يكن بوسع مارشا التخلص من ذلك الشعور الذي كان يراودها بأن شيئًا ما يحدث أسفل القلعة، وهو ما كان يتسبب لها في كوابيس؛ حيث كانت مشاهد النيران المشتعلة التي تخرج عن السيطرة، والوحوش القادمة من الأعماق تطاردها دومًا في المنام.

كانت مارشا على علم بأن كل ما يتعلق بما يكمن تحت القلعة محفوظ إما في دار المخطوطات أو في المكتبة الهرمية. وكان بيتل قد أجرى بحثًا كاملًا على ذلك القسم الموجود في الأقبية، ولم يعثر على شيء سوى مخطط منافذ التهوية الذي بحوزته؛ لذا فإن أي معلومات – مهما كانت – كان لا بد أن يتم العثور عليها في المكتبة الهرمية.

وما أثار حيرة مارشا هو أنه على الرغم من عدم عثورها هي وألثر على أي شيء إيجابي فإنهما اكتشفا غياب بعض المحتويات. ففي كثير من فهارس الأرفف كانت هناك فجوات لا مبرر لها، ووصل الأمر إلى عدم وجود صفحات كاملة.

وكان القسم الكيميائي - في معظمه - غير موجود بخلاف بعض الكتب التمهيدية الأساسية للغاية بالنسبة للطلاب، كما أن الملاحظات المتعلقة بالأنفاق الجليدية لم تؤرخ إلا للفترة التي أصبحت فيها تلك الأنفاق متجمدة في أعقاب الكارثة الكيميائية الكبيرة، وهو أمر غريب للغاية، وفقًا لما قاله ألثر؛ لأن هذه الملاحظات قديمة قدم القلعة ذاتها. بدا الأمر لكل من مارشا وألثر أن هناك جزءًا كبيرًا من تاريخ القلعة قد تم طمسه بشكل ممنهج. وبدأت مارشا تشك في وجود علاقة ما بين ضياع تلك المعلومات عن النار ومنافذ التهوية. وراودها اعتقاد بأنهما لا بد وأن يكونا جزءًا من نظام واحد، ومن ثم تمت إزالتهما في ذات التوقيت. والسؤال: لماذا؟

كان ألثر يقلب بين يديه صفحات فهرس آخر، حين قال: «الشيء المضحك في الأمر، يا مارشا، هو أنك لن تحسي أبدًا بفقدان بعض الأشياء ما لم تبحثي عنها».

وافقته مارشا الرأي قائلة: «بالضبط، وإذا لم يكن لديك علم بها من الأساس؛ لما كنت ستبحث عنها، أليس كذلك؟».

قال ألثر: «إذا سألتيني، فأعتقد أن الإجابة تتلخص في أن أحدهم قضى فترة طويلة هنا، وقام بشكل ممنهج بإزالة أي شيء متعلق بالكيمياء والمنشآت القديمة المبنية تحت القلعة. لا بد أنه كان ساحرًا أعظم؛ فما من شخص آخر يمكنه الدخول إلى هنا. ولكنني أتساءل من يكون؟»..

قالت مارشا: «دعنا نسأل عن الأهم، السؤال هنا هو عن السبب وراء ذلك؟».

ثم أطاحت مارشا بكومة من الكتيبات للأسفل وهو ما أثار سحابة من الأتربة مرت عبر شبح ألثر. همهم الشبح قائلًا: «رويدك يا مارشا. أعاني من حساسية تجاه الغبار».

ضحكت مارشا وقالت: «لا يمكن أن تكون كذلك يا ألثر. أنت شبح».

نظر ألثر إليها بقليل من الاستياء. فلم يكن من اللياقة والأدب تذكير أحد الأشباح بانتمائه إلى عالم الأشباح. ثم قال متأففًا: «أنا كذلك، منذ أن كنت في سوق التنين المخصص للأشباح».

قالت مارشا: «هو ليس شبحيًا تمامًا، لقد اشتريت منهم سجادة رائعة للغاية في أحد تلك التخفيضات. أوه، يا مرحبًا!».

تأرجح الباب الصغير المؤدي إلى المكتبة وفُتح ليدلف كل من سبتيموس وجينا إلى الداخل.

قالـت مارشـا: «يا له مـن أمر رائـع أن أراكمـا»، نظرت صوب التلميذ الذي لم تره منذ عدة أسابيع. ثم قالت: «أوه، يا سِبتيموس، تبدو شاحبًا للغاية».

واجه سبتيموس وابلًا من الأسئلة حول ما إذا كان يتناول الطعام كما ينبغي، وما إذا كان لا يخرج أبدًا في النهار، ثم ذهب سبتيموس للحديـث مـع ألثر، تـاركًا جينـا لطلـب النصيحة من مارشـا حيال المركبة التنينية.

وبعد مرور عشـر دقائق، خرج كل من سبتيموس وجينا ومارشا إلى الممر، في انتظار تغيير اتجاه درجات السـلم. وكانت السلالم قـد تم ضبطها على الوضعية البطيئة؛ نظرًا لوصول والدين من كبار السـن لأحد السـحرة، وقد تحلت مارشـا بأدب جـمٍّ حيث قامت بانتظارهما ريثما يترجلان عن السلالم.

راقـب سـبتيموس الأجزاء الأفقيـة من درج السـلم ذات اللون الفضـي أثناء ارتفاعها بشـكلٍ بطيء؛ في الوقت الذي تسـللت فيه أشـعة الشـمس بئر السـلم ببطء عبـر الزجـاج الأزرق السـماوي والموجـود فـي نافـذة بئر السـلم، والتـي ألقت بظـلال رائعة على درجات السلم ذات اللون الفضي. كان يحب تلك الفترة من اليوم في برج السحرة؛ كان هناك شيء ما **سحري** يتعلق بشمس الغروب التـي كانـت تختـرق المكان عبـر النوافذ. التقط سـبتيموس نفَسًـا

عميقًـا يستنشـق فيه عبق السـحر الحلـو الممزوج برائحة خشـب الصندل الجميلة.

قالت مارشا فجأة: «هل رأيته يتصرف بشكل مريب؟».

قال سبتيموس: «ها؟».. حيث كان ذهنه سارحًا مع السحر.

«مارسيلوس، هل لاحظت عليه أي شيء... غريب؟».

وكان ذلك سؤالًا يصعب على سبتيموس الإجابة عنه؛ ذلك أن الكثيـر مـن الأمـور التـي يقوم بهـا مارسـيلوس يمكن النظـر إليها باعتبارها غريبة، لا سـيما من قبل مارشا. بيد أن سبتيموس لم يكن يحب سرد القصص».

قال لها: «لا».

غيرت السلالـم اتجاهها فقفزت مارشا عليها، ثم قالت: «أتطلع قدمًا إلى رؤيتك هنا مجددًا في مساء الغد يا سِبتيموس». ثم نظرت نظـرة حادة صوب تلميذها وهو يتراجع إلـى الوراء كي يتيح لجينا القفز على السلم قبله. وقالت: «ليس من المفيد لك أن تظل مدفونًا تحت الأرض مثل الخلد».

وكانت مارشـا قد بدأت تتلاشى عن المشهد، حين قفزت جينا فـي عقبهـا، ثم نزلت بضع درجات إلـى أن أصبحت قريبة منها بما يكفـي للتحدث معها ، ثم سـألتها: «هل لا بـأس بذلك إذن؟ أعني ترك منزل التنين مفتوحًا؟».

قالت مارشـا: «هواء نقي وبعض من أشعة الشمس فقط هو كل ما تحتاج إليه المركبة التنينية، وسبتيموس أيضًا».

كانت السـلالم تقترب الآن من الطابـق الخامس. حيث وقفت داندرا درا، السـاحرة الجديدة المسـئولة عن المستشفى – التي تم توظيفها من قبل مارشا؛ نظرًا لمهارتها في فك التعويذات السحرية، والتـي كانت قد عـادت لتوها من اسـتدعاء طارئ لأحد السـحرة الذي كان على قناعة بأنه قد سحر نفسه عن طريق قراءة نص قديم. وقد شخصت داندرا الحالة بأنه يعاني من رهاب الأوراق، وكانت فـي طريقهـا لرؤية مارشـا. كانت تنتظـر في صبر أن تغير السـلالم لاتجاههـا، عندمـا رأت الحـذاء الأرجوانـي المدبـب والمميـز المصنوع من جلد الثعبان يظهر فوقها.

قالت السـاحرة المسـئولة عن المستشفى: «مسـاء الخير، سيدة مارشا». وانتظرت في أدب كي تمر مارشا أمامها.

قالت مارشـا: «اقفـزي يا داندرا، أنا على يقين بأن لديك أشـياء أفضل للقيام بها بدلًا من الانتظار هنا».

وكانـت دانـدرا درا جديدة فـي عملها ببرج السـحرة، ولـم تكن علـى يقيـن من بروتوكـول المـكان. كانت قـد وصلـت لتوها من البلدان الحـارة الجافة الواقعة في الجنوب، حيث كانت تعيش في خيمـة دائرية رائعـة مرصعة بالنجـوم بجوار إحدى البـرك العميقة علـى حافة الصحراء. كانت الحياة هناك أبسـط كثيرًا. وبالتأكيد لم

تحتوِ على أي نوع من أنواع السلالم أو الساحرات العظميات اللائي يرتدين أحذية عجيبة. ترددت داندرا، فمن غير اللائق الوقوف في مكان أعلى من الساحرة العُظمى. بيد أنه كان من المستحيل النزول خطوة للأسفل؛ نظرًا لمرور تلك السلالم للتوّ. أوه، لا، وها هي الأميرة تدور للأسفل ببطء. قامت داندرا على إثر ذلك بنصف انحناءة ونصف تحية يشوبهما الارتباك. ما الذي كان يتعين عليها القيام به الآن؟ هل بوسعها القفز أمام الأميرة؟ أوه، لقد كان الأمر برمته كثيرًا بالنسبة لها.

قالت مارشا وقد نفد صبرها: «هيا اقفزي يا داندرا، اقفزي».

أخذت داندرا نفَسًا عميقًا وقفزت بتوتر على درجة السلالم الخالية بين مارشا وجينا. وكان المكان متكدسًا على نحو أشعرها بالإحراج، حيث كانت داندرا بالكاد تتنفس، ثم قررت أن توصل رسالتها، بغض النظر عن البروتوكول المتبع.

«سيدة مارشا، حدث ما كنا ننتظر حدوثه. لقد استفاقت سايرا سايارا».

استغرقت مارشا لحظة حتى تتمكن من استيعاب الطريقة التي تتحدث بها داندرا. بيد أن سبتيموس استوعب الأمر في الحال.

سألها: «هل استفاقت سايرا؟ هل تقصدين أنها **تحررت** من السحر؟».

نظرت داندرا إلى أعلى فرأت الحذاء الكبير ذا اللون البني الذي يرتديه تلميذ الساحرة العُظمى. وقالت له: «نعم، لقد تحررت سايرا من السحر».

قالت مارشا: «هذه أخبار رائعة يا داندرا، سوف أذهب لرؤيتها في الحال».

قال سبتيموس: «هل أذهب أنا أيضًا؟».

هبطت مارشا من على درجات السلالم، وتبعتها داندرا درا مباشرةً، والتي قامت بقفزة خرقاء وما زاد من إحراجها هو هبوطها على حافة عباءة مارشا.

قالت جينا وهي تتابع النزول: «أراك غدًا يا سِبتيموس».

قال سبتيموس أثناء قفزه في الطابق السابع: «سوف أراك يا جينا».

رأت جينا مارشا وهي تضع ذراعها حول كتفي سبتيموس وتقوده للأسفل نحو الممر ذي الإضاءة الخافتة المؤدي إلى المستشفى. وقد سرها رؤية سبتيموس عائدًا مع مارشا في برج السحرة؛ كان المكان يلائمه أكثر، وكان عليها الاعتراف بأنه أكثر أمنًا. راودت جينا نوبة من القلق عندما تذكرت أنه لا يزال مضطرًا للذهاب يومًا آخر إلى الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة؛ إلا أنها سرعان ما طردت تلك الأفكار من رأسها مطمئنة نفسها بأن سبتيموس سرعان ما سيعود.

قفزت جينا من على درجات السلالم في البهو الكبير وتجولت عبـره وصولًا إلى الأبـواب الفضية العالية، وهـي تنظر إلى الصور اللامعة المعلقة على الجدران، والتي تسجل لحظات مهمة ومثيرة في تاريخ البرج. ولكنها رأت صورة لم تكن قد شـاهدتها من قبل، كانت صورة لسـبتيموس ولافظ اللهب يهاجمان التنين **الشيطاني**. ابتسمت وتساءلت إذا ما كان سبتيموس قد رآها بعد.

كانـت لـدى جينا فكـرة؛ حيث قامـت على عجـل بكتابة دعوة لحضـور حفلـة بمناسـبة عـودة سـبتيموس، وطرقت بـاب خزانة سـاحرة المهمات. وإذا بهيلدا جارد بيجـون تطل بنظرها لترى من بالباب.

ثـم قالت فـي دهشـة: «أوه!». وعاودت النظر صـوب الخزانة، وقالت هيلدا جارد بصوت مرتفع وغريب: «الأميرة جينا»، وتابعت وهي تنظر إلى أعلى قائلة: «كيف يمكنني أن أساعدك؟».

خـرج صوت سـعال مكبوت من داخل الخزانـة. اعتقدت جينا أنـه بـدا مألوفًـا، علـى الرغـم من عـدم تمكنها مـن التعـرف على الصوت.

ثـم تسـاءلت: «هـل بوسـعك تسـليم هذا إلـى سـبتيموس من فضلك؟».

قامـت هيلدا جارد بمد يديهـا خارج الفجوة الضيقة الواقعة بين الباب ودعامة الباب ثم أخذت الدعوة على عجل.

قالت جينا: «امم. أشكرك، آسفة على مقاطعتك بغض النظر عما تفعلين».

قالت هيلدا جارد بتعجب: «ما أفعله؟ أنا لا أفعل أي شيء!».

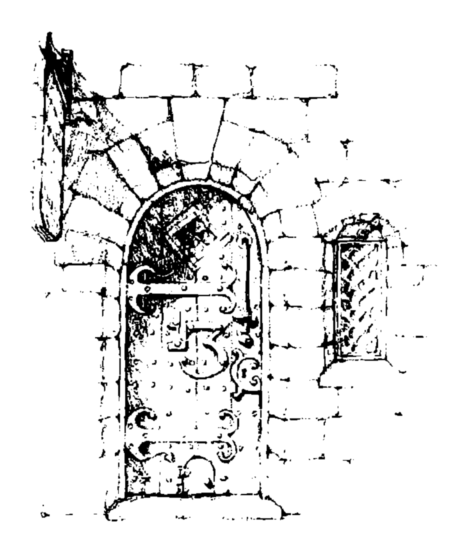
ثم أُغلق الباب المؤدي إلى الخزانة الخاصة بساحرة المهمات.

هزت جينا رأسها، وفكرت في أنه الآن بعد أن أصبحت هيلدا جارد ساحرة متمكنة، فقد صارت غريبة مثلها مثل سائر الساحرات. كانت جينا سعيدة بتخطي الضباب السحري الذي كان يغلف الأجواء حول البهو الكبير في برج السحرة، همست بكلمة المرور وانتظرت لبرهة من الزمن حتى انفتحت الأبواب الفضية الضخمة المؤدية إلى برج السحرة وودعتها الأرض: **مع السلامة أيتها الأميرة. نتمنى لك يومًا لطيفًا.**

وبعد مرور لحظات كانت تهرول أسفل درجات السلم الرخامية، في أشعة شمس الشتاء الباردة المذهلة في طريق العودة إلى المركبة التنينية... والتي كانت لحسن الحظ لا تزال على قيد الحياة.

14

التحرر من السحر



في غرفة التحرر من السحر، كانت سايرا سايارا ترقد في شرنقتها المعلقة من السقف بجدائل ناعمة مصنوعة من أحبال الغابات. وقد بدت على نفس الحالة التي تركها عليها سبتيموس حين ودعها قبل المغادرة برفقة مارسيلوس كان وجهها نحيلًا للغاية، وشعرها مشدودًا إلى الخلف في ضفيرتين صغيرتين

محكمتين، وبشرتها مخضبة باللون الأزرق بسبب الضوء الموجود في الغرفة. لم يتغير شيء سوى شيء واحد هام للغاية؛ لقد فتحت سايرا عينيها.

نظـرت صوب الوجـوه الثلاثة التي تحملـق إليها، حيث جالت بنظراتهـا الباهتـة الخالية من التعبير ما بين مارشـا، ثـم داندرا درا، وصولًا إلى سبتيموس.

قال سـبتيموس: «سايرا، أنا سـبتيموس. أنت في أمان يا سايرا. أنت في برج السحرة».

عبست سايرا وصارعت من أجل الحديث.

قالت داندرا: «يكفي هذا الآن؟ سـوف أراقب سايرا هذه الليلة، وإذا ما سـارت الأمور على ما يرام فسـوف نقوم بنقلها. إنها بخير. اخرجـوا، مـن فضلكم». كانـت دانـدرا درا على ثقة ممـا تقوم به. واصطحبـت كلًّا مـن مارشـا وسـبتيموس مثـل ذبابتيـن زرقاوين مزعجتين إلى الخارج. فخرجا إلى المستشفى ووجهاهما تعلوهما الابتسامة.

قالت مارشا: «يا له من أمرٍ رائع! لقد فعلت داندرا كل ما تمنيت أن تقوم به. أراك غدًا في المسـاء يا سِـبتيموس، تحديدًا في الساعة السادسة، من فضلك، تعال في الموعد للحاق بعشاء كل من داندرا وهيلدا جارد السـحري السـاخن». وانطلقت عبر المستشفى وهي تلـوح بيدهـا في ابتهاج صوب روز المسـاعدة في المستشـفى، ثم

ذهبـت فـي طريقها. تنهد سـبتيموس، وتمنـى لو لم يكـن مضطرًا للعـودة مجددًا إلى مارسـيلوس. كانت لديه رغبـة عارمة في البقاء هناك عندما تخرج سايرا من غرفة التحرر من السحر.

كان سـبتيموس يتلكأ فـي المغادرة، فتوقـف ليحيي روز. وقد بـدت روز – تلك الفتاة الطويلة النحيفة ذات الشـعر البني الطويل للغايـة لدرجـة أنـه بوسـعها الجلـوس عليـه – على قـدر كبير من الكفاءة. وكان شـعرها مربوطًا للخلف فـي ضفيرة بناء على لوائح المستشـفى وقد ارتدت سـترة قصيرة بيضاء علـى رداء التلميذ ذي اللون الأخضر.

تسـاءل سـبتيموس: «هل مـا زلت هنـا؟». حيـث كان يعلم أن روز – التي كان اسـمها مدرجًا في حركة انتقالات تلامذة السـحرة الجدد – تأمل في الانتقال إلى مكتب السحرة.

وافقته روز قائلة: «نعم، ما زلتُ هنا». ثم نظرت حولها وهمست قائلة: «يا له من حظ عثر».

توقف سـبتيموس وقال: «آسـف لذلك». ولم يقل ذلك بشكل صحيح. ثم اسـتطرد قائـلًا: «أنا أقصد... أنا لا أقصد أني أتأسـف لرؤيتك. ولكن ما قصدته هو أنني. أعني ...».

ابتسـمت روز وقالت: «لا بأس. أنا أتفوه بأشـياء غبية مثل هذه فـي جميع الأوقات. أوه! انظر، يبدو أنني فعلتها على نحو صحيح هذه المرة».

قال سبتيموس بابتسـامة: «إذن، هذه بتلك، وعلى أية حال، من المحتمل ألا يكون البقاء هنا أمرًا سيئًا للغاية. ربما ينتهي بك الأمر في الطابق العلوي».

«الطابق العلوي؟».

«نعـم. برفقـة مارشـا. لقـد أدخلت المكتبـة الهرمية فـي حركة الانتقالات».

انبهرت روز بما سمعته وقالت: «ياه!». وهي تفكر في أن مكتب **السحرة** سيكون، ولا شـك، حقيرًا لدى مقارنته بالمكتبة الهرمية. وقالـت بعدهـا: «أوه، يـا إلهـي! علـيَّ الذهـاب والإتيـان ببعـض الملاءات، لدينا حالة قادمة، تعاني من كسر في الساق».

اندفعـت روز وتوجهـت نحـو الخزانـة الواقعة بين السـريرين رقمي اثني عشـر وواحد، وكانت الأسرَّة في المستشفى يتم ترتيبها حـول الغرفـة مثل الأرقـام في سـاعة الحائط. وكان هنـاك نزيلان فقـط، كلاهما من السـحرة المسنين، وكانا نائميـن، وبعدها رأى سبتيموس كومة كبيرة من الملاءات تترنح نحو السرير رقم ثلاثة.

عرض سبتيموس المساعدة على كومة الملاءات السائرة قائلًا: «هل تحتاجين إلى مساعدة؟».

قالت: «أوه، نعم، من فضلك».

ساعد سبتيموس روز في ترتيب السرير بالطريقة التي تعلمها في جيش الشباب. في حين قامت روز بمعاينة النتيجة، ثم قالت باندهاش: «أنت رائع».

وكان سبتيموس يهم بأداء التحية العسكرية لجيش الشباب أمام روز، بيد أنه توقف في الوقت المناسب، ثم قال: «أشكرك، يجدر بي أن أذهب. وسوف أعود غدًا في المساء».

ابتسمت روز وقالت: «ستكون سايرا قد خرجت حينها».

«نعم، أليس ذلك أمرًا رائعًا؟».

«بلى، لقد أبلت الآنسة درا بلاءً حسنًا». راقبت روز سبتيموس وهو ينطلق إلى الخارج وحاولت ألا تراودها الأماني بأنه سيعود مجددًا لرؤيتها بدلًا من سايرا.

وفي الأسفل حيث البهو الكبير، اصطدم سبتيموس ببيتل.

ابتسم وقال: «أهلاً، يا بيتل! ماذا تفعل هنا؟».

«أهلًا بك يا سِبتيموس، لقد شاهدت للتو بارنابي إيوي المسكين المسن على نقالة الرفع. لقد انكسرت ساقه. لقد سقط في واحدة من برك الماء تلك. هناك بركة عميقة للغاية في إحدى الزوايا المظلمة في الشق الصغير المريب. توخ الحذر عند الذهاب إلى هناك. كان الناس قد قاموا بتغطيتها، حتى جاء أحد المهرجين وفكر في أنه قد يكون من الممتع تحريك الأغطية».

اصطحب سبتيموس بيتل في طريقه إلى الأبواب، وقال: «إن مارشا تحقق في أمر تلك البرك أيضًا، وهي تعتقد أن هذا الأمر له علاقة بمارسيلوس».

قال بيتل: «إن للأمر علاقة به. أنا على يقين من ذلك، إنه يقوم بأمر ما لا يخبرنا به».

«حقًّا؟».

انفتحت الأبواب المتأرجحة أمامهما، فلفحتهما نسمة من الهواء النقي البارد. كانت الشمس في المغيب في الوقت الذي نزل فيه بيتل وسبتيموس درجات السلم الكبيرة، وأُغلقت الأبواب الكبيرة خلفهما في سكون، ثم سارا عبر الفناء الواقع في برج السحرة، وقد سُمع صوت طقطقة أحذيتهما فوق الثلوج المتجمدة، فيما تلألأت بلورات الجليد في الضوء المنبعث من الشموع المصطفة على الجدران.

تساءل بيتل: «أعتقد أنك لم تلاحظ أن مارسيلوس يقوم بأي شيء غير معتاد؟ مثل الاختفاء وعدم الإفصاح عن مكانه؟».

لم يرد سبتيموس.

قال بيتل: «أنا متأسف، أنا على علم بأنه لا ينبغي لي السؤال. هذا من الأمور السرية بين المعلم والتلميذ وما إلى ذلك».

«لا بأس، أنا لست تلميذًا لديه، كما أنني لن أكون كذلك. لقد كنت أفكر فيما قلته. حسنًا، مارسيلوس يأتي ويذهب، كما تعلم؟ ولا يوجد شيء غير معتاد، حقًّا. هو فقط منشغل، أعتقد ذلك».

شعر بيتل أنه سيقول «ولكن»، وكان بيتل على حق في اعتقاده.

«ولكن ... حسنًا، قام مارسيلوس بالأمس بإرسالي إلى العمة زيلدا من أجل الإتيان بقارورة. ولم يخبرني أنها كبيرة للغاية؛ وأنه سيتعين عليَّ العودة بها عبر المستنقعات. كان يعلم ولا شك أن الأمر قد يستغرق أيامًا. ولم تبدُ عليه السعادة عندما رآني قد عدت سريعًا جدًّا. لم يكن الأمر مفهومًا بالنسبة لي؛ حتى راودني اعتقاد بأنه من المحتمل أنه لم يكن يرغب في وجودي حوله لسبب ما. أليس كذلك؟».

قال بيتل: «حسنًا، حسنًا، أتصور ذلك».

وعند القوس العظيم توقف كل من بيتل وسبتيموس وأدارا وجهيهما للنظر إلى برج السحرة. كانت تلك إحدى الليالي البللورية الصافية التي تلألأت فيها أضواء البرج على نحو مبهر؛ حيث توهجت ولمعت في الهواء البارد على خلفية البرج الفضي اللامع؛ مما حوَّل رقائق الثلج المتساقطة برفق إلى اللونين الأرجواني والأزرق الناعم.

لهث بيتل قائلاً: «ياه! أحيانًا ما أنسى روعة هذا المكان».

قال سبتيموس: «صحيح». فبعد قضاء شهر تحت الأرض، كان قد نسي ذلك هو الآخر.

وراوده شعور فجأة بالحنين إلى برج السحرة، وكانت لديه رغبة حقيقية في الالتفاف والعودة ... إلى الداخل. ثم تنهد. لا يزال لديه يوم آخر يتعين عليه قضاؤه مع مارسيلوس. هذا كل شيء. سوف ينتهي الأمر قريبًا.

مر سبتيموس وبيتل عبر ظلال القوس العظيم الداكنة وخرجا إلى طريق السحرة. ثم نظرا أسفلهما نحو الطريق الجليدي، الذي كان مليئًا بأشخاص يغلقون متاجرهم في الليل، وفي أقصى نهاية الطريق شاهدا الوميض الأحمر لعباءة جينا الذي لا تخطئه عين، والتي اختفت لدى مرورها ببوابة القصر. وكان سبتيموس في مزاج تأملي.

فقال لبيتل: «أنت لم تقل أي شيء قَطُّ لجينا، أليس كذلك؟».

نظر بيتل إلى صديقه في اندهاش وقال: «ماذا تقصد؟».

«أنت تعلم ما أقصده يا بيتل! أعني بشأن إعجابك بها».

رمى بيتل سبتيموس بنظرة كما لو كان يقول له: وكيف علمت بذلك؟

ثم قال: «حسنًا. لا، ليس لديها رغبة في أن أفصح عن مشاعري لها، أنا أعلم ذلك».

أراد سبتيموس حقًّا معرفة الأمر فسأله: «أتعلم حقًّا؟ كيف؟».

«أعلم وحسب. ثم ... حسنًا، لقد أيقنت فجأة أنها لم تعد تهتم. ليس بتلك الطريقة. بيد أن الأمور قد تحسنت الآن، وصار لدي أشياء أفضل عليَّ القيام بها».

بدا سبتيموس متشككًا فيما سمعه ولكنه قال: «إذن هل الأمور على ما يرام؟».

ابتسم بيتل وأدرك أن ما قد قاله كان حقيقيًا بالفعل.

«بالفعل يا سِبتيموس، الأمور على ما يرام. أحب أن أكون رئيسًا للكتبة. في معظم الأيام أستيقظ وأنا لا أكاد أصدق أنني أصبحت كذلك. ولا أفكر في معظم الأيام في جينا».

«حقًّا؟».

«حسنًا ... من المحتمل ألا يكون ذلك حقيقيًا مائة بالمائة، ولكن لا بأس. وعلى أي حال، هي لا تزال صغيرة للغاية».

«هي ليست صغيرة إلى هذا الحد ... لقد قاربت الرابعة عشرة والنصف من عمرها الآن».

«صحيح... حسنًا. وماذا إذن؟».

قال سبتيموس بابتسامة: «نفس عمري».

«تذكر أنك أكبر منها بستة أشهر.. وذلك بعد الفترة التي قضيتها مع مارسيلوس، أتذكر؟».

«أوه، هذا صحيح». لم يكن يحبذ سبتيموس أن يتذكر ذلك الأمر.. أن يكون منزويًا وحده في زمن آخر. وكلما فكر أكثر حول

الأمـر قلَّت رغبته فـي العودة مجددًا لمنزل مارسـيلوس في منطقة المنزلـق الثعبانـي، التـي كانـت تذكِّره بذلـك الزمن ولا سـيما في الليل. التقط نفَسًـا عميقًا من الهواء المنبعث في طريق السحرة في زمنه الأصلي وتجول بصحبة بيتل نحو دار المخطوطات.

وعنـد الوصول إلـى الباب، قال بيتل بابتسـامة: «هل ترغب في الدخـول والحصول على مشـروب **الفواكه الفـوار**؟ لدي دلاء منه في العلية الآن».

هز سـبتيموس رأسـه نافيًا وقـال: «يتعين علي – فـي الحقيقة – العـودة إلى مارسـيلوس. عليَّ أن أخبره بأن مارشـا لن تسـمح لي بالعمل معه لشهر إضافي».

«أوه، تعال يا سِبتيموس. فقط تناول زجاجة صغيرة من مشروب **الفواكه الفوار**. أنت لم ترَ مكاني الجديد بعد».

ولـم يكن سـبتيموس فـي حاجة إلى عـذر كي يغير رأيـه فقال: «حسنًا، يا بيتل. واحد فقط».

اصطحـب رئيـسُ الكتبـة السـحريين الجديـد التلميـذَ الأعظمَ للتجـول عبـر دار المخطوطات بفخر كبير. وكانـت الغرفة الكبيرة ذات المكاتـب الطويلـة خاليـة تمامًـا. وخلافًـا لرئيـس الكتبـة السـحريين؛ لـم يكـن بيتل يؤمـن باسـتمرار الكتبة فـي العمل بعد حلـول الظلام. كانت الغرفة مضاءة بشـموع جديـدة موضوعة في الشـمعدانات القديمـة المصفوفة عنـد الجدران، ولم تعـد الغرفة

تعـج بأجـواء الملـل والكآبة التـي سـيطرت عليها في فتـرة جيلي دجين. توجه كل من بيتل وسـبتيموس نحو الدرج القصير المؤدي إلى باب أزرق متهالك.

وكانت غرف رئيس الكتبة السحريين متواضعة بالمقارنة بغرف أي من الساحرات العُظميات، بيد أن بيتل أحب تلك الغرف، وكان مـن بينها غرفـة طويلة ذات سـقف منخفض، وبهـا أعمدة عرضية متعـددة تمتد بطول دار المخطوطـات. وكان بالغرفة صف يتكون من ثلاث نوافذ ناتئة على الجانبين. يطل أحد الجانبين عبر أسـطح المبانـي وصولاً إلى الخنـدق المائي والغابة المظلمـة فيما وراءه، بينمـا يطل الجانـب الآخر على طريق السـحرة. وتتفرع من الغرفة الرئيسـية غرفـة نوم صغيـرة مطوّقة، وحمَّام ومطبـخ صغير للغاية، حيث كان بيتل يخبئ مخزونه من مكعبات فيز بوم لإعداد مشروب الفواكه الفوار.

قال سـبتيموس: «يـاه!». مبديًـا إعجابه بالمطبـخ الدقيق للغاية الـذي يعج بمقدار كبير من مكعبات فيز بوم المتجددة والمصفوفة علـى الـرف. ثم تابع حديثه قائلا: «بوسـعك القيام بمـا تريد، دون وجود مارشا لتخبرك بما يجب أن تفعله وما لا تفعله».

قـال بيتـل باسـمًا: «دعنـا نأمـل ذلـك. والآن هـل تريـد مـوزًا بالشـوكولاتة أم مشمشًـا بالزنجبيل أم المزيج الأزرق الغريب.. لا أعرف ما هو».

«أعطني واحدًا من المزيج الأزرق الغريب من فضلك».

«اعتقدت أنك سوف تقول ذلك. في صحتك يا سِبتيموس».

«في صحتك يا بيتل. مبارك عليك المنزل الجديد السعيد».

كان الوقت قد تأخر، عندما غادر سبتيموس دار المخطوطات في طريقه متوجهًا إلى منزل مارسيلوس الواقع في منطقة المنزلق الثعباني. وبمجرد اقترابه من ذلك المنزل الشامخ الضئيل ذي النوافذ المضاءة بالشموع المشتعلة؛ راود سبتيموس شعور بالذنب لرجوعه في ذلك الوقت المتأخر من الليل، ثم نظر إلى النافذة السطحية الصغيرة في العلية حيث توجد غرفته، ورأى الشمعة المضاءة في النافذة، والتي دائمًا ما كان يقوم مارسيلوس بوضعها هناك في الليل. فكر في النار التي تستقبله في الموقد، والمرزاب المنحدر، ومكتبه، ورف الكتب الممتلئ تمامًا بكتب الفيزياء، وشعر بالحزن يتسلل إلى نفسه. لقد أدرك أنه يحب ذلك المكان أيضًا. ثم فكر أيضًا في الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة التي كانت النار فيها جاهزة للاشتعال - والتي سيفتقدها أيضًا. تنهد، لقد أدرك أنه ينتمي إلى مكانين في القلعة ، بيد أنه كان عليه أن يختار فيما بينهما. ولقد اختار بالفعل. ولكن ذلك لا يعني أن المكان الآخر نال منه حبًا أقل، إلا أن ذلك لم يسهل مهمته في إخبار مارسيلوس.

دخل سـبتيموس إلى المنزل وقد تملكه شعور بالانقباض. كان مارسيلوس في انتظاره. وأثناء اقتياده سبتيموس إلى الغرفة الأمامية الصغيرة قال له: «تبدو متجمدًا، شفتاك زرقاوان تمامًا». ثم أجلس سـبتيموس بجـوار **النـار** وأعطـاه بعضًـا مـن مشـروب الزنجبيـل السـاخن، وبينمـا كان مارسـيلوس يضـع قطعة خشـب أخرى في **النار**؛ انتهز سـبتيموس الفرصة ليحك آثار مشـروب **الفواكه الفوار** الزرقاء من على شفتيه.

جلس مارسـيلوس علـى أريكته القديمـة المقابلة لسـبتيموس وقال: «هذا أفضل، لقد عاد إليك اللون من جديد».

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا ثم قال: «أنا مضطر للمغادرة غدًا».

قال مارسيلوس: «أها».

قال سبتيموس: «أنا آسف».

ابتسم مارسيلوس ابتسامة حزينة ثم قال: «أنا لست متفاجئًا أيها التلميـذ. لقد وقعت بعض الأحداث المؤسـفة مع مارشـا مؤخرًا، وفـي الحقيقـة أنـا لـم أتوقع شـيئًا غير ذلـك». ثم رفع كأسـه تجاه التلميذ القديم وقال: «في صحتك يا سِـبتيموس، وخالص الشـكر لك على كل ما قمت به من أعمال. أنا أعلم بأن الشهر الماضي لم يكن كما تمنيت، بيد أنني اسـتمتعت كثيرًا بمساعدتك لي». توقف مارسـيلوس لوهلـة ثـم تابـع قائـلًا: «كان لـدي أمل فـي أن تتخذ

قرارًا... لا أجد التعبير المناسب... أن تغادر المكان الذي تعمل به، وأن تصبح التلميذ الدائم لدي».

قال سبتيموس: «لقد فكرت في الأمر كثيرًا».

«بيد أنك قررت ألا تفعل؟».

«نعم».

أومأ مارسيلوس برأسه وقال: «أتفهم الأمر. على الإنسان أن يحدد اختياراته. سوف أجد صعوبة بالغة في تعويض وجودك أيها التلميذ. ومع ذلك، أفكر في شخص معين».

فوجئ سبتيموس، فلم يخطر بباله أن يقوم مارسيلوس باستبداله بشخص آخر. ولقد رادوته مشاعر مختلطة إزاء ذلك الأمر.

وفي وقت متأخر من المساء، عندما صعد سبتيموس إلى غرفته كي يحزم حقيبته، فوجئ بأن السكان الجدد في المنزل المقابل لمنزل مارسيلوس باي قد تلقوا زيارة غير متوقعة من قبل جارهم.

قامت لوسي جرينج - المتألقة في فستانها المزخرف بكثير من الأشرطة والتي كانت قد انتهت للتوِّ من صنعه - بفتح الباب ثم قالت: «أوه!». ثم انتبهت إلى أنه يجدر بها أن تتصرف بالشكل اللائق وقالت: «أهلًا بك يا سيد باي. تفضل بالدخول».

خطا مارسيلوس خطوة داخل المنزل وقال: «يا إلهي». لقد كان المنزل في فوضى عارمة.

قالت لوسي بابتهاج: «عذرًا على هذه الفوضى، إنها هدايا الزفاف. تسعدني رؤيتك. أترغب في تناول بعض من شاي الأعشاب؟ تعالَ».

«أوه، حسنًا، في حقيقة الأمر أنا كنت أتساءل إذا ما كان سايمون...» ولكن لوسي كانت قد دخلت بالفعل. تبعها مارسيلوس على طول الممر المظلم والضيق، وقد التقط حذاؤه المدبب الكثير من الأشياء الملقاة على الأرضية المكشوفة.

«آه!».

«متأسفة يا سيد باي. هل أنت بخير؟».

«أف، نعم، أشكرك يا لوسي».

تمكنا من اجتياز ذلك المسار الذي يعج بالمعوقات، حتى وصلا إلى مطبخ صغير للغاية، يتكون من موقد وقدر كبير معلق فوقه وحوض حجري عميق موضوع على سيقان شجرة، وضعت به بقايا وجبة العشاء. وكان المطبخ في حالة من الفوضى، حيث كان ممتلئًا بالقدور والمقالي التي لا يوجد مكان لتعليقها، وكذلك الصناديق نصف المفتوحة وأكوام من الأطباق. رأت لوسي مارسيلوس وهو يجول بنظره حول الغرفة. فقالت له بابتهاج: «سوف نقوم بترتيبه، سوف أنادي لك سايمون؛ سوف يسعد كثيرًا لرؤيتك».

قال مارسيلوس وهو لا يزال لا يجد الكلمات المناسبة: «أها».

قامت لوسي بفتح الباب الخلفي وصرخت من خلال فناء صغير للغاية محاط بجدار مرتفع مبني من الأحجار وقالت، «ساي.. ساي! السيد باي هنا!».

خرج سايمون، الذي كان يحاول تسليك إحدى البالوعات، من بين الظلال، وكان يمسح يديه في سترته الطويلة.

قالت لوسي: «يا ساي، مارسيلوس هنا لرؤيتك».

ابتسم سايمون وقال: «مساء الخير يا مارسيلوس، أنا سعيد برؤيتك. هل ترغب في احتساء بعض الشاي؟».

وكان مارسيلوس بطبيعته رجلًا دقيقًا كثير الشكوى، ولذلك فقد آثر السلامة وقرر عدم المغامرة باحتساء الشاي. ثم قال: «زوجتك السيدة الطيبة ..».

ضحكت لوسي التي لم تكن قد اعتادت بعد على مخاطبتها باعتبارها زوجة سايمون.

«... تكرمت وعرضت عليَّ احتساء الشاي، بيد أنني لن أمكث طويلًا. لديَّ عرض لك يا سايمون».

نظر كلٌّ من لوسي وسايمون أحدهما إلى الآخر.

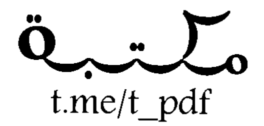
أزاح سايمون كومة من الأطباق من على أحد الكراسي المتأرجحة، وقال له: «تفضل بالجلوس يا مارسيلوس».

رأى مارسـيلوس حلقة دبقة خلفتها الأطباق على الكرسي فهز رأسـه نافيًـا، ثم قـال: «لا، لا. فـي الحقيقة يتعين علـيَّ العودة. لن يستغرق الأمر أكثر من لحظة واحدة».

وبعد مرور خمس دقائق، كان كل من سـايمون ولوسي يتابعان مارسـيلوس وهو يعبر الطريق الجليدي المنحدر متجهًا إلى منزله، وقد انعكس ضي القمر الفضي على الأربطة الذهبية المتدلية خلف حذائه.

كان سـايمون لا يجد كلمـات للتعبير عما بداخله، وكان يحمل فـي يده نسـخة ثمينة مـن كتاب الكيمائي الذي تسـتهله عبـارة «أنا مارسـيلوس»، وبداخلـه تعليمات لقراءتها بشـكل دقيـق، ومقابلة مارسيلوس في الساعة السادسة من مساء اليوم التالي.

قالت لوسي: «حسنًا، من كان يعتقد ذلك؟».



15

اليوم الأخير

استيقظ سبتيموس مبكرًا في غرفة نومـه الصغيـرة الواقعـة أعلى المنـزل في منطقة المنزلـق الثعبانـي. وفـي الخارج كانت الثلوج تهطل بغـزارة، وكانـت الغرفـة معتمـة في ضـوء الصباح الرمادي في فصل الشتاء. أشـعل الشـمعة الموجودة بجانـب السـرير، وعـاد ليسـتند إلـى وسـادته، وهـو يشـعر بالتـردد في القيـام من السـرير. كان ذلـك هـو أحـد الأشياء التي لن يفتقدها. كان برج السـحرة يتميـز دومًا بدرجة

حرارة مثالية، أما منزل مارسيلوس فكان قارس البرودة كسائر منازل القلعة القديمة في موجة الصقيع الكبير.

وبعد مرور ساعة، كان سبتيموس برفقة مارسيلوس في السجن القديم الواقع في نهاية منطقة الزر الذهبي المنخفض - وهو عبارة عن زقاق مسدود في نهاية الطريق الكيميائي - وقد كان ذلك السجن غطاءً لمدخل سري إلى رصيف الميناء الكيميائي، كان مارسيلوس قد أعاد فتحه مؤخرًا. وبعد إغلاقه للباب الحديدي الصغير خلفهما، سحب مارسيلوس الغطاء من فوق الفتحة الدائرية الواقعة في منتصف الأرضية. توهج من خلاله ضوء أحمر إلى الأعلى، مضيئًا الأحجار الخشنة لسقف السجن ذي الشكل المخروطي. وبحذر، قام مارسيلوس بانتزاع كرة صغيرة من كرات النار من مخبئها أسفل غطاء الفتحة تمامًا، وقام بتشبيكها في حزامه الذي بحوزته، وبدأ في الهبوط عبر درجات السلم الحديدية المؤدية إلى المدخنة المبنية من القرميد. تأرجح سبتيموس بجسده خلف مارسيلوس وقام بسحب الباب السري محدثًا صوت رنين.

وهناك تابَعا السير في نزول طويل عبر محور مبطن بالأحجار ومضاء بشكل مخيف بذلك الضوء الأحمر المنبعث من الكرة. وفي نهاية المطاف وصل كل من مارسيلوس وسبتيموس إلى نفقٍ واسع، مبطن بالأحجار، وانطلقا عبره. وبعد بضع دقائق خرجا عند أول منحنى المتاهة، ولكنهما بدلًا من الدوران يسارًا كما كانا

يفعـلان دائمًا فـي طريقهما إلـى الغرفة الكبيرة، اتجه مارسـيلوس يمينًا واقتاد سبتيموس إلى رصيف الميناء الكيميائي.

قال مارسيلوس: «هذا هو اليوم الأخير لك أيها التلميذ».

قال سـبتيموس موافقًا: «نعم إنه كذلـك»، متعجبًا مما يدور في ذهـن مارسـيلوس، وتمنـى أن يكـون الأمـر أكثـر إثارة مـن مجرد تنظيف الرمال من الخزانات باستخدام فرشاة الأسنان.

قال مارسيلوس: «يا سِبتيموس؛ أود أن أقدم اعتذاري لإرسالك فـي رحلـة وهمية لإحضار قارورة السـحاب. كنت فـي حاجة إلى بعض الوقت كي أفكر».

قال سبتيموس: «ياه!».

«بالتأكيـد، ولقد جعلني غيابك أدرك قيمتك لديَّ. لقد ارتكبت خطأً بعدم إخبارك بكل شيء أقوم به هنا».

قال سبتيموس وهو غير مندهش على الإطلاق: «حسنًا».

التقط مارسيلوس نفسًا عميقًا، مدركًا إقدامه على القيام بخطوة لا يمكن التراجع عنها، ثم قال: «أريد أن أريك النار».

لـم يفهـم سـبتيموس الأمر، فقـال: «ولكنـك لم تقم بإشـعالها بعد».

«أيهـا التلميـذ؛ إن الفرن الذي تراه في الغرفـة الكبيرة هو مجرد خدعة. لقد بدأت النار الحقيقية في الاشتعال».

وعلـى حين غرة، بدأت الأمور تتضح أمامه، فقال سـبتيموس: «أين؟».

«تعال... سوف أشـرح لك الأمر». اقتاد مارسيلوس سبتيموس إلـى حافة رصيـف الميناء، حيـث انبعث صوت قرعـات مجداف القـارب القرنفلـي بهـدوء، وهـو مقيـد بالطـوق الخاص بـه. كان مارسيلوس قد أبقى عليه للاستخدام في حالة الطوارئ؛ فيجب أن يكون للكيميائي دومًا مخرج للطوارئ. وكانت بركة الممر السفلي تقـع تحت أقدامهمـا، وقد أصيب بالدوار المعتـاد الذي يصاب به دومًا عند الوقوف على حافة بركة الممر السفلي .

تساءل مارسيلوس: «هل ترى تيارات الماء؟».

أومأ سبتيموس برأسه.

يوجد هويس للقناة على عمق مائة قدم أسفل هذا المكان. وقد قمت بفتحه منذ عدة أسـابيع ماضية. والآن الماء يتدفق من خلاله، مـن إحـدى القنـوات المحفـورة عبـر الصخـور القادمة مـن أحد الخزانـات التي تقع على مسـافة بعيدة في الأسـفل. ذلك هو الماء الذي يقوم بإشعال النار».

قال سبتيموس: «ولكن الماء لا يشعل النار».

قال مارسـيلوس: «النار الكيميائية مختلفة، إنها كائن حي رائع. والحياة بحاجة إلى وجود ماء. قبل أن تتركني يا سِبتيموس، أريدك أن تراهـا؛ حتى يتسـنى لـك التأكد عنـد عودتك إلى برج السـحرة

واستيعاب أن كل ما قد يقولونه لك حول النار، هي معلومات غير حقيقية».

أُصيب سبتيموس بالحيرة: «بيد أنه لم يخبرني أحد من قبل عن أي شيء بخصوص النار».

قال مارسيلوس: «هم لا يتحدثون عنها، بيد أنه في حال قيامهم بذلك، أود أن تتفهم أنها ليست ذلك الشيء الفظيع الذي يحدثونك عنه».

«حسنًا».

«ولكن ... هناك أمر واحد صغير».

قال سبتيموس بحذر: «وما هو؟».

«عِدني أنك لن تخبر أحدًا بما سوف تراه اليوم».

نظر مارسيلوس حوله كما لو كان يتوقع اختباء مارشا في إحدى الزوايا، ثم قال: «ولا حتى مارشا».

قال سبتيموس بقدر من الأسف: «لا يمكنني أن أعدك بذلك، ليس الآن وأنا عائد إلى مارشا. على أية حال، لقد أخبرتك مارشا بالبدء في إشعال النار، إذن فهي على علم بالفعل».

«تعتقد مارشا بأن النار التي نقوم بإشعالها في الغرفة الكيميائية الكبيرة. وليس لديها علم أن النار الحقيقية موجودة في المكان الذي يخشاه أي ساحر أعظم، والذي تعهدوا بالإبقاء عليه محكم

الغلـق أبد الدهـر؛ ألا وهو غرفة **النار**. وفي حـال علمها بذلك، قد تقوم بإغلاقه، كما فعل جوليوس بايك ذات مرة».

«أنـا لا أعتقد أن مارشـا قد تقـدم على إغلاقه؛ نظـرًا لأنها ليس لديها أي علم به».

قال مارسيلوس: «بالطبع تعرف به، إنها الساحرة العُظمى».

«ولكننـي قبل أن آتي إلى هنا سـألتها عن **النـار** وقالت إنها ليس لديها أي فكرة عنها. لا تعلم شيئًا».

قـال مارسـيلوس: «هنـاك كثير مـن الأشـياء التي لا يتـم إخبار التلامذة بها».

لـم يكن سـبتيموس مقتنعًا بالأمر. وكان يعلم أن مارشـا عندما كانـت تتعمد عدم إخباره بشـيء ما؛ تكون في عينيهـا نظرة تحذير تعنـي «أننا لا نخوض في ذلك». بيد أنه عندما ناقشـا مسـألة **النار**، كان التعبيـر الذي علا وجه مارشـا هو الذهـول. ويتذكر أنها قالت له: «هناك شيء ما متعلق بهذه **النار**، ولا نعرف عنه أي شيء. أتمنى لو علمت ما هو..».

قـال مارسـيلوس: «أيهـا التلميذ؛ دعني أشـرح لـك الأمر، في أعقـاب الكارثـة الكيميائيـة الكبيـرة، أخبرنـي السـاحر الأعظـم، جوليـوس بايك - الـذي كان يومًا ما صديقًا لي - بأنه سـيتأكد من عدم إقدام كافة السـحرة العظماء في المسـتقبل على السماح **بفتح غرفة النار** أبدًا. وأنه لن يتم اسـتخدام مرجل **النار** مجددًا. والسبب

الوحيد لموافقة مارشا على إشعال **النار** ينحصر في اعتقادها بأنها **النار** الموجودة في الغرفة الكيميائية الكبيرة. وأنا أعرف أنها، مثل أي ساحر أعظم، لن تسمح بفتح غرفة **النار**. وكل ما أطلبه منك هو الحفاظ على سرية الأمر لمدة».. قام مارسيلوس بعمليات حسابية سريعة ثم قال: «شهر إضافي. وبعد ذلك، سوف أبوح بالأمر لمارشا، أعدك بذلك».

«ولكن لماذا شهر بالتحديد؟ لماذا لا نخبر مارشا الآن؟».

«لن تكون **النار** جاهزة قبل ذلك. إن **النار** الكيميائية تكون حساسة في المراحل الأولى من حياتها، ويستغرق الأمر بعض الوقت لبلوغها مرحلة النضج. بيد أنها بمجرد جاهزية **النار** ورؤية مارشا أنها قد اشتعلت في أمان لبعض الوقت؛ حينئذٍ سوف تتاح لي الفرصة كي أثبت لها أن كل ما قيل لها من قبل لم يكن صوابًا. هل فهمت؟».

قال سبتيموس بعد أن استوعب الأمر: «أعتقد ذلك»، بيد أن ذلك لم يسهل عليه الاحتفاظ بذلك السر.

كان مارسيلوس في حالة اضطراب؛ حيث شعر أن إرسال سبتيموس إلى مارشا في ذلك الوقت الحساس سيكون مخاطرة كبيرة. «لهذا السبب أيها التلميذ، أنا حزين على مغادرتك لي الآن قبل أن يبدأ الأمر كله. ومن المحتمل، عندما ترى **النار**، أن تعاود النظر في قرار المغادرة».

قال سبتيموس: «في الحقيقة القرار ليس قراري».

«بالتأكيـد، لا. مـا دمـت تلميـذًا لدى مارشـا فإن القـرار ليس قـرارك. إنه قرارها هي. بيد أنـك إن قررت أن تصبح أول التلامذة الكيميائييـن بالقلعة فسـيختلف الأمر كثيرًا». ثم ترك مارسـيلوس العرض معلقًا.

قـال سـبتيموس وهـو يحـدق في انعـكاس صورته فـي المياه المظلمة بالممر السـفلي: «أحيانًا أتمنى لو كنت اثنين ... أتمنى لو كان بوسـعي التواجـد فـي بـرج السـحرة والتواجـد هنا فـي ذات الوقت».

ابتسـم مارسـيلوس وقال: «حتى السـحر الأعظـم لا يمكنه أن يحقق لك ذلك».

قال سبتيموس: «ليس لأكثر من سبع ثوانٍ فقط».

نظـر مارسـيلوس في انبهار لمجرد التفكير فـي إمكانية حدوث ذلك على الإطلاق.

فكر سبتيموس لبرهة من الوقت ثم قال: «حسنًا».

كانت هناك ثلاث أقواس تؤدي إلى الخروج من رصيف الميناء الكيميائي، وكل منها تضيئها كرة من كرات النار. توجه مارسيلوس صوب الممر الواقع على يده اليمنى، وبداخل الممر، اسـتدار إلى سبتيموس معتذرًا.

«أعلم أنك لا تحب أعمال البناء أيها التلميذ، بيد أنني أؤكد لك أن هذه هي المهمة الأخيرة التي ستقوم بها». قام مارسيلوس بفتح حقيبته القماشية القديمة والتي اعتاد على إحضار الغداء بها كل يوم، ولدهشة سبتيموس، التقط مارسيلوس مطرقة وإزميلًا من أسفل الشطائر الملفوفة بإحكام وناولها لسبتيموس.

قال سبتيموس في أسى: «أشكرك».

وأشار مارسيلوس صوب قنطرة بارزة داخل الأحجار، تمامًا فوق ارتفاع الرأس، ثم قال: «قم بإزالة الأحجار الموجودة أسفل القنطرة، من فضلك أيها التلميذ. من المفترض أن تخرج بسهولة».

تنهد سبتيموس وبدأ في العمل، وكم كان سعيدًا عندما اكتشف أن الأحجار تخرج بكل سهولة بالفعل.

قال مارسيلوس: «إن ملاط الأسمنت الخاص بالكيميائي لا يثبت أبدًا. حيث كنا قد ارتكبنا خطأً ما، أثناء القيام بكثير من أعمال البناء بأنفسنا. يبدو صلبًا، بيد أنه لين مثل الزبد، وهو مفيد للغاية في بعض الأحيان».

قام سبتيموس بفك باقي الأحجار الموجودة أسفل القنطرة.

ومن ورائها، كان هناك سطح أسود اللون لامع يعكس لهيب كرة النار.

ابتسم مارسيلوس وقال: «أفهم أنك رأيت شيئًا مثل هذا من قبل».

بدا سبتيموس متشككًا، ثم سأله: «إنه نوع من زجاج الزمن، أليس كذلك؟».

بدا على مارسيلوس الشعور بالذنب، وقال له: «أوه، يا عزيزي... أنا آسف على الطريقة التي التقينا بها أيها التلميذ. أرى الآن أن ذلك كان خطأً كبيرًا للغاية. تعلم أنني لن أقدم على القيام بذلك مجددًا، أليس كذلك؟». التقط مارسيلوس الإزميل، وبدأ في العد التنازلي بداية من قمة الأحجار الواقعة على الجانب الأيمن من المدخل، ثم قام بإخراج الحجر السابع ووضع يده على المادة الناعمة السوداء خلفه. فتوهج ضوء أخضر خافت أسفله.

دقق سبتيموس النظر صوبها وهو في حالة من الذهول.

ابتسم مارسيلوس وقال: «الآن هل تدرك ذلك أيها التلميذ؟».

«هل هذه ... غرفة متحركة؟».

«بالتأكيد إنها كذلك».

«مثل الغرفة الموجودة في جزر الحورية؟».

«إلى حدٍّ كبير، ولكنني للأسف لا أتذكر تفاصيل التشغيل. لقد كنت أعرفها، بيد أنه – مثل كثير من الأمور الأخرى– قد تلاشت من ذاكرتي. كنت آمل أن تتذكرها. أريد أن أقوم بتشغيلها من جديد، فهي أمتع كثيرًا من التسلق مسافة طويلة إلى الأسفل».

«إلى غرفة النار؟».

«إلى غرفة النار. إذن أيها التلميذ، هلاَّ ذهبنا؟».

قام سبتيموس بإخراج يده بحذر شديد ووضع باطن كفه على المكان المفتوح - وهو الجزء المتهالك من السطح الناعم والبارد الموجود وراء الحجر - فظهر الضوء الأخضر بالأسفل مجددًا؛ وتوهج أكثر، ثم سرعان ما خفت من جديد.

قال سبتيموس: «أوه، ليس من المفترض أن يحدث ذلك». سحب يده بعيدًا ومسحها في سترته، ثم أعادها، ومال بثقل جسمه بالكامل على السطح. ولكن هذه المرة توهج الضوء الأخضر وفجأة وبهدوء انفتح باب منزلق بيضاوي خفي، كاشفًا عن غرفة صغيرة للغاية مضاءة باللون الأزرق.

قال مارسيلوس بحماس: «أوه، حسنًا فعلت، هلَّا دلفنا إلى الداخل».

تبع سبتيموس مارسيلوس عبر الباب المؤدي إلى الفضاء الافتراضي الكروي. كانت جدرانه مبنية من مادة ناعمة ولامعة وسوداء دون أي سمات واضحة. كانت في حدود علم سبتيموس مماثلة للغرفة التي رآها في جزر الحورية.

«لعلك ترغب في إغلاق الباب أيها التلميذ؟».

لم يكن سبتيموس على يقين بأنه يريد ذلك؛ سأله: « مارسيلوس، متى كانت آخر مرة قمت فيها باستخدامها؟».

فوجئ مارسيلوس من هذا السؤال، ثم قال: «يا إلهي! حسنًا، لا أعرف ذلك على وجه اليقين حقًّا... كان هناك كثير من الأمور التي قمنا بها في ذلك الوقت. كانت إزميرالدا برفقتي؛ أتذكر ذلك».

«إذن، كان ذلك منذ حوالي أربعمائة وخمسة وسبعين عامًا؟».

«تقريبًا، أعتقد ذلك».

وبالنسبة لشخص ما معتاد على الانتقال من زمن لآخر، فكر سبتيموس في أن نظرة مارسيلوس للزمن غامضة بشكل مزعج، ثم قال: «أنا أسأل لأن سايرا قالت إنك تحتاج إلى استخدامه كل يوم كي تبقيه على قيد الحياة».

ضحك مارسيلوس: «على قيد الحياة! ما هذا الهراء، يا لها من خرافات! إنها مجرد آلة».

قال سبتيموس: «أعلم ذلك، بيد أن تلك هي الطريقة التي شرحت لنا بها الأمر. وكان الكلام منطقيًا بالنسبة لي. وقالت إن حياتها سوف تستنزف ما لم... ما الكلمة التي استخدمتها؟ تتم إعادة شحنها».

ساورت مارسيلوس الشكوك في هذا الأمر وقال: «يا سِبتيموس، عليك أن تتذكر بأن سايرا كانت ممسوسة. لقد كانت تتحدث بكلمات مثل: أأأأ... تلك الطيور ذات الألوان الكثيرة؟».

قال سبتيموس منزعجًا: «الببغاوات. سايرا لم تكن ببغاء».

قال مارسيلوس بهدوء: «لا، بالطبع لا. لا أعني سايرا الحقيقية، ومع ذلك، أنا أؤكد لك أن هذه الغرفة ليست بها حياة».

راود سبتيموس شعور بأنه قد يكون من الخطأ التراجع الآن، وكانت هناك بقعة بالية وراء الباب؛ لذا وضع باطن كفه عليها، فتوهج ضوء أحمر أسفلها، مضيئًا يده، وأُغلق الباب في سكون. حينها، ظهر سهم برتقالي صغير مشيرًا للأسفل على الجانب الآخر من الغرفة. ذهب سبتيموس إليه ورفع يده في تردد كي يضغط عليه. ثم سأل: «هل أنت واثق من ذلك؟».

قال مارسيلوس: «نعم، بالطبع أنا متأكد».

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا، ثم وضع يده على السهم البرتقالي وضغط. مالت أرض الغرفة فشعر سبتيموس بالغثيان. كانت الغرفة تسقط بسرعة كبيرة، وكان سبتيموس قد نسي كم أن الأمر مرعب. فعندما كان في الغرفة الموجودة بجزر الحورية، كان في صحبة سايرا، والتي كانت تعلم تمامًا ما تفعله. أما الآن فهو مع مارسيلوس، الذي كان مرعوبًا مثله تمامًا. شاهد سبتيموس السهم البرتقالي الهابط أسفل الجدار، تمامًا مثل الطائر الذي صدمه حجر.

إنه ينزل بسرعة كبيرة. *إنه سريع للغاية!*

وفجأة توقف الهبوط مع صوت صرير مثير للاشمئزاز؛ وهو ما جعل أسنانهما تقعقع داخل رأسيهما.

ترنح مارسيلوس للخلف وأمسك بسبتيموس؛ وهو ما حدا بهما إلى الانزلاق معًا على الأرض - التي كانت لامعة ومائلة قليلًا- مما أدى بهما إلى الانزلاق عبر الغرفة، فتكوم الاثنان عند الجدار.

قال مارسليوس متأوهًا: «آآآآآه».

قام سبتيموس بانتشال نفسه من حذاء مارسيلوس، ثم وقف مترنحًا وهز رأسه في محاولة منه للتخلص من صوت الأزيز بالداخل.

همس مارسيلوس من فوق الأرض قائلًا: «هل تعتقد أنها هبطت بسلام؟».

لم يعتقد سبتيموس أنها هبطت بسلام، بيد أنه لا توجد سوى طريقة واحدة لاكتشاف ذلك - ألا وهي فتح الباب. شاهد رقعة بالية على الجانب المقابل من الغرفة، وهو نفس الجانب الذي دخلا منه، ثم سار بحذر شديد عبر الأرضية المنحدرة، ووضع يده على الجدار. انتظر سبتيموس ظهور الضوء الأخضر ليشير إلى فتح الباب. سرعان ما ظهر وميض أخضر أسفل يديه ثم تلاشى. حك سبتيموس يده على سترته لينفض عنها الغبار، ووضعها مجددًا على الرقعة، ومال بثقل جسمه بالكامل عليها.

لم يحدث شيء. لم يظهر الضوء الأخضر. ولم يُفتح الباب. لا شيء.

شهق مارسيلوس وقال: «حاول مرة أخرى أيها التلميذ».

حاول سبتيموس مجددًا، ولم يحدث شيء.

قال مارسيلوس مشيرًا إلى بقعة أخرى: «ربما هناك؟».

حاول سبتيموس في المكان الآخر. فلم يحدث شيء. وأخذ يحاول المحافظة على هدوئه.

أشار مارسيلوس إلى بقعة أقل لمعانًا لم تكن - في ظن سبتيموس - قريبة من المكان الذي يفترض أن يكون فيه الباب، قائلاً: «من المحتمل أن يكون ذلك المكان».

لا شيء.

قال مارسيلوس: «أيها التلميذ، أعتقد أنه يجدر بنا أن نصعد».

اعتقد سبتيموس أنه يتعين عليهما ذلك أيضًا؛ لذا وضع يده على السهم البرتقالي الذي كان لا يزال مشيرًا للأسفل، ثم قام بتحريك يده في الاتجاه الأعلى، وكان من المفترض أن تقلب هذه الحركة السهم إلى أعلى، إلا أن السهم ظل في مكانه. حاول سبتيموس مرة أخرى، بيد أن السهم لم يتحرك. ولم تتحرك الغرفة.

قال مارسيلوس: «أنت لا تقوم بالأمر بشكل صحيح».

قال سبتيموس غاضبًا: «حاول بنفسك إذن».

لم يحالف الحظ مارسيلوس، الذي لاحظ سبتيموس أن يديه ترتعشان؛ فقد ظل السهم في نفس الوضع الذي كان عليه، مشيرًا بحزم إلى الأرض.

همهم مارسيلوس قائلًا: «ششششششش».

اقترح سبتيموس وهو يمرر يده إلى الأسفل مع اتجاه السهم البرتقالي، قائلًا: «من المحتمل أننا نحتاج أولاً إلى الهبوط للأسفل أكثر قليلًا». ولكن سواء كانت الغرفة في حاجة لذلك أم لا، فهي لم تتزحزح عن مكانها.

وحينئذٍ بدأ الضوء الأزرق المضيء داخل الغرفة في التلاشي. وكان آخر ما رآه سبتيموس هو نظرة الهلع التي تسللت إلى وجه مارسيلوس. وبعدها أصبح المكان معتمًا، فاختفى السهم البرتقالي، والضوء الأخضر، ولم يعد هناك أي شيء على الإطلاق سوى ظلام دامس.

انتظر سبتيموس خروج النور من خاتم التنين حتى ينير. ورأى أن الأمر غريب، حيث إنه لم يعتد الانتظار على الإطلاق. تحسس بيده اليسرى على أصبع السبابة في اليد اليمنى للتأكد من وجود الخاتم بها. كان الخاتم موجودًا بالفعل. والسؤال هو: لماذا لم يضئ كما كان يفعل على الدوام؟ لماذا؟ تسللت مشاعر الخوف والجزع إلى نفس سبتيموس فحاول مقاومتها. فقد ذكَّره ذلك الظلام الدامس بإحدى الليالي المخيفة التي قضاها – وهو في عمر السابعة – في إحدى حفرات حيوان الشره بجيش الشباب.

ثم قال في الظلام: «خاتمي، خاتم التنين الخاص بي. إنه لا يفعل شيئًا على الإطلاق».

خرج صوت مارسيلوس المقبض من الظلام، قائلاً: «لا».

وراود سبتيموس شعور بعدم قدرته على البقاء محتجزًا في الظلام للحظة أخرى. عليه القيام بشيء ما.

«سوف أنتقل من المكان بسحري».

استمع إلى تنهيدة الكيميائي إلا أنه أساء فهم السبب وراء ذلك.

«يا مارسيلوس، سوف أعود؛ وأنت تعلم أنني سأعود. ولكن يجب أن أحصل على مساعدة. سوف تعرف مارشا كيف تتصرف».

سمع تنهيدة أخرى.

«يجب إطلاع مارشا على الأمر الآن يا مارسيلوس. ليس لدينا خيار آخر، سوف أعود بعدها إلى هنا. لن أتخلى عنك، أعدك بذلك».

بعدها سادت حالة من الصمت المطبق.

«أنت تصدقني، أليس كذلك؟».

وفي النهاية تحدث مارسيلوس وقال: «نعم أنا أصدقك أيها التلميذ. أنا أصدقك لثقتي الكاملة بك، بيد أنني حتى ولو لم أكن أثق بك، فكنت سأصدقك على أي حال؛ لأنني - لسوء الحظ - أعلم أنك لن تغادرني. ولن تنتقل من المكان».

انتاب سبتيموس شعور مخيف للغاية على إثر ما قاله مارسيلوس وقال: «ماذا تعني؟».

سـادت فتـرة طويلة مـن الصمت قبـل أن يتحدث مارسـيلوس قائلا: «أيها التلميذ؛ لن يعمل **السحر** في هذه الغرفة».

«لا. هذا غير صحيح!».

«إذن.. هل يتوهج خاتم التنين الذي بحوزتك؟».

«هذا أمر مختلف».

«إنه **سحري** هو الآخر أيها التلميذ».

قام سـبتيموس بتمرير أصابع يده على خاتـم التنين، إلا أنه كان باردًا وساكنًا، مثله مثل أي من الخواتم الأخرى، ولم يعد هناك أي أثـر لطنيـن **السـحر** الذي كان يشـعر بـه على الـدوام. حينئذٍ شـعر سـبتيموس بالحسـرة واليـأس، وأدرك أن مـا قاله مارسـيلوس هو الحقيقة؛ **السحر** لا يعمل داخل الغرفة.

لقد صارا محبوسين.

16

المفقود

في تلك الليلة، وفي تمام الساعة السادسة وخمس دقائق، شاهدت لوسي – أثناء محاولتها إجراء تجربة مثيرة على الستائر المطرزة – من النافذة سايمون هيب في انتظار مارسيلوس على عتبة داره، ثم شاهدت سايمون يقرع الباب للمرة الثالثة، ويأخذ خطوة للخلف ثم ينظر إلى النوافذ، ويهز رأسه ليعبر الطريق بعدها عائدًا إلى منزلهما.

وأثناء دخوله إلى الغرفة الأمامية الصغيرة للغاية، قال سايمون في يأس: «إنه غير موجود هناك». وكانت لوسي تنظر إلى الستائر التي بحوزتها

بشـيء من الاستحسـان، لا سـيما أنها أحبـت الثقـوب الموجودة بسـبب قيامها بتسـقيط غرزة أثناء حياكتها، ثم قالت له: «لا تقلق يا ساي، سوف يعود قريبًا».

أخرج سـايمون كتاب «أنا مارسيلوس» من جيبه، ونظر إليه، ثم قال في حزن: «أعتقد أنه كان حلمًا ما كان ليتحقق».

«لا تكن سخيفًا يا ساي، إذا لم يكن لدى مارسيلوس الرغبة في اختيـارك للعمل تلميذًا لديه؛ فمـا كان ليعطيك كتابه الثمين، أليس كذلك؟ سوف نجلس وننتظر حتى عودته».

أعد سـايمون وعاء من شاي الأعشـاب، وجلس على المنضدة بجوار صندوق صغير ومتهالك حمل اسـم صندوق كرة السـد، ثم فتح الصندوق، وأخرج كرته القديمة البالية وأخذ يلقيها من يدٍ إلى أخـرى كما اعتـاد دومًا أن يفعـل كلما راوده شـعور بالاضطراب. صبت لوسـي الشـاي، وجلسـا معًا فـي النافـذة، في انتظـار عودة الكيميائي.

بـدأ الظلام يحل، وتم وضـع الشـموع على نوافـذ المنازل على كل من جانبي منزل مارسـيلوس، بيد أن منزلـه ظل مظلمًا. وفجأة شاهدت لوسي شخصًا يلتحف بعباءة يسير سريعًا أسفل المنحدر، ويمشي تجاه الباب الأمامي لمنزله.

قالت لوسي: «إنه هو!». عندها ألقى سايمون كرة السد في الصندوق الخاص بها، وكان يهم بالخروج من الغرفة عندما قالت لوسي: «أوه! إنها مارشا».

ترامى إلى أسماعهم صوت قرع طارق الباب على منزل مارسيلوس على الجانب الآخر من الممر الجليدي، ثم شاهدا مارشا تنتظر ثم تعود خطوة إلى الخلف وتحاول أن تسترق النظر عبر النوافذ المظلمة، تمامًا كما فعل سايمون، وبعدها شاهدا الساحرة العُظمى تستدير بوجهها وتتوجه عبر المنحدر صوب باب منزلهما. اندفع سايمون نحو البهو وقفز فوق إحدى السجادات المبرومة، ووعاء للنباتات وصندوق من الكتب، ثم قام بفتح الباب، حين كانت مارشا على وشك طرق الباب.

قالت متفاجئة: «ياه!».

قال سايمون: «آسف، فهو يسقط من مفصلاته عند القرع عليه بقوة».

لم تضيِّع مارشا الوقت في الكلام وسألته: «هل رأيت مارسيلوس؟».

«لا، لم أره».

«هذا أمر سيئ للغاية يا سايمون. إنه اليوم الأخير لسبتيموس برفقة مارسيلوس، وأنا في انتظار عودته لتناول عشاء السحرة الساخن، فلدينا اثنان من السحرة العاديين سوف نرحب بهما».

«حسـنًا». كان لا يـزال موضـوع تحـول الناس إلى سـحرة من المواضيع التي لا يفضل سايمون الحديث عنها.

«سـوف أكـون ممتنـة للغايـة لـك إن قمـت بإخبار سـبتيموس بالتوجه مباشرةً صوب برج السحرة فور عودته».

«نعم، بالطبع».

«أشـكرك يا سايمون»، وبعدها اسـتدارت مارشا وانطلقت عبر المنزلق الثعباني، فأغلق سايمون الباب خلفها.

سألت لوسي: «ما الأمر؟».

قـال سـايمون بوجـه مكتئب: «سـوف أوصل رسـالة إلى أخي الأصغـر، هـذا كل ما في الأمر، ويبدو أنني لـن أتقلد دورًا أكبر من ذلك أبدًا».

«أوه! لا تكن سـخيفًا يا سـاي. لا يعني مجرد تأخر مارسيلوس عـن العـودة إلـى منزله أنه قـام بتغييـر رأيه حيـال اختيـارك تلميذًا كيميائيًا لديه، أليس كذلك؟ سوف نراقب عودته، وبمجرد حدوث ذلك يصبح بوسعك الذهاب ومقابلته».

«كل أولئـك الناس سـحرة جُـدد يا لو. هذا ليـس من العدل في شيء».

قالـت لوسـي: «أتريد أن تصبح سـاحرًا كبيرًا ممـلًا؟ أن تصبح كيميائيًا هو أمر أكثر إثارة».

«أعتقد ذلك».

قالت لوسي بابتسامة: «بالإضافة إلى أنك ستبدو حقًّا رائعًا في الرداء الأسود».

بيد أن مارسيلوس لم يعد. واصل سايمون ترقب عودته طوال المساء من خلال نافذة الغرفة الأمامية، وهو ما أزعج لوسي كثيرًا التي لم تتمكن من سحب ستائرها الجديدة. وكانت لدى لوسي رغبة في رؤية تسلل ضي القمر عبر الفتحات، بيد أن سايمون كان متعنتًا؛ كان مصرًّا على مواصلة المراقبة ريثما يعود مارسيلوس. وبحلول منتصف الليل، انتابت سايمون حالة من القلق.

ثم قال: «أنا ذاهب إلى برج السحرة يا لو، هناك خطأ ما».

وقبل أن يصل سايمون إلى نهاية المنزلق الثعباني رأى مارشا التي لا تخطئها العين متوجهة نحوه.

«سايمون! أوه! هذا أمر جيد، أعتقد أنك في طريقك لإخباري. حمدًا لله على عودتهما. بغض النظر عن الأمر الذي كان يفكر فيه مارسيلوس، إنه لأمرٌ سيئ حقًّا. لابد أن سبتيموس منهك و..».

قاطعها سايمون قبل أن تتابع كلامها وقال: «لا، يا مارشا.. لم يعودا».

توقفت مارشا، وبدت عليها حالة من الصدمة، ثم قالت: «لم يعودا؟».

«لا».

«هل أنت متأكد يا سايمون؟».

«نعم، لقد كنت أترقب عودتهما طوال المساء. لا يزال المنزل في ظلام تام، وهذا ما كنت قادمًا لأخبرك به».

وحتى في ضي القمر، استطاع سايمون أن يميز أن وجه مارشا أصبح باهتًا، ثم همهمت قائلة: «لقد حدث شيء ما، حدث شيء ما في تلك الحفرة المخيفة تحت الأرض». ثم هزت رأسها وقالت: «ما كان يجب أن أوافق على ذلك أبدًا».

وبعد مرور ستين ثانية، كان سايمون يقف بمفرده في منطقة المنزلق الثعباني المتجمدة، وهو يشعر بغرابة شديدة. لقد شهد لتوه **انتقال** مارشا إلى الغرفة الكيميائية الكبيرة، وكان قد نسي كيف يمكن أن يكون **السحر** مثيرًا. كان لا يزال يشعر بهمس **السحر** في رأسه، عندما سار سايمون ببطء عائدًا إلى منزله الذي به نافذة واحدة مضيئة في الطابق الأرضي ودخل إليه. قابلته لوسي وهي في حالة من القلق.

ثم سألته: «ما الأخبار يا ساي؟».

هز سايمون رأسه وقال: «لا أعلم يا لو، بيد أن الأمور لا تبدو على ما يرام».

وكان ضوء سحر مارشا الأرجواني الفوار هو أول ضوء تشهده الغرفة الكيميائية الكبيرة طوال اليوم. انتظرت حتى زوال بقايا سحر **الانتقال**، ثم سحبت **مصباحًا يدويًا** من جيبها ودارت بأشعته حول الغرفة لتبحث عن وجود أي من الأشخاص هناك، علها

تجدهما مستلقيين على إثر استنشاق الأبخرة السامة، أو لعلهما سقطا ضحية حادث كيميائي عجيب. لم تكن مارشا تعلم على وجه التحديد شكل الحادث الكيميائي، بيد أنها اعتبرت أنه بوسعها التعرف عليه فور رؤيته، إلا أنها سرعان ما أدركت أن شيئًا لم يحدث، وأن المكان كان مهجورًا.

على إثر ذلك خرجت من الغرفة وتوجهت نحو المتاهة، وأثناء مشيها السريع؛ كان صدى نقرات حذائها المصنوع من جلد الثعبان يتردد في أعماق لفات المتاهة الزرقاء.

وعلى الرغم من علم مارشا بوجود أنفاق تتفرع من المتاهة، فإنها لم تدخل إلى أحدها بالفعل؛ وهو ما دفعها لاتخاذ قرار باستكشاف ما تعرفه أولًا. كانت مارشا على علم بتخطيطات المتاهات، لقد كان ذلك إحدى هواياتها عندما كانت فتاة صغيرة؛ لذا لم يكن من الصعوبة بمكان إيجاد الطريق إلى رصيف الميناء الكيميائي. بعد ذلك خرجت من النفق الواقع على يسارها وتوقفت لحظة لمسح ميناء الرصيف المهجور. وكانت مارشا قد بدأت تفكر في احتمالية قيام مارسيلوس وسبتيموس بأحد الأمور الغبية مثل الهروب، عندما رأت وميضًا ملونًا وحركة عند أحجار ميناء الرصيف؛ الناتج عن اهتزاز القارب القرنفلي برفق.

اندفعت مارشا ونظرت صوب القارب بشكله الضخم والصبياني ولونه القرنفلي البراق الراقد في أعماق الماء المظلم في بركة الممر السفلي.

همهمت لنفسها قائلةً: «إذن فهما موجودان هنا». وكان الفأر الصغير الذي بدأ يلعب في عبها منذ تغيب سبتيموس عن حضور عشاء السحرة الساخن، قد تحول إلى ثور هائج من الخوف. كان هناك خطب ما، إنها تعرف ذلك في قرارة نفسها، ثم دققت النظر في الماء الأسود الغامض الواقع أسفل قدميها، وأصبحت لديها قناعة رهيبة أن سبتيموس في مكان ما بالأسفل؛ مكان ما في الأعماق. لهثت مارشا وجلست على درجات السلم وهي ترتجف.

لقد سقطا في هذا المكان وغرقا. هذا يفسر كل شيء. مما لا شك فيه أن السبب وراء ذلك يكمن في حذاء مارسيلوس المضحك الذي جعله يفقد اتزانه؛ وهو ما دفع عزيزي ومحبوبي سبتيموس الشجاع للغوص في الماء من أجل إنقاذ مارسيلوس الذي من المؤكد أنه قام بإمساكه من تلابيبه بأصابعه الطويلة النحيلة وسحبه معه للأسفل ليغرقا معًا. كتمت مارشا بكاءها وجلست تدقق النظر في الماء لعدة دقائق.

وعندما هدأت بعض الشيء، بدأت مارشا - التي كانت شخصية متفائلة بطبيعتها -في التساؤل حول ما إذا كان هناك تفسير آخر.

وقفت على قدميها وركضت في رصيف الميناء، في محاولة منها للتخلص من الفزع الذي يساورها، ثم أخبرت نفسها بأن هناك احتمالات أخرى: لعلهما محتجزان في مكان ما، أو حتى تائهان في أحد أنفاق المتاهة القديمة. وأفضل الحلول المعقولة تتمثل في العودة إلى برج السحرة والقيام ببحث من خلال مركز البحث والإنقاذ؛ لذا سارت مارشا في هدوء على طول حافة رصيف الميناء، ولم يعد حذاؤها الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان يصدر صوته العالي المعتاد. ترددت في المغادرة، وهو ما بدا غريبًا في ظنها؛ نظرًا للرعب الذي حل بها بسبب رصيف الميناء الكيميائي، ثم أدركت مارشا السبب وراء عدم رغبتها في المغادرة؛ وهو شعورها بأن سبتيموس لا يزال في الأسفل في ذلك المكان، وهو ما يعني أنه لا يزال على قيد الحياة في مكان قريب منها .

ومن السهولة بمكان تعلم فن الشعور بقرب أحد محبوبيك (والذي لا يعمل إلا مع الأشخاص الذين تحبهم بالفعل) من خلال معلم جيد، وكانت مارشا قد تلقت هذا الفن من قبل أحد أفضل المعلمين؛ وهو ألثر ميلا، بيد أنه كان، كما أطلق عليه، فنًّا شاردًا؛ بمعنى أنه كلما فكرت أكثر بخصوصه، أصبحت أقل يقينًا بما توصلت إليه. وبمجرد إدراك مارشا أنها شعرت بقرب وجود سبتيموس منها، لم تعد تشعر به، ومن ثم بدأت في التساؤل عما إذا كان قد راودها ذلك الشعور أصلًا.

همهمت مارشا: «لا تكوني سخيفة يا مارشا، لقد شعرت به. أنت تعلمين أنك شعرت به».

عندها قررت مارشا البحث في القنطرتين الأخريين. على الرغم من علمها بأن كلتيهما كانتا مغلقتين بالأحجار؛ فإنها وجهت مصباحها اليدوي عبر القنطرة الوسطى ودفعتها دفعًا حثيثًا؛ حيث تذكرت شيئًا ما كانت قد قرأته ذات مرة بخصوص ملاط الأسمنت الذي يستخدمه الكيميائي. لقد كان صلبًا ومقززًا، لا يزال يحتوي على شحم وسخام. قامت مارشا بمسح يدها في منديلها وانتقلت نحو القنطرة الواقعة إلى اليمين، ثم أضاءت المصباح اليدوي الذي بحوزتها في الظلام.

ولدهشتها، رأت مارشا حفرة هائلة في الأحجار المبنية أسفل القنطرة، وعندها راودها شعور بالارتياح.. إذن هذا هو المكان الذي يتواجدان به.

لابد أن مارسيلوس قد فتح أحد الأنفاق القديمة، وقد ضلا طريقهما على الأرجح. أسرعت إلى الفتحة الموجودة، وفجأة اختفت الأرض أسفل حذائها الأيمن المصنوع من جلد الثعبان. على إثر ذلك تعثرت مارشا للأمام، ولفحت وجهها عاصفة من الهواء البارد أثناء تمايلها وتأرجح ذراعيها على الحافة. أمسكت بشدة بالجدار إلى جوارها، بيد أنه انهار، وسقطت أحجاره مندفعة

بعنـف فـي الظـلام. وبعد بضـع ثوان تناهـى إلى مسـامعها صوت قعقعة الأحجار التي اصطدمت بشيء ما في الأسفل.

سـرى الذعر في جسد مارشـا، وأدركت أنها تقف متوازنة على شفا هوة من تحتها.

‹ I7 ›

السقوط

استيقظ سبتيموس من غفوته على صوت فرقعة مفاجئة، قفز واقفًا على أثره.

تأوه مارسيلوس قائلًا: «ما هذا الصوت؟».

«سقط شيء ما على السطح؟!».

قال مارسيلوس: «كنت تحلم أيها التلميذ».

«لا، لا، أنا على يقين بأنني سمعت..».

بوووووووووووووووووم!



وفجأة، ترددت في الغرفة أصداء وابل من الأشياء تصطدم بالسطح بعنف، وانتهى الأمر بصوت هائل لارتطام أحد الأشياء الثقيلة اللينة؛ وهو ما جعل الدماء تتجمد في عروقهما. شعر كل من

مارسيلوس وسبتيموس بأن الغرفة تميل، ثم انتابهما شعور بالدوار المثير للغثيان لفترة قصيرة.

ما لم يعرفه مارسيليوس وسبتيموس هو أن الغرفة المتحركة قد استقرت أعلى باب الخروج؛ حيث تكونت - على مر قرون - رواسب كلسية عرقلت طريقها. وقد منحتهما الأشياء المتساقطة قوة كافية لإزالة الرواسب الكلسية ومواصلة طريقهما.. بسرعة.

ولحسن الحظ سقطا من على ارتفاع عشر أقدام فقط.

سمعا صوت صرير هائلاً، ثم نهض كل من مارسيلوس وسبتيموس من على الأرض، ونظر كلاهما إلى الآخر في الظلام، بيد أنهما لم يتمكنا من رؤية شيء سوى انعدام الضوء تمامًا الذي خيم عليهما طيلة خمس عشرة ساعة تقريبًا.

قال سبتيموس: «إنها لم تعد تميل، وهذه - حتمًا - إشارة جيدة».

همهم مارسيلوس قائلاً: «دعنا نأمل ذلك».

قال سبتيموس: «سوف أحاول مجددًا وأنظر إذا ما كان الباب سيفتح أم لا».

قال مارسيلوس برفض قاطع: «لن يفتح، لا يوجد سهم برتقالي؛ وهو ما يعني عدم وجود أي طاقة».

قال سبتيموس: «يمكننا أن نحاول، ما لم يكن لديك شيء آخر أشد إثارة يمكننا القيام به؟».

«لا حاجة لك في أن تصبح سريع الغضب أيها التلميذ».

«أنا لست سريع الغضب».

«لا، بالطبع لا. حسـنًا، خذ أحد الجانبين وأنا سـأتولى الجانب الآخر».

وكانـا بالفعل قد أجريـا تلك المحاولة مـرات لا حصر لها قبل سـقوط الغرفة للمرة الثانية؛ حيث قامـا - على نحو يائس- بوضع باطـن كفيهما على سـطح الغرفـة الناعم والبارد دون أي اسـتجابة مطلقًا، بيد أنهما الآن بدآ مجددًا. أخذ سبتيموس أحد الجانبين من الغرفة، وتولى مارسيلوس الجانب الآخر، وعلى حين غرة اخترق الظلام ضوء برتقالي خافت، فلهث مارسيلوس.

«السـهم.. لقـد ومـض! أسـرع أسـرع أيهـا التلميـذ. الباب في جانبـك. مـن المحتمـل أن تتاح لنـا الفرصـة. اضغط عليـه الآن! الآن!».

وكانت المشـكلة تكمن في عدم تمكنه مـن رؤية الرقعة البالية؛ حيث إن الوميض البرتقالي الخافت لم يمنحهما الكثير من الضوء، ولـم يكـن بوسـع سـبتيموس معرفة مـا إذا كانـت يده فـي المكان الصحيـح أم لا. انضـم إليه مارسـيلوس وقاما بدفـع باطن كفيهما بشـدة علـى السـطح الزجاجي بجنـون حتى فـي الأماكـن التي لا يحتمـل أن تتواجـد البقعـة فيها، فـي محاولة يائسـة للوصول إلى المـكان الـذي قـد يتيح لهمـا - إن حالفهمـا الحظ - فتـح الباب.

وطوال الوقت كان السهم البرتقالي يذكر سبتيموس بأضواء المحنة في برج السحرة.

«إنه يذهب! سوف يختفي!» بدا مارسيلوس في حالة يأس أثناء ارتطام يديه بشدة على الجدار.

أدرك سبتيموس أنهما لن يعثرا أبدًا على البقعة الصحيحة في حالة الفزع والهلع التي انتابتهما، فقال له: «توقف، أريد أن أجد المكان بطريقة مختلفة».

«لقد أخبرتك أيها التلميذ: **السحر لا يعمل هنا في هذا المكان**».

قال سبتيموس: «ولكن عقلي لا يزال يعمل، من فضلك، يا مارسيلوس، توقف عن الحديث واهدأ للحظة. دعني... دعني أعثر عليه».

بدأ السهم البرتقالي في التلاشي، وأيقن مارسيلوس أنهما لن يذهبا إلى أي مكان، فأسدل يديه إلى جانبه، وقال: «حسنًا أيها التلميذ. الأمر متروك لك».

أغلق سبتيموس عينيه، ولم يحدث أي اختلاف من حيث قدرته على الرؤية، بيد أنه عاد في ذهنه إلى أعماق مكان آخر. مد يده اليمنى وتذكر كيف تمكن من فتح باب مشابه ذات مرة على انخفاض كبير أسفل جزر الحورية، وتذكر الملمس البارد لتلك المادة الملساء الناعمة والمادة الباردة في الغرفة، وتخيل أنه هناك الآن، في ضوئها الأزرق اللامع، ليطلق بعدها العنان ليده للتحرك

كيفما أرادت، ثم قام بالضغط بشدة على باطن كفه، ملقيًا كامل ثقله عليها؛ ليستمع بعدها إلى هسهسة رقيقة ولهاث مارسيلوس.

«لقد انفتحت! أيها التلميذ، لقد فعلتها، لقد فعلتها!».

وخوفًا من إغلاق الباب على حين غرة، قام مارسيلوس بسحب سبتيموس خارج الغرفة. وبمجرد عبورهما بأمان لعتبة باب الغرفة؛ جلس مارسيلوس بسرعة واضعًا رأسه بين ركبتيه.

انهار سبتيموس، وقد أصابته حالة من الدوار من فرط الارتياح على منصة معدنية متهادية مرتفعة على نحو مذهل، بيد أنه لم يعبأ هذه المرة بارتفاع المنصة؛ فقد تحرر أخيرًا. لم يكن لينهي حياته محتجزًا في صندوق على بعد مئات الأقدام تحت الأرض، وببطء بدأ في الانتباه إلى الأشياء المحيطة به، وكان بوسعه الشعور بوجود ساحة واسعة تحيط به، تنبعث منها الحرارة، ويخيم عليها وميض أحمر داكن يتوهج في الأسفل، وكان الشعور العام الذي يغمره هو إحساس ثقيل بالسكون، بينما كانت تنكشف أمامه ببطء عملية هادئة ومتأنية.

سار سبتيموس بحذر على طول ما بدا أنه منصة آيلة للسقوط مؤدية إلى صف من كرات **النار** الموضوعة أسفل درابزين، ثم نظر بحذر شديد. أطل برأسه إلى الأسفل، بعيدًا نحو الأعماق؛ فشاهد دائرة حمراء ضخمة تحدق نحوه، كانت براقة ومركزة مثل الشمس. وأعلى اللون الأحمر امتدت ألسنة لهب صغيرة زرقاء،

تعلو وتقفز في الهواء. انتابت سبتيموس حالة من الرهبة. إذن تلك هي النار الحقيقية. نظر بعدها بعيدًا فرأى خيالات خضراء أمام عينيه. وحينئذٍ أدرك سبتيموس أنه يقف على منصة معدنية بها ثقوب ومهلهلة مثل الغربال. شعر حينها كما لو كانت عظام ساقيه تتحول إلى ماء فلم تعد تقوى على حمله، فتراجع إلى الخلف باتجاه مارسيلوس.

ثم قال: «واو! إنها ... جميلة للغاية».

وافقه مارسيلوس القول: «هي كذلك بالفعل».

«وساحرة ونابضة بالحياة ورقيقة ..». شعر سبتيموس أن الكلمات لا تكاد تسعفه للتعبير عما بداخله.

ابتسم مارسيلوس وقال: «هل فهمت الآن؟ كنت على يقين من أنك ستتفهم ذلك الأمر، على الرغم من عدم استيعاب معظم السحرة لسحر النار».

شعر سبتيموس بمشاعر مختلطة وقال: «أتمنى لو أنك أريتني إياها من قبل».

صمت مارسيلوس لبرهة، ثم قال: «كان ينبغي علي القيام بذلك. أيعني ذلك أنني قد أتمكن من إغرائك لتغيير رأيك وقبول العمل معي للأبد؟»

كـم كان سـبتيموس يرغب في أن يقول نعـم، إلا أنه فكر في أن ذلك قد يعني أنه سيتخلى عن الكثير من الأمور. «أنا... في الحقيقة أرغب في ذلك».

«رائع!».

«لكنني..».

ابتسـم مارسـيلوس بأسـى وقـال: «آه! لكـن، اعتقـدت أنـك ستقولها».

«ليس بوسعي القيام بذلك، لقد وعدت مارشا».

قال مارسيلوس بحزن: «أوه! حسنًا».

«ولكن..».

«نعم؟».

سـأله سـبتيموس: «هـل تسـمح لي بالعـودة إلى هنـا في بعض الأحيان؟».

«بالطبـع، أيها التلميـذ... أنا لا أريد المزيد من الأسـرار، ليس بعـد الشـهر المقبل. سـتكون أنت ومارشـا هنـا أثناء قيامـي بتغيير طبيعـة الخاتم ذي الوجهين». شـرع مارسـيلوس في الوقوف على قدميه، إلا أنه تمايل وعاود الجلوس ثانية؛ فقد بدا عليه الشحوب.

سأله سبتيموس وهو يجلس إلى جواره: «هل أنت بخير؟».

«سـوف أكون على ما يرام في غضون دقيقة. أحتاج فقط إلى... قليل من الهواء النقي».

«لا يوجد كثير من الهواء هنا بالأسفل».

«لا... لكن هناك ولا شك هواء أكثر مما كان موجودًا في ذلك... القبر».

سرت قشعريرة في جسد سبتيموس؛ حيث راودته نفس الفكرة أيضًا وقال: «أتساءل ما الذي سقط عليه؟».

قال مارسيلوس: «أحجار.. بدا صوتها كالأحجار».

«لكن ما السبب وراء ذلك؟ لابد أن شيئًا ما حدث ودفعها للسقوط».

«لعلها مارشا أتت للبحث عنك. لقد تأخر الوقت كثيرًا». نظر مارسيلوس إلى الساعة التي بحوزته وقال: «إنها الواحدة بعد منتصف الليل».

نظر سبتيموس صوب مارسيلوس في ذعر وقال: «نعم، بالطبع ستبحث عني. كان من المفترض أن أعود لحضور عشاء السحرة الساخن».

«لا تقلق إلى هذه الدرجة أيها التلميذ. من الرائع أنها قد أتت، بالتأكيد. فمن دونها كنا سنظل محبوسين».

امتقع وجه سبتيموس وصار في مثل شحوب مارسيلوس، وقال: «أوه، يا مارسيلوس! إذا افترضنا ... افترضنا أن ما قلته حقيقي بالفعل... حقيقي حرفيًا».

«ها؟».

«إنه بدون قدوم مارشا كنا سنظل محبوسين». وضع سبتيموس رأسـه بين يديه، في محاولة منه لاسـترجاع الصوت الذي نتج عن سقوط آخر كتلة على سقف الغرفة: ثقيل ولين في ذات الوقت.

اتجهت أفكار مارسـيلوس صوب مسـار آخر، وقال: «بالطبع، كنـت أفضل لـو أن مارشـا لم تعـرف بأمـر الغرفة المتحركـة أيها التلميذ، ولكن نظرًا إلى الظروف أنا ..».

«مارسـيلوس .. آخر شيء سقط على سـقف الغرفة... لم يكن حجرًا، أليس كذلك؟».

«ليس بوسعي تذكر ذلك».

«حسنًا، لم يكن حجرًا، لقد كان ثقيلًا، بيد أنه... كان لينًا».

«لينًا؟».

«نعـم؛ لينًـا. وهنـاك فـي الأعلى، لـم يكن بوسـع مارشـا رؤية الحفرة، أليس كذلك؟ لم تكن لتتوقعها، أليس كذلك؟ ما من شك في أن الظلام كان حالكًا. لعلها سـتظن أنـه كان نفقًا. في الحقيقة، مـن المحتمل أنهـا اعتقدت بأننا ذهبنا في هذا المكان... أو أننا قد ضللنا الطريق. وربما تكون قد خطت داخل ذلك المكان الخالي، ولعلها أمسكت بالأحجار؛ لتتساقط بعيدًا عن يدها، ثم... ثم..».

فجـأة أدرك مارسـيلوس الأمـر: «أوه! أيها الكيميائـي العظيم! لا!».

شعر سبتيموس بالغثيان، كان يأمل أن يكون لدى مارسيلوس تفسير لهذا الأمر، فسأله: «إذن أنت تعتقد ذلك أيضًا؟».

قال مارسيلوس ممسكًا رأسه ومتأوهًا: «لا يسعني التفكير في أي شيء آخر».

جلسا في صمت، وقال سبتيموس بعد وهلة: «علينا العودة إلى رصيف الميناء الكيميائي، علينا أن نرى ما الذي حدث».

قال مارسيلوس: «إذا كان شيء ما قد حدث، فلن نرى أي شيء إذن. إن رحلة الصعود طويلة أيها التلميذ. أقترح الذهاب على الفور. الحقْ بي». ثم بدأ في النهوض، بيد أن سبتيموس أوقفه.

«مارسيلوس، سوف أقوم بالانتقال السحري إلى رصيف الميناء الكيميائي. يجب أن أعرف ما الذي حدث .. الآن».

«انتقال سحري. نعم، بالطبع، سوف ألحق بك بالطرق العادية».

شاهد مارسيلوس سبتيموس يبدأ في **الانتقال** السحري؛ حيث رأى تلميذه يغلق عينيه، وبعدها شاهد ضوءًا أرجوانيًّا لامعًا يسري فوقه. ارتجف مارسيلوس. لقد كان ذلك سحرًا حقيقيًّا؛ ذلك أن فكرة **انتقال** إنسان من مكان إلى آخر؛ بشحمه ولحمه عبر أحجار، كانت غريبة عليه. لقد شاهد شيئًا لا يستوعبه. إن قرار سبتيموس بالعودة إلى مارشا ليكون تلميذًا لها هو القرار الصحيح؛ فهناك المزيد من **السحر** ليتعلمه. ما إن جالت مارشا بخاطره، حتى تذكر

صوت الجلجلة اللينة والثقيلة الناجمة عن سقوط شيء ما، فأحس كما لو كان قد تلقى طعنات في أوصاله. سـيعود سبتيموس، إذا ما كانت مارشا لا تزال موجودة بحيث يمكنه العودة إليها.

18

انتقالات سحرية

وصل سبتيموس إلى وسط رصيف الميناء الكيميائي، وبمجرد ذهاب الشعور **بالانتقال** الذي سيطر عليه، تنفس الصعداء عندما أدرك أنه قد حكم على الأمر بشكل مثالي. لقد كانت عمليات الانتقال إلى الأماكن المحصورة تتسم بالصعوبة والخطر، ولم يكن مسموحًا لسبتيموس القيام بها بشكل رسمي، بيد أن عملية **الانتقال السحري** - وخلافًا لكثير من أنوع السحر

التـي تحتـاج إلى صفـاء الذهـن- كانت تـزداد دقتها كلمـا زادت المحـن. وفي الوقت الحالي ما من شـك في أن المحن والمآسـي التي تعرض لها سبتيموس تكفي لملء دلاء ودلاء.

وقف في سـكون، مانحًـا الفرصة لآخر بقايا **السـحر** للانطلاق بعيـدًا. لـم يكن سـبتيموس راغبًا فـي التحرك، بـل كان يرغب في البقـاء، البقـاء في مكانـه دون أن يُضطر أبدًا للسـير صوب القنطرة الواقعـة على الجانب الأيمن لينظـر بداخلها نحو الأعماق، بيد أنه يعرف أنه يتحتم عليه القيام بذلك. عليه أن يعرف ما الذي حدث.

سار سبتيموس ببطء عبر رصيف الميناء نحو الممر الواقع على الجانب الأيمن، وهو يشعر كما لو كان ينتعل حذاءً من الرصاص. انتابه شـعور مخيف بالدوار فور اقترابه من الحفرة السوداء الواقعة فـي منتصف الأحجار. فكر سـبتيموس في أنه - خلافًا لمارشـا - كان على علم بتلك الحفرة الضخمة القابعة خلفه.

قام سبتيموس بمعاينة الحفرة المسنَّنة؛ حيث كانت هناك فجوة كبيـرة في الأحجـار عند ارتفاع الكتف، بالضبـط في المكان الذي توقع قيام مارشا بإمساك الأحجار فيه، وبحذر شديد مال سبتيموس للأمام.

نـادى بحـذر في ذلـك الظلام الحالـك قائلا: «مارشـا..». نزل الصـوت علـى الظـلام وتلاشـى. نـادى سـبتيموس بصـوت أكثر

ارتفاعًا: «مارشـا!». ومن ثم نادى بصوت أعلى: «مارشـا، مارشا، هل يمكنك سماعي؟».

لم تكن هناك أي استجابة سوى مجرد شعور كبير بالفراغ أسفل قدميه.

خطا سـبتيموس خطوة للخلـف بعيدًا عن الحفـرة، ومال على الجدار كي يحافظ على توازنه. قال لنفسه إنه بالتأكيد لن يتلقى أي رد، أنى يكون ذلك؟ ثم فكر أنه ربما لم تأت مارشا إلى هذا المكان على الإطلاق، ومن المحتمل أن يكون ملاط الأسمنت قد تهاوى وهو الذي أدى إلى تساقط الأحجار وحدها. ربما...

وحينئذٍ رأى سـبتيموس شـيئًا ما لم يكن في الحقيقة يرغب في رؤيتـه: رأى زرًّا صغيـرًا مصنوعًـا من حجر اليشـب مسـتلقيًا على الأرض بجانب كرة النار. مال بعدها على الأرض والتقطه ووضعه في يده، وكان يعرف ما هو. إنه زر من حذاء مارشا؛ حيث كانت قد اشـتكت من قبل مـن عدم قيام تيري تارسـال بحياكتـه كما ينبغي. حلـت عليـه موجة من اليـأس. وبتهور، مال سـبتيموس على تلك الحفرة المظلمة.

ثم صرخ: «مارشا! مارشـااا!».

وعندما تلاشـى الصـوت، ابتعد سـبتيموس من الممـر متعثرًا، وتناهى إلى مسـامعه صوت خافت لشـيء ما جعلـه يعتقد أن عقله يتلاعب به.

«سبتيموس..».

توقف، وسـرت قشـعريرة في عموده الفقـري. لقد كان هذا هو صوت مارشا. لابد أن شـبحها يناديه. دقق سبتيموس النظر صوب الحفرة الكبيرة في الأحجار المبنية، متوقعًا - بشـكل ما - أن يرى شبح مارشا طافيًا من خلاله.

«سبتيموس..». استمع للنداء مرة أخرى، خلفه.

اسـتدار سـبتيموس حول نفسـه. لا شـيء. كان رصيف الميناء فارغًا. وببطء وسـكون خرج من الممر، وأخذ يسترق السمع باحثًا عن مصدر الصوت.

تِك تَك، تِك تَك، تِك تَك...

ثـم أضاءت المتاهـة المبنية من مـادة الـلازورد، وتوهج اللون الأزرق البراق المجزع بخطوط ذهبية لامعة. خرج بعدها شـخص في رداء أرجواني اللون، وصرخ.

اندفعـت مارشـا صوب سـبتيموس وغطته بعباءتهـا، ثم قالت: «سبتيموس! أوه، سبتيموس! أنت على قيد الحياة..! اعتقدت أنك ... اعتقدت أنك مُت... اعتقدت أنك سقطت».

قال سبتيموس وهو يحتضن مارشا: «وأنا أيضًا، وأنا أيضًا».

* * *

اسـتيقظ مارسـيلوس وهو يشـعر بآلام في كل جزء من جسده. ظـل مسـتلقيًا في سـريره يدقق النظر في ضوء شـمس الشـتاء التي

سطعت عبر النافذة، وانتابه شعور غريب بالسعادة. لم يكن على يقين من السبب وراء ذلك، ثم تذكر حقيبته القماشية؛ حقيبته القماشية الخاصة به التي تحتوي على عتلة ومطرقة ثقيلة. لقد كانت حقيبته القماشية هي التي سقطت على سطح الغرفة المتحركة. غطس مارسيلوس تحت وسادته وهو يتنهد في سعادة، وتذكر صعوده الطويل والبطيء والموحش عبر الفتحات الصغيرة للغاية المؤدية إلى رصيف الميناء الكيميائي. كما تذكر كيف أنه أوشك على الاقتناع بأن مارشا قد سقطت وماتت، ومن ثم سيطر عليه القلق بأن سبتيموس أيضًا من المحتمل أن يكون قد سقط خلفها أثناء البحث عنها. وبمجرد خروجه إلى رصيف الميناء، كان مارسيلوس تقريبًا في حالة من الانهيار. وما إن رأى مارشا جالسة على حافة رصيف الميناء ومطوقة سبتيموس بذراعيها، حتى غمره شعور بسعادة بالغة لا يتذكر أنه شعر به من قبل، وهو ما كان غريبًا؛ نظرًا لأن مارشا كانت مصدر إزعاج بالنسبة له. بيد أنه كان من الرائع عندما أمسكت مارشا بيديه وأخبرته ردًّا على كافة الأسئلة التي كانت تدور في خلده، أنها هي. نعم، لقد كانت حقيقية.

ابتسم مارسيلوس وهمهم قائلًا: «حسنًا، حسنًا، حسنًا». ثم مد يده ليأخذ ساعته من على المنضدة المجاورة للسرير، وحدق بعينين نصف مغمضتين. إنها التاسعة. لا يزال أمامه ثلاث ساعات

إضافيـة في السـرير قبـل الموعد المنتظـر للقائه بتلميـذه الجديد. أغلق الكيميائي العجوز عينيه، وسـرعان ما ضجت الغرفة بصوت الشخير.

وفـي المنـزل الواقع على الجانـب الآخر من المنزلـق الثعباني كانت لوسي تشعر بالإثارة؛ فلقد عثرت لتوها على خطاب تم دفعه من تحـت الباب الأمامـي. اندفعت نحو المطبخ وقالت: «سـاي، ساي! انظر، إنه خطاب من مارسيلوس».

وعلى منضدة المطبخ، وفيما كان يحتسـي القهوة؛ قرأ سايمون الخطاب للوسي:

«عزيزي سـايمون، خالص اعتـذاري لتخلفي عـن موعد لقائنا الليلة الماضية، ويؤسـفني القول إننـي كنت محتجزًا نتيجة ظروف خارجة عن إرادتي، ولم يكن بوسـعي إرسـال رسالة إليك، إلا أنه الآن، حُلت جميع المشاكل. هل سيكون من المناسب بالنسبة لك تجديد موعد لقائنا اليوم في منتصف النهار؟».

صرخـت لوسـي وهـي تقفـز وتدفـع الهـواء بيديها «يـاي! ألم أخبرك؟ ألم أقل لك إن الأمور سوف تصبح على ما يرام؟».

ابتسـم سـايمون ابتسـامة عريضـة وقال: «بلـى يا لـو، لقد قلتِ ذلك، لقد قلتِ ذلك مرارًا، أتذكر ذلك».

وفي برج السحرة، كان سبتيموس لا يزال نائمًا.

وهناك في المكتبة الهرمية بالأعلى كانت مارشا سعيدة للغاية بالتأكيد؛ لقد استعادت مساعدها، وسوف تعود الأمور إلى طبيعتها الآن. وكانت مارشا تجهز للمرحلة التالية في **دورة فك الشفرات** لسبتيموس؛ وهي المرحلة العملية. وبالنسبة لجميع التلامذة؛ يعني ذلك إجراء محاولة على الحروف الهيروغليفية المنقوشة على القمة الفضية أعلى الهرم الذهبي الذي يكلل برج السحرة. وبشكل عام كان من المتفق عليه أن تلك الحروف الهيروغليفية غير قابلة للقراءة والاستيعاب، أو كما كانت مارشا تفضل أن تطلق عليها، عجيبة. بيد أن ذلك كان تقليدًا، وافترضت أنه ينبغي عليهم الالتزام به.

وفي مقابل مارشا، كانت هناك إحدى محاولات شف النقوش القديمة التي قام بها أحد السحرة الأعظمين منذ أمد بعيد لتلك الحروف الهيروغليفية.

ولم تكن واضحة بشكل كبير في ظن مارشا، ولا عجب في عدم تمكن أي من الأشخاص من اكتشاف مغزاها. وتذكرت بأسى أحد التعليقات التي قالتها لسبتيموس حيال «العودة إلى المصادر الأصلية»، وراودها شعور أكيد بأنه من المحتمل أن يقوم بفعل ذلك. قد يصعد إلى أعلى قمة الهرم بنفسه ويجلس هناك، في محاولة لاكتشاف الأمر. أو– على أقل تقدير – سوف يذهب إلى أعلى لشف النقوش بنفسه. سرت قشعريرة في جسد مارشا؛ حيث

رأت ما يكفي من الكوابيس حول سقوط سبتيموس، والتي تكفيها للباقي من حياتها. اتخذت مارشـا قـرارًا؛ دوَّنت على عجل خطابًا إلـى سـبتيموس ليطلـع عليه في حـال اسـتيقاظه قبـل عودتها، ثم انطلقـت -يتـردد نقـر حذائها عبـر السـلالم الحجرية- ثـم قامت بتعليـق الخطاب على باب سـبتيموس، وعادت بعدها إلى المكتبة مـن أجل التقـاط أحد المظروفـات التي كانت قد نسـيتها، ونزلت على السـلالم مجددًا وبسـرعة، مرورًا بشـبح جيلي دجين خارجة من غرفتها.

وفي البهو الكبير قرعت خزانة مهمات السحرة، فأجابتها هيلدا جارد.

قالت مارشـا على نحو متجهم: «آها يا سـيدة بيجون! اعتقدت أنه من المحتمل أن يكون لديك زائر هذا الصباح».

«لا، يا سيدة مارشا. الأمور هادئة هذا الصباح».

«إذن فالسيد باندا لديه ارتباطات أخرى، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك يا سـيدة مارشا. أترغبين في ترك رسالة له في حال مروره؟».

قالت مارشا: «لا، لا أرغب».

«هل هناك أي شيء يمكنني مساعدتك بشأنه؟».

ناولت مارشا مظروفًا إلى هيلدا جارد وقالت: هذا هو اختياري من أجل مخطط تناوب التلامذة للمكتبة الهرمية. هلا أرسـلته إلى المستشفى؟».

«بالطبع يا سيدة مارشا. على الفور».

«سوف أعود في غضون ساعة».

«حسنًا يا سيدة مارشا».

نادت هيلدا جارد على التلميذ المسـئول عن رسائل المهمات، وأعطته المظروف، ثم دخلت إلى خزانة مهمات السحرة وجلست وهي تتنهد. تعرف أنها فعلت شـيئًا ما تسـبب في إغضاب مارشـا، بيـد أنهـا ليس لديها أي فكـرة حول ماهيته، ثم جلسـت لتنتهي من كتابة رسالتها:

عزيزي ميلو..

أشكرك على رسالتك. سوف ألقاك عند المخبز القديم في تمام الساعة الثانية بعد ظهر هذا اليوم.

هيلدا جارد

تجاهلت مارشـا هيلـدا جارد في طريق عودتهـا؛ حيث هرعت عند المرور بجانبها، وصعدت السـلالـم مسرعةً، وانطلقت مباشرة إلى الطابق العشـرين؛ حيث وجدت سـبتيموس فـي المطبخ يقوم بإعداد عصيدة.

قالت بابتهاج: «آها، سبتيموس!».

قال سبتيموس وهو يفرغ العصيدة داخل الطبق: «صباح الخير».

قالت مارشا بمرح: «قهوة؟».

نظر سبتيموس في حالة اندهاش وقال: «أوه! نعم، من فضلك». ذلك أن صنع القهوة كان من اختصاصه.

أشـارت مارشـا بأصابعها نحو إنـاء القهوة الـذي كان قابعًا في الظل مع وعاء السـكر، ثـم قالت: «قهوة لشـخصين!». غرف إناء القهوة ملعقتين من القهوة في الوعاء، وأضاف ثلاث ملاعق سـكر صغيرة، ووقف أسفل الصنبور، الذي فتح مرغمًا، ثم هرول بسرعة نحو الموقد وجلس على أحد عيونه. عندها قالت مارشا للموقد: «إشعال!».

ابتسم سـبتيموس؛ ذلك أنه عندما كان يقوم بإعداد القهوة، كان يضطـر إلـى القيـام بكل ذلـك بنفسـه، إلا أن إناء القهـوة كان أحد الأواني السحرية المخصصة لساحر واحد فقط، وبالتالي فلم يكن يلحظ وجود سبتيموس على الإطلاق.

انتظرت مارشـا حتى انتهى سـبتيموس من إعداد العصيدة التي كانت منقوعة في شـراب العسل، فيما كان هناك فنجانان صغيران للغايـة مـن القهـوة موضوعان علـى المنضدة، ثم أخرجـت جرابًا برباط مخملي كحلي اللون من جيبها، أدرك سبتيموس على الفور أنـه إحـدى الحقائب العاديـة الخاصـة بتمائـم دار المخطوطات.

دفعت مارشـا الجراب عبر المنضدة نحو سبتيموس، وقالت: «إنه لك».

قـال سـبتيموس وقد تأثر عاطفيًّـا: «أوه! أشـكرك..». حيث لم تعتدْ مارشا - في الغالب - تقديم الهدايا.

مسـح يديه في سـترته، ثم فك الرباط وقلب حقيبـة التميمة في باطن كفه.

«ياه! آه، ياه!».

لـم يكنِ بوسع سـبتيموس تصديق الأمر؛ ففي منتصف كف يده الدبقة قليلًا كانت توجد **تميمة الطيران**. كاد ينسـى رقتها وروعتها؛ مجرد سهم ذهبي بسـيط تكسوه أنماط من الدوامات المعقدة. بيد أن ما أحبه سبتيموس بشكل كبير هما الجناحان الذهبيان الصغيران الموجـودان أعلى جانبي السـهم، المشـوهان نوعًا، واللـذان كانا يرفرفـان برفق كمـا لو كانا يحييانـه بعد إقامته المؤقتـة الطويلة في تلك الحجرة المظلمـة تحت قباب دار المخطوطات. وكان هذان همـا الجناحين اللذين أعطتهما مارشـا له عندمـا طلبت منه للمرة الأولى أن يصبح تلميذًا لها، وكانت تلك الأجنحة هي التي افتقدها سـبتيموس - بشكل كبير - بعد قيام مارشا بمصادرة **تميمة الطيران** السحرية.

قالت مارشـا: «هناك شروط معينة لاسـتخدامها، لا يسمح لك باسـتخدامها إلا فـي مهمـات التلامذة داخـل برج السـحرة. وفي

جميع الأوقات الأخرى، يتم الحفاظ عليها في رف التمائم الموجود بالمكتبة. هل فهمت؟».

«نعم، نعم، فهمت تمامًا». لم يلق سبتيموس بالًا لأي من تلك الشروط. لقد استعاد تميمة الطيران.

قالت مارشا: «هناك شيء آخر، الليلة الماضية».

ابتلع سبتيموس ريقه، وأصبح على قناعة بأن مارشا ستطرح عليه أسئلة غير ملائمة بالمرة، ثم قال لها: «نعم؟».

«لقد كانت ليلة مخيفة».

«نعم».

«وهو ما جعلني أدرك أنك أنهكت نفسك في العمل. لقد كانت موجة بهيجة من الصقيع الكبير، ولقد فاتك الكثير من ..». أخذت مارشا تبحث عن الكلمة المناسبة، الكلمة التي لا تستخدمها كثيرًا. «المرح».

بدت على سبتيموس حالة من الاندهاش وقال: «المرح؟».

قالت مارشا مرددة الكلمة بشيء من الحماس: «المرح يا سِبتيموس. أنت في حاجة إلى الخروج والاستمتاع بوقتك، لقد قضيت شهرًا تحت الأرض، والآن أريد أن أمنحك شهرًا فوق الأرض لتفعل ما تريد».

نظر سبتيموس في حالة من الحيرة، وقال: «مثل ماذا؟».

«لك مطلق الحرية في اختيار ما تريد. إنها إجازتك..».

«إجازة؟».

«نعم، إجازة».

أحس سـبتيموس أنـه في حيرة من أمـره وقال: «لكـن ما الذي سأفعله؟».

استنبطت مارشا الإجابة وقالت: «الذي ستفعله، يا سِبتيموس، هو أن تحصل على بعض المرح».

ابتســم سـبتيموس وقال: «تمام، يمكنني الحصول على المرح إن كنتِ مُصرة على ذلك».

قالت مارشـا: «تبدو في حالة أفضـل بالفعل، اذهب، وانسَ كل تلك الأمور المروعة التي شهدتها تحت الأرض».

قال سبتيموس وقد راوده الأمل في أن ينسى: «سوف أحاول». بيـد أن عين **النار** الحمراء الثابتة كانت قد انطبعت في عقله، وكلما أغلـق عينيه رآها. كان يتـوق إلى العودة ورؤيتها مجـددًا. لقد كان يتوق إلى أن يعرف ما الذي يربض أسـفل القلعة كما لو كانت كائنًا حيًّـا. والأهـم من ذلك كلـه، أنه كان يتـوق إلى إخبار مارشـا بكل شيء عنها.

19

ما الذي حدث في الماضي؟

كان سبتيموس في طريقه للحصول على بعض المتعة. ووقف منتظرًا بجوار السلالم الحلزونية؛ وذلك نظرًا لأنه - بخلاف مارشا - لم يكن مسموحًا له بتغيير اتجاهها، ولم يمر وقت طويل حتى رأى حبال التلميذ الخضراء الخاصة براكبها، ثم قال: «روز!».

ترجلت روز، وعيناها الخضراوان تلمعان في ابتهاج، وقالت له: «أهلًا بك يا سِبتيموس».

توقفت ونظرت حولها وقالت: «واو! المنظر رائع هنا. براق ... لامع إلى حد ما».

«إنه كذلك، أليس كذلك؟».

«أنا لا أصدق! سأكون هنا في المكتبة الهرمية، بصحبتك أنت ومارشا».

«آها! بصحبة مارشا فقط طيلة الأسابيع القليلة المقبلة».

شحب وجه روز وقالت: «مارشا فقط؟ بمفردها؟».

«سأكون في إجازة. أخبرتني مارشا بأنه يتعين علي الذهاب والحصول على قدر من المرح والمتعة».

نظرت روز في ذهول وقالت: «هل أخبرتك مارشا بأن تذهب للحصول على بعض المرح؟».

«صحيح، هذا هو ما قالته لي».

«هذا رائع».

«نعم، أعلم ذلك».

قبل وصول روز، كان سبتيموس يشعر بالحماس لقضاء إجازته، أما الآن فقد شعر كما لو كانت مهمة أخرى يتعين عليه القيام بها، ثم تذكر شيئًا ما؛ التقط الدعوة الموجهة له من قِبل جينا لحضور حفلة الاحتفاء بالعودة من داخل جيبه، وأخذ قلم رصاص من الجيب المخصص للكتابة وأضاف اسم روز عليها، ثم ناول الدعوة إلى روز.

وسألها: «هل ترغبين في القدوم؟».

«أوه! واو! نعم، بالتأكيد».

قال سبتيموس: «أخبري مارشا بأنني طلبت منك الحصول على إذن مسائي».

وقفت روز ممسكةً بالدعوة وقالت: «أوه! حسنًا، سوف أفعل».

«سوف ألحق بك في وقت لاحق».

انتابت روز حالة من الفرح العارمة، واندفعت على طول الممر نحو الباب الأرجواني الكبير قبل أن تقول: «نعم، هذا رائع».

كانت مارشا على صواب. لقد فات سبتيموس كثير من المتعة.

بينما كان يقضي شهرًا كاملًا تحت الأرض، افتقد سبتيموس موجة الصقيع الكبيرة المشمسة، وهو ما يطلق عليه الناس في القلعة: اسم موجة المرح. كانت معظم موجات الصقيع الكبيرة مملة وباهتة وتعج برياح قارسة وضباب متجمد، بيد أنه من حين لآخر تأتي إحدى هذه الموجات ذات السماء الزرقاء الصافية وضوء الشمس الساطع. كانت موجة المرح هذه مُرحبًا بها على وجه الخصوص؛ حيث بدت لسكان القلعة كما لو كانت تطارد الظلال الأخيرة للسيطرة الشيطانية.

وكان كل الناس عازمين على استغلالها أفضل استغلال؛ حيث قام نكو بالترتيب لسلسلة من سباقات التزحلق على الخندق الجليدي، (وهو ما أثار انزعاج جانيت مارتن بشكل كبير). وكانت

جينا قد نظمت منتزهًا لأعمال النحت الجليدية في مروج القصر، كما أقام رئيس الكتبة السحريين سلسلة من سباقات التزلج على دار المخطوطات أسفل طريق السحرة، وسمح للكتبة بالمغادرة قبل ساعتين من موعد الانصراف كل يوم من أجل الاستمتاع بالجليد. كما وقفت عربات الطعام الساخن التي تبيع الكستناء والسجق المحمر وحلوى الطوفي بنكهة الموز على طول طريق السحرة، ولقد ذاع صيتها وحظيت بشعبية كبيرة. ومن الأمور الأكثر إثارة للجدل قرية المباني القبانية التي يسكنها المراهقون الذين انتشروا في الطريق الكيميائي، وهو ما رأى المسنون المعارضون الذين يقطنون بالقرب من القرية، أنه مصدر للكثير من الموسيقى الصاخبة والسلوك السيئ. وكان المنزلق الجليدي الطويل - الذي تموَّج أسفل مقلب النفايات التابع للبلدية، والذي ينتهي خارج دار سالي مولن للشاي والجعة - أكثر الابتكارات شهرة وأخطرها على الإطلاق. وقد استغلت سالي ذلك فنصبت كشكًا لبيع كعك الشعير الساخن، وبعد الأيام القليلة الأولى عندما أصبح المنزلق متسارعًا على نحو غادر، أقامت أيضًا خيمة للإسعافات الأولية.

في أعقاب الهيمنة الشيطانية، غادر كل من سارة وسايلاس هيب القصر، وعادا إلى غرفهما القديمة في منطقة العشوائيات، تاركين جينا بمفردها في قصرها للمرة الأولى. وعندما حضر أبناء

فورست هيب الأربعة إلى القلعة لحضور زفاف سايمون ولوسي، أصرت سارة على أن يمكثوا معها أيضًا في منزلهم القديم بالعشوائيات. ولكن بعد مرور ليلة واحدة فقط، كان عليها الإقرار بالهزيمة؛ حيث لم يعد من المناسب حتى أن تمكث نصف عائلتها في غرفة واحدة؛ لذا قامت جينا بدعوة سارة وسايلاس وأبناء فورست هيب للحضور إلى القصر وقضاء فترة الصقيع الكبير هناك.

بدأ القصر يكتظ بالناس؛ حيث كان سايمون ولوسي يزوران القصر كل يوم تقريبًا، بينما جاب أبناء فورست هيب الأربعة – سام وجوجو وإد وإيريك – ممرات القصر بنفس الطريقة التي جابوا بها طرق الغابة؛ حيث كانوا يقفزون ويركضون في كل مكان، ثم يذوبون في الظلال.

بالنسبة لسارة، كان ذلك الوقت ساحرًا. أخيرًا عاد كافة أطفالها إلى القلعة، وتوقفت عن القلق حيال ما قد يحدث لأحدهم – أو جميعهم – وبدأت في إلقاء همومها وراء ظهرها. وكان سايلاس مسرورًا لرؤية التغيير الذي طرأ على سارة؛ حيث ذهبت حالة القلق الدائم التي كانت تساورها، وتوقفت حتى عن حمل تلك الحقيبة السخيفة على شكل البطة معها في كل مكان. كما أصبح سايلاس أيضًا أقل تشتتًا، وكان مستمتعًا بالتعرف إلى أبناء فورست من جديد، كما فتح معهم موضوع التفكير في العمل كتلاميذ

للسحرة ، إلا أن سام كان هو الوحيد الذي أبدى اهتمامًا بذلك. لم يمانع سايلاس في ذلك ؛ لقد كان مسرورًا فقط بعودة أبنائه.

وكانت جينا، أيضًا، مسرورة بعودة إخوتها، بيد أنها كانت أقل سعادة تجاه سارة؛ حيث إن جينا كانت تنظر إلى القصر باعتباره ملكًا لها، ولم تعجبها الطريقة التي تولت بها سارة المسئولية بمجرد عودتها؛ حيث رأت جينا أن سارة كانت قد غادرت القصر بالفعل، والآن هي مجرد ضيفة، إلا أن سارة لم تر الأمر بذات الطريقة.

والأشياء الصغيرة هي التي سببت إزعاجًا أكبر لجينا.

على سبيل المثال، كان جوجو هيب معجبًا بمتجر الكهف القوطي؛ ذلك المتجر الواقع في نهاية الشق الصغير المُعترش، وسرعان ما أصبح بعض الأفراد العاملين في المتجر من الزوار الدائمين للقصر. ولم تُبد سارة هيب اعتراضًا على اثنين منهم: وهما مات وماركوس مارويك، شقيقا الفتى الذئبي؛ حيث قالت: إنهما «شابان لطيفان». وما أبدت اعتراضًا عليه هي «تلك الساحرة الشابة ذات الوجه العابس، ماريسا».

اعترض جوجو قائلاً: «لكن يا ماما، ماريسا تركت كلًّا من مجموعتي السحرة».

أُصيبت سارة بالفزع وقالت: «مجموعتي؟ هل تقصد أنها أيضًا ساحرة ضمن سحرة الميناء؟».

قال جوجو بإصرار: «لا يا ماما، لقد أخبرتك، لم تعد مع أي منهم بعد الآن».

قالت سارة: «من كانت ساحرة ظلام ذات مرة، فستظل ساحرة ظلام على الدوام، ولن تطأ قدما ساحرة ظلام منزلي».

أشارت جينا إلى أن القصر يعتبر منزلها الآن، وهي من تقرر مَن المرحب بهم في القصر، وليس سارة. والواقع أنها منذ أن ساعدتها ماريسا على الهروب من مجموعة سحرة الميناء، أحبت جينا ماريسا. وكي تثبت أنها هي من لها الكلمة الأولى والأخيرة؛ قامت بدعوة ماريسا في ذلك المساء بالتحديد، وهو ما أثار ابتهاج جوجو.

ولم تبتهج سارة.

وفي يوم آخر، وجدت جينا سارة في أحد المطابخ المهجورة، تعطي لوسي كومة من القدور. وعندما أتت جينا لتفقد مصدر تلك الضوضاء، قالت لها سارة: «لسنا في حاجة إلى كل هذه الأشياء»، وهو ما أصاب جينا بالانزعاج. وعلى الرغم من عدم ممانعتها تمامًا في حصول سايمون ولوسي على بعض الأشياء من القصر؛ اعتقدت أنه كان يتعين على سارة سؤالها أولًا.

وبينما تمكنت سارة من إثارة غضب جينا بمئات من الأمور الصغيرة، كان لميلو باندا نفس الأثر على سارة؛ حيث أبدت سارة تذمرها منه إلى سايلاس في إحدى المرات بعد الظهر، وقالت:

«إنـه يجوب القصر مثـل الرائحة الكريهة»، وذلـك بعد الاصطدام بميلو في ظلال الممشـى الطويل للمرة الخامسـة فـي نفس اليوم، وهـو يحمل شـيئًا ما مكسـوًّا بقطعة مـن القماش. «كمـا أنه يحمل دومًـا معـه قطعة مـن الخردة، وعندما أسـأله: ما هذا؟ يبتسـم فقط ويذهب قائلًا: «ششششش». ما الذي يفعله يا سايلاس؟».

قال سايلاس: «لا تسأليني، هذا الرجل غريب الأطوار تمامًا».

تنهـدت سـارة وقالت: «أعلم أنـه لا يجوز لـي التذمر من ذلك أبـدًا، إنه والد جينا. أوه، يا سـايلاس! لا تنظـر إلي هكذا، وهذا هو منزله. لكنه عادة ما يتواجد هنا ليوم واحد ويغادر في اليوم التالي».

قال سايلاس: «إذا كنت تسألينني؛ كلما أسرع في المغادرة كان الوضع أفضل. إنه يتسبب في إرباك جينا».

كان سـايلاس على صواب؛ كان وجود ميلو يتسـبب في إرباك جينا.

وفـي وقـت لاحـق من صبـاح أحـد الأيـام، فقـط عندمـا كان سـبتيموس يستعيد أجنحة **الطيران** السحرية، كانت جينا تميل على درابزيـن المعـرض الذي يمتد علـى طول البهو الواقـع في مدخل القصـر. وبينمـا كانـت تدقق النظر في الأشـكال التـي يلقيها ضوء الشمس الساطع كالجليد، والمنبعث من خلال النوافذ؛ رأت ميلو أثنـاء مروره عبـر البهو، واسـتمعت لصـوت نقير حذائـه الجلدي الأسـود اللامع على الأرض الحجرية، ورأت عباءته ذات اللونين

الأحمـر والذهبي تنتفخ وراءه أثنـاء اندفاعه خارج القصر للذهاب إلى المزيد من «العمل».

وعلـى حين غرة، انتاب جينا أغرب إحسـاس؛ شـعرت كما لو كانــت قد انتقلت إلى الحياة التي كانت سـتحياها لو لم يتم إطلاق النـار علـى والدتها، الملكة سـيريس، برصاصة ممـن اغتالها. لقد كان الأمـر حقيقيًّا للغاية؛ وهو ما جعل جينا يراودها ذلك الشـعور الغريب تمامًا.

وفـي هذا العالم الخيالي، كانت جينـا (غير أنها لم تكن تُدعى جينا حيث كان لها اسـم أطول وأقـدم) البنت الكبرى، ولية العهد. وكانت لها أختان صغيرتان وأخ، وكانوا جميعًا ذوي شـعر أسـود، وعيون أرجوانية، وكانوا يعتبرون **السحر** من الأمور العجيبة، مثلها تمامًـا. وقد كانت أختاها تشـبهانها كثيرًا، بينما بـدا أخوها الصغير كما لو كان مارسـيلوس الصغير. كان ذلـك القصر الخيالي مكانًا يعـج بالحركة؛ حيـث كان مركز الحياة في القلعـة؛ حيث يأتي إليه الكثيـرون، وفـي أحد الأماكن القريبة منه – فـي غرفة العرش على الأرجح– كانت تعلم أن والدتها تتابع عملها اليومي.

وفـي حقيقة الأمر، كانــت والدتها في انتظارهـا للذهاب إليها؛ وذلك لقضاء فترة الصباح في مسـاعدتها في متابعة أعمال القلعة، ولتتعلم كيف تصبح ملكة. كانت الأمور كما ينبغي أن تكون، وفي

تلك اللحظة بدا الأمر بالنسبة لجينا كما لو كانت حياتها بالكامل حتى الآن ليست أكثر من حلم طويل ومعقد خرجت منه لتوها.

وكانت جينا مستغرقة تمامًا في تلك الحياة الخيالية عندما نظر إليها ميلو - بعد أن أحس بوجودها هناك - وابتسم، فألقت إليه قبلة في الهواء. وشاهدت ميلو يتسمر في مكانه كما لو كان شخص ما قد ضربه، ثم رأت وجهه ينفجر بالابتسامة المعبرة عن اندهاشه وسعادته. وفي المقابل، ألقى ميلو إليها قبلة في الهواء هو الآخر، وخرج من الباب وانصرف.

«بينكي بينكي بو ... بينكي بينكي بو..».

انتهى ذلك الشعور على صوت ميزي سمولز، المسئولة عن تشغيل المصابيح اليدوية في القصر والقلعة، تتجول أسفل الممر.

سألت ميزي: «عذرًا، أيتها الأميرة جينا، هل رأيتِ بينكي؟».

قالت جينا في محاولة منها للعودة إلى الحقيقة: «بينكي؟».

«قِطِّي».

أُصيبت جينا بالحيرة، وقالت: «أعتقد أن بينكي قد ذهب. في الحقيقة، أعتقد أن جميع القطط في القلعة قد ذهبت؛ حيث قال جوجو: إنها تعيش في الغابة مع عائلة ويندرون».

استهجنت ميزي الأمر؛ حيث إنها لا تحب ساحرات ويندرون، ثم قالت: «ما كان قطِّي بينكي ليفعل ذلك. على أي حال، لقد عاد إلى المنزل منذ بضعة أيام قليلة». عبس وجه ميزي؛ ذلك أن بينكي

لـم يكن ودودًا بالمرة منذ عودته، وعلامات الخربشـة التي قام بها تثبـت ذلـك. «بيد أنه قد اختفى وأنا أخشـى أن يكون محبوسًـا في إحـدى الخزانات أو شـيء من هذا القبيل؛ لذا، في حال سـماعك لأي شيء، سوف أكون ممتنة لك للغاية إذا ما تحققتِ من الأمر».

«نعـم، بالطبع سـوف أفعل». لـم تكن جينا من أكبـر المعجبين ببينكـي، بيد أنها تعرف كم تحب ميزي قطها. ثم راقبت ميزي أثناء تجولهـا على طول الممر مرددةً: «بينكـي بينكي الجميل»، وهو ما تسبب في بعض الضوضاء.

ولم يكن من السهولة بمكان على جينا الخروج من تلك الحياة الخياليـة؛ حيث خيـم عليها طيلة اليوم شـعور بالحـزن لما فقدته. وبدأت في استيعاب فقدان ميلو، أيضًا، لتلك الحياة.

ومع حلول المسـاء، سـاد السـكون القصر، وبدأت أفكار جينا حيال ما كان يُتوقع حدوثه في التلاشي وهي تحضر لحفل الاحتفاء بعودة سبتيموس. كان من المخطط أن يقام الحفل في غرفة سارة، علـى الرغـم من اعتراضاتها علـى ذلك، وقد تلقى السـير هيروارد تعليمات صارمة بعدم السماح لأي من الآباء والأمهات بالدخول، تحت أي ذريعة مهما تكن.

في تمام السـاعة الثامنة، مر بالسـير هيروارد مجموعات متوالية من الشـباب، أو كما أطلق عليهم الشبح اسم الحشود. في البداية، حضرت مجموعة كبيرة متنوعة من أفراد عائلة هيب: أبناء فورست

هيب الأربعة، ونكو، وسايمون، ولوسي، ثم سبتيموس بصحبة روز، ولاحقًا جاء روبرت جرينج بصحبة صديقته ماجي، وفي أعقابهما وصل فريق دار المخطوطات: بيتل، وفوكسي، ومويرا مولي، وروميلي بادجر، وبارتريدج، ثم تبعهم ماركوس ومات من متجر الكهف القوطي. وبعد مرور دقائق معدودة، وصل كل من جينا وماريسا وهما تدفعان عربة نقل صغيرة من العربات القديمة في القصر (والتي كانت تستخدم فيما مضى في نقل الوثائق أسفل الممرات الطويلة) وعليها إبريق كبير أطلقت عليه جينا اسم «شراب البنش المسكر» وصندوق من الأكواب والأواني البيوترية من أحد المطابخ القديمة، فتلقاهما الحشد بالتشجيع والهتاف بمجرد دخولهما عبر الأبواب.

وفي طريقه إلى الحفلة كان فوكسي قد طلب مقدارًا كبيرًا من شطائر السجق من نوع الشطائر السحرية لتوصيلها إلى القصر. نظر فوكسي إلى عربة النقل الصغيرة بتمعن عينٍ متمرسة، فأدرك على الفور من على بعد ميل أن شطائر السجق غير موجودة، فسألهما: «ألم تُحضرا شطائر السجق؟».

قالت جينا: «سوف أنزل للتحقق من الأمر، من المحتمل أن تكون الشطائر في البهو، في انتظارنا».

قال فوكسي بنبرة غضب: «أنت لا ترغبين في الحصول على شطائر باردة».

وبينمـا كانت جينا تهبط على السـلالـم الكبيرة المؤدية إلى البهو الواقع في مدخل القصر؛ سـمعت قرعًا عاليًا لا يتوقف على أبواب المدخل القديمة المصنوعة من خشب البلوط. زادت جينا سرعتها، وصرخـت: «أنـا قادمـة!». فتحت الأبـواب ولكنها لـم تجد عامل توصيل الشـطائر السـحرية، ولكـن وجدت رجلين من كبار السـن يرتديـان ملابـس رثة، ويبدو أنهمـا توءمان متماثلان، بدا شـكلهما مألوفًا لها على الرغم من أنها على يقين بأنها لم ترهما من قبل.

وتبادل الاثنان الأدوار في الحديث:

«لقد أخذت وقتك الكافي يا آنسة»

«الجو متجمد بالخارج».

«هل بوسعنا الدخول؟».

هـمَّ التوءمـان بالدخـول، بيد أن جينـا أوقفتهمـا، وقالت: «من أنتما؟».

ابتسـم الاثنان ابتسـامة مزعجة، ثم قالا: «نحـن مفاجأة. والآن كونـي بنتًا مؤدبة وأسـرعي في إخبار سـايلاس هيـب بأن هناك من يريد رؤيته».

لـم تحب جينـا أن يتخاطب معها أحد بتلك الطريقة؛ لذا قالت: «أنا لن أفعل أيًّا من ذلك».

وكز أحدهما الآخر، وقال له: «لا يمكنني التعامل مع الخدم في هذه الأيام يا إيرن».

قالـت جينا بتجهـم: «أنتما لا تتحدثـان إلى خادمة، بوسـعكما الانتظار في الخارج. سوف أذهب لأحضر لكما سايلاس هيب».

اسـتدار التوءمـان أحدهمـا نحـو الآخر، ثـم قال أحدهمـا: «يا إيـدي، أعتقد أنها من المحتمل أن تكـون..». بيد أن جينا لم تنتظر كـي تسـمع تخمينهمـا؛ حيـث أغلقـت الباب فـي وجهيهمـا بقوة وانطلقت في حالة غضب شديد للبحث عن سايلاس هيب.

ولـم يكن سـايلاس أكثر سرورًا من جينا حيال التطفل؛ لقد كان مسـترخيًا بجوار المدفأة بصحبة سـارة في غرفة جلوسها القديمة. وعلـى الرغـم مـن مخـاوف جينـا؛ لـم يكـن لـدى أي مـن سـارة أو سـايلاس النيـة للذهاب إلـى أي مكان بالقرب مـن الحفلة التي تنظمهـا، لقد كانـا مغتبطين باحتماليـة قضاء ليلة هادئـة معًا. وبعد تردد، غادر سـايلاس المدفأة وانطلق مع جينا على طول الممشـى الطويل الجليدي والبارد.

فتحت جينا أبواب القصر لتكتشف أن كلًّا من الرجلين البائسين قد شرع في تناول شطيرة من السجق.

لهث سايلاس قائلًا: «يا إلهي!».

قالت جينا: «يا للوقاحة!». ثم انتزعت دلو شطائر السجق الكبير من على عتبة الباب.

«رائع».

«لم نأكل طوال اليوم».

«لقد كانت مسيرة طويلة».

«كيف حالك يا سايلاس؟».

«هل فاتنا حفل الزفاف؟».

«هل بوسعنا الدخول؟».

«إن البرد قارس هنا».

نظـر سـايلاس باندهـاش، ثـم تراجـع إلـى الخلـف وسـمح للصعلوكين البائسـين بالدخول. لـم تشـعر جينـا بالاندهاش؛ نظرًا لأن سايلاس لديه بعض الأصدقاء غريبي الأطوار.

قالت له أثناء انطلاقها في البهو: «سأذهب إلى الطابق العلوي يا أبي».

استجمع سايلاس شتات أمره، وقال: «جينا! انتظري دقيقة».

وخـز أحد التوءمين الآخر بكوعه، وقـال: «انظر؛ إنها هي، كما أخبرتك».

قالت جينا التي كانت قد وصلت إلى السلالـم بالفعل: «أبي؛ أنا في حاجة إلى الانصراف. الشطائر سوف تبرد».

«حسنًا، تعالي وسلِّمي عليهما سريعًا قبل أن تمضي في طريقك. هذان إرنولد وإدموند؛ عمَّاكِ».

«عمَّاي؟».

«نعم. إنهما شقيقاي. إنهما الاثنان اللذان لم يحضرا حفل زفاف سايمون. يا إلهي! لم أرهما منذ ... حسنًا، منذ أن حدثت كل تلك الأمور».

وكانت جينا على وشك أن تخبر سايلاس بأن الرجلين المسنين الوقحين ليسا عمَّيْها بالفعل، وأنهما لا يمثلان شيئًا بالنسبة لها، بيد أنها علمت كم سيؤذي ذلك سايلاس بشكل كبير؛ لذا ابتلعت كلماتها وأسرعت في نزول السلالم. فكلما أسرعت في إلقاء التحية، كان ذلك أفضل كي تتمكن من توصيل شطائر السجق إلى حيث تنتمي.

مدَّت جينا يدها، بعد أن حافظت على مسافة بينها وبين إرنولد وإدموند، وقد بدَوَا - في ظنها - مثل أولئك الأعمام الذين قد يندفعون إليك ليقبلوك قبلة بطعم شطيرة السجق، ومجرد التفكير في هذا الأمر جعلها تشعر بالغثيان. بيد أن إرنولد وإدموند تحليا بالتهذيب، وقاما بمصافحة يد جينا الممتدة بخنوع وتمتما قائلين: «نعتذر أننا..».

«لم نتعرف إليك».

وسرعان ما تقمصت جينا شخصية الأميرة، وقالت: «لا داعي للأسف، فأنا لم أتعرف إليكما أيضًا. أتمنى أن تقبلا عذري؛ يجب أن أنصرف الآن. هناك أناس في انتظاري». قالتها بنبرة توحي بأنها في طريقها إلى حضور اجتماع مجلس الإدارة، ثم التقطت دلو

شطائر السجق، وحملته كما لو كانت تحمل إرثًا عائليًّا، ثم صعدت السـلالم برشـاقة، وبمجـرد اختفائهـا عـن الأنظـار، بـدأت جينـا بالهرولـة، وبعـد مرور ثلاثين ثانية، كانت تدخـل إلى غرفتها وهي تصرخ: «دلو السجق!».

20

سحر وشعوذة

بعد مرور عدة ساعات، خرج سبتيموس مع جينا لاقتياد حشود المحتفلين في الممر المظلم في العلية، وقال سبتيموس لجينا: «أنت تجيدين ولا شك تنظيم الحفلات الرائعة يا جين».

قالت جينا وقد غمرها الابتهاج: «أشكرك يا سِب!».

كانت ليلة رائعة، وأثناء خروج الضيوف على طول الممر المضاء بالشموع، تابعهم باستحسان لفيف من أشباح القصر من الخدم القدامى، والموظفين السابقين، وعدد من

الملكات والأميرات الأكثر اجتـماعيـة؛ حيث بدأ القصر يعود إلى سابق عهده من النشاط والحيوية.

نزل الحضور على السلالم الكبيرة وهم يضحكون ويقهقهون، فـي طريقهـم إلى خـارج القصر نحـو الجليد؛ حيـث لفحهم هواء الليل البارد المتجمد. ساروا ببطء بأنفاس محتبسة في ذلك الهواء المجمد، عبر الجسـر الكبيـر المبني من ألواح الخشـب والمؤدي إلى الخندق المائي الذي يكسـوه الجليد بالقرب من القصر، وهم يحدقـون في المنحوتـات الثلجية الرائعـة والغريبة التـي تبرق في ضـوء البـدر؛ مبديـن إعجابهـم بالمشـهد، وهـم يهتفـون : «ياه»، «رائـع»، حيـث توقف جميعهم للنظر إلى ذلك المشـهد الخلاب. شـرع بعـض الأولاد في تقـاذف كـرات الثلج، فابتعـدت جينا عن طريقهـم لتجد نفسـها بجـوار بيتل، الذي كان يضحك مع ماريسـا حول شيء ما.

حاولت جينا التفكير في شـيء مثير للاهتمام كي تقوله، ولكنها لـم تتمكـن من ذلك. حـاول بيتـل هو الآخـر، وتوصـل إلى ذات النتيجة، ومع ذلك، لم تعانِ ماريسا من تلك المشكلة؛ حيث قالت له: «بيتل؛ هل أنت عائد إلى دار المخطوطات؟».

قال بيتل: «نعم».

«لـدي غرفة الآن عند متجـر عباءات بوت في الجهـة المقابلة. هل يمكنني السير معك؟».

بـدت على بيتل حالـة من الاندهاش، وقـال: «آه، نعم، بالطبع. كيف حال السيدة بوت المسكينة الآن؟».

هـزت ماريسـا كتفيها في لا مبـالاة، وقالـت: «لا أعلم، فهي لا تتحدث كثيرًا».

استدار بيتل بوجهه نحو جينا، وكانت الشارة المعلقة على سترة البحرية التي يرتديها تتلألأ في ضي القمر، ثم قال بشـكل رسـمي: «جينا، أشكرك على ذلك الحفل الرائع».

ابتسـمت جينـا، وقالـت: «أوه! أشـكرك شـكرًا جزيـلًا علـى حضـورك يا بيتل. لقد كان من الرائع للغايـة رؤيتك». قالت ذلك، وتمنت لو أنها لـم تقل مثل هذا الكلام. لقد بدت متقمصة شخصية الأميرة بشكل كبير، في ظنها، بل أسوأ من ذلك، أنها بدت متحفظة في كلامها.

ضحكت ماريسـا وشـبكت ذراعيهـا بذراع بيتـل، وهي تقول: «صحيـح، لقد كانـت حفلة مميزة، مع السـلامة». وبتلـك الكلمة سحبت ماريسا بيتل إلى حديقة المنحوتات، وأخذت جينا تراقبهما وهمـا يختفيان وراء تمثال ضفدع عملاق. فكرت جينا في أنها في الحقيقة لا تحب ماريسا تمامًا كما كانت تعتقد من قبل.

توقـف كل من جوجو ومات وماركوس عن شـجارهم بكرات الثلج.

ثم سألوا: «أين ذهبت؟».

تساءلت جينا: «من التي ذهبت؟».

قال جوجو: «أنت تعلمين من نقصد يا جينا؛ ماريسا».

تساءل ماركوس، وقد جحظت عيناه صوب جوجو: «وماذا تكون بالنسبة لك؟».

رد جوجو بحسم: «هذا ليس من شأنك».

«هيا، يابن فورست، لا تتحاذق معي».

تدخلت جينا لوقف ذلك الجدال ما بين جوجو وماركوس وقالت: «توقفا! لقد ذهبت برفقة بيتل إن كان يهمكم ذلك».

تحدث الثلاثة بشكل جماعي وهم غير مصدقين للأمر قائلين: «بيتل؟». ثم انطلقوا يساورهم حزن كبير، وعادوا لاستئناف شجارهم بكرات الثلج، ولكن هذه المرة بحدة أشد.

ثم أعقب ذلك سلسلة من التحيات والسلامات حتى بقيت جينا بمفردها مع سبتيموس وروز.

تساءل سبتيموس: «جين، هل أنت بخير؟».

«أنا بخير، أشكرك».

«لقد كانت حفلة عظيمة، أليس كذلك؟».

قالت: «صحيح، أقصد، بلى، عظيمة حقًّا».

قال سبتيموس: «لقد انتهى الوقت يا جين، سوف أذهب لإعادة روز قبل انتهاء الإذن الذي حصلت عليه».

وكان لدى جينا فكرة ما، فقالت له: «إذا أسرعت، يمكنك اللحاق ببيتل».

ابتسم ابتسامة عريضة، وقال: «من المحتمل ألا يكون لديه رغبة في اللحاق به يا جين».

قالت جينا بتجهم: «لا تكن سخيفًا يا سِب».

قال سبتيموس: «آهًا! حسنًا، تصبحين على خير يا جين، وشكرًا لك. لقد كانت حفلة عظيمة».

قالت روز: «شكرًا لك، لقد كانت رائعة حقًّا».

احتضن سبتيموس جينا، ثم انطلق هو وروز ليسلكا طريقهما بين التماثيل المنحوتة. وبعد أن تتبعا أحد الطرق المطروقة مرًّا بالضفدع العملاق، ودجاجة كبيرة، وزورق، وتاج ضخم، وثلاثة دببة سمينة، وعفريت مائي كبير ووقح، وتمثال ما كثير الشبه بمارشا أوفرستراند يحمل كومة من القدور فوق رأسه، وهو ما ضحكا عليه، ثم وصلا إلى بوابة القصر. وعلى بعد، رأى سبتيموس بيتل وماريسا يسيران وقد شبكا ذراعيهما على طريق السحرة. وبعد التفكير للحظات قليلة، أمسك بذراع روز وتبعهما ببطء، في بطء وتأن تمامًا مثل بيتل.

شعرت جينا بالاضطراب؛ حيث نظرت إلى القصر الذي كان مضاءً بأنوار الشموع في النوافذ، وتنهدت. لقد بدا القصر بديعًا ومرحبًا بها، بيد أنها لم تكن لديها رغبة في النوم. ليس بعد؛ دخلت

بسـرعة إلى البهو الواقع فـي المدخل، وأخذت عباءتها ذات الفرو الكثيـف من خزانـة المعاطف الواقعة تحت السـلالم، وقد علقت بجانبهـا عباءة السـحرة، فسـحبتها وكومتهـا في غضب اسـتعدادًا للإلقاء بها في القمامة. لديها ما يكفي من الساحرات.

وضعت جينا عباءة السـاحرة تحت ذراعها، ثم اتخذت الطريق الـذي يحيـط بالقصر متجهـة إلى الجـزء الخلفي مـن القصر نحو المطابـخ الجديـدة حيث توجـد المهمـلات. وبينما كانـت تكوم العبـاءة لتلقي بها في الموقد، حك شـيء ما ثوبها، نظرت جينا إلى الأسفل وصاحت: «بينكي!».

حـدق قط ميزي سـمول صوب جينا بحقـد، فانتابت جينا حالة من الفزع. لم يكن بينكي من ذلك النوع من القطط الذي قد ترغب فـي لقائه بمفـردك ليلاً. لـو كان أي قط آخر من القطـط المفقودة، لأمسكت به وأدخلته إلى دفء القصر، بيد أنها ما كانت أبدًا لتلمس بينكي. راقبت جينا القط أثناء سيره باتجاه غابة كثيفة من الأشجار المحيطة بحدائق القصر. انتاب جينا شـعور بالقلق حتى إنها مدت يدها نحـو صندوق الموقـد والتقطت عباءة السـاحرة الخاصة بها مجددًا، ثم ألقتها على عباءة الفرو الحمراء التي ترتديها، وانطلقت صـوب النهـر وهـي لا تعلـم ما السـر فـي ذلـك الشـعور بالأمان والحمايـة الذي يتسـلل إليها كلما ارتدت عباءة السـاحرة الخاصة بها.

وكان هناك حاجز ميناء مهجور تمامًا ناحية ساحة التنين أحبت جينا الجلوس فيه للتفكير والتأمل، وهذا هو المكان الذي أرادت أن تبقى فيه في تلك اللحظة بالتحديد. وبينما كانت تسير عبر مروج القصر الخضراء، ألقت جينا نظرة خاطفة نحو غابة الأشجار الكثيفة التي أحاطت بأراضي القصر، فارتجفت، وشعرت بالامتنان لعباءة الساحرة التي تحيط بها مثل ظلها.

وفي أعماق غابة الأشجار الكثيفة، كان بينكي الذي صار الآن زعيمًا لقطط الغابة وحديث العهد بموروينا ساحرة ويندرون، يخرخر بصوت مرتفع. ربتت موروينا على القط ثم دندنت قائلةً: «أبليت بلاءً حسنًا يا جاسوسي الصغير. حسنًا فعلت». ثم رفعت جسدها من فوق جذع الشجرة المقطوع، وتحركت في صمت من بين الأشجار. كانت موروينا عازمة في هذه المرة ألا تسمح الأميرة بالإفلات منها، تمامًا كما فعلت منذ أعوام قليلة سابقة في الغابة.

تتوق كافة مجموعات الساحرات لضم أميرة حقيقية إلى صفوفهن؛ لأن ذلك يمنحهن قوة كبيرة بين جماعات الساحرات الأخرى، وكانت موروينا على علم بأن هذه هي الفرصة الأخيرة لها. ففي القريب العاجل، لن تصبح جينا أميرة، وحينها سوف تضطر ساحرات ويندرون إلى انتظار ابنة جينا؛ لذا ابتسمت الساحرة الأم في مكر. سوف تنجح ساحرات ويندرون في الدخول بسرعة المرة المقبلة؛ نظرًا لأن خطف الصغار في سن المهد سهل

للغاية. فقط لو لم تكن قد قطعت عهدًا على نفسها أمام ذلك الساحر الشاب المحبوب، سايلاس هيب، لكان بوسعها **خطف هذه الصغيرة في سن المهد** منذ أربعة عشر عامًا. كم كانت الأمور ستختلف حينها؟

تابعت موروينا بينكي إلى الأسفل نحو النهر. كان ذيل بينكي مرتفعًا في الهواء، وهو يسير على أطراف أصابعه أعلى الجليد الذي تكسوه قشور من الثلج، في الوقت الذي غاصت فيه موروينا في الأعماق؛ حتى إن الثلوج قد غطت الجزء الأمامي من حذائها. وأثناء اقترابهما من الشخص الذي يطاردانه أُصيبت موروينا بالصدمة بعد أن رأت أميرة ساحرات ويندرون المحتملة ترتدي عباءة جماعة سحرة الميناء. وكانت قد سمعت شائعة تقول إن جينا قامت باختطاف أصغر ساحرات الجماعة وسرقت عباءتها، وبدا من المحتمل أن يكون ذلك حقيقيًا. ابتسمت موروينا. سوف تكون هذه الأميرة إضافة حقيقية لجماعة الساحرات.

وأثناء سير جينا أسفل الأشجار المؤدية إلى ساحة التنين كانت عباءتها تقوم بما كانت تقوم به عباءات الساحرات على أكمل وجه؛ حيث تختلط بالظلال، حتى إن موروينا لم يكن بوسعها رؤيتها بعد الآن. خافت موروينا ألا ترى أميرة ويندرون؛ لذلك فقد اتخذت قرارًا **بتتبع آثار أقدامها**.

يعتبـر **تتبع آثار الأقـدام** من المهارات السـحرية القديمة؛ حيث تنطوي على تتبع الطريد من خلال السير فوق آثار أقدامه. وبمجرد قيام الساحرة بتتبع ثلاث خطوات تصبح على يقين بأن فريستها لن تتمكـن من الهروب قـطُّ، أينما ذهبت؛ في أكثـر الغابات كثافة، أو فـوق أطـول الجبال، أو تحـت أعمق الأنهار. على الدوام، سـوف تقوم السـاحرة **بتتبع خطوات أقدامهـا**. ومثلها مثل معظم القدرات السـحرية؛ فإنها تنطوي على مميزات ومسـاوئ. أما الميزة فتكمن في تيقن السـاحرة من أنها سـوف تنال من ضحيتها. وأما المساوئ فتكمن في أنه ليس لديها اختيار آخر سوى تتبع آثار أقدامها. عليها تتبـع الأقدام في كل خطـوة من الخطوات حتى تصـل إلى هدفها. وفي بعض الأوقات قد يكون الأمر خطيرًا؛ على سـبيل المثال، قد تسـقط الأقدام التي تتبعها من على جرف منحدر صخري، عندها لـن يكون لمتتبع الأقدام خيار سـوى القيام بنفس الشـيء. وكانت موروينـا مدركة أن هـذا الأمر لا يمكـن التهاون فيه، بيـد أن عباءة الساحرة التي ترتديها جينا أقلقتها قليلًا، إن هذه الأميرة ليست كما يبدو عليها. عليها ألا تغامر بضياعها منها.

لم يكن العثور على ثلاثة آثار أقدام متتابعة من السـهولة بمكان كمـا توقعت موروينا؛ نظـرًا لقيام عباءة السـاحرة بوظيفتها على ما يـرام. فمـع تحرك جينـا خلال الجليـد، كانـت العباءة تمحـو آثار أقدامهـا من على الجليد، وتمزجها معًـا، وهو ما تفعله تمامًا عباءة

الساحرة. بيد أن جينا توقفت حينئذٍ لتفتح إحدى البوابات، وذلك لحسن حظ مورروينا؛ حيث انطبعت آثار ثلاث أقدام مثالية للأميرة في الجليد. همست الساحرة بتعويذة **تتبع الأقدام** وانطلقت وهي تعتقد أنها ستكون مهمة سهلة.

كانت تلك المهمة ستكون سهلة لو أن مورروينا لم تكن تنتهك جزءًا من أراضي التنين. وبينما كان لافظ اللهب سعيدًا للغاية للسماح لجينا بالمرور عبر ساحة التنين الخاصة به وهي ترتدي عباءة الساحرة؛ راوده شعور مختلف تمامًا حيال الساحرة الحقيقية.

وعند القيام بتتبع **الأقدام** يصبح من المستحيل للشخص الذي يتتبع **الأقدام** أن يجول بنظره بعيدًا عن تلك الآثار، وهكذا فقد كانت عينا مورروينا اللامعتان الزرقاوان الساحرتان مثبتتين تمامًا صوب الأرض؛ لذا أُصيبت بصدمة هائلة حين رأت على حين غرة أمامها قدمي تنين كبير أخضر اللون بمخالب كبيرة للغاية. (لم يقم أحد بتقليم أظافر لافظ اللهب منذ وقت طويل. حتى بيلي بوت، حارس التنين، كان قد يئس من ذلك حيث إنها كانت تتسبب في تبلد منشار المعادن الخاص به).

لفظت مورروينا لعنة قبيحة للغاية من لعنات الغابة وأبطأت السير، بيد أنه لم يكن بوسعها التوقف، كانت قدماها تتبعان آثار الأقدام، وكانت متجهة مباشرة أسفل بطن التنين الذي يبدو مقززًا.

لـم يكـن ذلك ما خططت له، ولم يكن ذلـك ما خطط له بينكي هو الآخر؛ حيث انتفخ الذيل مثل الفرشـاة، وانطلق القط بسرعة كبيرة حتى ذاب في الظلام.

شـخر لافظ اللهـب مهددًا، وقد سـقط مقـدار ضئيل مـن رذاذ التنيـن على عباءة مورروينا الشـتوية المصنوعة من الفراء محدثًا بها الكثير من الثقوب، وتسللت رائحة كريهة للغاية ناتجة عن اشتعال فراء حيوان الشـره إلى أنفها، بيد أنه لم يكن لديها خيار آخر سوى مواصلة الذهاب. وببعض المشـقة، قامت بتقليص نفسـها للمرور مـن تحت بطـن لافـظ اللهـب، وتوجهت نحـو سـاقيه الخلفيتين الشـائكتين المرعبتين، عندها بدأت مورروينا في الشعور بالخوف، لقد كانت تلك الأشواك حادة مثل السيوف، سوف تقطعها إربًا.

وفـي أعقـاب قتالـه مؤخرًا مـع تنين الظـلام، نمت لـدى لافظ اللهب نتوءات الساق الخاصة بالتنانين البالغة، وكان فخورًا للغاية بهـا، بيـد أنه علـى الرغم من كونها حـادة للغاية، فقـد كانت ناعمة وجديـدة فـي ذات الوقـت، ولم يكن لـدى لافظ اللهـب رغبة في وجود أي من السحرة بالقرب منها. وبالتالي، قام التنين برفع قدمه بحذر وتنحى جانبًا، وهو ما أثار دهشة مورروينا وارتياحها في ذات الوقـت؛ لتخرج بعدها خارج سـاحة التنين بأقصى سـرعة ممكنة، لكنـه كان قـد عاجلها بوابل بصاق التنيـن المصوب نحوها والذي أصابها مباشـرة في ظهرها، ثم شـاهد لافظ اللهب السـاحرة وهي

تنصرف في حالة اشـمئزاز، لينطلق بعدهـا صوب رصيف الميناء، حيث اعتاد على قضاء كل ليلة في صحبة المركبة التنينية.

تحركـت مورويـنا في سـرعة وصمت على طول مسـار الأقدام المظلم الذي امتد بامتداد النهر. ولم يُظهر ضي القمر شـيئًا سـوى الظلال المتنقلة أثناء سـيرها، بينما كانت عبـاءة الغابة التي ترتديها تتحد مع كل من الجليد والنهر من ورائها. وكانت الآن تسـير على طـول الطريق الذي ارتـاده الكثيرون، ولقد أسـعدها اختيارها تتبع آثـار الأقدام؛ حيـث من المحتمـل أن تكون الأميرة فـي أي مكان الآن، وبينما انحنى الطريق فوجئت مورويـنا بأن قدميها تحيدان بها عـن الطريق نحـو فجوة في السـياج لتخترق بعدها أوراق الشـجر التي يكسـوها الجليد وتدخل في سكون إلى حاجز الميناء القديم. ابتسمت السـاحرة. فكرت في أن الأمر سيكون سهلًا بشكل كبير، ففي وقت مبكر من مساء ذلك اليوم كانت قد قيدت مركبها الصغير المصنوع من القش في الرباط الموجود بنهاية حاجز الميناء.

وبينما كانت جينا جالسـة، جاثية في مقابل عمود ربط السـفن، تراقـب انعكاسـات ضوء القمر المنكسـرة في مرآة النهر الأسـود، وتتسـاءل عن سـبب انزعاجها للغاية حيال طلب ماريسـا من بيتل السير معها إلى المنزل - تذكرت جينا أنه عندما قالت ماريسا: إنها تسـتأجر غرفة فوق متجر عباءات بوت، شـعرت جينا بالسعادة من

أجلها، حتى أدركت في وقت لاحق أن متجر عباءات بوت يقع على الجانب الآخر من دار المخطوطات.

وحينئذ، وتلقائيًا، لم تعد جينا تشعر بالارتياح، حتى إنها فكرت في أنه سيكون من الرائع إن كانت هي الأخرى تتمتع بالحرية التي تكفل لها استئجار إحدى الغرف مقابل دار المخطوطات، بدلًا من الاضطرار للعيش بعيدًا في القصر، وهو ما أصابها بالحيرة؛ فقد كانت تحب القصر. كيف يمكنها المقارنة إذن بينه وبين غرفة صغيرة للغاية فوق متجر عباءات بوت ذي الرائحة الكريهة؟ لماذا ترغب في العيش هناك؟

وبينما كانت جينا تفكر مليًّا في مزايا القصر بالمقارنة بعباءات بوت، تمايل حاجز الميناء فجأة؛ وما إن استدارت حتى غشيتها مشاعر الخوف والفزع؛ فقد رأت أمامها جسد موروينا مولد الضخم يزحف للأمام، وهي تضع قدميها بحذر في الجليد بطريقة غريبة نوعًا ما. أدركت جينا على الفور أنه سيكون عليها الابتعاد، فلم يساورها أدنى شك في أن تسلل ساحرة نحوها بعد منتصف الليل وهي بمفردها جاثية على أحد الأنهار الجليدية، هو نذير سوء.

وببطء شديد، كي لا تزعج موروينا - التي بدت عليها حالة من الحماسة - وقفت جينا على قدميها، لو كانت في أي مكان آخر لكانت قد هرولت، بيد أنه لسوء الحظ فإن الملاذ الوحيد كان

يعني الاتجاه نحو موروينا، التي استحوذت بشكل كبير على مساحة رصيف الميناء بالعرض. ترددت جينا. كانت على يقين بعدم رؤية موروينا لها؛ حيث كانت الساحرة الأم تدقق النظر بإمعان صوب الألواح الخشبية كما لو كانت تبحث عن شيء مفقود، بيد أنها كانت تتحرك عن كثب بطريقة غريبة ومتعمدة، وهو ما أصاب جينا بالذعر. اتخذت جينا قرارًا بأن أفضل فرصة للنجاة تتمثل في مفاجأة موروينا، عن طريق لف عباءة الساحرات حول جسدها مثل الحجاب الواقي، والهرولة مباشرة صوبها على أمل أن تتمكن من الاندفاع صوب موروينا قبل أن تتمكن الساحرة الأم من القيام بأي شيء.

أخذت جينا نفسًا عميقًا ثم انطلقت بسرعة، وعندما كانت قاب قوسين أو أدنى، نظرت موروينا إليها لاهثة، وقالت: «الأميرة!».

توقفت جينا، ثم نظرت باهتمام نحو الفراغ المتاح على جانبي الساحرة. لم يكن هناك سوى ست بوصات متبقية من رصيف الميناء، ليس أكثر من ذلك بالتأكيد، وفي الأسفل كان النهر الجليدي.

أخذت موروينا خطوة للأمام، بينما أخذت جينا خطوة للخلف، ثم قالت في محاولة لكسب المزيد من الوقت: «موروينا، أنا ... سعيدة برؤيتك».

لم ترد مورورينا؛ حيث كانت تحاول تذكر قواعد تتبع آثار الأقدام؛ هل بوسعها الانقضاض على فريستها الآن، أم عليها تتبع كافة آثار الأقدام؟ هل يتعين عليها الذهاب إلى نهاية حاجز الميناء أولًا والعودة مجددًا؟ تمنت حينها أن تتمكن من التذكر.

قالت مورورينا وهي في حالة من تشتت الذهن: «نعم، رائع للغاية». ومن ثم قالت بعد أن بدأت قدماها في سحبها لتخطو: «مزعج». كان عليها أن تتبع كل خطوة من الخطوات. يا لها من تعويذة حمقاء، في ظنها! قالت لها: «عذرًا سأذهب للحظة، أيتها الأميرة جينا. إممم، لا تذهبي بعيدًا».

وبأدبٍ جم، تنحت جينا جانبًا للسماح لمورورينا بالمرور بجانبها لتَشتمَّ بعدها الرائحة الترابية لعفن أوراق الأشجار والفطريات المتحللة، فيما مرت الساحرة بصعوبة من أمامها. ارتبكت جينا؛ حيث اعتقدت بأن مورورينا تطاردها خلسة، ولكن بدا لها أن الأمر لم يكن كذلك، فركنت جينا إلى ذلك الإحساس الزائف بالأمان، وتوجهت في طريقها للعودة إلى القصر.

ومن ورائها بدأت مورورينا في تغيير سرعتها بشكل مفاجئ؛ حيث أسرعت الساحرة في طريقها إلى نهاية رصيف الميناء، واستدارت ثم عادت مباشرةً. وفجأة اشتمت جينا رائحة الأوراق المتعفنة أثناء قيام مورورينا بوضع قدمها السحرية في آخر خطوات أقدام جينا. استدارت جينا في ذهول، في الوقت الذي كانت فيه

السـاحرة الأم تنزل بيدها على كتفي جينا وقد غرست قبضتها التي تشبه المخالب أعلى ذراعيها.

صاحـت مورويـنـا بنبـرة انتصـار وصوت متبجـح قائلـة: «لقد أمسكت بك! أخيرًا».



21
ما الذي يُتوقع حدوثه لاحقًا؟



صرخت جينا وهي تتلوى وتستدير في محاولة للإفلات من قبضتها قائلة: «ابتعدي عنّي!».

قالت مورورينا هامسة: «ليس بوسعك الفرار؛ لقد أمسكت بك».

لم يكن بوسع جينا تصديق الأمر.. كم كانت غبية. كان ينبغي عليها الفرار عندما كان في إمكانها ذلك.

قامت مورووينا بدفعها للخلف على طول حاجز الميناء، وعندها تيقنت جينا بأن الساحرة كانت تنتوي إغراقها. ثم وصلتا إلى الرباط في نهاية حاجز الميناء، ومالت مورووينا - التي لا تزال تحكم قبضتها على جينا - للأسفل، وسحبت أحد القوارب الصغيرة المصنوعة من القش من الأسفل.

وقالت بازدراء: «ادخلي!».

لم تكن تنوي أبدًا الدخول في شيء ما يشبه فنجان الشاي الكبير الذي يطفو على النهر، لا سيما برفقة ساحرة، فقالت: «لا»، وهي تدفع مورووينا دفعة قوية إلى الخلف، بيد أن قبضة الساحرة كانت صارمة؛ لتجد جينا نفسها تترنح على نهاية حافة الألواح الخشبية الآيلة للسقوط، ثم أمسكت بشدة بالرباط بكلتا يديها. إذا ما كانت مورووينا ترغب في سحبها؛ فعليها سحب عمود رسو السفن معها أيضًا.

وفجأة، انتبهت جينا إلى حركة ما على ضفة النهر المظلمة على خلفية الجليد؛ حيث كان هناك شخصان يتحركان بسرعة نحو رصيف الميناء. شعرت جينا بانقباض في صدرها، فقد ظنت جينا أنها تعزيزات للساحرة؛ حيث اعتادت الساحرات دومًا التنقل في مجموعات ثلاثية، ثم تذكرت إحدى القصائد القديمة:

أمّا الساحرةُ الأولى فإليكِ ستهتدي.
وأمّا الثمنُ البخسُ فستدفعه الساحرتانِ.
وأمّا الساحرات الثلاث فللتنبيه.
بألّا مفر للهروبِ لديكِ.

حتى إنها راهنت أنه من المحتمل أن تكون ماريسا واحدة منهما، ولكن فجأة سُمع صوت مرتفع لا يشبه صوت ماريسا على الإطلاق قائلًا: «توقفي عندك!».

لم تسعد جينا أبدًا بسماع ذلك الصوت كتلك اللحظة، صرخت قائلة: «ميلو! ساعدني، ساعدني!».

اهتزت الألواح الخشبية الآيلة للسقوط أثناء تحرك ميلو بقوة نحوهما. دفعت موروينا جينا بقوة، بيد أن جينا كانت على استعداد لذلك. وباستخدام القوة الدافعة - والحقيقة أن موروينا كانت تمسك جيدًا بها - تأرجحت جينا حول عمود الإرساء في حركة دائرية، آخذةً الساحرة معها. كانت قد سمعت أن الساحرات لا يحببن الماء، وكان أملها الوحيد هو أن صدمة الماء سوف تجعل موروينا تفلت قبضتها، وفيما بدأت موروينا في التعثر، تهيأت جينا للسقوط في الماء الجليدي.

وفجأة، هبطت يدا ميلو الثقيلتان على كتفي موروينا، ليسحبها للخلف بعيدًا عن الحافة، ثم صرخ قائلًا: «**يتلفظ يكرتا!**».

على إثر ذلك، صرخت موروينا صرخة غضب، وبدأت جينا تشعر بتلاشي قبضة الساحرة من على ذراعها. ثم قفزت للخلف لتقوم هي وميلو بدفع مورويتا دفعة قوية. هبطت الساحرة ببراعة في القارب الصغير، فيما ارتفعت قدماها في الهواء، وظهرت ذراعاها مثل الخنفساء المقلوبة على ظهرها، ثم بدأ القارب الصغير يقوم بما تقوم به تلك القوارب الصغيرة في العادة؛ فأخذ يلف في دوائر، ثم واصل الالتفاف والالتفاف، حتى وصل إلى منتصف النهر، ثم شاهد كل من جينا وميلو الساحرة أثناء دورانها في انعكاس ضي القمر؛ ثم جرف التيار القارب الصغير وسحبه بسرعة لتتقاذفه المياه المتلاطمة في منتصف النهر، عائدًا بالساحرة الأم إلى الغابة.

تساءلت جينا: «ما الذي قلته لها وجعلها تفلتني؟»

وكان ميلو قد اتخذ قرارًا في ذلك الصباح بعدما قامت جينا بتقبيله. ففي النهاية، سمحت جينا له بأن يصبح أباها، وهو الدور الذي سوف يقوم به. وربما للمرة الأولى على الإطلاق، أجاب بشكل مباشر عن أحد الأسئلة، وقال: قلت لها: «اتركي طفلتي» **بحروف مقلوبة**.

لم تتوقع جينا ذلك: «أوه..».

لم يكن ذلك سهلًا، بيد أن ميلو واصل الحديث قائلًا: «عندما... نعم، عندما كانت سيريس، والدتك، لا تزال تحملك بداخلها، كان يساورها قلق بالغ حيال **خطف الصغار في المهد**. وقد اعتادت

ساحرات ويندرون القيام بذلك؛ أي: القيام بخطف البنات الرضع من مهدهن لتربيتهن وتنشئتهن حتى يصبحن ساحرات، ولا سيما أنهن أحببن خطف الأميرات، حيث تعتبر الأميرة جائزة كبرى بالنسبة لأي جماعة من الساحرات، هذا ما يقلنه».

أومأت جينا برأسها. كانت على علم بذلك.

ابتسم ميلو لتلك الذكرى وقال: «وفي الوقت الذي تقلدت فيه سيريس منصب الملكة توقفت ساحرات ويندرون عن خطف الأطفال الرضع بالقلعة، بيد أن والدتك كانت لا يزال يراودها خوف من أن وجود أميرة رضيعة قد يغريهن بخطفها؛ لذا قالت لي تلك التعويذة القوية **بالحروف المقلوبة**، حسنًا، بالفعل، لقد أجلستني وجعلتني أتعلم تلك الجملة مرارًا وتكرارًا».

ومرة أخرى، شردت جينا في تلك الحياة الخيالية الافتراضية التي تتمناها ثم تساءلت: «وأنت تذكرت، بعد مرور تلك المدة من الزمن؟».

واستمرارًا لعزمه على أن يكون مباشرًا وواضحًا مع جينا، أقر ميلو بشيء ما: «حسنًا، لقد فعلت ذلك تقريبًا. بالفعل، أنا على يقين أنني كنت سأفعل ذلك. ولكن لحسن الحظ، قامت والدتك بتذكيري، حيث إنه من الأمور التي يتعين عليك القيام بها بشكل صائب من المرة الأولى، حيث لا توجد فرصة ثانية مع الساحرات».

أدركت جينا كم كانت محظوظة؛ لقد هربت من جماعة ساحرات الميناء ذات مرة، ومن ساحرات ويندرون مرتين حتى الآن. ولكن هناك مثلًا معروفًا يقول «الثالثة ثابتة». بيد أن ميلو قال شيئًا ما لم تستوعبه جينا. وبعد أن بدا أنه يجيب عن أسئلتها بالفعل للمرة الأولى، سألته:

«ماذا تقصد بأن والدتي هي من قامت بتذكيرك؟».

نظر ميلو صوب جينا وأطلت من عينيه نظرة غريبة.

لقد بدت بالنسبة له صغيرة في السن، صغيرة للغاية، لكن ما الذي يعلمه عن الأمر؟ دائمًا ما كانت الملكة على صواب. «جينا، إن والدتك، أو بالأحرى شبح والدتك، هنا في هذا المكان».

«هنا؟».

وجه ميلو جينا برفق إلى المكان، حيث كانت تنظر صوب القصر وقال: «هناك».

لهثت جينا قائلةً: «أوه!»

وعلى ضفة النهر في أقصى حافة لرصيف الميناء، كان هناك شبح لامرأة شابة واقفة ترتدي رداءً طويلًا أحمر اللون مثل رداء الملكة.

سأل ميلو بلطف: «هل نذهب ونلتقي بها؟».

تاهت من جينا الكلمات، ثم أومأت برأسها.

وضع ميلو ذراعه حول كتفي جينا ليسيرا معًا نحو الشبح. وأثناء اقترابهما رأت جينا والدتها، تمامًا في نفس الهيئة التي تراها عليها في أحلامها. لقد كانت صغيرة في السن على نحو مدهش، كما كان شعرها الأسود الطويل مربوطًا بطوق ذهبي، ولم تحرك عينيها الكبيرتين الأرجوانيتي اللون من على ابنتها للحظة واحدة.

ومع كل خطوة كانت تخطوها جينا انتابها شعور كما لو كانت تنتقل من حياة إلى حياة أخرى. مد شبح الملكة سيريس يده الشفافة، وبالمقابل أمسكت جينا يدها لتلتقي بها بحذر حتى تسمح للشبح باللمسة الأولى، إذا كانت لديها رغبة في ذلك. كانت لدى سيريس رغبة جامحة في ذلك، حيث وضعت يدها على يد جينا، ثم شعرت جينا بشيء ما يسري في جسدها، مثل النسيم الدافئ في يوم من أيام الشتاء.

«ابنتي.... العزيزة... جينا». كان من الصعوبة بمكان على سيريس نطق اسم جينا؛ نظرًا لأنه لم يكن الاسم الذي كانت قد اختارته لها. وقد اتخذ كل من ميلو وسيريس قرارًا بأن يطلقا على جينا اسم جدتيها، بيد أن يوم التسمية لم يحدث أبدًا.

وقفت جينا في صمت، ولم تكن تعرف كيف تنادي على والدتها. شعرت أن كلمة «أمي» رسمية على نحو مبالغ فيه، وكلمة «ماما» هي الكلمة التي تنادي بها سارة هيب، و«سيريس» تجعلها تشعر كما لو كانت تنادي على صديقة لها.

خمنت سـيريس الشـبح: ما الذي كان يدور فـي خَلَد جينا؟ ثم قال لها: «ربما يمكنك أن تناديني باسم ماما؟».

لـم تكن جينا على يقين من ذلك؛ حيث بدت كلمة ماما طفولية نوعًا ما. «أنا.... لا أعلم».

قامـت سـيريس بسـحب يدهـا ونظـرت في حـزن، ثـم قالت: «بالطبـع، لديك مامـا بالفعل. لقد قضيت ما يزيد على أربعةَ عشـر عامًـا مـن حياتك مـع عائلة أخرى؛ عائلـة ما كنت أبدًا سـ..». ثم خفت صوت الشـبح مـن الانفعال؛ ذلـك أن اختيار كلٍّ من سـارة وسـايلاس هيـب باعتبارهما بمثابة والديها بالتبني، قد سـبَّب رعبًا لـدى سـيريس عندما عرفـت ذلك للمـرة الأولى من خلال شـبح والدتهـا التي قبلت الأمـر ورحبت به؛ حيث قالـت الملكة ماتيلدا لابنتها الحزينة: «سوف يحبَّانها كما لو كانت ابنتهما، وهذا هو أهم شيء بالنسبة للأطفال». بيد أن سيريس لم توافق على الأمر، وظل اختيار عائلة هيب أمرًا ينغصها.

رأى ميلو أن سـيريس سـوف تنجـرف إلى تلك المشـاعر أو ما أطلق عليه اسـم «الحـالات»، فقال لها بهدوء: «مـا فات قد مات، عائلة هيب عائلة طيبة، والآن قد حان وقتك يا سيريس».

شـاهدت جينا والديها معًا وهي لا تكاد تصدق عينيها. فمنذ أن أُهديـت كتاب «قواعد الملكة» في عيد ميلادها الرابع عشـر كانت قد أصبحت على علم بأنها سوف تقابل شبح والدتها قريبًا يومًا ما،

بيد أنها لم تتوقع أبدًا رؤية والدتها وأبيها معًا في شكل زوجين. لقد كان الأمر بمثابة صدمة بالنسبة لها، ولم يكن هناك أي شكل من أشكال المداعبة السلسة والسعيدة التي اعتادت على رؤيتها بين سارة وسايلاس. في بادئ الأمر ظنت جينا أن ذلك يحدث نظرًا لكون أحدهما شبحًا، بيد أنهما بدآ في اتخاذ أدوارهما بشكل تدريجي بيسر وسهولة؛ مما دفعها للتشكك في أنهما كانا دومًا كذلك، حيث تتسم والدتها بالتوتر والعصبية، بينما يقوم والدها دومًا بدور المخفف من توترها.

وكانت لكلمات ميلو المهدئة آثارها المرجوة؛ فهدأت سيريس. ثم مد شبح الملكة يده إلى جينا وقال: «تعالي يا ابنتي، لدينا رحلة ما للقيام بها».

لم تُصب جينا بالدهشة، لقد تمت الإشارة إلى تلك الرحلة في فصل «الغموض» من كتاب قواعد الملكة، على الرغم من عدم وجود أي تفاصيل بشأنها. ثم تساءلت: إلى أين سوف تأخذهم تلك الرحلة؟ وضعت يدها في ظل يد والدتها، وأتاحت للشبح اقتيادها على طول ضفة النهر باتجاه القصر. شاهد ميلو ابنته وشبح زوجته يسيران معًا، ثم انطلق في أعقابهما على مسافة حذرة. تنهد، وشرد بتفكيره في تلك الحياة الافتراضية التي كان من الممكن أن تكون، تمامًا مثل جينا.

وكان كل من سارة وسايلاس قد غلبهما النعاس بجوار المدفأة في غرفة جلوس سارة، كما ذهب كل من إرنولد وإدموند هيب للنوم منذ فترة طويلة، بيد أن سارة كانت على علم بأن جينا لا تزال بالخارج. «وأنا لا يمكنني النوم حتى أعلم بعودتها في أمان إلى منزلها يا سايلاس. بوسعك الصعود بمفردك بدوني».

بيد أن سايلاس مكث مع سارة. لم يكن ليتركها بمفردها في غرفة الجلوس تلك مرة أخرى؛ لذا عندما تأرجح الباب وفُتح ونظر سايلاس ليرى جينا تدقق النظر صوبهما، وكز سارة.

فتحت سارة عينيها وابتسمت في وجه جينا، ثم سألتها: «هل قضيت وقتًا لطيفًا؟».

لم ترد جينا بنفس الابتسامة، ثم دخلت إلى غرفة الجلوس، وباستخدام نبرة صوت لتعلن عن شيء لا يرغب أي والدين بالاستماع إليه، قالت: «ماما، بابا».

وقف كل من سارة وسايلاس على قدميهما على عجَل وقالا: «يا إلهي! ماذا حدث؟».

وردًّا عليهما، تنحَّت جينا إلى أحد الجوانب، ودفعت الباب خلفها ليفتح على مصراعيه.

شهق سايلاس قائلًا: «أوه!».

وهتفت سارة: «جلالة ... جلالة الملكة، أوه... يا إلهي!».

ابتسم شبح الملكة سيريس في تشكك، وقال: «سارة هيب.. سايلاس هيب».

«أوه! تفضلي يا صاحبة الجلالة».

اندفع الشبح داخل ما كانت ذات يوم غرفة الجلوس (المنمقة المنظمة) الخاصة بها، وأمعن الشبح النظر إلى الفوضى التي عمت على المكان في هلع. رأت سارة استقرار نظر الملكة على بقايا طعام وجبة العشاء، الذي كان مكومًا على الأرض بجانب المدفأة، وعلى عجل قامت بوضع منشفة عليه. وقد انتشرت بقع الشمندر الحمراء المخلل (حيث كان سايلاس يتقزز من الشمندر المخلل) على المنشفة كما لو كان شخص ما قد أطلق عليها النيران، وهو ما أثار حرج سارة بشكل أكبر، ثم نظرت صوب الملكة سيريس، وهي تحاول دون أن تنجح أن تصرف نظرها على لطخة الدماء السوداء الكبيرة على قلب الشبح.

قالت جينا مجددًا وهي لا تعلم من أين تبدأ حديثها: «إمم. ماما، بابا».

قالت سارة بقلق: «نعم يا محبوبتي».

«أمي، الملكة، لديها شيء ما ترغب في أن تقوله لك ولبابا».

«أوه! يا عزيزتي..». وكانت تلك اللحظة التي تخشاها سارة. هي اللحظة التي يطل فيها الماضي برأسه لمطاردتهم.

عاجلتها جينا قائلة: «إنه شيء غير سيئ يا ماما، حقًّا».

لم تكن سارة مقتنعة بذلك.

بـدت الملكة سـيريس منزعجة، ولـم يكن بوسـعها تصديق ما فعلته سـارة بغرفة الجلوس الجميلة الخاصة بها. هل عاشت ابنتها تلـك الحياة أيضًـا؟ ثم صمتت للحظـات في محاولـة منها لتهدئة نفسها. وانتظر كل من سارة وسايلاس في توتر.

بدأت الملكة الشـبح في الحديث: «زوجي وأنا..». اسـتدارت وأشـارت لشـخص ما بالدخول من الممر: «ادخـل!». دخل ميلو عبر الباب بصعوبة وحاول الإبقاء عليه مفتوحًا باسـتخدام مشـاية الباب الوردية الرقيقة المصنوعة من فرو الأرنب، وهو ما نجح فيه بالـكاد. وبقـدر مـن الصعوبة، وجد لنفسـه مكانًـا للوقوف؛ حيث حشـر نفسـه بين كومتين من الروايات الرومانسية ذات الصفحات المطوية الزوايا، والمبقعة ببراز البطة. بدأت الملكة الشبح مجددًا: «زوجي وأنا نرغب في توجيه الشـكر لكليكما، يا سارة وسايلاس هيب؛ لرعاية ابنتنا».

نظرت سـارة نظرة خاطفة صوب سـايلاس، ولم تحب وصف جينـا بأنها ابنة شـخص آخر. كما رفع سـايلاس حاجبيـه ردًّا على الأمر، ولم يحب الوصف هو الآخر.

واصلت الملكة الشبح حديثها: «نود أن نعرب عن عميق امتناننا لكمـا للحب والرعايـة اللذين أوليتموهما لها، كمـا أننا على دراية كاملة بالمصاعب التي واجهتماها نتيجة للوصاية..»..

نظرت سارة نظرة خاطفة في اضطراب صوب سايلاس، فهما لم يكونا وصيين على جينا، لقد كانا والديها.

«...على ابنتنا. ونحن على ثقة بانتهاء تلك المصاعب، وأنه بوسعكما الآن استئناف حياتكما البسيطة والسعيدة في نفس الوقت». أطلق سايلاس زفرة، كما بدت سارة مثل السمكة الذهبية التي تم إلقاؤها خارج حوضها.

تحدث سايلاس إليهما، وقال: «جلالة الملكة، جينا لم تجلب لنا سوى كل الخير، ودائمًا ما كنا نعتبرها ابنتنا، ودائمًا ما سوف ننظر إليها باعتبارها ابنتنا. لم ينته شيء على الإطلاق».

قالت سيريس: «لكل شيء نهاية يا سايلاس هيب، وبداية. هذه هي سُنَّة القلعة، وسُنَّة الكون بوجه عام».

كان غضب سارة يتزايد شيئًا فشيئًا، ثم انفجرت قائلةً: «ماذا تقصدين؟».

«أقصد أن الأمور ستبدأ اليوم».

تساءل سايلاس: «ما المقصود بالأمور؟».

«هذا ليس من شأنك معرفته يا سايلاس هيب».

فكر سايلاس بطريقة مختلفة، وقال: «إذا كان لها تأثير على ابنتنا، فمن المؤكد أنه من شأننا معرفة الأمر».

لم تكن عائلة هيب كما توقعت سيريس تمامًا، لقد افترضت أنهما سوف يجثمان على ركبتيهما وينحنيان في احترام وتبجيل

لها، ويقومان بتسليم ابنتها إليها بكل تهذيب، وأنها لن تراهما بعد الآن؛ لذا انتابت سيريس حالة من فقدان الأعصاب. عندما كانت في منصب الملكة لم يكن لأحد أن يحلم بأن يتحدث معها بتلك الطريقة، لا سيما سارة وسايلاس هيب، ونظرًا لانحصارها في المدخل بسبب الكميات الهائلة من الخردة؛ التي كان عليها المرور من خلالها من أجل المضي قُدمًا إلى نقطة أبعد داخل الغرفة، رفعت الملكة سيريس صوتها وتحدثت ببطء شديد.

ثم قالت: «لقد حان الوقت لابنتنا للانطلاق في رحلتها».

تساءلت سارة: «أي رحلة؟ إلى أين؟». وقد تدفقت إليها مجددًا ذكريات زيارة مشابهة قامت بها مارشا أوفرستراند لاصطحاب جينا بعيدًا عن غرفتها في منطقة العشوائيات منذ ما يقرب من أربع سنوات. «ليس بوسعك القدوم إلى هنا واصطحاب جينا بعيدًا. لن أسمح لك بذلك، لن أسمح».

ردت الملكة سيريس: «ليس من شأنك السماح أو عدم السماح يا سارة هيب».

شاهد ميلو الحوار الذي يحدث وقد سيطر عليه الارتباك؛ فقد كان مغرمًا للغاية بعائلة هيب، ولم يكن لديه أي رغبة في مضايقتهما.

لقد نسي تمامًا كم كانت سيريس لديها نزعة للسيطرة؛ حيث كان الزمن قد ألقى بمسحة وردية على حياته معها، وقد تذكر الآن السبب وراء ذهابه في كثير من رحلاته البحرية. لقد عاود ميلو

ممارسة دوره منذ خمسة عشر عامًا؛ وهو تهدئة الأمور المشتعلة؛ سلك طريقه عبر الغرفة صوب أفراد عائلة هيب المنزعجين.

ثم قال: «يا سايلاس، يا سارة، لا تقلقا من فضلكما. دائمًا ما تذهب جميع الأميرات مع أشباح أمهاتهن إلى رحلة ما قبل أن يصبحن ملكات. أظن أنهن يعدن إلى المكان الذي أتت منه عائلتهن، على ما أعتقد».

لم يجعل ذلك الأمر سارة تشعر بأي تحسن، ثم قالت غاضبةً: «أين ذلك المكان؟ وكيف ستذهب جينا إليه؟ وما طول المدة التي ستبتعد فيها جينا؟».

قال ميلو معترفًا: «لا أعلم». ثم هز كتفيه في استهجان، في ظن سارة، وقال بابتسامة حزينة: «إنها شئون تتعلق بالملكات. إنهن يقمن بالكثير من تلك الرحلات، سوف تكتشفين ذلك».

دفعت جينا كومة من الغسيل للخلف، واحتضنت سارة، قائلة لها: «ماما، الأمور على ما يرام. ما قاله ميلو هو الصواب؛ إنها أمور متعلقة بالملكة، وهذا ما يتعين علي القيام به. تعرفين أنه كذلك».

قالت سارة: «أعلم يا حبيبتي». ثم قامت بمسح أنفها بصوت مزعج باستخدام منديل كبير، وأيقظت البطة إيثيل. فمنذ **الهيمنة الشيطانية**، كانت البطة تُصاب بالرعب بسهولة، لا سيما في غرفة جلوس سارة. والآن انطلقت إيثيل في حالة من الذعر والهلع، حيث ملأت أصوات الوقوقة شديدة الاهتياج أرجاء الغرفة،

وانتفضت البطة وراحت ترفرف بجناحيها الصغيرين النحيلين، ثم اندفعت بسرعة عبر الغرفة الصغيرة، لتقفز من فوق رأس ميلو إلى كومة الغسيل ومنها إلى أوعية الزهور، لتنطلق خارج الباب، **وتمر من خلال** شبح الملكة سيريس التي أصابتها حالة من الذهول.

لم يمر أحد من خلال شبح الملكة في السابق، إنها تجربة صادمة بالنسبة لأي من الأشباح الذين يخوضونها في المرة الأولى، لا سيما إذا كانت **المارة من خلاله** هي بطة مصابة بحالة هستيرية. خرجت الملكة سيريس خارج الغرفة بوجه عابس واندفع ميلو في أعقابها.

كان لدى جينا لحظات قليلة تقضيها مع سارة وسايلاس، فقالت لهما: «ماما وبابا؛ لا ينبغي لكما القلق، سوف أكون بخير.. أعلم أنها -أقصد، أمي، الملكة - تبدو ..».

أردف سايلاس قائلا: «فظة».

وافقته جينا في الرأي: «نعم، بيد أنها لم تتحدث مع أي أحد منذ أعوام، وأعتقد أن الأشياء تختلف تمامًا عما كانت تتوقعه». ثم أخذت جينا نفَسًا عميقًا، وشعرت بالحماس إزاء ما ستقوله: «وأعتقد أنني سوف أصبح ملكة قريبًا».

أومأت سارة برأسها، وقالت: «أعتقد ذلك أيضًا يا حبيبتي».

«هل تعتقدين ذلك؟»

«نعم، بوسعي قول ذلك. هناك شيء ما مختلف بالنسبة لك. وأنا أتفهم أن التوقيت صار مناسبًا».

وبعد أن استمعت جينا لذلك من قبل سارة، تنفست الصعداء وشعرت بالسعادة، ثم تساءلت: «وأنت لا تمانعين؟».

«بالطبع لا نمانع. كنا نعلم أن ذلك سوف يحدث يومًا ما. أليس كذلك يا سايلاس؟».

تنهد سايلاس، وقال: «بلى، كنا على علم بذلك».

بدت على ميلو حالة من القلق عند الباب، ثم تساءل: «هل الأمور على ما يرام؟ هل أنت مستعدة؟».

هزت جينا رأسها، وقالت: «نعم، الوداع يا ماما. الوداع يا بابا. سوف أعود قريبًا». ثم احتضنتهما بشدة، ثم راقب كل من سارة وسايلاس بعدها جينا، وهي تسلك طريقها عبر الغرفة.

امتدت يد الملكة سيريس الشاحبة إلى جينا، واستدارت جينا، ثم أرسلت قبلة في الهواء صوب سارة وسايلاس، ثم غادرت، لينسحب بعدها ميلو بلباقة، تاركًا سارة وسايلاس معًا.

سادت حالة من الصمت الطويل غرفة الجلوس.

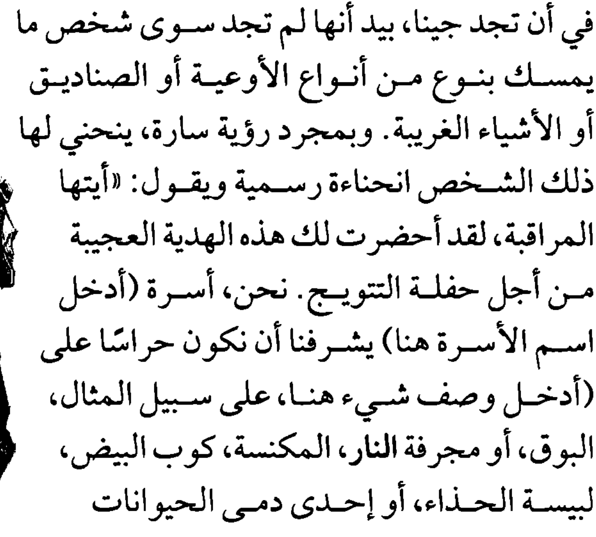
وبعد برهة، قال سايلاس على نحو خشن: «من الأفضل الذهاب والعثور على تلك البطة البغيضة».

22

علاقات

صار من المعلوم ذهاب الأميرة في رحلتها، لتبدأ مجموعة غريبة من الأشياء والأشخاص في ارتياد القصر.

فلم يمر يوم من الأيام دون أن تُستدعى سارة هيب إلى البهو الواقع في مدخل القصر، ودائمًا ما كان يراودها الأمل في أن تجد جينا، بيد أنها لم تجد سوى شخص ما يمسك بنوع من أنواع الأوعية أو الصناديق أو الأشياء الغريبة. وبمجرد رؤية سارة، ينحني لها ذلك الشخص انحناءة رسمية ويقول: «أيتها المراقبة، لقد أحضرت لك هذه الهدية العجيبة من أجل حفلة التتويج. نحن، أسرة (أدخل اسم الأسرة هنا) يشرفنا أن نكون حراسًا على (أدخل وصف شيء هنا، على سبيل المثال، البوق، أو مجرفة النار، المكنسة، كوب البيض، لبيسة الحذاء، أو إحدى دمى الحيوانات



المحشوّة) في حفل التتويج، وذلك هو واجبنا المحدد منذ بداية الزمان، وها نحن ذا نتشرف بأن نهديك هذا، أيتها المراقبة، للقيام بالمهمة المقدسة. رحلة آمنة». وحينئذٍ ينحني الواهب ثلاث مرات، ويسير إلى الخلف عبر جسر الخندق المائي، متوخيًا الحذر لئلا يقع فريسة للسلاحف النهاشة. وبمجرد الانتهاء من الدور المنوط به، كان يقوم هو أو تقوم هي بالتلويح بابتهاج لسارة قائلاً: «حظ سعيد!». أو يعدو بحياء وخجل.

وكان السير هيروارد، الذي وقف في حراسة المكان في الظلال بتفان وإخلاص، في انتظار عودة جينا، قد شهد ذلك من قبل. وكان يتابع وصول كل من هذه الأشياء بقبول واستحسان، وهو سعيد باستمرار التقاليد القديمة. إلا أن ما كان ينغصه هو مشهد تلك الأشياء الثمينة الملقاة بإهمال في كومة متزايدة بجوار الأبواب.

كانت سارة قد اعتادت تقريبًا على تلك الزيارات. لقد توقفت عن إخبار الناس بأنها ليست المراقب - أيًا كان ذلك- كما توقفت أيضًا عن إخبار الناس بأنها لن تذهب في رحلة، بعدما أدركت أنهم يشيرون إلى رحلة جينا، بيد أنها تمنت أن يتوقفوا عن ذلك؛ ذلك أنها بمجرد شروعها في القيام بأي شيء، كانت تسمع رنين جرس في البهو الواقع بالمدخل. وحتى إن تجاهلت الجرس، فسوف يأتي الحارس المناوب بحثًا عنها؛ ذلك أن أيًا من حرس حفل

التتويج ما كان ليغادر دون تسليم الشيء الذي بحوزته إلى «المراقبة».

لم يكن بوسع سارة فعل شيء سوى القلق حيال جينا، بيد أنها بذلت أفضل ما لديها لتخفي ذلك الشعور، وكانت لديها رغبة في أن يستمتع أبناؤها الأربعة أبناء فورست بأوقاتهم «بعد العودة للمنزل» حسبما أطلقت عليها. كانت سارة تراودها الآمال بأنه من المحتمل أن يتخذوا قرارهم بالمكوث؛ لذا قررت إخفاء مخاوفها. ولكن نكو كان يتفهم مشاعرها. كان يعرف كم بكت والدته عندما فقدوا في زمن آخر، وحاول أن يعوضها عن ذلك.

وبعد مرور ليالٍ قليلة على مغادرة جينا، كانت سارة تجلس في النافذة تشاهد الظلام يخيم على المكان. كان ذلك أسوأ أوقات اليوم بالنسبة لسارة، فهو يعني دخول ليلة جديدة دون أن تعرف مكان جينا وما تفعله الآن. وبينما كانت سارة تنظر صوب النهر، رأت أضواء تتمايل بجانب رصيف الميناء التابع للقصر، قفزت سارة على قدميها من فرط سعادتها. لقد عادت جينا! هرعت من الغرفة مندفعة نحو نكو.

قال نكو بابتسامة عريضة: «آي! أهلًا، يا ماما. توقيت رائع».

قالت سارة: «لقد عادت، عادت أخيرًا».

«من التي عادت؟».

«جينا!».

«أوه! هذا أمر رائع. لقد اصطاد سام الكثير من السمك».

قالت سارة في حالة من الذهول: «سمك؟!».

«إنها مفاجأة يا ماما. لقد أعددنا عشاء عائلة فورست على شرفك».

«عشاء لعائلة فورست؟!».

أشار نكو إلى الأضواء بالخارج وقال: «هناك عند ضفة النهر. أترين؟».

أمعنت سارة النظر صوب الأضواء وقالت: «أوه!». عندما نظرت عن كثب الآن، تبينت أن الأشخاص ذوي البنية القوية ما هم إلا أبناؤها الأربعة يقفون بجوار النار، وقد وقف سبتيموس وسايلاس هناك بجوار النهر، يمسكون بالمصابيح، ويتحدثون إلى إدموند وإرنولد.

تساءل نكو: «هل أنت بخير يا ماما؟».

حاولت سارة أن تنفض عن نفسها مشاعر الإحباط وخيبة الأمل التي أصابتها، كانت تدرك أنه لو أخبرها أحدهم منذ أشهر قليلة فقط بأن جميع أبنائها سيكونون معها، آمنين وسعداء، لكانت ستطير من فرط السعادة؛ لذا قالت لنفسها بصرامة، إنها عليها أن تحصي النعم التي بين يديها، ثم ابتسمت.

«أنا بخير يا نكو يا حبيبي. أشكرك. والآن، أين ذلك العشاء الرائع؟».

وبينمـا كان أبناء فورسـت هيب يقومون بطهي السـمك لسـارة وسـايلاس، كان هناك عشـاء آخر يعد في منطقة المنزلق الثعباني؛ حيث جلس كل من مارسيلوس وسايمون ولوسي في غرفة العشاء الطويلـة الضيقة التـي تمتد من مقدمة المنزل إلـى مؤخرته، وذلك على منضدة بذات الطول والضيق مضاءة بكثير من الشـموع، حتى إن لوسي وجدت صعوبة في الرؤية من ذلك الضوء المتوهج.

أعلن مارسيلوس قائلًا: «لدي بعض الأخبار السيئة».

نظر سـايمون صوب لوسـي بقلق، وكان لا يزال يتوقع أن تسير الأمـور في الاتجاه الخاطئ؛ ولذلك فقد حبس أنفاسـه، معتقدًا أن مارسيلوس سيخبره بأنه لم يعد لديه رغبة في أن يتخذه مساعدًا له.

قال مارسيلوس: «لقد انهارت المدخنة الكيميائية».

قالت لوسي: «ذلك بسبب الصقيع المتجمد، والملاط لا يستقر في تلك الأجواء».

قال مارسيلوس في حزن: «هذا ما يقولونه».

قالـت لوسـي: «أنـت فـي حاجـة إلـى وضـع سـخانات داخل السقالات المصنوعة من المشمع».

نظر مارسيلوس بانتباه فجأة: لمَ لم يفكر عامل البناء في ذلك؟

ثـم أضافت لوسـي: «عليـك أن تكلفهـم ببنائها مثل منـارة صخرة القط».

«فعلاً؟».

«نعم. صخرة القط بها كتل ضخمة من الجرانيت مثل الأساسات، ثم تليها الأحجار، ثم تكون الأحجار أصغر فأصغر كلما ارتفعت المدخنة. يجب أن يكون الجزء السفلي من المدخنة قاعدة عريضة للجزء العلوي».

انبهر مارسيلوس مما سمعه حتى إنه مع نهاية تلك الليلة كان قد أوكل للوسي مسئولية الإشراف على بناء المدخنة الكيميائية. وفي وقت لاحق، أثناء سيرهما في الطريق عائدين إلى منزلهما الصغير، قال سايمون بفخر: «لن تسقط المدخنة الجديدة بأي حال من الأحوال يا لو. فقد صرت مسئولة عنها، لن تجرؤ على ذلك».

وبينما كانت سارة تشعر بالقلق حيال مغادرة الأبناء فورست الأربعة، لم تُظهر مجموعة أبناء هيب - التي كانت سارة سترحب للغاية بتوديعهم - أدنى إشارة تدل على رغبتهم في الذهاب. في حقيقة الأمر، ما أثار فزع سارة هو أن إرنولد وإدموند قد أبديا رغبة شديدة في المكوث بشكل دائم. فقد عثرا لأنفسهما على جناح من الغرف في أقصى نهاية القصر، وعسكرا فيه، كما ترى سارة الأمر. وفي عصر أحد تلك الأيام، قالت سارة: «تكمن المشكلة، يا سايلاس، في أنه ليس بوسعنا القول بأننا ليس لدينا مكان، أليس كذلك؟».

قال سـايلاس: «لـن يكون لدينا مـكان عندما نعود إلـى منزلنا، سوف يضطرون حينها للذهاب».

وفـي الصبـاح الـذي أعقـب تناول العشـاء بجـوار النهـر، كان سايلاس على موعد مع برج السحرة للقيام بمراقبة القفل المحكم. توسـلت سـارة إليـه لاصطحـاب إرنولـد وإدمونـد معـه. «إنهمـا يقودانني إلى الجنون، فهما يتعقبانني في كل مكان ولا يتوقفان عن الحديث. كل ما أريده هو قضاء صباح هادئ في حديقة الأعشـاب دون أن أكـون مضطـرة للاسـتماع إلـى ذلـك العـرض الكوميدي المـزدوج». احترامًا لرغبتهـا، اصطحب سـايلاس أخويه معه إلى برج السحرة؛ حيث وقَّع باسمهما عند الدخول باعتبارهما ساحرين زائريـن- وهـي الصفـة التـي انتحلاهـا- وتـرك لهمـا المجـال لاستكشـاف المسـاحات المفتوحة من البرج، وبعـد مرور نصف سـاعة، بعـد الانتهاء مـن مهمة المراقبة، وجد سـايلاس نفسـه في ورطة.

كان سـايلاس لا يزال مشـوش الرأس بعد التحديق في السـحر كل هـذه المدة، وعندما خرج وجد مارشـا أوفرسـتراند تستشـيط غضبًا، وقد وقف إلى جانبها كل من إدموند وإرنولد في خنوع.

تسـاءلت مارشا: «هل هذان يخصانك؟». كما لو كان سايلاس قد ترك زوجًا من الجوارب النتنة على الأرض.

أقر سايلاس قائلا: «أي نعم. لقد وقَّعا عند الدخول».

تساءلت مارشا وهي في حالة من الريبة: «باعتبارهما ساحرين زائرين؟».

قال إدموند فجأة وبعد فترة صمت: «ونحن كذلك بالتأكيد يا سيدتي».

أضاف إرنولد: «نحن في خدمتك تمامًا وكليًّا، أيتها السيدة العُظمى».

قالت مارشا بصرامة: «أنا لست سيدة عُظمى، أنا ساحرة عُظمى. يا سايلاس، قبل إدخال أشخاص باعتبارهم سحرة زائرين، أتوقع منك على الأقل الكشف عن كونهما سحرة زائفين أم لا؛ نظرًا لأن هذين الشخصين -جاهدت مارشا نفسها كي تمنع نفسها من الإشارة إلى الزائرين باعتبارهما أحمقين- ليسا سحرة على ما يبدو».

ردد التوءمان قائلين: «ولكننا ساحران».

«لقد تدربنا مع مشعوذي البحار الخضراء الهادئة..».

«... في الجزر الغربية».

قالت مارشا: «هذا هراء تام».

«بالفعل، لقد تدربنا».

«حقًّا، لقد تدربنا. بأمانة».

قالت مارشا: «لقد أسأتما فهمي؛ أعني أن الشعوذة هراء، إنها محض خداع ولا تمت للسحر بصلة. ليس لدي شك في أنكما قد

تعلمتما بعض الخدع، فما من شك في أن غزو يرقات الفراشات الوردية المغنية في صوبة النباتات العامة بالطابق الرابع هو خير شاهد على ذلك، بيد أن ذلك لا يجعلكما ساحرين. عد بهما إلى المنزل يا سايلاس في الحال».

مجرد التفكير فيما ستقوله سارة إن عاد إليها بصحبة إدموند وإرنولد بعد مرور ساعة واحدة فقط، منحه الشجاعة كي يتحدث.

قال لها: «مارشا، لن يمكث شقيقاي هنا لفترة طويلة».

قال إدموند: «أوه! ولكننا سنفعل».

رد سايلاس بحسم: «لا، لن تفعلا». ثم وجه حديثه إلى مارشا قائلا: «شقيقاي لديهما رغبة كبيرة في تعلم السحر. والتعليم من أهداف برج السحرة، أليس كذلك؟ لديهما رغبة في انتظار دورهما في كافة المهام، وهما يعتذران حقًّا عن موقف يرقات الفراشات».

وخز سايلاس إرنولد في مقدمة ساقه وقال: «أليس كذلك؟».

قال إرنولد: «آآآآه! نعم، بالطبع لم يقصد إدموند القيام بذلك».

صرخ إدموند معترضًا: «ولكنني لم أفعلها».

«لقد فعلتها».

نظرت مارشا صوب الشقيقين المتنازعين وسألتهما: «كم عمركما؟».

أجاب سايلاس عنهما: «ستة وأربعون، صدقي أو لا تصدقي. مارشا، من فضلك اسمحي لهما بالبقاء. أعتقد أن ذلك سيفيدهما حقًّا. لن أدعهما يغيبان عن نظري، أعدك بذلك».

نظرت مارشا في الأمر. لقد كان سايلاس مؤخرًا يرتاد برج السحرة بصفة منتظمة، وقد أخبر مارشا بأن حقيقة أن البرج كاد يسقط لصالح الهيمنة الشيطانية، جعلته يدرك قيمة ذلك المكان. أدركت مارشا أن سايلاس قد أخذ أكثر من حصته العادلة من مراقبة القفل المحكم السري، كما أن هناك نقصًا متزامنًا في عدد السحرة المتوافرين للقيام بذلك. لقد فكرت في أنه من الممكن تدريب اثنين من المشعوذين على المراقبة، وهو ما جعلها تتراجع عن قرارها السابق.

«حسنًا، يا سايلاس. سوف أطلب من هيلدا جارد أن تصدر لكل منهما تصريح مرور زائر، وسوف أقيد دخولهما أعلى مرافق السحرة العامة فقط. وبوسعك تدريبهما بصفتهما مراقبين، كما يمكنهما التناوب على ذلك، ولكن سيكون عليهما اجتياز اختبار المراقبة الأوّلي».

قال سايلاس: «ياه، مارشا! أشكرك». كان ذلك أفضل مما تمناه.

«وشرطي الوحيد هو أنه يتعين عليك، كما وعدت في السابق، أن تصطحبهما في جميع الأوقات. هل فهمت؟».

ابتسم سايلاس وقال: «نعم، بالتأكيد فهمت. أشكرك شكرًا جزيلًا».

23

المدخنة الكيميائية

مرت إجازة سبتيموس سريعًا، وأوشك الشهر على الانتهاء. بدأ الجليد الكبير في الذوبان، وهو ما كانت تخشاه سارة هيب، فلم يعد هناك عذر لبقاء أبنائها في القلعة. بيد أنها كانت عازمة على عدم التفكير في الأمر، ولذا شغلت سارة نفسها بمحاولة تنظيم كافة عناصر «ركام حفل التتويج»، وهو الاسم الذي أطلقته على تلك القرابين الكثيرة التي كانت لا تزال

تتوالى على المكان. كانت سارة سعيدة بشكل خاص عندما شاهدت صديقتها القديمة سالي مولين قد حضرت لتأتي بقربانها هي الأخرى، ذلك أن سالي كانت تخرجها دومًا من حالة القلق والتفكير حيال الأمور. أسرعت سارة إلى البهو الواقع في المدخل، مرورًا بكومة الركام الضخمة التي ينظر إليها السير هيروارد باستياء. كان بارني بوت الحارس المناوب في عطلة أسبوعية، جالسًا على كرسي طويل، يؤرجح ساقيه في حالة سعادة وهو يقرأ مجلة هزلية جديدة ابتاعها من متجر الكتب المصورة.

قالت له سارة: «لا بأس يا بارني، سوف أفتح أنا الباب». وما إن فتحت الباب حتى هبت عاصفة من الرياح إلى الداخل. ارتجف كل من سارة وبارني. لقد كان يومًا كئيبًا وباردًا. «ادخلي يا سالي، من الرائع جدًّا رؤيتك، لقد كنت....».

بدأت سالي حديثها على عجل بنبرة غريبة يبدو عليها عدم الارتياح، قائلة: «أيتها المراقبة، لقد أحضرت لك هذه الهدية العجيبة من أجل حفلة التتويج. نحن، عائلة مولين، يشرفنا أن نكون حراسًا لعلبة البسكويت الخاصة بحفلة التتويج، وهذه هي مهمتنا المحددة منذ بداية الزمان، ونحن الآن نقدم لك هذه، أوه، أيتها المراقبة، لتقوم بمهمتها المقدسة. رحلة آمنة». ثم مدت سالي يدها بعلبة ذهبية بالية للغاية وعلى غطائها تاج منقوش بشكل رائع.

أخـذت سـارة العلبـة إلا أنها كادت أن تسـقط منهـا، ثم قالت: «أوه!». يبدو أنها مصنوعة من الذهب الخالص.

حاولـت سـالي تجنب نظـرة الانبهار على وجه سـارة، انحنت سـالي ثـلاث مرات وسـارت للخلف فـوق الجسـر المصنوع من الألواح الخشبية.

وبمجـرد وصولهـا إلى الجانـب الآخـر، انفجرت قهقهاتها المكتومة وانفجرت هي وسارة في الضحك.

لهثـت سـارة قائلـةً: «أوه، يا سـالي، لـم يكن لدي أدنـى فكرة. تعالي وتناولي قدحًا من شاي الأعشاب».

هرعت سـالي بامتنان وعادت عبر الجسـر: «بررر. البرد قارس هنـا بالخارج. كما أن وزن علبة البسـكويت البغيضـة تلك يقارب الطن».

أيقظـت جلبة إغلاق أبـواب القصر الأمامية سـبتيموس، الذي كان نائمًـا بإحـدى الغرف الكبيـرة في مقدمة القصـر، كان لا يزال يحـاول أن يفتـح عينيه، عندما نهـض ليجلس على السـرير القديم الـذي كان يصـدر صوت صرير كلما تقلب عليـه - في تلك الليلة راوده حلـم آخر من أحلام عيـن النار الحمراء التـي كانت لا تزال عالقة بذهنه - ثم تذكر أن هذا هو اليوم الأخير في إجازته.

لقد اسـتمتع سـبتيموس بفترة إجازته أكثر ممـا كان يتوقع. لقد قضى الأيام القليلة الأولى منها في برج السحرة يتسكع في المكتبة

مع روز، ويزور سايرا في المستشفى كنوع من أداء الواجب ، وهي التي كانت لا تزال لا تتعرف عليه، حتى قامت مارشا بإبعاده وقالت لـه: «امض إلى إجازتك؛ يا سِـبتيموس». لذا اضطر للمكوث في القصـر، وهو ما أسـعد سـارة كثيـرًا، وسـرعان ما كان يتسـكع مع أشـقائه حـول مخيم النـار الخاص بهـم والواقع على ضفـة النهر؛ وكان يساعد سايلاس لوضع كتيبات **السحر** الخاصة به في ملفات، وكان يقضي بعض الوقت مع سـارة في حديقة الأعشـاب. كما أنه مكث بعض الوقت مع بيتل، وعاد وفي حوزته حزمة من الكتابات الموجهـة إلى المسـرح الصغير في منطقـة العشـوائيات، ثم غامر بالعودة مجددًا إلى المكتبة الهرمية من أجل زيارة روز بضع مرات. لقـد كانت المرة الأولى فـي حياته على الإطلاق التـي يصبح فيها سبتيموس حرًّا للقيام بما يسعده يومًا بعد يوم، ولقد أحزنه التفكير في قرب انتهاء الإجازة.

نهـض سـبتيموس مـن علـى السـرير وسـار علـى السـجاجيد المنحولـة باتجاه النافذة، ليسـحب بعدها السـتائر التي أكلها البق، ونظر من النافذة ليطالعه مشهد مقبض للصدر. لقد أمطرت السماء طوال الليل، فتشـبعت كل الأشـياء بالماء واكتسـبت مظهرًا بائسًـا وتعيسًـا، وقـد خيم الضبـاب الرطب المعلـق في الهـواء على كل شيء. وعلى طول جانبي الطريق السحري كانت هناك كومات من الجليـد الرملي القـذر، والثلـج الرمادي المتكدس؛ وكان الشـيء

الوحيد الملون هو برج السحرة في أقصى النهاية، والذي توهج بأضوائه السحرية الصباحية بلونها النيلي الساطع برفق وسط الظلام الضبابي.

أصبح لبرج السحرة توءم غريب: تلك هي المدخنة الكيميائية في نهاية الطريق الكيميائي؛ حيث استقرت في منتصف مساحة دائرية كبيرة كان الناس قد بدءوا يطلقون عليها اسم السيرك الكيميائية. كانت المدخنة يكسوها مشمع أزرق، يتلألأ بالماء ويتوهج بذاته، بالإضافة إلى مزيد من الأضواء الأساسية؛ المتمثلة في المصابيح التي وضعتها لوسي جرينج بالداخل حتى تتواصل أعمال البناء طوال الليل. ودائمًا ما كان هناك عدد قليل من المتفرجين، بيد أن سبتيموس رأى ذلك اليوم حشدًا كبيرًا نسبيًّا قد تجمع حول المكان. وفجأة استمع إلى صوت صراخ لوسي جرينج عبر مكبر الصوت قائلةً: «تراجعوا إلى الخلف! تراجعوا إلى الخلف! هلا ابتعدتم جميعًا عن الطريق!». كانت هناك ضوضاء مثل رفرفة آلاف من الأوراق، ليسقط بعدها المشمع على الأرض.

وهو ما قوبل بتصفيقات مصحوبة بأصوات استهجان بشكل متوازن. حيث كشف الستار عن المدخنة الكيميائية الشاهقة التي بدا وكأنها لا تنتمي إلى ذلك المكان ، حيث إنها بدت لسبتيموس مثل المنارة الشاردة.

وبعد مرور خمس دقائق نظر سبتيموس على عجل داخل غرفة الجلوس الخاصة بسارة. كان كل من سارة وسالي يقهقهان بجوار المدفأة. ثم قال: «أنا ذاهب، أراكما لاحقًا».

قالت سارة: «مع السلامة يا حبيبي، لا تنس، سوف أقوم بطهي عشاء خاص بك في ليلتك الأخيرة».

«لن أنسى يا أمي، مع السلامة. مع السلامة يا سالي».

قالت سالي أثناء إغلاق سبتيموس للباب: «ياله من غلام محبوب».

خرج سبتيموس مسرعًا خارج القصر وتوجه صوب المدخنة الكيميائية، وهو سعيد؛ كون الضباب - والسترة الطويلة القديمة الخاصة بجوجو فورست التي كان يرتديها - لن تجعل الناس يتعرفون عليه. أحس بأن مارشا لن تكون سعيدة حيال المكان الذي كان متوجهًا إليه. ما إن وصل سبتيموس إلى السيرك الكيميائي لفت نظره فستان لوسي المتميز بألوانه المتعددة اللامعة مثل الفراشة الساطعة على خلفية من أحجار الجرانيت الرمادية الباهتة التي تشكل قاعدة المدخنة. شق طريقه بين المتفرجين ليتبوأ مكانًا يمكنه من خلاله النظر عن كثب. وتناهى إليه صوت لوسي التي كانت تطلب من عمال السقالات إعادة طي المشمع. «هذا كلام فارغ. قوموا بالأمر مجددًا، وهذه المرة بشكل صحيح!».

شعر سبتيموس بالسعادة لكون لوسي ليست رئيسته في العمل؛ فقد بدت مارشا نسمة رقيقة بالنسبة لها.

قالت لوسي: «يا هلا، يا أخي الصغير، جميلة، أليس كذلك؟».

نظر سـبتيموس صـوب المدخنـة، ومن خلف السـقالات، رأى أحجـارًا مقطوعـة بدقـة عاليـة حتى إنـه مـن الصعوبة بمـكان رؤية الوصـلات فيمـا بينها، وفـوق الأحجـار، تراصت دوائـر دقيقة من الطـوب الواقي من الجليـد، والواقي من الحـرارة، والواقي من كل شيء تقريبًا. لقد تدرجت أحجام الطوب ليصبح أصغر فأصغر كلما زاد الارتفاع، بحيث إن كل دائرة كانت أصغر قليلاً من سابقتها.

قال سبتيموس: «رائعة!».

أضاء وجه لوسي فرحًا وابتهاجًا.

لفـت نظـر سـبتيموس بعض الحـروف المنقوشـة علـى ألواح الجرانيـت الكبيرة في قاعدة المدخنة، دُوّن هنـاك التاريخ، متبوعًا بـ:

مارسيلوس باي: الكيميائي الأول والأخير.

سايمون هيب: التلميذ الكيميائي.

لوسي هيب: المهندسة المعمارية.

هيثير، اليزابيث وسـامون سـنارب: عمال التحجير وعمال بناء المنارة.

نظر سبتيموس إلى الأسماء لمدة دقائق معدودة؛ لاستيعابها. لقد صار الأمر رسميًّا الآن ومنقوشًا على الأحجار؛ لم يعد يمثل أي شيء بالنسبة لمارسيلوس، أو الكيمياء، أو النار. وفي المكان الذي كان يفترض فيه تدوين اسمه وُضع اسم سايمون بدلًا منه.

كانت لوسي منهمكة للغاية في الإشراف على حل السقالات لدرجة أنها لم تلحظ سبتيموس يتجول بعيدًا وهو متفطر القلب ليختفي بعدها في ظلال منطقة الزر الذهبي المنخفض. كان الضباب في تلك المنطقة المنخفضة أكثر كثافة منه في الطريق الكيميائي. لقد أحاطه مثل الدثار؛ وكتم صوت حذائه وتسبب في توهج خاتم التنين الذي بحوزته في ذلك الضوء الباهت. برز الشكل المخروطي لمكان الحجز من خلال الضباب، كان يبدو مسطحًا في بادئ الأمر مثل قطع الورق المقوى؛ من ثم بدأت التفاصيل في الظهور: كتل الأحجار الخشنة، ومدخل الباب المقوس المظلم. ثم رأى الباب ينفتح ويخرج منه شخص يرتدي عباءة سوداء وحمراء اللون.

«مارسيلوس!».

«أها، سبتيموس. حسنًا، حسنًا، يا لها من مصادفة. لقد كنت في طريقي للعثور عليك».

أشرق وجه سبتيموس وقال: «حقًّا؟».

«بالتأكيد. اكتمل بناء المدخنة، ونحن على وشـك إشـعال **النار** ورفعها إلى مسـتوى التشغيل. أود أن تشهد ذلك؛ حتى يتسنى لك عندما تصبح ساحرًا أعظم..».

قال سبتيموس: «ساحر أعظم؟ أنا؟».

ابتسم مارسيلوس وقال: «نعم، أنت. ألا تتوقع أن تصبح ساحرًا أعظم في يوم ما؟».

كان سـبتيموس لا يزال مهزوزًا بعد رؤية اسـم سايمون منقوشًا علـى المدخنة، وكان يعض على يديه ندمًا علـى الكيمياء، لذا فقد هز رأسه نافيًا وقال: «لا. أوه. لا أعلم».

«حسـنًا، حتى إذا سـارت الأمور طبقًا لذلك وأصبحت ساحرًا أعظـم ذات يوم، أريد أن تسـتحوذ **النار** على جـزء كبير من حياتك كما تحتل جزءًا كبيرًا من حياتي، وبالتأكيد من حياة سـايمون. أود منك أن تثق بها وتستوعبها؛ حتى لا يتسنى مجددًا لأي من السحرة الأعظمين مجرد التفكير في إخماد **النار**».

قال سبتيموس: «لن أفعل ذلك أبدًا. أبدًا. **النار** رائعةٌ حقًّا. حتى إن كل شيء يصبح باردًا وكئيبًا عند مقارنته بها».

«أها. بيد أنك اتخذت قرارك يا سِبتيموس».

تنهـد سـبتيموس: «أعلـم ذلك، ولقد صـار ذلك منقوشًـا على الحجر».

سلك كل من مارسيلوس وسبتيموس محور التسلق أسفل النفق باتجاه رصيف الميناء، ومن ثم انتقلا إلى نفق منحدر أكثر ضيقًا وعمقًا ذي شكل حلزوني، بالأسفل ما بين شبكة من الأنفاق الجليدية التي توهجت من أسفل الغرفة الكيميائية. وبعد مرور ما يزيد على نصف ساعة وصلا إلى نهاية النفق حيث توجد فتحة الباب الصغيرة للنار، التي تضيئها إحدى كرات النار.

قال مارسيلوس: «هذا ليس إلا مجرد تسلق مختصر أيها التلميذ، وعلينا أن نجعله سريعًا. هذه هي النقطة الوحيدة التي يمكن من خلالها رؤيتنا على الخريطة المباشرة. وأنا لا أريد أن يشاهدني أي شخص بعد. هل تفهم ما أقول؟».

قال سبتيموس من منطق الشعور بالذنب قليلًا: «نعم».

وضع مارسيلوس المفتاح الكيميائي في الفجوة العميقة الواقعة في فتحة الباب الصغيرة وفتح الباب بعدها ليلفحهما هواء ساخن. انتظر سبتيموس حتى نزل مارسيلوس داخل الفتحة، ثم تبعه مسرعًا وأغلق الباب الصغير خلفه. ثم ترجل بجهد إلى أسفل السلم المعدني وانتظر حتى قيام مارسيلوس بفتح باب النار السفلي، ليندفع بعدها للأسفل في أعقابه ويهبط على المنصة المعدنية الواهية.

وكان سايمون في انتظارهما وهو يرتدي رداءه الكيميائي ذا اللون الأسود والذهبي.

قال سبتيموس وهو غير سعيد بالمرة لرؤيته: «أهلًا سايمون».

مع ذلك، بدت على سايمون السعادة لرؤية شقيقه الأصغر، وقال: «يا هلا يا سِب، يا له من مكان رائع! أليس جميلًا؟» مشيرًا إلى النار بالأسفل.

قال سبتيموس: «بلى، إنها رائعة». في محاولة منه لكبح جماح حماس سايمون قليلًا.

قال مارسيلوس: «أيها التلميذان، من غير الآمن الإبقاء على أسرار النار لدى شخص واحد فقط، ولا حتى شخصين. بنهاية اليوم أتمنى أن نكون نحن الثلاثة متفهمين ومستوعبين لكل ما يتعلق بالنار. أعتقد أن جملة «الأمان في الأرقام» هي «التعبير المناسب، والأمان هو ما نريده»».

وبالتالي، أصبحوا فريق عمل واحدًا؛ ليقوم بعدها مارسيلوس بتأنٍّ باصطحاب كل من سايمون وسبتيموس خلال مراحل التحضير لإشعال النار بقوتها الكاملة، فقد أصبح الوضع آمنًا للقيام بذلك الآن، بعد الانتهاء من بناء المدخنة، عملوا على ذلك طوال اليوم ليسيروا بشكل منهجي وفقًا لقائمة التدقيق الطويلة التي أعدها مارسيلوس. حيث قاموا بتنظيم تدفق المياه عبر المرجل ليصبح باردًا عند الدخول، وساخنًا عند الخروج، سالكًا طريقه عبر مصرف الطوارئ العملاق وصولًا إلى النهر. ثم قاموا بقرع المرجل، ليقيسوا بعدها ارتفاع صولجانات النار، وتفقدوا

العتلات التي قامت بتشغيل قافزات الفحم الضخمة والمدفونة في جدران الكهف - الذي تعد بمثابة **غطاء النار**، وهو الاسم الذي أطلقه مارسيلوس عليه- ومئات من الأمور الأخرى الصغيرة التي أصر مارسيلوس على القيام بها.

وقد ردد عبارة «لضمان السلامة» عدد مرات لا حصر له طوال اليوم.

وفي وقت لاحق من بعد الظهيرة، وقف مارسيلوس وسبتيموس وسايمون مرة أخرى على المنصة المرتفعة على نحو مذهل أعلى قمة غرفة النار. وفوقهم تقع الفتحة البيضاوية الكبيرة المؤدية إلى المدخنة الكيميائية، والمصممة لإخراج الحرارة والأدخنة وإدخال تدفق الهواء المطلوب بشدة إلى الغرفة. إلا أنه لم تكن تلك الفتحة غير المزعجة هي التي لفتت انتباههم، وإنما ما استرعى انتباههم بحق كانت تلك الدائرة المكتملة لعين **النار** الواقعة بالأسفل على مسافة بعيدة، والمتوهجة باللون الأحمر تحوطها ألسنة اللهب الزرقاء الدقيقة. وتحت ذلك اللون الأزرق، كان باستطاعتهم رؤية الوميض المظلم للقضبان المصنوعة من الجرافيت، وكل منها عبارة عن نجمة خماسية مثالية، والتي تمد النار بالطاقة في سكون. ابتسم مارسيلوس، فقد أصبحت كافة الأمور على ما يرام، ليتسلقوا بعدها العمود وصولًا إلى فتحة الباب الصغيرة السفلية للنار، وهم

يتصببون عرقًا، منهكون تمامًا وفي حاجة ماسة إلى استنشاق الهواء النقي مجددًا، ولكن كان هناك أمر آخر عليهم القيام به.

وبعد مرور ساعة كانت النار المخادعة في فرن الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة قد أُضيئت واشتعلت بشكل جيد ليقوم مارسيلوس بتخفيض حواجز النار مخروطية الشكل بالقرب منها؛ حتى يتم احتواء ألسنة اللهب بشكل آمن، ثم قال: «جيد، هذه سوف تنتج ما يكفي من الدخان لإقناع الجميع. والآن حان وقت الانصراف».

ثم توجهوا بضجر إلى المنحدر الطويل في طريق عودتهم إلى مكان الحجز.

انبهر سبتيموس بإصرار مارسيلوس الحثيث للحفاظ على الأمن والسلامة- وعلى الرغم من علمه بأن مارسيلوس لم يكن يحب الحديث كثيرًا عن ذلك الأمر-فإنه قال: «أنا فقط لا أفهم كيف حدثت الكارثة الكيميائية الكبيرة».

تنهد مارسيلوس وقال: «هذا يجعلنا اثنين يا سِبتيموس، أنا لا أفهم أيضًا، لم أستطع فهم الأمر حينها ولا أفهمه الآن بعد مرور مئات السنين. غير أن ما أعرفه هو أنه لولا أن تدخل الساحر الأعظم بتلك الطريقة المتعالية - عذرًا يا سِبتيموس، ما زال الأمر ينغصني حتى يومنا هذا- وأغلق النار، لكنا قد أنقذنا حياة الكثير من الناس، ولم يكن منزلي في منطقة المنزلق الثعباني سيتعرض لمثل هذا

البـرد القـارس في كل موجة مـن موجات الصقيع الكبير». ابتسـم مارسـيلوس بسـبب تعبيـر سـبتيموس المرتبك ثم قـال: «لـم تكن الأنفـاق الجليديـة مجرد أنفـاق للتواصل القديم بيـن مباني القلعة القديمـة؛ لقـد كان الكثير منها جـزءًا لا يتجزأ من نظـام التدفئة في القلعة. وكما تعلم، إنها تسري أسفل كل منزل من المنازل القديمة. إن المـاء السـاخن الناتج عن النـار كان يدفئنا جميعًـا. كان الناس يحبون **النار** في تلك الأيام».

قال سـبتيموس: «أها» وهو يفكر في نفسـه أن لهذا الأمر مغزى معينًا.

كان المسـاء قد بدأ في إسـدال سـتاره عندما خرجوا من مكان الحجز، ثم أسرعوا بالخروج صوب السيرك الكيميائي، فيما كانت لوسـي تترقب في قلق خروج أول مجموعة من سحب الدخان من المدخنة، ثم ركضت نحوهم بسرعة وهي في حالة إثارة.

«إنها تعمل.. انظروا!» قالتها وهي تشـير إلى عمود من الدخان الرقيق الأبيض الذي يتصاعد ببطء في سماء المساء.

قال سايمون: «أحسنتِ يا لو، إنها مدخنة بارعة».

قالت لوسي: «أشكركَ يا ساي».

قال مارسيلوس: «نعم، إنها جميلة. جميلة للغاية».

كان النـاس قد تجمعوا حول السـيرك الكيميائـي طوال اليوم، فـي انتظار خـروج أول أعمدة الدخـان من المدخنـة، غير أنه مع

الغروب انصرف معظمهم. وعلى الرغم من تململ الأحياء وعودتهم إلى المنزل لتناول وجبة العشاء، فإن السيرك الكيميائي، في حقيقة الأمر كان لا يزال مكتظًّا بالأشباح، الذين قدموا ليشهدوا ما اعتبره الكثيرون منهم عودة النبض إلى قلب القلعة من جديد، وهو الأمر الذي لقي استحسان الغالبية، بيد أنه كان هناك عدم استحسان من قبل البعض. كان المعارضون هم الأشباح الذين عاصروا حدوث الكارثة الكيميائية الكبيرة. الواقع، أن البعض منهم كان قد انضم لعالم الأشباح نتيجة الكارثة، حيث مات بعضهم حرقًا بسبب ألسنة النيران الفرعية التي اجتاحت نظام التهوية واندلعت، دون سابق إنذار، في أرضيات المنازل. كما تجمد آخرون- مثل إلدريد وألفريد ستون - في الأنفاق الجليدية أثناء الفزع من تعرضهم للحرق. إلا أن أولئك الذين كانوا يعيشون قبل حدوث الكارثة، كانت لديهم ذكريات طيبة مع النار. لقد كانت بمثابة القلب النابض للقلعة، وأولئك الذين عرفوا طعم الحياة معها، اعتبروا العصر الحالي، أي القلعة الخالية من النار، مكانًا بائسًا.

وحيث إنه لا يمكن الحفاظ على السرية في القلعة لفترة طويلة، فسرعان ما انتشرت معلومة اشتعال النار. وفي وقت لاحق من المساء، بعد عودة سبتيموس إلى القصر لتناول العشاء الذي أعدته له سارة في ليلته الأخيرة من ليالي الإجازة، انضم مارسيلوس

وسايمون ولوسي للحشود المنفعلة أسفل المدخنة، وكان الكثيرون منهم يحملون في أيديهم الكتيب الذي أُعيد إصداره مؤخرًا تحت عنوان: «*كل ما تريد أن تعرفه حول الكارثة الكيميائية الكبيرة*».

صرخ أحد الأشخاص: «ياه! إنه الرفيق الكيميائي».

لوحت امرأة شابة تحمل طفلًا صغيرًا يبدأ بالمشي بالكتيب في حالة من الغضب وتساءلت: «هل قرأت هذا؟».

قال مارسيلوس: «يا سيدتي، أنا الذي كتبته».

صرخ أحد كبار السن من الذين يحبون الاطلاع على الكتب والذي كان مرتديًا نظارة بإطار ذهبي وقال: «كلام فارغ!».

«حسنًا، آسف لعدم استمتاعك بالكتيب. لقد بذلت قصارى جهدي».

قال الرجل باشمئزاز: «أقصد أنه من المحال أن تكون أنت من كتب هذا الكتيب. أنت الكيميائي؟» ثم لوَّح بنسخة الكتيب التي بحوزته أسفل أنف مارسيلوس، فاشتم مارسيلوس رائحة الورق القديم المنبعثة من الكتاب، لقد كانت تلك إحدى النسخ الأصلية للكتاب.

«أنتم – أيها الكيميائيون – دائمًا ما تقومون بحجب الحقائق حيال كل شيء. وأنت، يا سيد باي، كنت أحد أسوأ الآثمين».

رفع مارسيلوس يده احتجاجًا وقال: «متأسف، من فضلك صدقني، لم تكن الكارثة الكيميائية الكبرى من صنيعتنا».

تساءل فتى مراهق قائلًا: «إذن كانت نتيجة خطأ من؟ خطأ جنية الأسنان؟» انفجر الحشد ضاحكًا.

كان مارسيلوس على يقين بأن عودة النار للقلعة لن تحظى بقبول شعبي. لقد فكر في المشكلة مليًّا، وتمنى أن يتوصل إلى حل لها. رفع صوته ليعلو على همهمات السخط والاستياء، قائلاً: «لنثبت لكم أنه ليس لدينا ما نخفيه، سوف نقوم بجولات تفقدية للغرفة الكيميائية الكبيرة».

ساد صمت مُطبق بعدها.

«الجميع مرحب به، وسيكون من دواعي سروري لقياكم في رصيف ميناء الممر السفلي لأصحبكم في جولة بنفسي. بوسعكم حجز الجولات مع روبرت جرينج في المرفأ. أتطلع إلى رؤيتكم جميعًا مجددًا عما قريب». وبتلك الكلمات، انحنى مارسيلوس وانصرف.

أسرعت لوسي خلفه وتساءلت: «جولات تفقدية؟ هل أنت واثق من ذلك؟».

«إلى الغرفة الكبيرة. هذا الأمر سيمنحهم الشعور بأنهم جزء من الأمر. سوف نعرض لهم الفرن وكل الذهب. سوف يحبون الذهب، وسوف نقدم لهم قليلًا من الهدايا التذكارية، أو شيئًا من

هذا القبيل. بوسع سايمون التحدث إلى السيدات الشابات. سوف يحببن ذلك».

قالت لوسي: «ها».

قال مارسيلوس: «يحتاج الناس إلى معرفة أنه لا تعد هناك أسرار في الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة».

تساءلت لوسي: «ألا توجد أسرار؟».

قال مارسيلوس: «بالطبع لا، ما الذي منحك تلك الفكرة؟».

لم تكن لوسي على يقين. كل ما كانت تعلمه هو أن هناك شيئًا ما متعلقًا بالنار ليس له معنى. وأن سايمون كان يتحدث بريبة قليلًا حول ما يقوم به من أعمال طوال اليوم.

قال مارسيلوس: «حسنًا، أشكرك، يا لوسي، لقد قمت بمهمة رائعة حيال المدخنة. حقًّا لا أعلم كيف كنت سأتصرف بدونك».

فجأة أدركت لوسي أن عملها قد انتهى، فقالت: «صحيح».

قال مارسيلوس: «وتعبيرًا عن امتناني في هذه اللحظة التاريخية؛ أود أن أعرض عليك ...». ثم توقف عن الكلام بشكل مؤقت.

قالت لوسي: «نعم؟» وهي تتساءل إذا ما كان مارسيلوس سيتخلى عن بخل الكيميائيين المعهود وسيدفع لها مقابل عملها.

«الفرصة لمرافقتي إلى برج السحرة غدًا من أجل الحصول على الخاتم ذي الوجهين. إنها مناسبة تاريخية».

قالـت لوسـي وهي تعض علـى شـفتيها: «أشـكرك، ولكن لا، شكرًا، لدي أشياء أخرى أفضل للقيام بها. مثل حياكة الستائر».

شـاهد مارسيلوس لوسي تنطلق إلى أسـفل الطريق الكيميائي، وضفائر شعرها تحلق في الهواء، وقد بدا عليها الانزعاج، في ظنه. بيد أنه لم يكن على يقين من السبب وراء ذلك.

24

ليس صباح الخير

في صباح اليوم التالي في القصر، استيقظ سبتيموس مع بزوغ الفجر، ثم ارتدى رداءه الجديد الخاص بالتلامذة - الذي كانت مارشا قد أرسلته إليه منذ أيام قليلة ماضية - وتفقد حزام التلامذة للتأكد من أن كل شيء على ما يرام، ثم التقط وجبة إفطار سريعة. اختفى الرذاذ الضبابي الذي كان يخيم على المكان يوم أمس ليكشف عن صباح رائع ونضر وصحو. وأثناء سير سبتيموس مسرعًا إلى طريق السحرة شاهد برج السحرة يرتفع عاليًا ليشق عنان السماء الزرقاء، متوهجًا بلونه الفضي الباهت في ضوء شمس الصباح الباكر. شعر سبتيموس بالإثارة لذهابه إلى

العمل أخيرًا؛ وكان يتطلع حتى إلى تدريبه العملي على عملية **فك التشفير**. لقد كان صباحًا مثاليًا لاصطحاب **تميمة الطيران** السحرية إلـى قمـة الهـرم الذهبـي والمحاولة مجـددًا مـع حـروف الكتابة الهيروغليفية.

حلق في الهواء الساطع الساكن فوق المنصة الفضية المنبسطة، وتمكن سـبتيموس من القيام بشف الرموز بشـكل رائع باستخدام قطعة رقيقة وقوية من ورق الشف السحري وكتلة كبيرة من الشمع الأسـود؛ فحصـل على حـروف واضحـة تمامًا بيد أنهـا لا تزال لا معنى لها، لا سـيما المربع الغريب الفارغ الموجود في المنتصف. وبأعصـاب هادئـة أخذ سـبتيموس قطعة الـورق الكبيـرة وعاد بها للأسـفل إلى المكتبة، حيـث جلس هو وروز يتطلعـان إلى صباح سعيد يحلان فيه الأحاجي **ويفكان الرموز**.

وبالعـودة إلى القصـر، كان من الملاحظ أن سـايلاس هيب لم يكـن مرحًـا كما اعتاد أن يكون. اسـتيقظ ببطء فـي أعقاب ليلة من الليالـي التي عجّت بالأحلام المزعجة والمرعبة، ولم يكن بوسـع سـايلاس التخلص مـن ذلك الشـعور الغامض المريب في رأسـه وذلك الرنين في أذنيه. وبعدها، نزل إلى الأسـفل، وهو على قناعة بأنه قد نسـي شـيئًا ما علـى الرغم من عدم قدرته علـى تذكر ذلك. وكان سـايلاس يتطلـع إلـى تنـاول وجبـة إفطـار هادئة فـي مطبخ العائلة، وكان سـعيدًا أكثر لأنه لم يجد أي أثر لإدموند وإرنولد في

أي مكان. لقد كان على موعد في برج السحرة للذهاب إلى نوبة حراسة أخرى للقفل المحكم في وقت لاحق من ذلك الصباح، وكان في حاجة إلى بعض الهدوء حتى يتسنى له تصفية ذهنه. غير أنه لم يكن مقدرًا لسايلاس أن يهنأ بالهدوء المنشود، فما إن صب لنفسه فنجانًا من القهوة الثقيلة اندفعت سارة إلى الداخل، وصفقت الباب من خلفها.

أصيب سايلاس بالاندهاش وقال: «يا إلهي!».

نظرت سارة إلى زوجها نظرة ساخطة، ثم قالت: «لا أعلم ما الذي كنت تفعله في الليلة الماضية يا سايلاس هيب، بيد أنك تستحق الصداع الذي أصابك هذا الصباح. حقًّا!».

تمتم سايلاس قائلاً: «ماذا تقصدين؟ ثم أغمض عينيه عدة مرات، في محاولة منه للتخلص من ذلك اللون الأزرق الغريب المحيط بسارة. والذي جعله يشعر بالغثيان. ثم قال: «أنت تعلمين أنني كنت في نوبة حراسة في منتصف الليل لمراقبة القفل المحكم. كما جاء التوءمان بعدي؛ لذا كنت مضطرًّا لانتظارهما أيضًا. أنت تعلمين ذلك يا سارة، لقد شرحت الأمر في العشاء».

«يا سايلاس، أنت لم تعد حتى حلول الساعة الرابعة في الصباح، لم يكن لدي أدنى فكرة أنك ستتأخر إلى هذا الحد. كان من الممكن أن تخبرني. ماذا كنت تفعل؟».

هز سـايلاس رأسـه وتمنى لو لم يفعل ذلك، ثم قال: «أنا... لا أعلم» ثم تابع حديثه متأوهًا: «كنت في نوبة مراقبة القفل المحكم، إنني أشعر بالغثيان».

قالت سـارة: «ها! حسنًا، بوسعك القدوم والقيام بشيء ما مفيد من باب التغيير. أنا في احتياج للمساعدة في هذا المكان».

«سـارة؛ من فضلك. فقط دعيني أنتهي من احتساء قهوتي. عليَّ الذهاب إلى برج السحرة سريعًا».

«يمكن تأجيل القهوة يا سايلاس».

وافـق سـايلاس فـي نهايـة المطـاف؛ لأنـه كان علـى علـم بأن الدخـول في جدال مع سـارة سـوف يسـتغرق بالفعل نفـس المدة المسـتغرقة فـي القيـام بما تريـد؛ لذا نهض مـن مكانـه وتبعها إلى الخارج للدخول إلى الممشى الطويل.

لقد كانت كافة أنواع الأشـياء العجيبـة والرائعة، وكثير منها ذو قيمـة عالية للغاية، مكومة الآن فـي البهو الواقع في مدخل القصر، وكان بعضهـا قـد تناثر علـى الأرض وتكـوم في كومـات يصعب التحكم فيها. لقد اعتادت سـارة على التعامل مع الأمر، ولكن بعد أن تعثر سـايلاس في هرم من ضفادع التتويج الموسـيقية واشتبك فـي خيـوط شـريط رايـات التتويـج ذات اللونيـن الأحمـر اللامع والذهبي حتى كاد أن يشنق نفسه، اعترفت سارة بأن الأمور خرجت عن نطاق السيطرة.

وبناءً على اقتراح السير هيروارد، كانت سارة قد فتحت سلسلة من الغرف الكبيرة في أقصى نهاية الممشى الطويل بهدف تخزين ركام التتويج. وبمساعدة الشبح العجوز صار لدى سارة مجموعة من المساعدين، حيث إن معظم الناس لا يتمتعون بالشجاعة الكافية لرفض طلب مقدم من شبح يحمل سيفًا بذراع واحد ورأس أجوف. فقط العمان - كما أصبح يطلق على إرنولد وإدموند - هما اللذان تملصا منها بنجاح، وهو ما جعلها طوال الوقت أكثر عزمًا على طلب المساعدة من سايلاس؛ لذا دفعته إلى داخل البهو الواقع في المدخل، حيث كانت هناك مجموعة بائسة من أفراد الأبناء فورست هيب ومجموعة متنوعة من المساعدين في القصر يعملون تحت أنظار السير هيروارد ذي العين الحادّة.

احتج سايلاس قائلًا: «يا سارة؛ إنه جبل، في الحقيقة ليس لدي الوقت الكافي».

لم تبالِ سارة بما قال، وقالت له: «كلما أسرعت في البدء، انتهيت في وقت أسرع. بوسعك تقديم المساعدة للأولاد في ذلك». ثم أشارت بيدها نحو صندوق موسيقى عمودي كبير يلمع بتمويجاته ذات اللونين الأحمر والذهبي، وقد نقشت عليه مجموعة من حوامل الشموع الذهبية الرقيقة للغاية. وكان كل من سام وجوجو يعانيان في دفعه على السجادة القديمة المنبسطة إلى مركز الممشى الطويل.

تساءل سايلاس: «ما هذا يا إلهي؟».

تنهدت سارة وقالت: «إنه صندوق الموسيقى الخاص بالتتويج، كما يظهر، تقوم بالضغط على دواسات القدم لتقوم بتشغيل الموسيقى من أجل حفلة شاي التتويج. لقد أحضره بيتسي بيتل الصغير وجدَّته، وقاما بدفعه طوال الطريق من منطقة العشوائيات، وكما تعلم، يا سايلاس، أنهما يعيشان في الطابق الأخير».

قال سايلاس: «يا إلهي!» وأخذ يفكر في بيتسي بيتل الصغير – الذي لم يزد طوله قَط على أربع أقدام– وهو ما أشعل حماسه للعمل بنشاط، ثم قال: «حسنًا، تعالوا أيها الأولاد .. اسحبوا».

قام سايلاس بمناورات لوضع صندوق الموسيقى على السجادة ثم تمتم متذمرًا: «إذن أين ميلو عندما تحتاج إليه؟ بمجرد وجود عمل يتطلب القيام به يختفي عن الأنظار، تمامًا. تلك هي عادته».

قالت سارة: «ادخر أنفاسك يا سايلاس، سوف تحتاج إليها في عملية الدفع».

ثم قامت بتجميع كومة طويلة من الأطباق الفضية، وعبثًا حاولت أن تزن فوقها طائر الكناري الخاص بالتتويج – وهو الذي مات منذ فترة طويلة وتم حشوه الآن ليعيش إلى الأبد في صندوق ذهبي –وتبعتهم خلف صندوق الموسيقى. ومن وراء سارة، كان بارني بوت يسحب عربة نقل ممتلئة عن آخرها بأدوات المائدة

الخاصة بملاعق حفل التتويج، وجاءت ميزي حاملة القماش الذي تصنع منه رايات التتويج . توسلت سارة إليها قائلةً: «من فضلك، يا ميزي حاولي إبعاده عن سايلاس»، وجاء إد دافعًا أمامه مسرح الدمى المستخدم في حفل التتويج، والذي كان يتهادى على ثلاث عجلات حادة، بينما كان إيريك يعاني مع كيس كبير من الوسائد التي يكسوها التراب والمستخدمة في التتويج، وهو ما جعله يعطس.

وفي نهاية المطاف وصل الموكب إلى جهة الوصول المقصودة. وبينما كانت سارة على وشك القيام بفتح قفل الأبواب المزدوجة الكبيرة المؤدية إلى غرفة المؤتمرات القديمة التي قررت تخزين الركام بها؛ فُتح الباب المقابل وخرج ميلو مغمضًا عينيه، يرمش بهما في حالة من الاندهاش.

قال سايلاس: «لقد حان الوقت، هلا دفعت هذا بقوة، يا ميلو ؟ في الحقيقة يتعين علي الذهاب. أوه، أهلًا وسهلًا، يا هيلدا جارد، ماذا تفعلين هنا؟».

حدق الجميع صوب هيلدا جارد، التي أعقبت ميلو في الخروج من الغرفة.

قالت هيلدا جارد مسرعةً: «لا شيء».

قال ميلو: «بالضبط». ثم أغلق بعدها الباب بسرعة ووضع المفتاح في جيبه، ثم قال: «عذرًا يا سارة وسايلاس؛ في الحقيقة

يتعين علي الانصراف». وقبل أن يصبح بوسع أي منهما الاحتجاج، اقتاد ميلو هيلدا جارد على عجل نحو الممشى الطويل.

قال سـايلاس: «هذه هي طبيعته. حسـنًا يا أولاد، واحد، اثنان، ثلاثة، ادفعوا بقوة».

مع الانتهاء من تخزين ركام حفلة التتويج في غرفة المؤتمرات، كان سـايلاس متأخـرًا للغايـة علـى ورديـة مراقبة القفـل المحكم المكلـف بها. لم يعثر على أثر إدموند وإرنولد في أي مكان؛ وهو ما لم يُثر دهشـته. فهما مثل ميلو، يختفيان عن الأنظار تمامًا عندما يكـون هناك عمل مطلوب منهما. اتخذ سـايلاس قـرارًا بالمغامرة بإثارة غضب سارة تاركًا خلفه التوءمين ومسرعًا إلى برج السحرة.

وأثنـاء خروجه من بوابة القصر نظر سـايلاس نظرة خاطفة إلى المدخنـة الكيميائيـة التـي أثـارت دهشـته، ورأى أعمـدة الدخان تتصاعد في السـماء. شـعر سـايلاس ببعض من السعادة حيال هذا الأمر. لقد اشـتعلت **النار**! وقريبًا جدًّا لن تكون هناك مراقبة للقفل المحكم، كما سـيكون الخاتم ذو الوجهين في طي النسـيان. شعر سايلاس بالاندهاش والارتياح لتلك الخاطرة، فهو لم يكن يدرك أن هذا الخاتم قد جثم على صدره على مدار أسابيع.

هبّ نسـيم من النهر بلطف على وجه سـايلاس أثناء سيره على طـول طريق السـحرة ليقوم بتصفيـة ذهنه؛ ليتسـلق بعدها درجات السـلالم الرخاميـة المؤديـة إلـى برج السـحرة قافزًا فـي خطواته،

متطلعًا لتناول طعام الغداء في المقصف الجديد بعد انتهاء وردية المراقبة المكلف بها.

ثم همس بكلمة المرور لتفتح بعدها الأبواب الفضية الشاهقة في صمت كاشفة عن وجود حشد كبير من السحرة في البهو الكبير. لم يزعجه الأمر، فقد كان موعد تناول وجبة الغداء قد اقترب، وقد كان المقصف المجدد قد حظي بشعبية كبيرة. وأثناء دخول سايلاس، وهو يصفر بأنفاسه بنغمة سعيدة، وخز أحد السحرة القريبين منه ساحرًا آخر بجواره. انتشر الكلام، وفي غضون لحظات خيّم السكون على البهو الكبير واتجهت كافة الأعين - الخضراء والرمادية وكافة الألوان جميعًا - صوب سايلاس هيب.

قال سايلاس: «امم... أهلًا وسهلًا بكم»، وقد أدرك أن هناك خطأً ما. «أتمنى لكم يومًا لطيفًا. حسنًا، الجو عاصف بعض الشيء بيد أنه رائع و...».

قاطعته مارشا بصوتها المجلجل عبر البهو الكبير قائلة: «يا سايلاس هيب!».

رد عليها سايلاس ببعض الاضطراب قائلًا: « صباح الخير يا مارشا».

جاء رد مارشا: «لا، ليس صباح الخير».

افترق الحشـد لإفسـاح الطريق لمارشـا للجـري والانقضاض علـى فريسـتها. راقب سـايلاس تقـدم السـاحرة العُظمـى تجاهه، ووجهها يعتليه الغضب الشديد، حتى تمنى لو أنه كان لا يزال يدفع صندوق الموسـيقى العنيد عبر المدخل. في الحقيقة كان سايلاس يفضـل أن يقوم بدفع أي عـدد من صناديق الموسـيقى العنيدة عبر مجموعـة لا حصر لها من المداخل على الوقوف في هذا الموقف الذي هو فيه الآن.

وصلت مارشا إليه وسألته: «أين كنت؟».

نظر سبتيموس في الساعة التي بحوزته وقال: «أنا متأسف. لقد كنت أنقل بعض الأشـياء، أعلم أنني تجـاوزت الموعد بقليل، بيد أنني لست متأخرًا».

قالـت له: «ليس هـذا هو الأمر يا سـيلاس هيـب». كانت نظرة مارشـا تبـدو مخيفـة عن قـرب، حيث برقـت عيناهـا الخضراوان بالغضب كما أن عبوسها شق خطًّا عميقًا بين حاجبيها.

سألها سايلاس في توتر: «ما الأمر إذن؟».

لم تجب مارشـا عن سـؤاله، بل قالت: «يا سـايلاس هيب، لقد صدر أمر اعتقال ضدك من برج السحرة».

لهث سايلاس قائلًا: «ماذا؟».

طقطقت مارشـا أصابعها وأشـارت إلى أقرب ثلاثة سحرة إلى سـايلاس، ثم قالت: «ساسـارين سارسـون، برنارد برنارد، ميروما

زوم، سوف يبقى سايلاس هيب الساحر العادي تحت حراستكم حتى إشعار آخر. خذوه إلى غرفة الغرباء».

لهث سايلاس. لقد كان ذلك إساءة فظيعة له، ثم قال: «لكنني يا مارشا لست غريبًا. أنا سايلاس. أنت تعرفينني».

استدارت مارشا حول سايلاس وقالت: «كنت أعتقد أنني أعرفك. والآن أنا لست متأكدة من ذلك. خذوه بعيدًا عن هنا».

25

غرفة الغرباء

كانت غرفة الغرباء قد تم إنشاؤها منذ حوالي سبعمائة سنة قبل حدوث ثورة كارثية في برج السحرة من قبل عدد معقول للغاية من جرولا جرولا. وكانت غرفة كبيرة بلا نوافذ تقع على الجهة المقابلة من البهو الكبير أمام الخزانة الخاصة بالسحرة المسئولين عن مهمة حراسة الأبواب، وكانت تستخدم في تقييد الزوار الذين يعتبرون تهديدًا محتملًا للبرج.

وعلى الرغم من عدم وجود أي علامات تدل على كونها منطقة محمية ومؤمَّنة فإنها كانت كذلك. كما كانت المكان الوحيد الخالي من السحر في برج السحرة. وقد تم وضع كافة الأسحار الوقائية المحيطة بالغرفة - وكان هناك الكثير منها - ودفنها وحبسها في قشرة ثانية داخل الجدران.

ومن وراء الباب الأزرق الأنيق، بدت غرفة الغرباء مريحة وجذابة. وكان المراد منها إيداع الزوار في حالة من الارتياح بحيث لا يساورهم أدنى شك في أنهم محبوسون. وكانت الغرفة مفروشة بالسجاد الكثيف والمنقوش بدقة بجوار مدفأة مخادعة احتوت على سلة من النار ممتلئة بشموع الترحيب، التي تشتعل ببريق وهاج. كما كانت هناك أريكة ناعمة في الجانب القريب من المدفأة، وقد وُضع ظهرها في جهة الباب، وعلى الجانب الأقصى المواجه للباب كان هناك كرسي ذو ذراعين عليه وسائد متناثرة. وبجانبه كانت هناك منضدة تعلوها أكوام من الكتب المثيرة للاهتمام لقراءتها، وإناء من الفواكه الغريبة، وعلبة من البسكويت، وإبريق من المياه النقية. ودائمًا ما كان يتم اقتياد الغرباء إلى ذلك الكرسي ذي الذراعين؛ ويكمن السبب وراء ذلك في أن كرسي الغرباء ذا الذراعين قد وضع أعلى أحد الأبواب المسحورة الكبيرة، حيث تم قطع السجادة أعلاه بحذر. وبجوار مدخل الغرفة بالقرب من زر جرس الإنذار، وبجانب الأريكة أيضًا، كانت هناك

مقابض مخفية سرًّا، وفي حال تم سحبها بقوة يُفتح الباب السحري ويتم دفع الغرباء والكرسي وكافة الأشياء بعنف وبسرعة إلى هوة سفلية. وعلى حسب المقبض الرئيسي الموضوع في صندوق صغير بجانب الباب سوف يؤدي السقوط والانهيار إلى دفع الغرباء؛ إما عبر منحدر سريع أسفل فناء برج السحرة ليصلوا في النهاية إلى الخندق المائي، أو مباشرة إلى الأسفل في زنزانة مقامة من طبقة الصخور أسفل القلعة.

لم يكن بوسع أحد من الغرباء إدراك الغرض من هذه الغرفة إلا بعد فوات الأوان؛ حيث كان يقدم لهم أفضل الأطعمة التي يمكن لبرج السحرة توفيرها، كما كانوا يتمتعون بصحبة عدد من أكثر السحرة ترحيبًا في القلعة. وفي حال الاعتقاد باحتمالية وجود خطورة أو ممارسة **سحر أسود** من قبل ذلك للغريب، غالبًا ما تحضر الساحرة العُظمى بذاتها لترافق هذا الغريب.

وقد تم الإبقاء على سرية الغرض الحقيقي من إنشاء غرفة الغرباء حتى في داخل البرج، وقد افترض الكثير من السحرة الصغار أنها مجرد غرفة انتظار. بيد أن سايلاس كانت له خبرة قديمة؛ لقد كان يومًا ما تلميذًا لدى أحد السحرة الأعظمين، كما كان ذات مرة أحد السحرة الذين حضروا لغرفة الغرباء للتعامل مع شخصية غريبة بشكل خاص، كان ألثر ميلا على قناعة بأنها كائنة الكمير الخرافية. بالطبع، كان ألثر على صواب، وبالفعل قام

سايلاس بسحب المقبض الذي بدوره دفع الكائنة الخرافية بسرعة وعنف في طريقها نحو الخندق المائي.

وقد أفلت برج السحرة من حدوث أي تلفيات فيما عدا وجود قليل من علامات الحروق في غرفة الغرباء، عندما أدركت الكائنة الخرافية، في اللحظة الأخيرة، ما كان سايلاس على وشك القيام به.

لذا عندما تم اقتياد سايلاس إلى داخل الغرفة من قبل مرافقيه الثلاثة، علم أنه لم يعد يحظى بالثقة داخل برج السحرة. لقد أصبح، في حقيقة الأمر، يُنظر إليه على أنه ليس أفضل من شخص هجين وخبيث ذي رائحة كريهة ونفس ناري وشفتين حمراوين للغاية. لقد كان هذا الأمر مهينًا للغاية بالنسبة له.

وكان أول الأشياء التي أدركها سايلاس منذ أن وطئت قدماه داخل غرفة الغرباء هو الغياب التام للسحر. فبعد أن عاود اكتشاف ولعه بالسحر مؤخرًا، بعد مرور أعوام كثيرة، شعر سايلاس بغيابه أكثر مما كان في السابق تمامًا. وأثناء سيره ببطء على السجادة الناعمة والمنقوشة بعد أن تم اقتياده إلى الكرسي المريح ذي اللون الأزرق المخملي المليء بالوسائد متعددة الألوان. شعر سايلاس بالبؤس، ثم شاهد السحرة الثلاثة المرافقين له يأخذون مواقعهم على الأريكة المقابلة، بيد أن أحدًا منهم لم يكن يرغب في خداعه؛ لذا لم يتلق المحادثة الاجتماعية المعتادة، وبدلًا منها، جلس

السحرة الثلاثة الحراس مثل تماثيل القرود المتحجرة، وهم يمعنون النظر صوبه بطريقة مثيرة للقلق، لا سيما أن سايلاس كان على معرفة جيدة بأحدهم؛ حيث كان برنارد برنارد أحد اللاعبين المنتظمين في دوري مكافحة الأقدام، كما كان قد حضر إلى القصر لتناول العشاء ذات مرة. لقد كان الأمر مؤلمًا بالنسبة له، ولم يطق سايلاس النظر إليهم، ولذلك فقد حدق في حذائه في محاولة منه لتخيل الأسباب التي من الممكن أن تكون قد أدت إلى حبسه، بيد أن خياله خذله. كل ما كان يعرفه هو أنه لابد وأن يكون الأمر سيئًا للغاية. وكان يراهن بشكل كبير على أن هذا الأمر له صلة بإدموند وإرنولد، ولكن ما هو؟

وبعد مرور فترة بدت وكأنها ساعات -- بيد أنها في حقيقة الأمر كانت عشر دقائق فقط- فُتح الباب ودخلت مارشا.

قفز سايلاس إلى قدميه وقال: «مارشا!».

وما أثار رعب سايلاس، هو أن مارشا وضعت على الفور يدها على المقبض، وقالت بصوت عال كما لو كان سايلاس كلبًا: «اجلس!»، فجلس سايلاس.

أومأت مارشا برأسها إلى السحرة الثلاثة الجالسين على الأريكة وقالت: «يمكنكم الانصراف».

شاهد سايلاس السحرة أثناء خروجهم، وكل منهم يتحاشى النظر إليه، ثم رآهم يغلقون الباب، وعلى الرغم من عدم سماعه

لشيء، أيقن أنهم قد أوصدوا الباب. نظر سايلاس إلى مارشا وتوسل إليها: «من فضلك يا مارشا، أخبريني ما الذي حدث؟».

سارت مارشا عابرة نحو المدفأة المخادعة وأعطت ظهرها للشموع، ووضعت يدها على المقبض الآخر.

ثم قالت ببرود: «أقترح عليك أن تخبرني أنت يا سايلاس».

قال سايلاس وهو على وشك النحيب: «بيد أنني لا أعلم».

همهمت مارشا في عدم تصديق: «لا تعلم؟ أتخبرني أنك لا تعلم بأن أشقاءك في الحقيقة هم اثنان من السحرة الشيطانيين المتمرسين المتبجحين».

ضحك سايلاس ضحكة هيستيرية وقال: «ماذا؟».

«الأمر ليس مدعاة للضحك يا سايلاس، لقد قدمتهما لي بصفتهما شقيقيك المتلعثمين والمشعوذين التوّاقين للتعلم منا. ولكن في حقيقة الأمر، هما ساحران من أكثر السحرة مهارة ولكنني لم أصادفهما من قبل».

«لا، هذا مستحيل».

«لسوء الحظ إنه ممكن تمامًا».

تمتم سايلاس قائلًا: «حسنًا، لقد خدعاني بالتأكيد».

انفجرت مارشا قائلةً: «لم يستغرق الأمر كثيرًا للقيام بذلك».

وكان سـايلاس على وشك القول بأنهما قد خدعا مارشا أيضًا، إلا أنه توقف عن ذلك. ثم لاحظ بشيء من الفزع عدم اتكاء مارشا بيدها على المقبض، بيد أنها كانت تقرع أصابعها عليه بدون صبر.

«مارشا..».

انتظرت مارشا لما توقعت أنه اعتراف قادم: «نعم!».

«هذا المقبض.. ينزل بسهولة كبيرة».

فوجئت مارشـا، فهي لم تدرك أن سـايلاس كان يعلم سر غرفة الغرباء، ثم توقفت عن القرع بأصابعها، لكن سايلاس رأى أنها لم تسحب يدها بعيدًا.

«سـوف أرفـع يـدي عندمـا تقنعنـي بأنك لـم تكن مشـاركًا في الأمر».

«مشاركًا في ماذا؟».

«مشـارك فـي مؤامـرة كبيرة لإدخـال اثنيـن من أعتى السـحرة **الشـيطانيين** لبرج السـحرة بغرض السـرقة والسـطو. ومشارك في تقديـم العون للسـاحرين المذكوريـن وتحريضهما علـى مواصلة تنفيذ خطتهما، ومشارك في تسهيل وتسريع هروبهما من القلعة».

استغرق سايلاس عدة ثوانٍ في محاولة منه لفهم ما قالته مارشا بالضبـط. لكـن ذهنه كان مشـتتًا. كل ما تمكـن أن يقوله هو: «من فضلك يا مارشا. أنا لا أفهم ما الذي فعلاه؟».

لم ترد مارشا. ولكن أطلت من عينيها نظرة غريبة وجدها سايلاس مقلقة، ولم يكن سايلاس قد وصل إلى مستوى **قراءة الأفكار** عندمًا كان تلميذًا، ولم يدرك أن مارشا كانت تحاول **قراءة أفكاره**، دون الاستعانة بأي نوع من أنواع **السحر**.

أوشكت مارشا على القيام بذلك، ولقد التقطت فزعه وحنقه تجاه شقيقيه، وكانت الفكرة المسيطرة على عقله هي الارتباك والذهول. وأمكنها التحقق من أن حالة الارتباك والذهول تلك كانت حقيقية. رفعت مارشا يدها من على المقبض وجلست على الأريكة المقابلة لسايلاس. تنفس سايلاس الصعداء وانهار إلى الخلف على الوسائد. *لقد صدقته مارشا*.

قالت له: «يا سايلاس هيب! أصدق أنك لم تشارك في التآمر ضد برج السحرة».

تنفس سايلاس بارتياح، وقال: «آه، الحمد لله».

رفعت مارشا يدها وقالت: «ولكن..».

همهم سايلاس: «آه».

«لقد تهاونت في مهمتك بصفتك ساحرًا عاديًّا، فمنذ أعوام مضت عندما تم تنصيبك، تعهدت بحماية برج السحرة في كل وقت وحين، تعهدت بالالتزام بكلمتك. وفي فترة ما على مدار الاثنتي عشرة ساعة الماضية، نكثت وعودك، وهو ما نتج عنه عواقب كارثية».

«لا، لا. لم أنكث وعودي».

«لقد نكثتها. لقد وعدت بمرافقة شقيقيك في برج السحرة طوال الوقت».

«لكنني رافقتهما».

«إذا كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن موقفك أسوأ».

«ولكن...».

قاطعته مارشا قائلة: «إذا ما كنت برفقتهما طوال الوقت، إذن أنت شريك في الجريمة، أليس كذلك؟».

كل ما كان بوسع سايلاس القيام به هو هز رأسه نفيًا.

«هل تفهم أن الإخلال بتعهدات تنصيبك يمكن أن يؤدي إلى حظرك الدائم من الدخول إلى برج السحرة؟».

أومأ سايلاس برأسه في يأس.

«وأفترض أنك على دراية بأن حظرك من دخول برج السحرة سوف يكون له تأثير أيضًا على عائلتك المباشرة».

أصيب سايلاس بالفزع وقال: «لا! لا، لا يمكنك تحميل سبتيموس ثمن الخطأ الأحمق الذي اقترفته».

«لست أنا من يقر القواعد يا سايلاس. إذا ما تم حظرك، فسوف يكون من المحتمل، بشكل كبير، ألا يتمكن سبتيموس من الاطلاع على الأسرار الغامضة للبرج. وسوف يعني ذلك أنه في حال وجود رغبة لديه - أنا لا أعلم الآن إذا ما كانت لديه رغبة أم لا - فلن

يكـون قادرًا على أن يصبح سـاحرًا أعظم، فسـوف تصبح سـمعته ملطخة بسببك».

تأوه سايلاس متألمًا.

«هذا ليس عدلاً. ولكن هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور. أنـت تعلم ذلك. ليس بوسـعي القيام بأي شـيء حيـال هذا الأمر. البـرج له طريقـة تفكير خاصة به، وأسـرار **السـحر** ليسـت متوفرة للجميع. لماذا تعتقد أنه لا يزال لدينا برج للسحرة بعد أن سكنه من قبل دومدانيال؟ لأنه لم يتمكن من الوصول إلى قلبه أبدًا.. أبدًا».

أصيب سايلاس بالذعر، ثم قال: «لا يمكن وضع سبتيموس في الفئة نفسها مع مستحضر الأرواح القديم الشنيع!».

«بالطبـع أنـا لا أفعـل ذلك. ولكن مـن المحتمـل أن يفعل برج السحرة ذلك».

وضع سايلاس رأسه بين يديه. ما الذي فعله شقيقاه؟!

تحدثـت مارشـا: «أريدك أن تعلـم أنني لن **أحظـر** عليك البرج فقط لأجل خاطر سبتيموس».

اعتدل سايلاس قائلًا: «لن تمنعيني؟».

«لـن أمنعـك. هذا وعد منـي بذلك؛ لـذا أقتـرح عليك إصلاح الأمور في أسرع وقت ممكن».

شـعر سـايلاس بزغللة في عينيه، كما لو كان قد تلقَّى ضربة من شخص ما على رأسه، ثم تساءل: «إصلاح ماذا؟».

«تعال يا سايلاس - لقد أعطيتك وعدًا مني بألا أمنعك، وأنا أفي بوعودي، بوسـعك أن تكون صريحًا معي. أنت تعلم ما الذي كان إرنولـد وإدمونـد يخططـان لـه، فأنت شـقيقهما، لقد كانا يعيشـان معك، ويعملان معـك. بالطبع أنت على علم بالأمر، فقط أخبرني أين هما وما الذي فعلاه به وستصبح جميع الأمور على ما يرام».

قفز سـايلاس علـى قدميه. لقد نـال كفايته، سـألها: «على علم بمـاذا؟ ما الذي فعلاه؟ عن أي شـيء تتحدثين يا مارشـا؟ ما الذي فعله شقيقاي الأحمقان؟».

في نهاية الأمر، أيقنت مارشـا بأن سايلاس ليس له أي دور فيما قام به شقيقاه.

ثم وقفت ونظرت في عيني سايلاس وقالت: «لقد سرق إدموند وإرنولد الخاتم ذي الوجهين».



26

توقيت سيئ

تأرجح الباب المؤدي إلى النفق المغلق في برج السحرة جيئة وذهابًا مثل النافذة المكسورة في أحد الأعاصير أثناء تلاشي آخر دوامات السحر، ووقفت مجموعة كئيبة من السحرة أمام الباب في انتظار إمكانية إغلاقه مجددًا. وكان من الضروري تفريغ النفق من أي تلوث قبل إعادة إغلاقه.

وكان سبتيموس - عقب إطلاق سراحه من المكتبة الهرمية - موجودًا

هنـاك. وكان مـن الأهميـة بمـكان، كمـا أخبرتـه مارشـا، أن يرى الإجراءات الصحيحة **لعمليـــة التطهـــير وإزالـــة التلوث**.

وأسـرعت مارشا حينها إلى غرفة الغرباء حيث احتجزت، وفقًا لتخمين سبتيموس، المتهم بالجريمة.

ظهـر برنـارد برنـارد - وهـو رجل ضخـم مثل الدب بسـمات موحلة وشـعر أشـعث - ثم سـأل: «هل يرغب أحد في الحصول على اسـتراحة؟» وبعد رؤيته لسـبتيموس، أضـاف متعاطفًا: «أها، أهلاً يا فتى. لا تقلق الآن. سوف يكون بخير».

سأل سبتيموس: «من الذي سيكون بخير؟».

أدرك برنارد برنارد فجأة أن سبتيموس لم يكن على علم بوجود سـايلاس في غرفة الغرباء، فبدا عليه الإحراج، وقال: «أها، حسنًا، قصدت أن أقول سوف نكون بخير. جميعنا».

تسـاءل أحدهم: «إذن هل اسـتعادت مارشـا ما أقصـده وتعرفه أنـت؟» (حيـث اعتبر بعض السـحرة الذي يؤمنـون بالخرافات أن التفوه بكلمة الخاتم ذي الوجهين تجلب لهم سوء الطالع.)

تهرب برنارد برنارد من الإجابة وقال: «فقط كن متفائلًا».

استنبط الساحر الإجابة وتساءل: «إذن الإجابة هي لا». تنهدت المجموعة بالكامل.

سأل شخص آخر: «إنهما ذلك الشخصان الأحمقان من عائلة هيب، أليس كذلك؟» ثم نظر نظرة خاطفة يعلوها الاعتذار تجاه سبتيموس: «آسف أيها التلميذ. لقد نسيت».

قال سبتيموس: «حسنًا». وتمنى لو كان بوسعه نسيان ذلك.

قال برنارد برعونة: «أنا لست على يقين من عددهم بالضبط». ثم انطلق مسرعًا.

سادت حالة من الصمت المخجل، ولم يكسره سوى صوت الصرير الكئيب المنبعث من الباب المؤدي إلى النفق المغلق: *إيك، إيك-إيرك، إيك-إيرك.*

كانت مارشا عازمة على أن تبدو الحركة في برج السحرة اعتيادية بالنسبة لأي من الزائرين، وكانت مهمة سبتيموس تتمثل في النيابة عنها؛ لذا عندما جاءت هيلدا جارد وأخبرته بوجود بعض الزوار المهمّين لمارشا وطلبت منه أن يتفضل بالذهاب معها، شعر بارتياح كبير لمغادرة مجموعة المراقبين.

وجد سبتيموس مارسيلوس وسايمون جالسين على مقاعد الزوار بجوار الباب الخفي المؤدي إلى غرفة الغرباء، وأدرك على الفور السبب في مجيئهما.

دخل مارسيلوس مباشرة في الموضوع: «سبتيموس؛ أنت تعلم أنه في الأحوال العادية يسعدني كثيرًا التعامل مباشرة معك، بيد أني على يقين من أنك تدرك أن هذه المهمة تحديدًا تتطلب

الحديـث مـع السـاحرة العُظمـى بذاتهـا. هـل يمكننـي التحـدث معها؟».

شـعر سـبتيموس بعدم ارتياح كبير، وكان بـوده أن يقول له: لا، مـن غير الممكن الحديث معها؛ لأنها في حالة فزع وهلع، فقد قام أحدهم بسـرقة الخاتم، إلا أنه لم يكن بوسعه فعل ذلك بالطبع. ثم بدأ قائلًا: «حسنًا... إمم، مارشا مشغولة في الوقت الحالي». وقرر أن يضيع بعض الوقت: «هل ترغبان في الصعود إلى الطابق العلوي نحو غرفتها؟».

شـعر مارسـيلوس بالارتباك؛ لقد كان يعلم أن سبتيموس يخبئ عنه أمرًا ما، وبدأت آماله في وجود الثقة الكاملة بين برج السـحرة والكيميائي تتلاشـى. وكان مارسـيلوس قد قبل عرض سبتيموس بتذمـر عندمـا رأى الباب المؤدي إلـى غرفة الغرباء يفتح ومارشـا خارجة منه.

قال مارسـيلوس وهو يقفز على قدميه: «مارشـا! لقد أمسـكت بك!».

قفزت مارشا وقالت: «أها!».

ظهر سايلاس وهو يقدم قدمًا ويؤخر الأخرى من الباب.

ثم هتف سبتيموس وسايمون معًا: «بابا!».

قال سايلاس وهو يشعر كما لو كانوا قد ضبطوه متلبسًا: «ياه!».

رأى مارسيلوس نظرة الفزع التي اعتلت وجه مارشا عندما رأته للوهلة الأولى، وقال لها: «مارشا، اعتقدت أنك ستكونين سعيدة لرؤيتي، النار اشتعلت. كافة الأمور جاهزة الآن لتغيير طبيعة الخاتم ذي الوجهين».

قالت مارشا: «أمر رائع».

أخبر سبتيموس مارشا قائلًا: «كنت على وشك اصطحاب مارسيلوس وسايمون إلى الطابق العلوي؛ حتى يتسنى لك الحديث معهما على انفراد».

بيد أنه لم يكن بوسع مارشا مجرد التفكير في إخبار مارسيلوس بسرقة الخاتم، فقالت: «غدًا».

رد مارسيلوس وسبتيموس معًا قائلين: «غدًا؟» وقد أُصيب أحدهما بالسخط، والآخر بالصدمة.

قالت مارشا: «غدًا، والآن، معذرةً يا مارسيلوس وسايمون. في الحقيقة يتعين عليَّ المغادرة». وبصمت، أعطت كلمة المرور لأبواب برج السحرة لتفتح على الفور. فتدفق الهواء النقي من الخارج إلى الداخل.

نظر مارسيلوس بحزم في عين مارشا، وقال: «كي لا أضطر إلى القدوم مرة أخرى وإضاعة وقتي، سوف أكون ممتنًّا للغاية لك إذا ما أرسلت شخصًا ما برفقة الخاتم عندما تجدين..». ثم توقف على نحو يحمل مغزى معينًا.

تحدثته مارشا قائلة: «أجد ماذا؟».

«الـــ... وقت. مع السلامة يا مارشا».

اعتذر سبتيموس أثناء إغلاق الأبواب في صمت، تاركًا مارسيلوس وسايمون واقفين على درجة السلم العليا، قائلًا: «مع السلامة».

استطرد مارسيلوس: «حسنًا!».

سار الكيميائي والتلميذ برفق عبر الفناء وخرجا من القوس العظيم؛ لتهب بعدهما عاصفة من الرياح على برج السحرة، وهو ما دفع مارسيلوس لرفع عباءته من أجل حماية نفسه من البرد.. والمتنصتين.

ومع ذلك، لم يهزم مارسيلوس جميع المتنصتين وخاصة من فوقه؛ حيث كان شبح ألثر ميلا غير المرئي يحلق فوقه عائدًا إلى برج السحرة بعد رحلة بحث جوي في القلعة دون جدوى. كان ألثر مثل سائر السحرة يعاني من فقدان الثقة في الكيميائيين؛ وهو ما جعله يتساءل إذا ما كان مارسيلوس له أي صلة بسرقة الخاتم. والآن، في ظنه، حان الوقت لاكتشاف الأمر. كان شبح ألثر لا يزال غير مرئي، فهبط وذهب في عقبي مارسيلوس وسايمون، محلقًا على ارتفاع لا يزيد على أقدام قليلة فوق رأسيهما.

ثم استمع إلى مارسيلوس وهو يقول: «لقد فقدته».

وسمع ألثر رد سايمون: «أعتقد أنها كانت هادئة تمامًا، لقد رأيتها من قبل في حالة أسوأ من ذلك». ولم ينجح ألثر تمامًا في كتم ضحكته.

نظر سايمون إلى أعلى في حيرة، وقال: «هناك بعض الطيور العجيبة في المكان».

نظر مارسيلوس صوب التلميذ بصرامة: «سايمون؛ في الوقت الحالي لدينا الكثير من الأمور الهامة التي يجدر بنا التفكير بها والأكثر أهمية من الحياة البرية. أقصد أنني أعتقد أن ساحرتنا العُظمى قد فقدت..». ثم توقف مارسيلوس ونظر حوله وقال هامسًا: «فقدته».

تسمر سايمون في مكانه بلا حراك، وقال: «لا! ليس ...» ثم نظر حوله وخفض من صوته وقال: «... الخاتم. لا يمكن».

«لقد رأيت نظرة الفزع والهلع على وجهها. لم يكن بوسعها التخلص منا بالسرعة الكافية. أراد سبتيموس أن يخبرنا بيد أنه لم يستطع. كما كان برج السحرة في حالة من الهرج والمرج. ألم تلحظ ذلك؟».

«حسنًا، نعم. لقد بدا عليه .. الهياج».

«الهياج؟ لقد بدا كما لو أن شخصًا قد لكز عشًّا للنمل».

«نعم، أفترض ذلك».

قال مارسيلوس: «هذه كارثة حقيقية، لقد فقدت مارشا الخاتم ذا الوجهين، ولم تتحلَّ باللياقة لإخبارنا».

رأى ألثر نظرة الرعب قد اعتلت وجه سايمون بعد أن أدرك أن ما قاله مارسيلوس لا بد أنه حقيقي، ثم همهم سايمون قائلًا: «أوه، الفوريكس!».

قال مارسيلوس: «تمامًا».

كان ألثر قد سمع ما يكفي للتحقق من أن مارسيلوس ليس له أي صلة بسرقة الخاتم، فانقلب في الهواء بشكل سريع إلى الخلف، منتهكًا بذلك القاعدتين رقمَي اثنين وخمسة من كتيب حياة الأشباح، فيما يتعلق بأنه لا يسمح لأشباح السحرة الأعظمين باستخدام كلمة المرور الخاصة بالباب أو التردد على الأماكن العامة ببرج السحرة. وقد قام بالأولى، ثم أعقبها بالثانية، ثم واصل ألثر انتهاك المزيد من القواعد جلبًا للحظ؛ حيث قاطع مارشا (منتهكًا بذلك القاعدة الثانية عشرة: احترام من يتقلد المنصب حاليًّا). وأخبرها أنه لم يكن يبغي لها إبعاد مارسيلوس وسايمون (منتهكًا القاعدة الثامنة: السعي للتأثير على أو انتقاد من يتقلد المنصب حاليًّا)، ثم أصر على قيامها بإرسال سبتيموس في أعقابهما لإعادتهما (منتهكًا بذلك القاعدة السادسة: التدخل في سياسات من يتقلد المنصب حاليًّا). كما كاد أن ينتهك القاعدة

الأولـى، المتعلقـة بالتفـوه بألفـاظ نابيـة، بيـد أن مارشـا اعترفت بالهزيمة وتراجعت في الوقت المناسب.

رأى بيتـل، مـن خلال المكتـب الأمامـي لـدار المخطوطات، حيـث كان يقوم بإطـلاع الموظفة الجديـدة على كيفيـة إدارة دفتر اليوميـات، مارسـيلوس وسـايمون يسـيران بغضب، وبعـد مرور دقائق معدودة رأى سـبتيموس يتعقبهما أسـفل الطريق السـحري. وبعـد مـرور دقائق معـدودة، رأى مارسـيلوس وسـايمون يعودان مسـرعين، وسـبتيموس بجوارهما. وبعد ثوانٍ قليلة، فُتح باب دار المخطوطـات، ليدخـل سـبتيموس إلـى المكتـب الأمامـي وقـد انقطعت أنفاسه.

نادى سبتيموس على بيتل قائلًا: «بيتل»، إلا أنه بعد أن رأى بيتل مـع أحد الكتبة، فكـر أنه ينبغي عليه التعامل بشـكل أكثر رسـمية، فقـال: «يـا رئيـس الكتبة. تطلـب السـاحرة العُظمى حضـورك في الحال».

نظر بيتل باندهاش وقال: «نعم، بالطبع. سوف أحضر الآن». ثم عاد إلـى الموظفة الجديدة، مويرا مول وقال: «متى موعدي القادم يا مويرا؟».

نظـرت مويرا إلـى دفتـر اليوميات وقالـت: «ليس قبل السـاعة الثانية والنصف أيها الرئيس. مع السيد لاري».

وكان الموظف السابق لدى بيتل قد اعتاد حجز المواعيد من أجل مناقشة أدق نقاط الترجمة. لم يشعر بيتل بالأسف تجاه تفويت موعده على الإطلاق، فقال لها: «مويرا، أنا ذاهب إلى برج السحرة، في حال عدم عودتي في ذلك الموعد، فضلاً أبلغي اعتذاري للاري».

ابتسمت مويرا وقالت: «تمام أيها الرئيس».

«وفي حالة وجود أي مشاكل اسألي فوكسي».

«سوف أفعل».

شاهدت مويرا مول - وهي فتاة ممتلئة الجسم ذات شعر أسود قصير ومتموج، ترتدي نظارة زجاجية جاثمة على أنفها - بيتل وسبتيموس أثناء مغادرتهما، ثم أمعنت النظر حول المكتب الأمامي بتوتر، وتمنت ألا يأتي أحد آخر.

لكن بحلول الساعة الثانية ظهرت ماريسا؛ وهو ما أثار خوف مويرا، حيث ذكرتها بأولئك الفتيات كبيرات الحجم في المدرسة اللاتي اعتدن قرصها دون انتباه أحد. أخبرت مويرا نفسها أنها لم تعد في المدرسة الآن. والأهم، هو أن هناك مكتبًا كبيرًا يفصل بينها وبين ماريسا. سألت مويرا ماريسا عما تريد، إلا أن كل ما قالته ماريسا كان: «أريد أن أسأل بيتل عن شيء ما». أخبرت مويرا ماريسا بأنها لا تعلم متى سيعود، لكنها أعلنت عن انتظارها له، وهو ما أثار ارتباك مويرا.

وبحلول الساعة الثانية والربع قرع فأران نافذة دار المخطوطات. تعرفت مويرا على أحدهما وهو ستانلي رئيس مكتب الفئران. ولم تتعرف على الفأر الآخر، الذي كان أصغر حجمًا وأنحف من الآخر. سمحت لهما بالدخول ليقفزا على دفتر اليوميات الموجود على منضدة المكتب الأمامي. تمنت مويرا لو كانا قد مسحا أقدامهما في الطريق.

زادت ثقة مويرا في نفسها . كانت ماريسا تجلس على كرسي مُتهادٍ متظاهرة باهتمامها بقراءة كتيب قديم، في حين جلست مويرا على مقعدها الوثير للقيام بأمور هامة. والآن لديها أحد الفئران القائمين على توصيل الرسائل.

قالت مويرا برباطة جأش: «**تحدثا، أيها الفئران**». قالت هذه الكلمات بثقة وطلاقة حتى إن أحدًا لم يكن يتوقع أنها لم تتلفظ بها قَطّ من قبل.

وخز ستانلي الفأرة الصغيرة وقال: «هيا يا فلورانس. افعلي ما تخبرك به موظفة المكتب».

بدا على الفأرة الصغيرة التوتر والقلق.

حثها ستانلي قائلًا: «هيا، لا داعي للخجل، لا يمكنك أن تكوني فأرة توصيل رسائل وأن تكوني خجولة في الوقت نفسه يا فلورانس». ثم نظر ستانلي صوب مويرا معتذرًا وقال: «متأسف، إنها لا تزال موظفة تحت التدريب».

قالت مويرا بإحساس من يعلم كافة المشاكل التي يعاني منها الموظفون تحت التدريب: «بالطبع، هل أعيد ما قلت؟».

«أوه، نعم، من فضلك».

نظرت مويرا صوب فلورانس، التي كانت تدقق النظر في حذائها في خجل وقالت: «**تحدثي، أيتها الفأرة**».

ثم قال ستانلي بصرامة وحزم: «الآن يا فلورانس، وإلا فلن تأتي معي مجددًا. سوف تمكثين في المكتب وتقومين بأعمال الأرشيف».

ابتلعت فلورانس ريقها، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت: «في البداية ... علي أن أسأل ... إممم ... هل ويليام فوكس موجود هنا؟».

«من؟ أوه، فوكسي. انتظري لحظة، سوف أذهب وأستدعيه لك». ثم اختفت مويرا في دار المخطوطات وعادت بفوكسي.

همست فلورانس إلى ستانلي وقالت: «هل هو هذا الشخص؟».

«الآن، يا فلورانس، لن أكون هنا دائمًا لتسأليني، أليس كذلك؟ عليك أن تسأليه بنفسك».

«إذن إنه هو؟».

«من الممكن. بيد أنّ عليك سؤاله».

صاحت فلورانس: «في البداية. عليَّ أن أسأل ... إممم ... هل وليام فوكس موجود هنا؟».

قال فوكسي: «نعم، إنه أنا».

سادت حالة من الصمت كسرها ستانلي قائلًا: «هيا يا فلورانس».

ابتلعت فلورانس ريقها ووقفت شامخة وأخذت نفسًا عميقًا ثم قالت: «هذه هي بداية الرسالة، فوكسي؛ من فضلك أغلق باب دار المخطوطات على الفور وابدأ في **الإقفال**. أبق على عدد كافٍ من الكتبة معك لحراسة كافة المداخل وأعد الآخرين لمنازلهم، الآن. لا تسمح لأحد بالدخول، حتى لو كنت تعرفه. ولو كنت أنا، سوف أقول كلمة المرور. إن لم أقل كلمة المرور فلا تسمح لي بالدخول. استمر في **الإقفال** إلى حين عودتي. هذه الرسالة مرسلة من قبل بيتل بيتل. رئيس الكتبة السحريين. ملحوظة: لا داعي للقلق. انتهت الرسالة».

قال فوكسي تعبيرًا عن الصدمة والانتباه: «لا داعي للقلق. غريب». ثم تذكر فئران الرسائل فقال: «أشكركم. تم استلام الرسالة واستيعابها».

وخز ستانلي فلورانس برفق مجددًا.

قالت فلورانس: «أوه! إمم. يؤسفني أنه لن يمكننا تلقي الرد؛ فمكان المرسِل سري».

قال فوكسي: «حسنًا، أشكركم على أي حال».

قال ستانلي: «لقد أبليت بلاءً حسنًا يا فلورانس». ثم نظر إلى فوكسي وموريرا وقال: «أشكركما على صبركما»، ثم قفز الفأران من على المكتب لتفتح بعدها موريرا الباب لمغادرتهما.

جلس فوكسي على الكرسي الموجود بالمكتب الأمامي وهو يشعر بالهزيمة وقال تعبيرًا عن انزعاجه: «هذا غريب، لقد كانت أكثر الرسائل التي استمعت إليها إثارة للفزع».

ومع ذلك، سعدت ماريسا بسماع تلك الرسالة، ثم تساءلت: «هل يمكنني المكوث أيضًا؟».

لم يكن فوكسي متأكدًا من ذلك، ثم قال: «حسنًا، لا أعلم. بيتل تحدث عن الكتبة».

«أوه، من فضلك دعني أمكث هنا، أنت لا تعرفني أبدًا، ربما يكون وجودي مفيدًا. أنا ساحرة، كما تعلم».

قال فوكسي بامتعاض: «اعتقدت أنك كففتِ عن جميع تلك الأمور».

«صحيح، لقد توقفت. بيد أنك تعلم ما يقولون. إذا كنت ساحرًا ذات مرة، فستكون ساحرًا للأبد».

اعتقد فوكسي أن وجود الساحرة قد يكون مفيدًا وقال: «حسنًا».

قالت موريرا: «مصدر إزعاج» حيث أطلت برأسها من الباب، وفيما كانت ترقب انصراف الفأرين، ثم أضافت: «لاري في الطريق».

قفزت ماريسا على قدميها وقالت: «سوف أتخلص من لاري من أجلكما، هل ترغبون في ذلك؟».

قال فوكسي وමويرا في صوت واحد: «أوه، نعم، من فضلك».

خرجت ماريسا من الباب. لم يعرف فوكسي ومويرا ما الذي قامت به ماريسا، بيد أن لاري لم يظهر ثانية. وبعد مرور نصف ساعة، غادر معظم الكتبة إلى منازلهم، وكان فوكسي المتوتر للغاية قد بدأ في عملية **الإقفال**؛ وهو الإجراء الذي اضطر فوكسي بصفته نائبًا إلى تعلمه. اهتزت يدا فوكسي أثناء إمعانه النظر في بروتوكول **الإقفال** الجديد الذي عثر بيتل عليه في بعض الوثائق القديمة الباهتة، بيد أنه بالاستعانة بروميلي بادجير وبارتريدج ومويرا مول وماريسا، تمكن فوكسي من النجاح حتى النهاية.

قالت مويرا التي كانت قد نشأت في أسرة من الصيادين: «أعتقد أنه يطلق على ذلك الاستعداد لموقف عسير، وهو ما تقومون به عند قدوم العاصفة».

سرت رجفة في جسد فوكسي؛ فهو لا يحب العواصف.

27

قراءة اللغز

في الأعلى في المكتبة الهرمية، عقد اجتماع لحل الأزمات، وعلى الرغم من انعقاده في وقت مبكر عقب الظهيرة فإن النوافذ قد أُغلقت ليتحول المكتب إلى ظلام دامس، فيما عدا الضوء المنبعث من شمعة واحدة مشتعلة على مكتب كبير في منتصف الغرفة. تحلق حول المكتب كل من مارشا أوفرستراند وشخصين آخرين - هما سبتيموس وبيتل - وأحد الأشباح في القلعة، وهم من حظُوا جميعًا بثقتها المطلقة. وكان هناك

شـخصان آخران يحظيـان بثقتها بدرجـة أقل، واللـذان أقنعها ألثر بضمهما.

قالت: «لدينا مشكلة، ومن المحتمل أن تكون كبيرة».

ومضت ألسـنة لهيب الشمعة في تيارات الهواء التي تدور حول المكتبـة، التـي كانت تنبعث مـن منافذ التهوية الصغيـرة للغاية في سقف المكتبة الذهبي. وكان القلق يعتري عيني مارشا الخضراوين، اللامعتين في ذلك الضوء الخافت. قالت: «هناك شيئان لا أستطيع فهمهما؛ أولًا: كيف تمكن هذان الأحمقان من أسرة هيب من كسر القفـل المحكـم؟ ثانيًـا: لقـد كان ذلـك أثنـاء وردية مراقبـة القفل المحكـم من قبلهما بعد نصف السـاعة من منتصـف الليل، إذن ما الذي حدث بين ذلك التوقيت وموعد اكتشـافي إياهما؟ ولماذا لا يمكننا العثور عليهما؟ كان من المحتم أن يلاحقهما مكتب البحث والإنقاذ ويمسك بهما الآن. أنا لا أفهم».

أوضح ألثر: «هذه ثلاث نقاط يا مارشا».

«ماذا؟».

«لا شيء. متأسف، هذه مجرد حذلقة».

قالت: «ألثر، هلا حاولت على الأقل تقديم العون والمساعدة؟».

كانـت مارشـا لا تـزال منزعجـة مـن إصـرار ألثر علـى حضـور مارسيلوس وسايمون.

حلق ألثر حتـى نهاية المكتب ليجلس بعدها على أحد الأرفف الفارغـة، ثم قـال: «لقـد اهتممت مؤخـرًا بالاسـتماع إلى قصص الألغاز والغموض. أتعلمين؟ في المسـرح الصغير الكائن بمنطقة العشوائيات، يقومون بقراءة لغز غامض كل أسبوع».

بـدت مارشـا في حيرة مـن أمرها؛ لو كان ألثر لا يـزال على قيد الحياة، لسـاورتها الشـكوك أنه قـد أصابه نوع من الجنـون، بيد أنه ليـس من الممكن حـدوث ذلك لشـبح؛ حيث يظل الشـبح عاقلًا - أو مجنونًا - كما كان في اليوم الذي دخل فيه إلى عالم الأشباح. وكان ألثر على ما يرام تمامًا في ذلك اليوم.

نقرت مارشا بطرف قلمها الرصاص في نفاد صبر على المكتب وقالـت: «حسـنًا، يا ألثر، سـعيدة لخروجـك وذهابك إلـى أماكن مختلفة. الآن، علينا مواصلة الاجتماع من فضلك».

«نعم، تمامًا؛ لذا كما ترين، قراءة كل قصة من قصص الغموض تبدأ بإخبار المستمعين بـ..».

«كفى يا ألثر!».

«اصبـري يـا مارشـا. أنـا أحاول شـرح الأمـر. يقوم الشـخص الواقـف على المسـرح بإخبارنـا بالقصة الغامضـة أو اللغز، ليظهر بعدها شـخصان آخـران؛ أحدهما ذكي، والآخر.... حسـنًا، دعينا نقُـلْ: ليـس ذكيًا للغايـة. ينخرط الشـخص غير الذكي فـي القصة الغامضة بطريقة أو بأخرى بيد أنه لا يفهم مغزى ما علمه أو شاهده؛

لـذا يطالب الشـخصُ الذكي غيرَ الذكي أن يخبـره بكافة التفاصيل الدقيقـة لمـا حدث، ومـن ثم يقوم الشـخص الذكـي بإيجاد الحل ببسـاطة مـن خلال مـا قاله الشـخص غيـر الذكـي، أو حتى يحث الشخص غير الذكي على إيجاد الحل بنفسه. إنه أمر مثير للاهتمام إلى حد كبير».

بدا على مارشـا الاسـتياء، ثم قالت: «أعتقد أنني أعلم أين تتجه الأمور».

كان لـدى ألثر شـعور بأنه لم يتمكن من شـرح الأمور بالشـكل الـذي كان يمكنـه القيام به، لكنـه واصل الحديث قائـلًا: «إذن، يا مارشـا، هلا أخبرتنا بكل ما حدث في ذلك اليوم، بغض النظر عما إذا كان عديم الأهمية بالنسبة لك؟».

«مثل الشخص غير الذكي».

«لا! يا إلهي! مارشا، لم أقصد ذلك على الإطلاق».

«حسنًا، يبدو أنني الشخص المناسب للقيام بالدور بإتقان. وهو ما يجعلك، يا ألثر، الشخص الذكي الذي سرعان ما سيكون بوسعه إخبارنا بمكان الخاتم ذي الوجهين. صحيح؟».

«ليس بالضـرورة، لكـن من المحتمـل أن يسـاعدنا ذلك على التفكيـر فـي الحل، إلى جانب أن بيتل يرغـب في معرفة ما حدث. وكذلك مارسيلوس وسايمون».

«كان بوسـعك التعبيـر عن ذلك منذ البداية يـا ألثر، وهو ما كان سـيغنينا عن كثير من المشاكل. سـأكون سعيدة بإخبار بيتل بكل ما حدث».

«حسـن للغايـة، يا مارشـا. أقتـرح أن تبدئي منذ البدايـة. عندما استيقظت في صباحِ هذا اليوم».

أخذت مارشا نفَسًا عميقًا، إذ بدا الصباح بعيدًا للغاية، ثم قالت: «استيقظت في وقت متأخر. كنت قد رأيت الكابوس المعتاد مرات ومرات، ولم أتمكن من النوم جيدًا على الإطلاق».

قال ألثر: «صِفي لنا الكابوس».

«لا، يـا ألثـر، هـذه أمـور تخـص السـحرة. الأحلام ليـس لها أهمية».

أصر ألثر: «كل شيء مهم».

«أوه، حسـنًا للغاية. إنـه الكابوس الفظيع المعتـاد. لقد اعتدت علـى رؤيته منذ اكتشـافنا لبـرك الماء تلـك. توجد نيران ما أسـفل القلعة».

بـدا على سـبتيموس الاندهاش ونظـر إليه مارسـيلوس محذرًا إياه.

كانت مارشـا مسـتغرقة تمامًا في حلمها، فلـم تلحظ ما حدث. «أجدنـي أحاول إخماد النار، ولكن وبمجرد اعتقادي أنني تمكنت مـن إخمادهـا، أرى ألسـنة اللهـب تخـرج مـن خـلال أرضية برج

السحرة. ثم تزداد الحرارة شيئًا فشيئًا وبعدها أستيقظ من النوم».
هزت مارشا كتفيها في لا مبالاة. «قد لا يبدو أن هناك مشكلة، لكن الأمر غير لطيف».

اندفع الشخص الذكي قائلًا: «ثم؟».

«حسنًا، لم أكن سعيدة لاستيقاظي في وقت متأخر للغاية، وذهبت بعدها مباشرة إلى الطابق السفلي، ودخلت إلى المطبخ. وكان سبتيموس قد عاد لتوه من شفِّ حروف الكتابة الهيروغليفية وعرض عليَّ تناول بعض من العصيدة، إلا أنني لم أكن جائعة. لم يكن بوسعي التخلص من التفكير في الكابوس. كنت أعلم أنه حلم سخيف، لكنني اضطررت للهبوط إلى أسفل البهو الكبير للتأكد إذا ما كانت هناك ألسنة لهب تخرج من الأرضية أم لا». ثم ضحكت مارشا وبدا عليها الخجل، وأضافت: «وبالطبع لم يكن هناك ألسنة لهب، بيد أنني كنت لا أزال أشعر حينها بأن هناك أمرًا مريبًا؛ لذا قررت الذهاب والتأكد من **القفل المحكم** قبل العودة إلى الطابق العلوي، وبمجرد ذهابي إلى الدهليز علمت أن هناك خطبًا ما.. كان إدموند وأرنولد في وردية مراقبة **القفل** المحكم».

تساءل الشخص الذكي: «وما الخطأ في ذلك؟».

«أخطاء كثيرة؛ أولًا: لم يكونا مدرجين على لائحة المناوبة لذلك الصباح. ثانيًا: لم يقم سايلاس بالإشراف عليهما كما كان مطلوبًا منه. ثالثًا: بَدَوَا غريبين».

قال سبتيموس وهو لم يعتد بعد على أعمامه: «دائمًا ما يبدوان غريبين».

قالت مارشا وقد علمت بالضبط ما الذي قصده سبتيموس: «ولكن لم يبدُ عليهما نفس الحالة غير الطبيعية المعتادة، لقد كان هناك ضوء أخضر حولهما وبدَوَا متوهجين. سألتهما عما كانا يفعلان، وأين هو الساحر المسئول عن مراقبة القفل المحكم. ضحكا وقالا إنه لن تكون هناك حاجة لمراقبة القفل المحكم بعد الآن. وهل تعلم ما الذي كان مريعًا في الأمر؟ لقد كانا يتحدثان معًا في ذات الوقت مثل ..». بحثت مارشا عن اختيار الكلمة المناسبة وقالت: «التوءمين الآليين».

«لقد شعرت بالذعر تمامًا، وقررت طلب المساعدة. خرجت من الدهليز، وكنت أنتوي إقفال الباب عليهما، بيد أنني لم أكن قد وصلت إلى الباب؛ حيث استدارا بوجهيهما وبدا أنهما خطران؛ ما دفعني بشكل بديهي إلى إلقاء درع للوقاية». تحشرج صوت مارشا في حنجرتها، وقالت: «شعرت بشيء ما يضربني.. مرتين، كما لو كنت تعرضت للكمات، هنا».

ثم وضعت يدها على بطنها وقالت: «لم يكن بوسعي التقاط أنفاسي... وشعرت أن هذه اللحظة ستستمر إلى الأبد. وكل ما بوسعي القيام به هو مراقبتهما، ثم تقدما نحوي، وهما يتحركان بطريقة عجيبة حقًّا، مثل الإنسان الآلي الذي تصنعه إيفانيا، ثم قاما

بإلقاء شيء آخر علي؛ وهو ما هز الدرع ودفعني للخلف على الجدار، ثم سارا بجانبي وهما يضحكان، أعتقد أنهما ظنا أنني مت. وأثناء مرورهما بجواري شعرت بأن هناك شيئًا ما مخيفًا تمامًا بشأنهما».

ساد السكون، حيث أُصيب الجميع بصدمة، بمن فيهم ألثر. نظر سبتيموس نظرة خاطفة على مضض نحو الباب، كما لو كان يتوقع دخول عميه في أي لحظة.

تساءل بيتل: «وأين ذهبا؟».

«خارج برج السحرة .. كانا على علم بكلمة المرور، بالطبع. طاردهما بعض السحرة بيد أنهما تلاشيا. طلبت من فريق البحث والإنقاذ تتبعهما في الحال، وآخر مرة شوهدا فيها كانت خارج مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة، وبعد ذلك لا شيء .. لا شيء على الإطلاق».

تساءل ألثر: «هل هيلدا جارد في فريق البحث والإنقاذ؟».

«نعم، لقد أصرت على ذلك».

تساءل ألثر: «إذن متى اكتشفت اختفاء الخاتم ذي الوجهين؟».

تنهدت مارشا وقالت: «لقد علمت أنه اختفى، لقد أخذاه أثناء سيرهما بجواري، وهذا ما وسعني الشعور به، إن له حضورًا معينًا، أليس كذلك يا سِبتيموس؟».

«بلى».

تساءل مارسيلوس بقلق: «لكن هل قمت بتفقد الأمر؟».

«بالطبع تحققت من الأمر. لقد تركا قفلًا زائفًا على الباب حتى تبدو الأمور على ما يرام، بيد أنه عندما قمت بوضع يدي عليه لم يكن هناك شيء. أصدرت **أمرًا بالإبطال** على الباب للتخلص من **القفل** الزائف واستغرق الأمر ثلاث مرات ليسري مفعول **أمر الإبطال**. أعتقد أنني كنت مهزوزة بعض الشيء. ومن ثم، بالطبع، رأيت الحقيقة. كان الباب مفتوحًا ومن ورائه كان بوسعي رؤية النفق ممتدًّا بعيدًا. ومع تلاشي **القفل** الزائف، أخذ **السحر** يتسرب من المكان، وبدأ الباب في التأرجح جيئةً وذهابًا. تركت بعض السحرة الحراس عند المدخل وهبطت إلى **الحجرة المغلقة**، كان الباب المؤدي إلى **الحجرة المغلقة** مفتوحًا؛ كما كانت هناك فجوة في صندوق القيد، وقد اختفى الخاتم».

وضع مارسيلوس رأسه بين يديه، وتنهد سايمون.

تساءل ألثر: «وماذا حدث بعد ذلك؟».

هزت مارشا كتفيها، وقالت: «قمت بإخطار فريق **البحث** والإنقاذ، ودعوت إلى عقد اجتماع في البهو الكبير، وبمجرد بدء الاجتماع، دخل سايلاس».

تساءل ألثر: «وما الذي قاله عن نفسه؟».

«ليس الكثير. لقد قدم إلى هنا في وقت متأخر من الليلة الماضية. وأدى وردية مراقبة **القفل** المحكم المكلف بها، كما

يتذكر الإشراف على مراقبة شقيقيه، بيد أنه لا يتذكر انتهاءهما منها، ولا يتذكر أي شيء آخر حتى هذا الصباح، وذلك عندما استيقظ وقد انتابه شعور غريب للغاية، لقد ساوره الشك بأنه كان ضحية لسحر النسيان. فقد شعر بالأعراض التقليدية، ألا وهي يا سِبتيموس؟».

«ضباب أزرق حول الناس، ورنين خفيف في الآذان، وإحساس متعذر تفسيره بفقدان شيء ما».

قالت مارشا: «جيد للغاية. إذن يبدو أن العمَّين هيب لم يكونا مجرد مشعوذين على الإطلاق، حيث تحمل أفعالهما بصمات سحرة أقوياء عتاة». ثم وجهت كلامها إلى ألثر وسألته: «إذن، أيها الذكي، ما الذي يمكنك استنباطه من هذه القصة الغامضة؟».

هز ألثر رأسه.

خيم الصمت على المكان، وأخذ جميع الموجودين في التفكير فيما قيل.

نظرت مارشا إلى بيتل وقالت: «بيتل؛ لو أنك كنت الشخص الذكي في قراءة هذا اللغز، فبماذا كنت ستخبر المستمعين الآن؟».

مررّ بيتل يده بين شعر رأسه وقال بأسى: «أعتقد أنني الشخص غير الماهر، ما قيل ليس له معنى بالنسبة لي».

سعل سايمون معتذرًا؛ حيث لا يزال يشعر بغرابة في الأمر لحضوره مثل هذا الاجتماع، ثم قال: «بالفعل، أعتقد أن ما قيل له معنى».

اتجهت أنظار الجميع صوب سايمون. «مارشا، كما قلت بالضبط. تحمل أفعالهما بصمات سحرة عتاة».

«ياه؟».

«لسوء الحظ، تلك هي الإجابة».

تساءل مارسيلوس: «ماذا تقصد أيها التلميذ؟».

قالت مارشا: «واصل الحديث من فضلك يا سايمون، يساورني الشك في أنك تعلم الكثير حول هذا الأمر أكثر مني».

هز سايمون رأسه على مضض. لم يحب أن ينظر إليه على أنه صاحب المعرفة **بالسحر الأسود**، بيد أنه أدرك أن ذلك هو الأمر في هذه الحالة، وإذا ما كان بوسعه استخدام معرفته في عمل الخير؛ فعلى الأقل يمكنه أن يكفر عما فعله من قبل. سأل مارشا: «لقد قلت إن هناك ثقبًا في الصندوق؟».

أمعنت مارشا النظر صوب سايمون، حيث بدأت تدرك الحقيقة المخيفة، بالطبع، لقد صبت كل تركيزها بشكل كبير على التوءمين هيب، فلم تتمكن من التفكير في الأمر بالشكل الصحيح.

رأى سايمون تعبير مارشا، فسعل معتذرًا وقال: «أعتقد أن الخاتم ذا الوجهين قد..». ثم نظر نظرة خاطفة صوب مارشا.

أكملت مارشا له الجملة: «**هاجر**».

قال ألثر: «بالتأكيد لا، يستغرق الأمر آلاف الأعوام لحدوث ذلك».

وضعت مارشا رأسها بين يديها، وقالت: «لقد كان في طريقه للهجرة منذ أسابيع قليلة. واضطررت أنا وسبتيموس لإعادته إلى صندوق القيد».

بدتْ على سايمون الصدمة. لو كان ساحرًا أعظم ما كان ليترك الخاتم بمفرده لثانية واحدة بعد ذلك.

قال بيتل: «بيد أن ذلك لا يفسر كيفية حصول إدموند وإرنولد على الخاتم، أقصد أنهما اضطرا إلى كسر **القفل** المحكم للحصول عليه. وفي حقيقة الأمر لا أعتقد أن بوسعهما القيام بذلك؛ فهما مجرد اثنين من كبار السن المتلعثمين..». ثم تردد بيتل في المتابعة وخفض صوته بعد أن أدرك أنهما عمَّا سبتيموس.

أكمل سبتيموس الجملة له وقد شاركه الرأي قائلًا: «المغفلين».

قال سايمون: «بالضبط، وكلما كانا مغفلين كان الأمر أفضل».

نظرت مارشا صوب سايمون وقالت: «سايمون؛ أعتقد أنك تعلم شيئًا ما حول هذا الخاتم، لا نعلمه نحن».

هز سايمون رأسه وقال: «عندما كنت مع، إممم، المالك السابق للخاتم، أخبرني بأن الخاتم قريب للغاية مما أطلق عليه **العودة إلى**

الأصـل. أعتقد أنـه كان خائفًا للغاية من حـدوث ذلك، وكان على علم بأن الأمر كان بحاجة إلى شيء كبير ليصبح ممكنًا».

تساءلت مارشا: «مثل **الهيمنة الشيطانية**؟».

«نعـم، بالضبط. وأعتقد أنه في الليلة الماضية تمكن الخاتم من الدخول في المرحلة الأولى من مراحل **العودة إلى الأصل**».

سبَّت مارشا.

بدت الصدمة على وجه سبتيموس.

ثم قالت مارشا: «متأسفة، ما كان ينبغي عليَّ أن أقول ذلك».

قال ألثر: «هذا ما كنت سأفعله إن لم تفعليه أنت».

نظر بيتل في ارتباك، ثم تساءل: «ما المقصود **بالعودة إلى الأصل بالضبط**؟».

أشارت مارشا لسايمون بالحديث.

انحنـى سـايمون للأمام، وقد سـطع ضوء الشـمعة علـى عينيه الخضراويـن، وتحركـت أصابعـه بقلـق وتوتر، وأخذ يلـف خيطًا شاردًا من سـترته القصيرة التي يرتديها حول أصابعه، أثناء حديثه؛ وهـو يـدرك بأن جميـع الأنظـار كانت تتجه إليـه: «إنها عـودة إلى الحالة السـابقة من الوجـود. في حالة الخاتـم ذي الوجهين كانت حالته السابقة عبارة عن اثنين من السحرة **الشيطانيين**: شاماندريجر سارن، ودرامیندونور نارن».

ارتعشت الشمعة الموجودة على المكتب وبقبقت؛ حيث هناك بعض الأسماء التي لا ينبغي التفوه بها في المكتبة الهرمية، وكان هذان الاسمان منها. خيم الصمت على المكان، واقشعرَّ جسد بيتل.

تابع سايمون في هدوء قائلًا: «**العودة إلى الأصل** ليست عملية مباشرة؛ يجب أن تمر من خلال مراحل. تتمثل المرحلة الأولى في إيجاد شيء ما غير مقاوم **لمسِّه والعيش فيه**، ويبدو- على نحو لا يثير الدهشة - أن ذلك الشيء هو عمَّاي. أفترض أنه تم **مسُّهما** في الليلة الماضية حينما كانا في فترة مراقبة **القفل** المحكم، وبالطبع كان هناك اثنان منهما، ويساورني الشك في أن حقيقة كونهما توءمين جعلتهما مستهدَفين بالفعل».

قال سبتيموس بهدوء: «إذن لم يكن إرنولد وإدموند هما من قاما بسرقة الخاتم ذي الوجهين، إن الخاتم هو الذي سرقهما».

قال سايمون: «نعم» وبدا عليه الانزعاج، ثم أضاف: «إد وإرن المسكينان أصبحا **مأوى للإتلاف**، إنهما لا يستحقان ذلك».

خيم الصمت على الجميع. أن يصبح المرء **مأوى للإتلاف** كان مصيرًا فظيعًا.

بيد أن سبتيموس كان لا يزال في حيرة وارتباك، ثم تساءل: «ولماذا إذن انتظر ساحرا الخاتم في الدهليز المقفل طوال الليل؟».

قالت مارشا: «لقد كانا يحتاجان إلى السيطرة والتحكم في **المأوى**، كما كانا مضطرين للحصول على كلمة المرور الخاصة ببرج السحرة من التوءمين هيب من أجل الخروج».

نظر سايمون صوب مارشا وقال: «هذا حقيقي، بيد أنه بالفعل يساورني الشك في أنهما كانا في انتظارك أنت. ربما كانت لديهما رغبة في التخلص منك في أسرع وقت ممكن. أنت محظوظة لحصولك على **الدرع** في الحال، وبشكل سريع للغاية».

أومأت مارشا برأسها.

قال بيتل: «أتساءل حول سبب عدم ملاحظة السحرة الآخرين العاملين في مراقبة **القفل** المحكم لهما؟ فما من شك في أن تسكع اثنين من السحرة **الشيطانيين** حول المكان في ذلك الدهليز الصغير كان أمرًا **ملحوظًا**».

ضحك سايمون ضحكة حزينة وقال: «كلا. عدم **رؤيتهما** من قبل مجموعة قليلة للغاية من السحرة العاديين أمر سهل بالنسبة لهما».

قفزت مارشا على قدميها وقالت: «صحيح، هذا ليس بالأمر الجيد، بيد أننا نعرف على الأقل الآن ما الذي نجابهه؛ أولًا: علينا العثور على إدموند وإرنولد. ثانيًا: علينا تلاوة **تعويذة الحبس**؛ لإعادة ساحري الخاتم إلى الخاتم، ثم يتعين علينا **تغيير طبيعة** الخاتم».

قال ألثر: «حسنًا، هذا ما سوف نهتم به في هذا المساء».
قال سبتيموس: «ولكن..».
انفجرت مارشا قائلةً: «يا ألثر، لست في حاجة إلى السخرية».
قال سايمون في محاولة منه لتهدئة الأوضاع: «هذا ليس أسوأ ما يمكن أن يكون عليه الحال، على الأقل خرجت جينا بأمان من الطريق. ليس بوسعهما العثور عليها في رحلتها».
تساءلت مارشا: «وما السبب وراء رغبتهما في العثور على جينا؟».
قال سايمون: «لقد أقسما على الانتقام من أحفاد الملكة، حيث أطلق أحد أجداد جينا النار عليهما، في سويداء القلب».
ابتسم بيتل قائلًا: «لِمَ لا يثير ذلك اندهاشي؟».
قال سبتيموس: «ولكننا..».
تساءلت مارشا وهي لا تزال منفعلة يتملكها الغضب قليلًا: «ما الأمر يا سِبتيموس؟».
«إممم. ليس لدينا الخاتم لإعادتهما إليه».
عبست مارشا ووضعت رأسها بين يديها، حيث لم تكن تفكر بشكل سوي.
تساءل بيتل: «هل يتعين عليهما العودة إلى ذات القطعة الذهبية بالتحديد؟».
نظرت مارشا صوب مارسيلوس وقالت: «أنت خبير الذهب».

حاول مارسيلوس أن يتذكر تاريخه القديم مع الذهب؛ وهو الشيء الذي كان قد درسه بشوق: «هممم.. بالتأكيد من الممكن ألا يتعين عليهما العودة إلى ذات الخاتم. يقال إن حُتب رع قام بصناعة الخاتم للملكة من قطعة كبيرة من الذهب **السحري** القديم للغاية الذي أحضره معه. كتلة من الذهب قديمة ذات هوية واحدة؛ وذلك حتى يتسنى لها التعرف على الأجزاء الأخرى، حتى في حال انشطارها إلى قطع منفصلة».

تساءلت مارشا: «ما الذي صُنع أيضًا من تلك القطعة الكبيرة من الذهب .. هل نعلم؟».

«يقال: إن حُتب رع قام أيضًا بصناعة الطوق - كما تعلمين، ذلك الذي ترتديه جينا - من نفس قطعة الذهب».

تنهد الجميع. لم يكن ذلك بالأمر الطيب.

تساءل سبتيموس: «هل هذا هو نفس الذهب **المستنسخ**؟».

قال مارسيلوس: «هذه صفة أخرى له».

«إذن ماذا عن القارورات؛ **القارورات الثلاثية** لتغيير المادة؟».

قال مارسيلوس بحماس: «بالطبع! أعلم أنه كان هناك شيء ما. يا أيها التلميذ، أعتقد أنها لديك!». ثم اتجه إلى مارشا وقال: «إنه بارع، أليس كذلك؟».

بدا على سبتيموس الإحراج.

وافقته مارشا الرأي وقالت: «هو ليس سيئًا على الإطلاق، ولهذا السبب، بالطبع، اخترته ليصبح تلميذًا لدي».

بدت ملامح الغضب على وجه مارسيلوس.

قال سبتيموس على عجل: «بوسعي الحصول على القارورات، هي موجودة في غرفة جينا».

قالت مارشا: «حسنًا، والآن كل ما علينا القيام به هو العثور على ساحري الخاتم قبل عودة جينا».

كان مارسيلوس لا يزال غاضبًا، قال: «من المستحيل العثور على تلك الكائنات إذا لم يكن لديها الرغبة في أن يتم العثور عليها يا مارشا».

«إذن علينا أن ندفعها إلى القدوم إلينا».

تساءل مارسيلوس: «وما اقتُراحك للقيام بذلك؟».

قالت مارشا: «عن طريق الطُّعم».

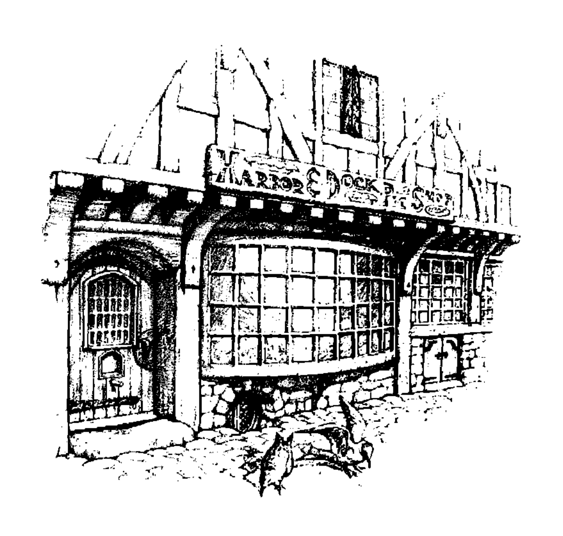
قال الأشخاص الثلاثة والشبح في آنٍ واحد: «طُعم؟».

تساءل مارسيلوس: «وماذا -أو من - الذي يدور في خلدك؟».

ابتسمت مارشا وقالت: «ميرين ميريديث».

28

الطُّعم



قال سبتيموس لاهثًا: «من فضلك أريد فطيرتين من اللحم المقدد والفاصوليا يا مورين». وقد تمكن بالكاد من الوصول إلى محل فطائر هاربور ودوك الواقع على الميناء قبل إغلاقه.

قامت مورين بتسليمه الفطيرتين، ثم قالت: «هلا تذوقت واحدة من فطائرنا الحلوة المصنوعة من مربى التوت والتفاح؟ دعني أعرف رأيك فيها».

«أشكركِ، يا مورين. سوف أفعل. تبدو رائحتها طيبة. هل لديك واحدة أخرى؟».

قالت مورين: «هل أنت جائع، إيه؟ هذا ما أحب أن أراه». قامت مورين بلف الفطيرتين بإحكام وتسليمهما له عبر المنضدة الموجودة في المحل. ثم تساءلت: «إذن تسير الأمور على ما يرام مع شقيقك في القلعة، أليس كذلك؟».

قام سبتيموس بعمل مسح ذهني بين مجموعة أشقائه الموجودين في القلعة وقرر أن من قصدته مورين هو سايمون؛ لذا قال: «بلى، هو بخير، أشكركِ».

ابتسمت مورين في إعجاب وقالت: «أنا سعيدة لذلك، لقد مر هو ولوسي بأوقات عصيبة. يستحقان الحصول على استراحة. لقد تزوجا أيضًا، حسبما سمعت».

قال أثناء توجهه مسرعًا نحو الباب: «صحيح. منذ شهرين».

«رائع. أبلغ سايمون ولوسي بسلامي في حال رؤيتهما».

أومأ سبتيموس برأسه وقال: «سوف أفعل. أشكركِ. أراكِ على خير. مع السلامة». وبعد أن غادر راوده شعور سيئ لعدم إخبار مورين أن سايمون كان على بعد مسافة لا تتجاوز خمسين ياردة

منها، خرج سـبتيموس من الباب قبل أن تتمكن مورين من سـؤاله عـن أي شـيء آخر. وكان سـايمون قـد رفض المجـيء إلى محل الفطائـر معه. حيث قـال: «أنا أحب مورين يا سِـب، بيد أنها تحب القيل والقال، وأنا لا أريد أن يعلم أحد بوجودي هنا، تمام؟».

قبل عشر دقائق، كان سبتيموس وسايمون قد قاما **بالانتقال** إلى ناحية الميناء؛ وهي أقرب سـاحة مفتوحة فـي المكان الذي يعيش فيه ميرين.

وأثناء سـير سـبتيموس عبر رصيـف الميناء المهجور، ممسـكًا بيـده حزمة الفطائر السـاخنة التي حاولت الريـاح اقتناصها من بين يديـه؛ راوده التفكير كيـف كان الأمر غريبًا أن يعمل مع سـايمون. وقد أصابته الدهشـة فقد راوده شـعور جيد حيال تلك التجربة. لم يتوقع سبتيموس امتلاك سايمون مثل هذه المهارات السحرية؛ لقد كانت تلك المهارات في نفس المستوى الذي يحظى به سبتيموس إلـى حد كبير على الرغم من تبني سـايمون طريقة غريبة نسـبيًا في إنجاز الأمور، وهو ما نتج، على ما يعتقد سـبتيموس، عن كونه قد علم نفسـه، ووفقًا لشـكوك سـبتيموس، وعدم اعتنائه بشـكل كبير حيال استخدام مصادر **السحر الأسود**.

وجد سبتيموس سايمون جالسًا على مربط الحبال بجوار المـاء، محتميًـا مـن الريـاح، وبعيـدًا عن أنظـار محـل الفطائـر. وبمجرد شـروعهما فـي تنـاول الفطيرتيـن المصنوعتيـن من مربـى التوت

والتفاح استمعا إلى صوت قعقعة أبواب محل فطائر هاربور ودوك أثناء قيام مورين بإغلاقه ليلًا.

قال سبتيموس: «لا أعتقد أن ميزين سيأتي معنا دون شجار».

قال سايمون: «بوسعنا أن نتشاجر معه إذا أراد ذلك».

قال سبتيموس: «من الأفضل ألا يحدث شجار، نحن لا نريد تدخل الجيران».

قال سايمون: «أحمق!». وقد امتلأ فمه عن آخره بالفطائر.

«هه؟».

«أُصبت بالاختناق فقط، عند التفكير في الجيران الرائعين ... بيد أنك على صواب.. لا نريد إثارة الجلبة. آخر شيء نود القيام به هو لفت الانتباه إلى ميرين». ثم نظر سايمون نظرة خاطفة قلقة وهمس قائلًا: «أنت لا تعلم أبدًا المكان.... الذي يحتمل وجوده فيه».

راود سبتيموس شعور بالرعب الشديد، ثم قال: «لا ينبغي علينا استخدام أي نوع من أنواع **السحر**. لقد انطوت عمليات الانتقال على ما يكفي من المخاطر. والسحر يجذب **السحر**.. لا سيما **السحر الأسود**».

قال سايمون باقتضاب: «أعلم ذلك». لم يكن يحب أن يخبره شقيقه الصغير بأمور أساسية يعلمها بالفعل «إذن علينا أن نخيفه

بشكل كبير حتى لا يتسنى له محاولة القيام بأي شيء على الإطلاق. وحتى يهاب مجرد الحديث».

قال سـبتيموس وهو يناول لسـايمون فطيرة من التوت والتفاح: «صحيح، هذا ما أعتقده أيضًا».

قضـم سـايمون الفطيرة فسـالت المربـى الحمراء مـن فمه، ثم سأله: «هل تفكر فيما أفكر فيه؟».

رد سبتيموس: «أعتقد ذلك».

وجلسـا بعدها في صمت يـأكلان الفطيرتين اللتيـن بحوزتهما وهما ينتظران. وفي مقابلهما كانت مراكب الصيد تتمايل وتتهادى فـي انتعاش مع الرياح التي تهب من البحـر. لقد كان المد والجزر عاليـن والميناء ممتلئًا بالمراكب؛ وكان جميع الصيادين على علم بأن الرياح سـترتفع، وأن الليل سـيصبح عاصفًا. وكانت التثبيتات المعدنية في الأشـرعة والصواري بالمراكب تخشـخش، والحبال المشدودة تعزف مع الرياح.

علَّق سـايمون وهو يمسـح يديه اللزجتين بردائـه، قائلاً: «هذه ليلة غير مناسبة للأشباح التي تحلق في السماء».

تمتـم سـبتيموس قائلًا أثنـاء إلقائه بفتـات الفطيرة فـي الرياح: «كلا». وكان لديه أمل في ارتحال ألثر ومرافقه بسـلام في طريقهما إلى الميناء، وكان سايمون على صواب؛ حيث تجد الأشباح مشقة بالغـة فـي الزوابع. وقد يبـدي ألثر شـكواه من كون الأمر مشـابهًا

للمرور عليه من قبل أحذية الجنيات، وليس لدى سبتيموس أي فكرة حول كيفية معرفة ألثر بكون الأمر مشابهًا **للمرور عليه** من قبل أحذية الجنيات.

وكان سبتيموس يحشر أغلفة الفطائر اللزجة في جيبه عندما رأى شيئًا كبيرًا وأبيض اللون ينزلق من على صواري المركب، وبعد مرور لحظة واحدة هبطت إحدى طيور القطرس الضخمة للغاية على رصيف الميناء، بيد أن الطائر الصعب المراس لم يتوقف وقد شابهت أقدامه الضخمة المكففة، الزلاجات أثناء عبورها من على البلاط المنزلق، متوجهًا مباشرةً نحو سبتيموس وسايمون. لذا قفزا لأعلى في الوقت المناسب تحاشيًا لمنقاره، حيث كان متوجهًا مباشرةً مثل الخنجر صوب ركبتيهما.

وبصوت دمدمة اصطدم منقار الطائر بمربط الحبال. جفل سبتيموس، لابد أن ذلك قد آلمه. وقام القطرس بمناورة تختلف تمامًا عن حركات الطيور، حيث لف على ظهره، واضعًا قدميه في الهواء، ومغطيًا منقاره بجناحيه.

قال سبتيموس: «**تحوَّل!**».

بفرقعة صغيرة ووميض من الضوء الأصفر، **تحوَّل** الطائر إلى رجل ممشوق القوام مرتديًا غطاء رأس أصفر اللون، يبدو مثل كومة من الكعكات ذات الحجم المتناقص، ثم استلقى على ظهره

بجوار مربط الحبال مشبّكًا كلتا يديه على أنفه. وتأوه قائلًا: «آآآه. يالحظِّي العثر! يالحظِّي العثر!».

قال سبتيموس وقد بدا عليه الاستغراب مثل مارشا: «هذا هو يا جيم ني جزاء من يتفاخر. أين ألثر؟».

أجابت حركة صغيرة في الهواء عن سؤاله.

قال الشبح **كاشفًا** عن نفسه: «ها هو ألثر. ثم لاحظ أن جيم ني كان مستلقيًا على الأرض: «ما الذي تفعله الآن؟».

تأوه الجني قائلًا: «لقد اصطدمت بمربط الحبال».

قال ألثر بشكل متقاطع: «لقد أخبرتك بألا تتحول إلى طائر القطرس، فذلك يعني الكثير من المشاكل في هذه الرياح. كان يكفيك أن تتحول إلى طائر النورس الصغير».

وقف جيم ني ساخطًا، تاركًا يدًا واحدة على أنفه ثم قال: «أنا أرفض تقمص دور طيور النورس الصغيرة. إنها مخلوقات كريهة؛ حيث تأكل أشياء مقززة. وحيث إنني جائع للغاية، الله وحده العالم بما كان سيلتقطه ذلك الطائر الصغير الأجرب. يع!». سرت في جسده رعشة، ووقع نظره على محل الفطائر. ثم قال: «يا للعار! إنه مغلق، إني أتضور جوعًا، لم أتناول طعامًا منذ ستة أشهر».

شعر سبتيموس بالذنب. لقد قام بإيقاظ جيم ني من سباته الشتوي ولم يفكر حيال إطعامه بأي شيء. كان ينبغي عليه شراء فطيرتين له من مورين. بيد أن سبتيموس كان قد تعلم ألا يكون

مراعيًا للغاية لمشاعر الجني الذي يعمل تحت إمرته. كان عليه الحفاظ على رباطة جأشه أمامه، حتى ولو كان ذلك مخالفًا لطبيعته. قال سبتيموس في صرامة: «بوسعك تناول الطعام عند قيامك بما جئت من أجله» لامحًا نظرة اندهاش في عيني سايمون، الذي رأى الجانب القاسي من شقيقه الأصغر للمرة الأولى.

ومع ذلك، تنهد جيم ني فقط وقال: «حسنًا للغاية، أيها التلميذ. ما الذي تريده مني؟».

نظر سبتيموس نظرة خاطفة صوب سايمون وقال: «سوف أخبرك في الطريق، لقد حان وقت الانطلاق. لدي شعور أن ميرين ربما ينام مبكرًا هذه الأيام».

اتخذ كل من التلميذين والشبح والجني طريقهم عبر مقدمة الميناء سالكين حارة صغيرة للخروج منه. كانت شوارع الميناء مظلمة وليست آمنة، لا سيما في الليل، وقد قاد سايمون – الذي كان ملمًّا بالميناء – الطريق متوجهًا صوب بيت الدمية في المكان الذي يقيم فيه ميرين الآن برفقة والدته التي فقدها منذ فترة طويلة، الممرضة ميريديث، أو الممرضة الصغيرة كما كان يطلق عليها الجميع في الميناء من قبل.

قال ألثر أثناء سيرهم بهدوء أسفل الشارع الضيق المفعم برائحة بول القطط النفاذة: «أنا لا أوافق على هذا، أعتقد أنه ينبغي إخبار ميرين بالحقيقة».

قـال سـبتيموس بصوت خفيض: «يا ألثر؛ لـن يصدقنا. فكر في الأمر. سيقف الشـخصان اللذان يبغضهما ميرين أشد البغض- أنا وسايمون – على عتبة بابه في الليل ونقول له: أوه، أهلًا، يا ميرين. هل تعلم الساحرين الشيطانيين اللذين كانا موجودين في خاتمك؟ هـل تعلم الخاتم الذي قمنا بقطع إصبع الإبهام لديك لاستعادته؟ حسـنًا، لقد فرا، ونظـرًا لاتخاذك الخاتم من قبـل، فإنك مدرج في قائمـة اغتيالهمـا. لكـن لا تقلـق. نحن نحبـك حبًّا جمًّا؛ لـذا جئنا لنصطحبـك إلـى برج السـحرة، حيث يمكنك المكـوث في مكان آمن. لا أعتقد أنه سيقول لنا: أشكركما شكرًا جزيًلا. سوف أذهب معكما على الفور. أليس كذلك؟».

تنهـد ألثـر وقـال: «إذا كان الأمـر كذلـك، فأفتـرض أنـك على صواب. أنا فقط لا أحبذ الحل الذي تطرحه، هذا كل ما في الأمر».

وصلـت المجموعة إلى نهاية الشـارع ليسـلكوا ملفًّا يؤدي بهم إلى شارع طويل وأكبر، وليس كريه الرائحة نسبيًّا مقارنة بما سبقه، وعلـى جانبيـه منازل شـاهقة، وغيـر مضيء عدا بعـض الضوء في أقصـى النهايـة. سـاروا بعدهـا مسـرعين، متوجهيـن نحـو الضوء مباشـرةً، حيث وقف قليل من السكان المحبين للاستطلاع بجوار سـتائر نوافذهم ورأوا الموكب الغريـب، وكان الموكب عبارة عن رجـل بدا عليه – من خلال ردائه الأسـود والأحمر الذي يرتديه – أنه سـاحر شيطاني، وفي أعقابه يسير الساحر التلميذ طويل القامة،

ورجل ثالث يحاول الإبقاء على كومة من الكعك الأصفر المحلَّى على رأسـه. بيد أنهم حين فكروا قليلًا في الأمر؛ نظرًا لإقامتهم في مكان غير بعيد عن جماعة سـاحرات الميناء، لم يجدوا غرابة فيما شـاهدوه، وسرعان ما أغلقوا ستائر نوافذهم وعادوا إلى الجلوس بجوار المدافئ.

توقفت المجموعة في نهاية الطريق مقابل أحد المنازل التي تم طلاؤها بشـكل مبهرج على الجانب الآخر من الشارع. وكان ذلك هو بيـت الدمية.. لقد كان، من تحت طلائه، منزلًا مثاليًّا من منازل المينـاء، شـاهقًا وواجهتـه منبسـطة، بالإضافـة إلـى وجـود الباب الأمامـي علـى ارتفاع درجة واحـدة كبيرة من الشـارع، بيد أن بيت الدميـة كان مميـزًا عـن كافـة البيوت الأخـرى في الشـارع بفضل الأحجـار المطليـة حديثًـا باللونيـن الزهـري والأصفـر اللامعين واللذين كانا يبرقان في ضوء المصباح الموجود بجانب عتبة الباب الأمامي.

نظر سـبتيموس فـي قلق صوب بـاب المنزل المجـاور؛ وهو مبنى قاتم وآيل للسـقوط في احتيـاج ملحٍّ للإصلاح، وحتى على الجانب الآخر من الطريق، فاحت منه رائحة بسـيطة تشـبه رائحة الصرف الصحي. شـعر بعدها بارتيـاح لرؤيته المنزل هادئًا، على الرغم من تخمينه احتمالية أن يكون هبوط الليل هو ما تسـبب في سـكون المقيمين بـه، فقد كان ذلك المنزل هـو مقر إقامة جماعة

ســاحرات الميناء. قام سبتيمـوس بمسح بيت الدمية الأنيق باحثًا عن أي دليل يشير إلى ما يحدث بالداخل.

لا تفصـح الواجهـة المبهجة لبيت الدمية عن أي شــيء، بيد أن ســبتيموس لم يكن بوسعه سوى التســاؤل عما إذا كانوا قد تأخروا أم إذا كان شــاماندريجر ســارن ودراميندونـور نــارن قـد ســبقاهم بالفعل إلى الداخل؟

همس ألثر بعصبية: «تبدو الأمور هادئة للغاية».

نظر ســايمون حولـه وقال: «حتـى الآن. والأفضل عـدم قضاء الوقت في التسـكع». ثـم نظر بارتياب صوب جيم نـي، الذي كان يقضم أظافره.

«سـبتيموس، هـل يفهم الجنـي العامل تحت إمرتـك، ما الذي يتعين عليه فعله؟».

قال سبتيموس: «نعم يفهم بالتأكيد».

قال ألثر: «جيد للغاية، هلا ذهبنا إذن؟».

ثم عبروا الشــارع باتجاه عتبة باب بيت الدمية ووقفوا يسترقون السـمع. كانـت جميـع الأمور هادئـة، وقام جيـم ني، وقـد أصابه التوتـر، بفحـص انعـكاس وجهـه على السـطح اللامـع لصندوق الخطابـات النحاسـي، متمايـلًا إلـى أعلـى وأسـفل ليتمكـن مـن الحصول على شكل وجهه بالكامل.

خاطب سبتيموس الجني العامل تحت إمرته بصرامة وقال: «جيم ني، كف عن النظر إلى وجهك واستمع إليَّ».

قال جيم ني: «كلي آذانٌ صاغية أيها التلميذ» مشيرًا إلى أذنيه البارزتين نوعًا ما، «لسوء الحظ. لم تعودا أبدًا إلى ما كانتا عليه بعد تلك السلحفاة الشنيعة التي جعلتني...».

قاطعه سبتيموس: «جيد، سوف تكون مناسبًا للقيام بالدور بشكل مثالي. هل أنت مستعد؟».

بدا على جيم ني شحوب الوجه: «أنا مستعد كما هو حالي دائمًا وأبدًا».

«يا جيم ني، أنت مأمور **بالتحول** إلى ما يشبه ..».

قاطعه ألثر بقلق وخوف قائلًا: «سبتيموس، هل أنت على يقين تام من ذلك؟».

«إنه سيشبهه فقط في الشكل، ولن **يتحول** إليه بالفعل».

«**ولو**..».

خاطب سبتيموس الجني العامل تحت إمرته بأمر رسمي: «جيم ني؛ أود منك **التحول** إلى شبه... دومدانيال!».

29
على عتبة الباب

من إحدى نوافذ السطح في المنزل الذي تقيم فيه جماعة ساحرات الميناء، رأت دوريندا أحد رجال الميناء مرتديًا قبعة على شكل مدخنة، ورداء للساحر الأعظم الأرجواني اللون مطرزًا برموز السحر الأسود، ومجموعة مصفوفة من الخواتم في أصابعه القصيرة والسمينة.

ارتعشت أذنا دوريندا الضخمتان اللتان تشبهان أذني الفيل من صدمتها. بالتأكيد هذا هو دومدانيال! جف ريقها. لكن ألم يمت؟ لذا أطلت برأسها مرة أخرى ورأت الرجل يقوم برفع المطرقة ويقرع الباب بصوت مرتفع.

كانت دوريندا على علم بأنه ليس بوسع الأشباح القيام بذلك.

لذا جلست على سريرها في حالة من الرعب. إنه رجل حقيقي، هكذا اعتقدت دوريندا؛ ومن ثم راودها اعتقاد بأن دومدانيال يقوم بزيارة الممرضة الصغيرة! تسلل الفزع إلى نفسها؛ من الواضح أن الممرضة الصغيرة ليست كما ظنت. تمنت لو أنها علمت بذلك من قبل؛ قبل أن تسكب عليها دلوًا كاملًا من العناكب الشيطانية بعد ظهيرة ذلك اليوم، فيما كانت تنشر غسيلها. تأوهت دوريندا، وقامت بلف أذنيها الكبيرتين مثل أذني الفيل حول رأسها وقضمت طرفًا لينًا من أذنها في محاولة للتهدئة من روعها. لقد نظرت الممرضة الصغيرة إلى أعلى ورأتها .. إذًا هذا ما قصدته عندما قالت لها: «سوف أنتقم منك، أيتها القذرة الصغيرة!». ما من شك في أن الممرضة الصغيرة ستسلط دومدانيال عليها. هزت دوريندا أذنيها الكبيرتين، وقفزت على قدميها ثم صرخت، وعندما صرخت دوريندا، علم جميع الموجودين من جماعة ساحرات الميناء بالأمر.

في الأسفل عند عتبة باب الممرضة الصغيرة، كان جيم ني قائمًا يستمتع بوقته، وهو ما أثار دهشته. لقد كان لديه ولع بالخواتم، لذلك فقد راقت له مجموعته الجديدة؛ رفع يده للقرع على الباب مرة أخرى، وأعجبه ذلك الوميض المنبعث من العنقود الماسي المتشابك في إصبعه الصغير. وبينما كان على وشك السماح لنفسه بالدخول، انفتح الباب فجأة، ووجد أمامه شابًّا طويل القامة

ذا شعر أسود قصير، وسترة منمقة سوداء وقصيرة، وكان يصرخ باتجاه المنزل».

«ماذا؟».

صرخ صوت بلا جسد قادمًا من مكان ما أعلى قمة المنزل قائلًا: «افتح ... الباب!».

شعر سبتيموس، الذي كان مختبئًا في الظلال وراء جيم ني، بالارتياح لرؤية ميرين ميريديث في حالته المعتادة، من الواضح أن الساحرين الشيطانيين لم يعثرا عليه بعد. اعتقد سبتيموس أن ميرين بدا أنيقًا ومرتبًا على نحو مدهش - وهذا هو الطبيعي إلى حد كبير، في الحقيقة - فيما عدا الضمادة الملفوفة حول يده اليسرى، والتي كشفت عن وجود استواء في المكان المفترض لإصبع الإبهام وذلك أثناء إمساكه بحافة الباب، بيد أن ميرين ذاته لم يلاحظ بعد من الذي طرق الباب. لقد كان منشغلًا للغاية في صراخه: «أنا أفعل ذلك بالفعل!».

صدر الصوت مجددًا من الطابق العلوي: «ميرين! افتح ... الباب!».

صرخ ميرين في عتمة المنزل قائلًا: «لقد فتحت ذلك الباب الملعون ... هل أنت صماء؟»، ثم أضاف: «اللعنة». استدار في تذمر ليرى زائره للمرة الأولى. فوقف فاغرًا فمه، وظل على ذلك الحال.

صرخ الصوت المنبعث من الطابق العلوي: «من.... بالباب؟».

لم يكن ميرين في حالة تمكنه من الرد، وكل ما كان بوسعه القيام به هو التحديق في رعب صوب الشبح الواقف أمامه على عتبة الباب.

طالع جيم ني ضحيته المذهولة وهو راض عن النتيجة التي حصل عليها؛ لقد سارت الأمور على نحو جيد.

رفع الجني نفسه ليصل إلى نفس طول دومدانيال الكامل، وهو ما لم يكن كبيرًا، إلا أن إضافة طول قبعة المدخنة قد جعلت طوله كافيًا ليكون أطول من الولد الواقف على عتبة الباب، إلا أنه فوجئ بذلك الصوت المقرف الرفيع المنبعث من فمه.

سعل جيم ني في محاولة منه لإخراج صوت مرعب ورخيم، ثم قال: «أيها التلميذ؛ إحم. أيها التلميذ».

انبعث صوت كالصرير من ميرين، وانحنى على هيكل الباب، ثم تهاوت قدماه، كما لو كانتا مصنوعتين من المطاط، وكما لو كانتا ستنثنيان إلى نصفين في أي لحظة. ومن داخل المنزل، انبعث صوت خطوات ثقيلة تهبط على الدرج يصحبها صوت صراخ: «يا ميرين! من بالباب؟».

حث سبتيموس الجني على الإسراع قائلًا: «أسرع!».

قال جيم ني بصوت منغوم: «أيها التلميذ، سوف ترافقني في الذهاب إلى القلعة».

قفز ميرين للخلف وحاول أن يصفق الباب، بيد أن جيم ني تقدم خطوة للأمام وحشر قدمه قبل أن ينغلق الباب. نظر ميرين بإمعان صوب رئيسه السابق في هلع. لقد كان ذلك أسوأ من أسوأ كوابيسه على الإطلاق. ثم قرقر قائلًا: «لاااا...ااا..».

صاح جيم ني فيه بصوت مجلجل بعد أن تمكن من التحكم في نبرته قائلاً: «أيها التلميذ؛ تعال معي.. وإلا سأضطر لإجبارك، أيها الضفدع الصغير». قال جملته الأخيرة بنبرة تهديد جعلت سبتيموس ينتفض خوفًا.

فتح ميرين عينيه في ذهول وفغر فاه، وهز رأسه نافيًا. وتحرك على مضض إلى الأمام، وفجأة تناهى إلى سمعه أصوات خطوات على السلم.

صرخ ميرين: «ماما!».

أصيب سبتيموس بالهلع. أخذت الأحداث تتسارع بعض الشيء. سوف تنزل الممرضة الصغيرة في أي لحظة الآن، وسوف يفقدون فرصتهم إلى الأبد. قال سبتيموس لجيم ني: «أمسكه، بسرعة!».

أمسك جيم ني بذراع ميرين.

وعندها تردد صدى صوت الممرضة الصغيرة على طول الممر قائلة: «ميرين! أخبرهم أنه لا يوجد لدينا مكان!».

تمكـن ميرين أخيـرًا من إطلاق صرخـة خافتة قائـلاً: «يا ماما! ساعديني!».

انبعث صوت قرع حذاء على ألواح الأرضية؛ لقد كانت الوحش الأم فـي طريقهـا لإنقـاذ رضيعهـا: «آه، ما الذي يحـدث؟ دعه من قبضتك أيها المتنمر الكبير!».

صرخ جيم ني: «آخ!».

حيث هبطت قبضـة كبيرة تمامًا على أنف الجني، الذي كان لا يـزال ملتهبًـا عقـب الاصطـدام بمربـط الحبـال. وفجـأة، وجـد سبتيموس جيم ني متكومًا على عتبة الباب، ليقفز بعدها سبتيموس للأمام ويمسـك بياقة الجنـي؛ ذات الملمس الدهنـي والبارزة من العباءة الأرجوانية.

همس قائلًا: «انهض أيها الأحمق». حدق ميرين في سبتيموس في ذهول. ما كان ليجرؤ أن ينادي أستاذه القديم بتلك الصفة.

خيـم ظـل علـى سـبتيموس، فنظـر إلـى الأعلـى ليجد جسـد الممرضة الصغيرة يلوح فوقه. قالت لسبتيموس: «أبعد هذا الشيء عن ميرين». ثم التفتت الممرضة الصغيرة نحو سايمون وقالت له: «انصـرف أنت أيضًا، يا أبناء هيب البغيضين؛ ليس وراءكما سـوى المتاعـب». ثـم اسـتدارت إلـى ميريـن، الـذي كان مسـتندًا علـى المدخـل، باهتًـا مثل الشـبح، وسـألته: «هـل أنت على ما يـرام، يا عزيزي؟».

أومأ ميرين برأسه بضعف.

وفـي تلك اللحظة انفتـح الباب المؤدي إلى جماعة سـاحرات الميناء وخرجت الساحرة الأم تترنح منه، وهي تقول بصوت عال: «أستاذي ومعلمي!». اندهش جميع الواقفين بعتبة الباب لمشاهدة الساحرة الأم - كانت تبدو مثل البرميل وترتدي عباءة سوداء يُشتم منهـا رائحة براز القطط- كانت تهرول على نحو غير مسـتقر نحو بيت الدمية في حذائها الطويل المدبب. وكان وجه السـاحرة الأم، المجعـد نتيجـة النوم فـي مكياجها الكثيف الأبيـض (الذي كانت تسـتخدمه لتغطية حساسـيتها بسـبب دودة الخشـب)- يبـدو عليه التواضع والخضوع. أمسكت بدرابزين بيت الدمية بقوة وسحبت نفسـها للأعلـى متوجهة نحـو سـايمون وجيم ني. حـدق جيم ني صوب الساحرة الأم في حالة من الرعب، حيث لم يكن من مُحبي الساحرات.

كمـا لـم تكـن الممرضـة الصغيـرة تحبهـن أيضًـا، لـذا دفعت السـاحرة الأم وقالت لهـا: «اغربي عن وجهي أنـت الأخرى أيتها السـاحرة العجـوز». نتيجة لذلك ترنحت السـاحرة الأم وتشـبثت بشدة بسايمون كي لا تقع على الأرض، بيد أن سايمون دفعها بعيدًا عنه لتعود الساحرة الأم أدراجها نحو الدرابزين.

راقـب ألثـر في فزع ذلك المشـهد الذي كاد يتحول إلى شـجار عنيـف على عتبة باب بيت الدمية؛ واتخذ قرارًا **بالظهور**، بحيث لا

يكون شفافًا تمامًا بقدر المستطاع، وذلك لعلمه اليقيني بكون الممرضة الصغيرة واحدة من أولئك الذين لم يروا أشباحًا بشكل طبيعي.

ثم قال: «سيدتي».

سألته الممرضة الصغيرة: «ماذا؟».

«يبدو أن هناك نوعًا من سوء التفاهم».

وخزت الممرضة أنف جيم ني بإصبعها للتأكيد وقالت: «أتفهم ذلك تمامًا. تلك الكتلة الرهيبة القديمة».

«آآآخ!».

«والذي لم يكتف باختطاف ولدي الصغير عندما كان رضيعًا، بيد أنه الآن امتلك الجرأة للعودة وإعادة الكرَّة مرة أخرى. حسنًا، لن أسمح بذلك. ليس هذه المرة».

قال ألثر: «أيتها السيدة، من فضلك اسمحي لي بتوضيح الأمر. لقد جئنا لمساعدة ابنك؛ هو في خطر محدق من...».

وخزت الممرضة مرة أخرى جيم ني بإصبعها للتأكيد وقالت: «هو!».

«آآآخ!».

«وهو محظوظ أنني لا أفعل ما هو أسوأ من...».

«آآآخ!».

«وخزة ..».

«آآآخ!».

«في ..».

«آآآخ! ..».

«الـــ ..».

«آآآخ!».

«أنف».

«آآآخ، آآآخ، آآآخ!».

شـاهدت السـاحرة الأم كيفيـة تعامـل الممرضـة الصغيـرة مع دومدانيال في حالة من الاندهاش. وانتابها احترام شديد لجارتها، ثم تجرأت على القول: «أيـ ... أيتها الممرضة الصغيرة».

تساءلت الممرضة الصغيرة: «ماذا تريدين الآن؟».

قالت: «أرجو منـك قبول اعتذاراتي المتواضعة لأي صورة من صـور الإزعـاج التي قامـت بها جماعة السـاحرات فـي حقك في الماضي، وأؤكد لك أننا سـوف نبذل كل ما بوسـعنا لتقديم العون لك بأية طريقة في المسـتقبل. بأيـة طريقة كانت على الإطلاق..».

ثم انحنت الساحرة الأم على نحو غريب أمام الممرضة الصغيرة.

شـعرت الممرضة الصغيرة بنشـوة الانتصار؛ فها هـم أعداؤها يتسـاقطون أمامهـا مثل عرائس البولينج، وقـررت أن تحقق أقصى استغلال من ذلك.

فانفجرت في وجه الساحرة الأم وقالت: «وأنت أيتها الخفاش العجوز ذو الرائحة الكريهة .. اغربي عن وجهي تمامًا».

واصلت الساحرة الأم انحناءها على نحو محموم، وبدأت في الابتعاد والعودة للوراء، ثم قالت: «نعم، أشكرك ... سوف أغرب عن وجهك كما طلبت تمامًا».

راقبت الزمرة الواقفة على عتبة باب بيت الدمية الساحرة الأم أثناء ترنحها للخلف نحو الباب المجاور، ثم رفعت مطرقة الباب التي كانت على شكل العلجوم الشيطاني، وتركتها من يدها مع إحداث ضجة. وبمجرد إغلاق الباب المؤدي إلى منزل جماعة ساحرات الميناء أخبر سبتيموس جيم ني **بالتحول**. ظهر وميض أصفر على عتبة باب الممرضة الصغيرة، ثم اختفى دومدانيال؛ ليقف في مكانه رجل غريب المظهر مرتديًا ملابس صفراء اللون وممسكًا بأنفه الأحمر المنتفخ.

نظرت الممرضة الصغيرة إلى زوارها في حيرة؛ حيث كانت قد تلقت منذ أسابيع خطابًا من قبل مارشا تشرح من خلاله ما الذي حدث لميرين، وتخبرها بأنه ابنها. وبعد مرور جميع تلك السنوات في البرية، بحثًا عن ابنها، بدأت في نهاية المطاف بالتفكير بشكل واضح. وكلما ازداد التفكير أيقنت بأنها لم تكن أبدًا لتسمح على الإطلاق بغياب ميرين عن نظرها. ثم تصفحت بتمعن التلامذة، وذلك الرجل ذا المظهر الغريب الذي يرتدي قبعة على شكل

كعكات محلاة على رأسه والشبح. واعتقدت أن الشبح هو الأكثر عقلًا من بينهم جميعًا ولذلك فقد وجهت خطابها له.

وتساءلت: «هل ابني ميرين حقًّا في خطر؟».

«للأسف الشديد، أيتها السيدة، نعم هو في خطر».

تساءلت الممرضة الصغيرة: «لماذا؟» وكان ألثر قد تفهم خوفها تمامًا.

«يتعلق الأمر بالخاتم الشيطاني الذي اعتاد ارتداءه أيتها السيدة».

«بيد أنه لم يعد بحوزته بعد. انظروا. أرِهم يا ميرين».

رفع ميرين يده المضمدة في هدوء.

«بالتأكيد أيتها السيدة. إلا أن الساحرين الشيطانيين اللذين كانا في الخاتم قد تمكنا من الفرار؛ وهو ما يضع ابنك في خطر محدق، وهذا هو السبب وراء رغبتنا في اصطحابه معنا إلى برج السحرة حتى نوفر له الحماية».

أثار ذلك الشك في الممرضة الصغيرة، وقالت: «ما السبب وراء اهتمامكم المفاجئ به؟ لم تقدموا على ذلك من قبل».

قال ألثر الذي يحاول ألا يكذب أبدًا: «الأمر يتعلق بالخاتم أيتها السيدة».

ضاقت حدقتا الممرضة الصغيرة، وهي تنظر إلى ألثر ثم قالت: «لو لم تكن رجلًا نبيلًا يبدو عليك اللطف والأمانة؛ لكان راودني اعتقاد بأنك سوف تستخدم ابني مثل الطُّعم».

لهث ألثر: «طُعم!».

«من أجل استعادة الخاتم».

«أوه. يا إلهي! أنا!».

تساءلت الممرضة الصغيرة: «أنا دقيقة إلى حد ما، ألست كذلك؟».

سرعان ما تخلى ألثر عن مبادئه من أجل المصلحة العامة وقال: «لا، لا! لم يخطر ببالنا القيام بذلك. أوه، يا عزيزتي، لا».

«وهل سيكون آمنًا في القلعة؟».

«سيكون في أمان بقدر المستطاع أيتها السيدة».

قالت الممرضة الصغيرة: «حسنًا للغاية. لدي شرط واحد».

«نعم، أيتها السيدة. وما هذا الشرط؟».

«سوف أصحبه أنا بنفسي. لن أسمح بغياب ميرين عن نظري مرة أخرى».

وكان ألثر على علم بالوقت المناسب للنزول على رأي الآخرين. لقد كانت أفضل طريقة لهم للحصول عليه هي اختطاف ميرين بالقوة، ولكن بحضور الممرضة الصغيرة لم يعد لديهم مزيد من الفرص.

«حسنًا للغاية، أيتها السيدة. أتمنى أن أنال شرف مرافقتكما».

تساءلت الممرضة الصغيرة: «لتتأكد من عدم فرارنا؟».

«لا، أيتها السيدة، على الإطلاق. لمحاولة حمايتكما من الساحرين الشيطانيين». بالتأكيد قال ألثر الحقيقة هذه المرة.

* * *

وصلا في الوقت المناسب للحاق بالمركب المتجه إلى القلعة. ولحق كل من ميرين والممرضة الصغيرة بالراكبين الوحيدين في المركب؛ وهما سيدتان سريعتا الانفعال، كانتا تخططان للذهاب في جولة سحرية لتفقد القلعة في صباح اليوم التالي. ثم أخذتا مقاعدهما تحت الغطاء، وقامتا بلفِّ نفسيهما في البطاطين الخشنة التي تقدمها المركب لركاب الرحلات الليلية. حلق ألثر فوق الزورق البخاري، مراقبًا وجود أية بادرة تنبئ بالمشاكل، بيد أنه وعلى الرغم من الرياح والأمطار التي كانت تتناثر وتتساقط؛ كانت الأمور هادئة. وقد بدا الأمر كما لو كان الميناء بأكمله قد ذهب مبكرًا إلى النوم.

شاهد كل من سبتيموس وسايمون وجيم ني المركب أثناء مغادرته حافة رصيف الميناء وتوجهه صوب مياه النهر المتلاطمة، كما شاهدوا الرياح قد سيطرت على شراعه الأبيض الضخم مرسلةً إياه للانجراف على نحو مسرع من خلال رذاذ المياه. وسرعان ما اختفت في ظلام الليل، متوجهة إلى القلعة عبر النهر.

قال سـايمون: «لن يستغرق الأمر طويلًا في وجود هذه الرياح، سوف تلقي بهم مباشرة إلى هناك».

ابتعـد كل من سـبتيموس وسـايمون عن رصيـف الميناء الذي انطلـق منه المركب، وتوجها إلى متاهة الأزقـة التي تعود بهما إلى مقدمة الميناء، حيث يصبح بوسـعهما الانتقال في أمان إلى القلعة، وتبعهمـا جيـم ني، وهو في حالة صراع داخلـي عما إذا كان يمكنه طلب أن يتحول إلى بومة في رحلة العودة.

وكان جائعًا للغاية؛ لذا راقت له تمامًا فكرة تناول فأر طازج، إلا أنه سرعان ما غير رأيه عندما فكر في ذيل الفأر.

وكان سبتيموس سـعيدًا بالطريقة التي سارت عليها الأمور. ثم قـال: «لقد أرسـلنا الطُّعـم، وكل ما يتعيـن علينا القيام بـه الآن هو الانتظار حتى عودة إدموند وإرنولد من أجله».

بيـد أن رؤية ميرين يرتجف في المركـب، الذي كان منطلقًا في جنـح الليـل، وهو على علـم بخطورة ذلك، دفع سـايمون للتفكير مليًّا في هذا الأمر وقال: «مسكين يا ميرين!».

ولم يكن سبتيموس في حالة مزاجية تسمح له بالشعور بالأسف من أجل ميرين؛ لذا قال: «لم يكن ليحدث أي من ذلك لو لم يقدم ميرين على أخذ الخاتم من البداية».

وافقه سـايمون الرأي وقال: «هذا صحيح، بيد أنه إذا كان الأمر كذلـك، فيمكنـك تبني نفس القـول حول كثير من الأمـور. ما كان

ليحدث أي من ذلك لو لم يُقدم دومدانيال على اختطافه بدلًا منك. ربما يجب أن تشعر بالامتنان لميرين لاختطافه مكانك».

تقمص سبتيموس دور الأخ الأصغر ورد بحجة معاكسة: «لم أكن لأصبح مثله، حتى ولو كنت مكانه».

ابتسم سايمون بأسف وقال: «أنت لا تعلم يقينًا حتى تسلك نفس الطريق في نفس الحذاء».

قال سبتيموس: «بيد أن قدميَّ تختلفان عن قدميه».

عبس سايمون في وجه سبتيموس وقال: «هما مختلفتان الآن، بيد أن أقدام الأطفال الرضع لينة. عليك أخذ الحذر لئلا تسحقها». ثم تابع حديثه باسمًا: «حسنًا، هذا ما تقوله لوسي، على أية حال».

أصبح طريق الزقاق ضيقًا ليتراجع سبتيموس إلى الخلف، ثم أسرعا، في طابور واحد، من خلال الأزقة، وسرعان ما خرجا إلى مقدمة الميناء المهجور.

سأل سبتيموس سايمون: «هل أنت على استعداد للذهاب؟».

أومأ سايمون برأسه.

قرر سبتيموس منح جيم ني فرصة اختيار الطائر الذي سيتحول إليه، حيث أبلى الجني بلاءً حسنًا: «حان وقت الذهاب يا جيم ني. سوف أراك في القلعة، عند مرفأ الزوارق البحرية بالميناء. لدينا شخص ما سوف نلتقي به. **تحوّل!**».

ظهـر وميض من الضوء الأصفـر، وفرقعة صغيرة، ليقف بعدها طائر النورس على قدمي سبتيموس. ليسمع سبتيموس شهيقًا حادًّا من قبل سايمون.

«أوه، لا».

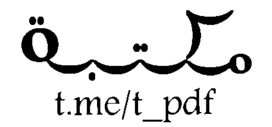
«لا بأس، قلت له إن بوسعه اختيار ما يحب».

«ليس القطرس الغبي من جديد. إنه هناك. انظر!».

سقط قلب سبتيموس في قدميه، ونظر إلى أعلى وقد توقع رؤية العمَّين هيب في طريقهما إليهما، بيد أنه رأى شخصًا مختلفًا للغاية من أفراد عائلة هيب قادمًا مسرعًا للخروج من الظلال.

قال سبتيموس: «لا يمكن أن تكون هي».

«إنها هي. إنها جينا».



30

قصر الميناء



ألقت جينا بنفسها في ذراعي سبتيموس واحتضنته بشدة وقالت: «أوه، سِب. إنه لأمر جيد للغاية أن أراك!».

همس سبتيموس: «ماذا تفعلين هنا؟».

«لن تصدق الأمر يا سِب. لا يمكنك ذلك. إنها شخص مستحيل تحمله تمامًا وكليًّا».

«من هي؟».

«الملكة؛ والدتي. لديها نزعة للتحكم والسيطرة. ماما لم تتصرف قَط بمثل هذه الطريقة».

تعرف سبتيموس إلى التعبير الموجود في عيني جينا وقال: «هل تقصدين أنك قد تشاجرتِ مع الملكة؟».

قالت جينا: «تخيل أنني فعلت ذلك؟».

«ياه!».

«لقد تحملت الكثير يا سِب، حتى أصبحت غير قادرة على التحمل لحظة أخرى. لقد اضطررت فقط للعودة إلى المنزل».

تساءل سبتيموس مندهشًا: «هل عدت من تلقاء نفسك؟».

ابتسمت جينا إلى سبتيموس وقالت له: «صحيح، بيد أنني كنت مجنونة للغاية ولم أنتبه إلى أين كنت ذاهبة، حتى انتهى بي الأمر إلى هنا. أعتقد أن هناك نوعًا من الطرق المتقاطعة في طريق الملكة، والآن أنا سعيدة للغاية للقيام بذلك». ثم وقفت للخلف وأزاحت شعرها بعيدًا عن عينيها.

بدأت جينا في ملاحظة الطريقة الغريبة التي كان يتصرف بها شقيقاها؛ لقد كانا واقفين بالقرب منها في الحقيقة، مثل اثنين من الحرس، غير أن أيًّا منهما لم ينظر إليها، وبدلًا من ذلك، كانا يدققان النظر حول مقدمة الميناء الخالي كما لو كانا في انتظار وصول شخص آخر في أي لحظة.

قالت جينا: «لا يبدو أنكما سعيدان للغاية لرؤيتي».

قال سايمون بشكل مقتضب: «لسنا سعداء».

«حسنًا، أشكرك، يا سايمون هيب. أشكرك شكرًا جزيلًا».

همس سبتيموس: «لم يقصد ذلك بالضبط يا جين».

«حسنًا، وما الذي كان يقصده إذن؟».

قال سايمون في همس أيضًا: «ليس لدينا وقت لهذا، الآن نحن في حاجة إلى الذهاب إلى أي مكان آمن».

وكان الشعور بالخوف قد بدأ يتسلل إلى جينا حيث نظرت نظرة خاطفة حولها وفكرت للمرة الأولى كم كان الميناء الخالي مخيفًا ثم قالت: «أنحن غير آمنين هنا؟».

«لا».

«أعتقد أن الوضع هنا مخيف. على أية حال، سوف أغادر. لقد مكثت هنا لفترة طويلة كافية. حقًّا يتعين علي العودة ورؤية ماما. سوف أذهب للحاق بالمركب الأخير المتوجه للقلعة».

قال سبتيموس: «لقد فاتك اللحاق به».

ضربت زوبعة مقدمة الميناء المفتوح، دافعةً السفن للتلاعب بحيوية، ليأتي بعدها صوت الرعد قادمًا من وراء المحيط، وارتجفت جينا. ذلك أنها إبان رحلتها كانت قد اعتادت على الحرارة. وفجأة، شعرت بالإرهاق والبرد والخوف، ثم قالت في تردد: «حسنًا، أفترض أنه بوسعنا العودة إلى قصر الميناء».

تساءل سايمون، وهو من كان على علم بالميناء جيدًا، إلا أنه لم ير أو يسمع قط عن ذلك القصر: «أين يقع ذلك القصر؟».

أشارت جينا إلى مبنى الجمارك، وهو مبنى شاهق موجود على حافة مقدمة الميناء، وهو المكان الذي عاش سايمون - حتى وقت قريب - في إحدى غرف السطح به، وقالت: «يوجد هناك طريق زقاق بالأسفل».

قال سايمون: «لا، لا يوجد».

قالت جينا: «نعم، يوجد، لكن لا يمكنك رؤيته ما لم تكن برفقتي. لذا، هل ترغب في الذهاب إلى هناك أم لا؟».

التقط سبتيموس وميض شيء ما بجوار محل فطائر هاربور ودوك. وقال: «نعم، لدينا رغبة. الآن»، وقد صحب صوته صوت ضربة عنيفة صادرة عن مكنسة مورين أثناء مطاردتها لفأرين كانت قد عثرت عليهما نائمين في الدفء تحت أفران الفطائر».

قالت جينا: «تمام». وانطلقت عبر مقدمة الميناء وهي محاطة من كلا الجانبين بحارسيها، وفي أعقابهم يحلق قطرس يتوق إلى فرد أجنحته والتحليق في الرياح. اقتادتهما جينا إلى ظلال جدار قديم مبني من الأحجار بجانب مصلحة الجمارك، ثم استدارت جينا نحو شقيقيها وقالت مشيرة إلى القطرس: «هل هذا تابع لك؟».

تنهد سبتيموس وقال: «نعم، إنه تابع لي».

ابتسمت جينا ابتسامة عريضة وقالت: «بوسعك اصطحاب الطائر الخاص بك أيضًا يا سِب، حيث يوجد في ذلك المكان قفص للطيور».

أحدث القطرس جعجعة صاخبة تعبيرًا عن احتجاجه، ونقر قدم سبتيموس.

قال سبتيموس: «آآآخ، تمام، يا جيم ني. أمنحك الإذن بالتحول».

ومع صوت فرقعة أخرى ووميض من الضوء الأصفر، عاد جيم ني ثانية إلى شكله الإنساني، يرتجف في الرياح الباردة. حيث كان ريش القطرس يمنحه دفئًا ملحوظًا.

قالت جينا بابتسامة: «اعتقدت أنه من المحتمل أن تكون أنت، كنت أشك في ذلك من منقارك الأصفر».

انحنى جيم ني في أدب جم وقال: «مساء الخير، يا جلالة الملكة».

وما أثار اندهاش سبتيموس هو عدم اعتراض جينا - كما اعتادت على فعل ذلك في الماضي - وإنما ردت عليه قائلة: «مساء الخير يا جيم ني».

ثم استدارت جينا نحو سبتيموس وسايمون وقالت: «سوف ننطلق الآن». ومالت للأمام ووضعت يدها على الأحجار القديمة. لمعت الأحجار كما لو كانت ستفعل في يوم حار كاشفة عن ممر للأشباح. انبهر سبتيموس وسايمون، وكذلك جيم ني أيضًا؛ لقد رأى كثيرًا من تلك الأزقة الغامضة من قبل، إلا أن هذا الزقاق أكثر براعةً من كل ما عرفه. وكان اسم الزقاق كما لاحظ: طريق الملكة.

قالت جينا: «تمام، سيبدو الأمر الآن كما لو كنا في غرفة الملكة. نحن جميعًا في حاجة إلى الإمساك بأيدينا للمرور من العتبة». ثم مدت يدها لسبتيموس، ليأخذ يد جيم ني، الذي أمسك بشدة في سايمون، وتتابعت السلسلة بشكل سريع، خوفًا من تلاشي كل من الزقاق وجينا.

وأثناء عبور جينا للعتبة اشتعل صف من الشموع الموضوعة في حاملات ذهبية كاشفًا عن زقاق ضيق، يبرق بأحجاره الصغيرة الحمراء والذهبية ممتدًّا بعيدًا في الظلام على طول جانب مصلحة الجمارك.

وبمجرد دخول الجميع في أمان، لوَّحت جينا بيدها عبر المدخل، وتلاشى مشهد الميناء ليحل محله الجانب الآخر من الجدار المبني من الأحجار. ثم قالت: «تمام. نحن الآن في أمان، ليس بوسع أحد الدخول إلى هنا. الآن يمكنكم إخباري ما السبب وراء كل ذلك الهرج والمرج».

قال سبتيموس: «إنها لقصة طويلة».

قالت جينا بابتسامة: «لطالما كانت كذلك يا سِب، لا سيما عند قيامك أنت بسردها. هيا بنا، إذن، ننطلق إلى مكان ما دافئ». ثم أضافت في غموض: « كما أن هناك أيضًا شخصًا آخر لديه الرغبة في الاستماع لتلك القصة».

انطلقـت جينا على طول طريق الملكـة اللولبي الذي كان هادئًا وساكنًا مقارنة بضجيج الميناء ولا يحمل أية أصوات من الخارج، ثم أسـرعت للأمام وتبعها كل من سـبتيموس وسـايمون وجيم ني في طابور واحد، وكان وقع أقدامهم هادئًا على الفسيفساء الملساء. وسـرعان ما أصبحوا حول المنحنى الأول، ليشتعل صف آخر من الشـموع، مضيئًا الامتـداد التالي من الممر، وقد سـاروا في طريق الملكـة علـى هذا النحـو حتى فقـدوا أي إحسـاس بالاتجاهات. وأثنـاء التفافهـم حول منحنى آخر، كان بوسـع سـبتيموس -الذي أصبـح الآن أطول قليلًا من جينا- رؤية باب خشـبي كبير من فوق كتفـي جينا، ظهر في نهاية الزقاق. وقد توهج ضوء أصفر لامع من نافـذة صغيـرة موجودة فـي منتصف البـاب. وأصبح الضـوء أكثر لمعانًا كلما اقتربوا منه، وسرعان ما التقطت جينا مفتاحًا ذهبيًّا كبيرًا من جيبها، وأمسكت بقفل الباب وفتحته.

ثم قالت: «أهلًا بكم في قصر الميناء الخاص بي».

خطـوا إلـى الداخل وقـد أضـاءت مجموعة قليلة من الشـموع الكبيـرة الموضوعة علـى المنضدة ممرًّا واسـعًا - تطلق عليه جينا ممـر التقاطعـات- بجـو من الحـرارة الدافئة. ومن خـلال الضوء الخافـت كان بوسـع سـبتيموس رؤيـة لوحـة قديمة من الخشـب الأسـود على يسـاره منقوش عليها سلسـلة من التيجان والأحرف الأولـى، وفـي منتصف تلـك اللوحة بـاب ذهبي متأرجـح يتوهج

باللون الذهبي الأحمر العميق في ضوء الشموع، وعلى جانبه الأيمن كان هناك لوح خشبي مستوٍ أكثر، وبه بابان خشبيان صغيران.

مدّ جيم ني يده للخارج من أجل ملامسة اللوح الخشبي الواقع على الجانب الأيمن، والذي كان دافئًا نتيجة للحرارة المنبعثة من المطبخ الواقع وراءه، وهو ما توقعه. شعر الجني بشعور غريب بعض الشيء، ثم استغل انشغال أستاذه واستند إلى الخشب الدافئ وراح يفكر. أحيانًا ما تفوق القعقعة المتواصلة للبشر - لا سيما الشباب- قدرة الجني على التحمل؛ وهو ما جعله تواقًا للسكون، وهو الشعور الذي منحته إياه ظلال الممر.

نسي سبتيموس أمر جيم ني، ثم تبع هو وسايمون جينا على طول الممر، وشاهداها تتجه يسارًا، كما توقع قيامها بذلك؛ ففي هذه الأيام كان هناك انسجام بين جينا والذهب. رآها تستند إلى الباب الذهبي المتأرجح وتدفعه، وهو ما قابله الباب بصرير احتجاج - كما كان جيم ني يعلم - انفتح على مضض قليلًا. أدخلت جينا رأسها في الفتحة الصغيرة وصرخت: «أهلًا! خمِّنوا من الذي عثرت عليه». ثم وجهت حديثها صوب سبتيموس وقالت: «تعال يا سِب. ادفع!»

وقاما معًا بدفع الباب المتذمر الذي انفتح كاشفًا عن قاعة قديمة، يتساوى ارتفاعها وعرضها، وبها أخشاب من البلوط

منقوشة بدقة، ترتفع لتصل إلى ظلال السقف. وكانت طبقات الدخان الصادر عن المدفأة الخشبية، تطغى على الضوء المنبعث من الشموع الموضوعة في تجويفات الجدران، وتضفي على المكان مناخًا غامضًا. وقد ألقت نيران الحطب المشتعلة في مدفأة كبيرة منخفضة ومحدبة وموضوعة على الجانب الأيمن من الجدار نصف دائرة من الضوء في الظلام، وكان نكو واقفًا في منتصف ذلك الضوء مبتسمًا.

أصيب سبتيموس بالاندهاش، ثم سأل شقيقه بسرعة: «نِك! ما الذي تفعله هنا؟».

بدت علامات الحيرة والارتباك على وجه نكو، ثم قال: «أعتقد كما يفعل كلاكما. كنت أتجول في هدوء في الميناء أراقب عملي.. حسنًا، عمل جانيت. وقد قابلت جينا بالصدفة».

قالت جينا: «هناك مخرج لطريق الملكة من قصر الرحلات التابع لنا، هل ترون الخزانة؟»، وقد أشارت صوب خزانة صغيرة واقعة على مقربة من المدفأة، مكتوب عليها بأحرف باهتة «**ترياقات غير مستقرة وسموم خاصة**». «كنت أتوقع أن يؤدي إلى المنزل، أو ربما إلى منزل العمة زيلدا؛ ولكنني فوجئت. لم يكن لدي أية فكرة عن مكان وجودي، ألقيت نظرة حول المكان، وفي نهاية المطاف وجدت مخرجًا على طول ذلك الممر، ثم شعرت بارتياح

كبير لوجودي في الميناء، وهناك رأيت نِك، وكان من الرائع التحدث مع شخص طبيعي مرة أخرى».

ابتسم نكو ابتسامة عريضة وقال: «لقد كنت هناك، أتطلع لقضاء ليلة رائعة وباردة على مركب الإمدادات عندما اقتادتني إلى هنا في قصر آخر، هه، كم تحتاجون لتحكوا لي كل شيء عن ماما».

قال سبتيموس: «أها، ماما، لم أسمع شيئًا عنها بعد».

ابتسم نكو ابتسامة عريضة وقال: «سوف تسمع».

قالت جينا بصرامة: «لا، لن تسمع». ثم انضمت إليهما بجوار المدفأة وألقت بنفسها على كومة من الوسائد أمامها. ثم قالت: «لن تسمع عنها ما لم تخبرني عما يحدث أولًا. اجلسا يا سِب وسايمون. أفصحا عن السر».

مدَّ سبتيموس يديه نحو المدفأة التماسًا للدفء، ثم قال: «هذا أمر غريب للغاية يا جين. لم أرَ هذا المكان من قبل. أين يقع هذا المكان حقًّا؟».

«هل تعلم آخر المنازل العتيقة والواقعة على الواجهة البحرية قبل الدخول إلى الشاطئ تمامًا؟».

«أعتقد ذلك ..».

«هناك مستودع قديم تكسوه الألواح الخشبية يقع بعد تلك المنازل. حسنًا، يبدو الأمر كما لو كان مستودعًا قديمًا، بيد أنه

ليس كذلك. إنها واجهة مبنية فقط حول هذا المكان. أنصتوا؛ نحن على الشاطئ تمامًا. بوسعك الاستماع إلى الأمواج بالخارج».

خيم الصمت على القاعة واستمعوا جميعًا. أدرك سبتيموس أن الصوت الذي اعتقد أنه نابع من هسهسة قطع الحطب المبلل في المدفأة كان بالفعل صوتًا مكبوتًا لهدير الأمواج على الشاطئ.

قالت جينا: «تمام، يا سِب، والآن أخبرني ما الذي يحدث».

راح سبتيموس يشرح كل ما حدث منذ أن غادرت جينا القصر للتوجه إلى رحلتها. وعند ذكر عميها، استطردت جينا قائلة: «لست مندهشة من ذلك. اعتقدت أن هناك شيئًا ما غريبًا بشأنهما».

هز سبتيموس رأسه وقال: «أعتقد أنهما كانا غير محظوظين فقط يا جين. لقد تواجدا في المكان الخطأ في التوقيت الخطأ. لقد كان شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن..».

همس سايمون: «ششش! لا تنطق اسميهما».

ضحك سبتيموس ثم قال: «لم أعلم أنك تؤمن بالخرافات يا سايمون. هذا كلام سحرة».

نظر سايمون حوله؛ حيث لم يتخلص من الشعور بعدم الأمان بعد، وأعطى ظهره للغرفة ثم همس: «لا، إن لذلك علاقة بالسحر الأسود أيضًا. أنت تعلم ذلك، الأسماء لها أهمية. أنت تعلم ذلك يا سِب».

تفاجأت جينا من تلك الألفة الجديدة التي وجدت طريقها بين الشقيقين.

تذكر سبتيموس اسمه في عالم السحر الأسود، سوم، ثم قال معترفًا: «صحيح. حسنًا».

وعلى صوت خلفية الضوضاء المزعجة والصاخبة بشكل متزايد خارج الشاطئ، قام سبتيموس بسرد القصة الكاملة للخاتم ذي الوجهين، فيما عدا شيئًا واحدًا فقط، ولم يكن لديه الرغبة في إخافة جينا لكنها علمت بالأمر.

«غير أن ميرين ليس هو الطُّعم الوحيد، أليس كذلك يا سِب؟»

«حسنًا..».

أخرجت جينا كتابها الصغير الأحمر، وبسهولة توضح تمرسها عليه، قلبت صفحة بعنوان **الضغائن والأعداء** ومنحت الكتاب لسبتيموس.

لقد كانت قائمة طويلة؛ وهو ما دفع سبتيموس للتعجب حيال الطبيعة التصادمية لبعض الملكات، إلا أنه لم يكن مضطرًا للنظر بعيدًا، حيث كانت أسماء ساحرى الخاتم موجودة على الجانب الأيمن أعلى القائمة؛ فقال: «أها».

قالـت جينا: «أنا على علم بقيام الملكة بإطلاق النار عليهما في سـويداء القلب يا سِـب، كما أعلم أنه الخاتم الذي تم حبسهما به. وأنا على علم بأنهما أقسـما على الانتقام من أحفادها. وأعلم الآن أنني أنا المقصودة».

نظـر الجميـع في حالة من عـدم الارتياح، وبعد اسـتماعهم لما قالته جينا، وهـم جميعًا على علم به، بدا الأمر حقيقيًّا إلى حد بعيد. خفضت جينا صوتها وقالت: «هذا المكان مثير للخوف. أعتقد أن هناك شيئًا ما قد حدث هنا، وهو السبب في إغلاق المكان».

حـاول نكـو تخفيـف الأجواء وقال: «ألم ترد الإشـارة إلى ذلك في دليل تعليمات الملكة الذي بحوزتك يا جين؟».

«فـي حـال إقدامك على الوقاحـة يا نكو هيب، لـن أخبرك بأي شيء حول رحلتي، أو أي شيء آخر، بخصوص هذا الأمر».

قـال نكو وقد أحدث بطنه صوت قعقعـة عاليًا: «أوه، انطلقي يا جيـن. أنـت علـى علم بـأن لديك رغبـة فـي إخبارنـا. أتعلمين أن الغريب في الأمر أنني أشم رائحة البطاطس المشوية».

وكان جيم ني قد قضى فترة غير سـعيدة من حياته بصفته الجني الطبـاخ في مطبخ أحـد القصور. وبمجرد دخوله ممـر التقاطعات أدرك جيم ني أنه قد عاد. وبعد التخلص من صدمته، تذكر جيم ني كم اسـتمتع بوقته هناك، حتى آخر عشر دقائق. لذلك، عندما ذهب كل من جينا وسـبتيموس وسـايمون إلى القاعة، أخذ جيم ني نفَسًا

عميقًا، متذكرًا الشعار - ادخل يسارًا، واخرج يسارًا - ليدفع الباب الواقع على الجانب الأيسر ويدخل إلى المطبخ.

سرت في جسده القشعريرة، حينما دخل إلى الغرفة حيث كان لها نفس الرائحة، وبدت في نفس الشكل؛ كان المكان كما هو، هذا هو المكان الذي قضى فيه عشرين عامًا من حياته، وما أثار دهشة جيم ني هو بقاء الغرفة على نفس الحالة التي تركها عليها بالضبط.

ونظرًا لوجود ملكة منتظرة في ذلك المقر؛ عادت الحياة للمطبخ ولجميع محتوياته، مثل الشموع في طريق الملكة، بطريقة سحرية. تجول جيم ني حوله، مدققًا النظر في جميع الأشياء التي تذكرها جيدًا، وسرعان ما كان يتسكع بسعادة. لقد وجد دجاجة مشوية كبيرة وكومة من البطاطس المطهية كما تركها عند مغادرته المكان، ثم شرع في تقسيم الدجاجة إلى شرائح وشَيِّ البطاطس باستخدام طريقة سريعة للغاية في الطهي، والتي عملت بشكل جيد، مخلفةً وراءها علامات شياط قليلة على الجدار على نحو مدهش.

وبعد مرور عشر دقائق كان جيم ني في طريقه إلى القاعة حاملًا طبقًا من الدجاج ذهبي اللون والبطاطس المشوية.

ثم توقف للحظة وفحص الغرفة الممتلئة بالدخان، وكانت كما هي تمامًا حيث الأشعة المتصاعدة، والمدفأة غير الكافية، والشارة الموجودة على عتبة الباب الضخم فوقه. صرَّ جيم ني على أسنانه

وتفقد الجدار الذي وراءه. نعم، لقد كانت هناك، على ارتفاع منخفض، كتابة قديمة مائلة منقوشة تقول:

تالولا كِرامْ
لديها مؤخرة كبيرة
لو تناولت مزيدًا من الطعام
فسوف تنحشر في الباب.

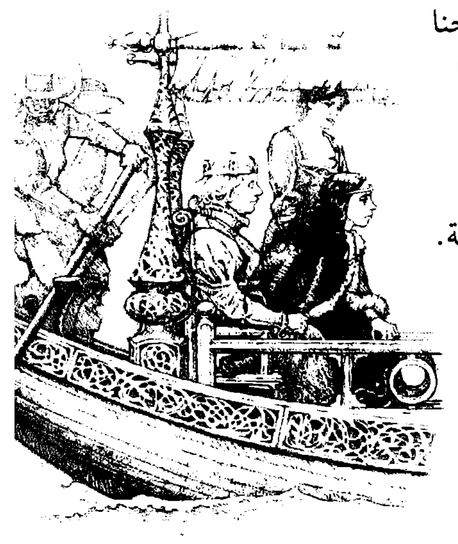
قام جيم ني بتسليك حنجرته وهو منزعج، وما أثار دهشته هو شعوره بأنها لا تزال تزعجه. ثم تذكر تلك الأميرة التي كانت طفلة مزعجة واتخذت موقفًا معاديًا لها، حيث كان جيم ني خادمة أنثى في تلك المرحلة من حياته. كما تذكر كيف قامت الطفلة برسم الجدارية بحرص كبير باستخدام أفضل الأقلام لديها، وتأكدت من رؤية السيدة تالولا كِرامْ -تلك الطباخة السمينة الضخمة -لتلك الكلمات. وكيف أصرت الملكة على الإبقاء عليها؛ نظرًا لأنه «يجب السماح للأطفال بالتعبير عن أنفسهم».

وضع جيم ني طبق الدجاج والبطاطس أمام المدفأة. وقد دعا الجميع لتناول الطعام، وفقًا لما يلتزم به الجني، بيد أن ما أثار ارتياحه هو تبقي كمية وفيرة له، وبالتالي، على أصوات الأمواج المتلاطمة في الخارج وأصوات مضغ جيم ني لعظام الدجاجة في الداخل، شرعت جينا في سرد تفاصيل الرحلة التي قامت بها.

31

رحلة جينا

«**وفي** أعقاب ما قامت به، أقصد والدتي الملكة، من الشجار تقريبًا مع ماما، نعم، يا سِب، لقد كانت وقحة تمامًا مع ماما، ذهبنا إلى غرفة الملكة، كما توقعت، وانطلقنا عبر طريق الملكة، إلا أننا لم نخرج في بيت العمة زيلدا، لكننا خرجنا في ..». ثم هزت جينا رأسها في حالة من عدم التصديق وقالت: «أوه! لقد كان الأمر غريبًا للغاية. في غضون دقيقة كنت في خزانة ضيقة ومظلمة برفقة شبح والدتي؛ والخطوة التالية هي وقوفي في أحد المراكب».



«أحد المراكب؟».

«نعم. وليس مجرد أي من المراكب القديمة؛ لقد كان مدهشًا، حيث كان طويلًا وضيقًا وبه شيء ما مدبب ومتداخل في الأمام. حسنًا يا نِك؛ أعني في المقدمة، يكسوه الذهب، وكان الجزء الداخلي من المركب لامعًا وأسود، كما كانت هناك قبة كبيرة حمراء في المؤخرة يتدلى منها كثير من الأشرطة. وأسفل القبة، كان هناك ثلاثة كراسيٍّ، مثل هذه الكراسي..». وأشارت جينا بيدها نحو صف من الكراسي المطلية باللونين الأحمر والذهبي الموضوعة في الخلف عند الجدار».

«وكان هناك كرسيان خاليان، بيد أن الكرسي الموجود على الجانب الأيمن كانت تجلس عليه امرأة عجوز، إنها ملكة، تلك التي تحدثت إليّ في منزل التنين. لقد كنت سعيدة حقًّا لرؤيتها؛ حيث شعرت بأن لي صديقة هناك».

«أخذت والدتي يدي بشكل رسمي للغاية، كما لو كان في حفل راقص أو شيء من هذا القبيل، ثم اقتادتني نحو الكراسي لنجلس معًا، وحينها أدركت شيئًا مدهشًا حقًّا؛ إنها لم تعد شبحًا بعد الآن، لقد أصبحت أمي على قيد الحياة من جديد! لم أعرف ماذا أقول، وكنت أتمنى أن أقفز وأحتضنها، بيد أنها جلست على كرسيها وابتسمت نحوي كما لو كنت إحدى العمات الزائرات أو شيئًا من هذا القبيل، بيد أن المرأة العجوز وضعت يدها على يدي وضغطت

عليها ثم قالت: «أهلًا بك يا جينا يا عزيزتي. أنا جدتك، ولقد كنت أتطلع لرؤيتك».

«لابد أن الصدمة كانت بادية عليّ؛ حيث إنها نظرت إلي وقالت لـي: «لا تقلقي، لقد خضنـا جميعًا هذه الرحلـة، وكان الأمر غريبًا بالنسـبة لي أنا أيضًا». وهو ما كان رائعًا بالنسـبة لي، بيد أن والدتي لم تتفوه بشـيء؛ وهو ما أثار انزعاجي. فلطالما شـعرت بالإحباط لعـدم ظهورهـا لـي أبدًا فـي المنـزل، إلا أنني منذ أن قـرأت كتاب قواعد الملكة، أدركت أن هناك سـببًا مـا وراء ذلك، بيد أنه لا عذر لهـا في الابتعاد عني. إلا أن جدتي بدت متفهمة للأمر، وأمسـكت يدي وضغطت عليها بشدة. أوه يا سِب! لقد كانت رائعة».

«على أي حال، اتخذت قرارًا أنه في حال استمرت والدتي في كونهـا متجهمـة الوجه، فسـوف أتعامل معهـا بنفـس الطريقة؛ لذا انخرطت في دور الأميرة، وجلسـت على كرسـيي الصغير الأنيق، ونظـرت حولـي كمـا كنت أفعـل ذلك كل يـوم، وقـررت محاولة اكتشـاف ما يحدث. وأول الأشـياء التي أدركتها هي حرارة الجو، كنت أرغب بشـدة في خلع عباءتي الشـتوية، بيـد أنني كنت عازمة على ألا أحرك ساكنًا قبل أن تفعل والدتي. وبالتأكيد كنا في البحر؛ لأنني كنت أشتم رائحة الملوحة في الهواء، بيد أنه كان غريبًا؛ لأنه لـم يكـن مثل البحر علـى الإطلاق. لقد كان سـطح الماء منبسـطًا للغايـة كما لو كان يكسـوه غطـاء يلمع مثل المرآة، بيـد أنه لم يكن

بوسعي رؤية أكثر من ذلك؛ نظرًا للضباب الذي كان يحيط بنا مع وجود كتلة من الضوء فقط حول المركب. كان الضوء ينبعث من شمعتين كبيرتين؛ إحداهما موضوعة في مشكاة في مكان مرتفع على مقدمة المركب، والأخرى موضوعة في مشكاة على المقدمة الخلفية. نعم، يا نكو، أعلم أنها المقدمة ليست في آخر المركب، بيد أنك تفهم ما أعنيه. القائم الخلفي في السفينة؟ تمام تمام، إذن هو القائم الخلفي في السفينة».

«كان هناك أربعة رجال يجدفون بالمركب؛ اثنان من الخلف واثنان من الأمام، ويرتدون ملابس سوداء وذهبية اللون وقبعات مضحكة حمراء اللون تشبه قليلًا قبعة التشجير التي تستخدمها ماما، وكانوا واقفين ممسكين بالمجاديف المتشابكة في الماء. تحرك المركب بسلاسة كبيرة، ورحنا نمضي قدمًا للأمام؛ حيث يمكنني القول إنه من خلال الضباب كان بوسعي فجأة رؤية توهج منبعث من أحد ألسنة اللهب على ارتفاع حوالي ستة أقدام مررنا بجواره في هدوء، وعلى الطريق ظهر توهج آخر وآخر؛ لأدرك بعدها أننا كنا نتابع صفًّا من الأضواء. قل شعوري بالخوف حينها؛ نظرًا لأن المركب قد بدا مهلهلًا حقًّا للخروج في البحر، وما أثار ارتياحي هو حتمية وجودنا بالقرب من اليابسة».

«وسرعان ما رأيت بعض المباني الجميلة بعض الشيء مثل القصر، بيد أنها فقط أطول وأرفع وهي تلوح في الأفق من وراء

الضباب. كانت تلك المباني تصطف على الماء وأمام كل منها أعمدة مخططة كبيرة تتوهج في ضوء الشمس التي بدأت تشق طريقها عبر الضباب. قاد الملاحون المركب بين صفين من الأعمدة ذات اللونين الذهبي والأحمر وصولًا إلى رصيف الميناء الموجود في مقابل ممر كبير».

«وقفت والدتي، وقامت بترتيب عباءتها، ثم تحدثت إلي للمرة الأولى منذ وصولنا».

تساءل سبتيموس: «وماذا قالت؟».

قالت جينا وهي تحاول تقليد أمها: «لقد وصلنا».

علق نكو قائلًا: «رائع».

«نعم. ساعد الملاحون جدتي، ووالدتي، ثم ساعدوني للخروج من المركب؛ لنسير بعدها على بعض درجات السلم الرخامية الكبيرة ذات اللون الزهري والمؤدية إلى قاعة ضخمة للغاية يُشتم منها رائحة أحجار رطبة وأعشاب بحرية. لقد كان الجو باردًا بالداخل، وهو ما أثار ارتياحي؛ لأنني لن أغلي مثل سرطان البحر بعد الآن! كانت القاعة خالية تمامًا؛ وهو ما دفعني للتخمين بأن السبب وراء ذلك يكمن في وصول مياه البحر إليها في أغلب الأحيان؛ نظرًا لكون الأحجار القديمة لامعة بالمياه. بيد أنه وعلى الرغم من كونه مجرد مكان خال، فإنه بدا زاخرًا؛ نظرًا لبنائه بمئات الأنواع المختلفة من الرخام الموضوعة وفقًا لأنماط

معقدة. وكانت الجدران بها نوع من الخطوط المتموجة ذات الألوان الكثيرة المختلفة، كما كانت الأرضية مرسومة بنمط معين باللونين الأسود والأبيض بدا متموجًا في أعيننا؛ لذلك أخذنا نسير من خلال القاعة في موكب من المواكب الغريبة الشكل حيث كانت جدتي في المقدمة، تليها والدتي، ثم أنا، لنصعد بعدها على سلالم مدهشة، وكل درجة من درجات السلم بلون مختلف من الرخام، بيد أن جميعها احتوت على الأشرطة السوداء المتموجة التي تمر من خلالها. وعند وصولي إلى القمة انتابني شعور بالغثيان حقًّا. من المحتم أنني قد بدا عليَّ ذلك؛ حيث أمسكت جدتي بذراعي وقالت: «يا سيريس، جينا منهكة. لا بد أن تحصل على قسط من الراحة».

«بدت على والدتي حالة من الانزعاج قليلًا، على ما أعتقد، بيد أنها أومأت برأسها وقالت: «حسنًا للغاية يا ماما، أنا على يقين بأنك الأعلم دائمًا. أراك في الصباح ... يا جينا». ودائمًا ما كانت تنطق باسمي كما لو كان له مذاق سيئ في فمها».

«اصطحبتني جدتي إلى غرفة طويلة وضيقة متفرعة من القاعة الضخمة بالطابق العلوي - وكانت جميلة حقًّا - وأخبرتني بألا أقلق وأن «جميع الأمور تسير على ما يرام يا جينا يا عزيزتي». كان السرير باردًا ومتكتلاً، وعندما استلقيت عليه شممت منه رائحة رطوبة، بيد أنني لم أبالِ. لقد كنت متعبة للغاية، وكنت أتوق للعودة

إلى المنزل مع ماما وبابا؛ لأستيقظ وأكتشف أن كل ذلك كان مجرد حلم».

«عندما استيقظت، اعتقدت للحظة أنني كنت أحلم، بيد أنني اشتممت رائحة مختلفة عن رائحة المنزل؛ رائحة رطبة وباردة للغاية، وسرعان ما تذكرتها. حاولت جاهدةً العودة إلى النوم، بيد أنه لم يكن بوسعي ذلك؛ لذا قررت الاستكشاف. كان أحدهم قد أشعل شمعة وتركها على المنضدة بجوار الباب؛ لذلك أخذتها وتسللت إلى خارج الغرفة».

«وبمجرد خروجي من الغرفة التي لا تتمتع بتهوية جيدة، إلى القاعة الموجودة بالطابق العلوي، شعرت بالابتهاج تمامًا. لقد كان من الرائع أن أسير بمفردي دون الشعور بالانزعاج طوال الوقت بسبب والدتي؛ لذا قررت النظر حولي، وكانت الأجواء مظلمة، ولم ينبعث من الشمعة التي بحوزتي كثير من الضوء، بيد أنه كان بوسعي رؤية كراسيَّ قديمة ولطيفة وأرائك صغيرة للغاية، وبجوار كل منها منضدة، مصطفة على طول الجدران بين الأبواب المزدوجة الشاهقة للغاية والمفتوحة، وعلى كل منضدة كانت هناك شمعة مشتعلة؛ لذا كان بوسعي رؤية الجدران بوضوح حقًّا، لا سيما أنها كانت مغطاة برقائق ذهبية متوهجة على الرغم من كونها قديمة للغاية. لقد كان مكانًا رائعًا».

قال نكو بابتسامة عريضة: «قصر، قصر آخر».

أخرجت جينا لسانها في وجه أخيها وقالت: «نعم، يا نكو، قصر آخر. يحتاج المرء إلى ثلاثة قصور على الأقل؛ لذا على أي حال، أيها الولد الوقح، اتخذت قرارًا بالتوجه نحو النافذة الكبيرة في نهاية القاعة ورؤية ما كان بالخارج. سرت على أطراف أصابعي بجانب لوحات رائعة معلقة على كافة الجدران، وجميعها لأشخاص يبدو عليهم أنهم يشبهونني قليلًا، على ما أعتقد، بيد أنهن لم يكن ملكات أو أي شيء خاص؛ فقط مجرد أشخاص يرتدون كافة أنواع الملابس من الطراز القديم. وأثناء مروري بجانبهم، انتابني شعور أنهم جميعًا ينظرون إلي، كما لو كانوا يقدمون السلام والتحية لي. لقد كان الأمر غريبًا، بيد أنه رائع؛ نظرًا لأنه بدأ ينتابني شعور بالانتماء إلى ذلك المكان، وأنني، بطريقة أو بأخرى، أنتمي إلى هذا المكان كما أنتمي إلى منزلي في القلعة.

لذا ذهبت إلى النافذة الكبيرة - التي كان بها صفوف من الدوائر الزجاجية الصغيرة - ونظرت للخارج من خلالها.

لقد كان المنظر مدهشًا؛ حيث كان هناك نهر بالخارج، ليس كبيرًا للغاية بالمقارنة بنهرنا، كان مختلفًا تمامًا. وكانت هناك منازل قديمة على امتداد النهر، ولم تكن هناك ضفة للنهر؛ نظرًا لاصطفاف كافة المنازل مباشرةً على النهر. وكانت تلك المنازل حقًّا قديمة، وبدا بعضها كما لو كان سيسقط داخل النهر، وبعضها كان مغلفًا فيما بدا أنها أوراق لامعة، وبعضها كان لا بأس به. وكانت هناك

أضواء مشتعلة، كما كان بوسعي رؤية أناس يتحركون داخل تلك المنازل، وكان بوسعي أيضًا النظر مباشرة داخل غرفهم، بيد أنه لم يلاحظني أحد، وتابعت المشاهدة على هذا النحو. مرت مراكب قليلة على النهر، وكان بعضها كبيرًا، أحدث ضوضاء غريبة. وقد تحركت دون شراعات أو مجاديف أيضًا. ولم يكن هناك الكثير منها؛ نظرًا لأنه بوسعي القول إن الوقت كان قد تأخر حقًّا، بيد أنني كان لا يزال بوسعي الاستماع إلى أصوات الناس يضحكون ويتسامرون ويستمتعون بوقتهم».

واصلت جينا حديثها: «لذا وقفت هناك، أشاهد من خلال النافذة، وأشعر بسعادة بالغة، حقًّا، إلى أن استمعت إلى صوت سعال منخفض مخنوق لشخص، ينبعث من الغرفة الكبيرة من خلفي، واتخذت قرارًا بالتصرف كما لو كنت على علم بوجود شخص ما في الغرفة طوال الوقت، ثم أصبحت على يقين مفاجئ بأنهم كانوا هناك، ثم استدرت وأمعنت النظر في الظلام، ولم يكن بوسعي النظر في المنتصف، فقط حافة الغرفة من خلال الأضواء الخافتة للشموع الصغيرة الموضوعة على المناضد ولمعان الجدران الرقيق، غير أنني لم أكن لأسمح لمن يراقبني بمعرفة ذلك».

قلت: «مساء الخير، لا أعتقد أننا تعرفنا إلى بعضنا». وقد بدا صوتي غريبًا في الظلام، وأدركت أنها كانت المرة الأولى التي أتحدث فيها في ذلك المكان.

جاء الرد: «مساء الخير». أدهشني الصوت؛ لقد كان صوت فتاة، وكانت لها لكنة غريبة حقًّا، وكان صوتها يشبه الساحرة الحمقاء ماريسا كثيرًا؛ لذا لم أحبها.

قال نكو مستفِزًّا إياها: «لقد توقفت العلاقة الودية بينك وبين ماريسا، أليس كذلك؟».

قالت جينا: «إنها بقرة ذات وجهين».

«لا تعليق على ذلك».

«على أي حال، أخبرت هذه الفتاة بأنه كان من الوقاحة الاختباء في الظلام والتحديق في. وحينئذٍ، أصبح بوسعي الرؤية بشكل أفضل في الظلام، ورأيت أنها كانت جالسة على الأرض في منتصف الغرفة، ثم رأيتها تنهض وتسير نحوي. قررت ألا أتحرك. بوسعها أن تأتي إليّ». ابتسمت جينا وقالت: «أعتقد أنني بدأت أعتاد تصرفات الملكات».

«وعندما اقتربت منّي كان بوسعي أن أرى أنها لا تشبه ماريسا في شيء على الإطلاق؛ لذا انتابني شعور أفضل حيالها، لقد تبين

لي أنها لطيفة حقًّا. لقد جاءت وقبلتني على كلتا وجنتيّ، وهذه هي الطريقة التي يحيون بها بعضهم ..».

قال نكو بابتسامة عريضة: «يبدو الأمر ممتعًا».

قالت جينا: «يا نكو؛ لقد أصبحت وقحًا للغاية مؤخرًا، أنت تقضي وقتًا كبيرًا في الميناء».

شعر نكو بالخجل.

«الحقيقة، أنك إذا ما ذهبت إلى هناك، ما كنت ستقابل أية فتيات على الإطلاق؛ نظرًا لعدم السماح للفتيات بالخروج. وفي حال خروجهن لا يسمح لهن بالسير بمفردهن قط. لم يكن مسموحًا لي بالخروج، هذا أمر يقيني. ولولا جوليا - كان ذلك هو اسمها - ما كنت سأرى شيئًا بالخارج بعيدًا عن ذلك القصر القديم المتهالك، وما كان بوسعي رؤيته من خلال النافذة. وطوال الوقت الذي تواجدت فيه هناك كنت في صحبة كل من جدتي ووالدتي». ثم تنهدت جينا وقالت: «يا إلهي! كم كنت أشعر بالملل أحيانًا. حين كانوا يتحدثون إلي عن عائلتنا ومن أين أتوا، وكافة الأمور التي كان يتوقع مني القيام بها عند العودة إلى المنزل، إلى آخره».

سأل نكو: «إذن لم يتم السماح للفتيات بالخروج، كيف نجوت أنت وجوليا بهذه الفعلة؟».

«لقد كنا نرتدي أقنعة. بوسع أي شخص الخروج ليلًا والذهاب إلى أي مكان مرتديًا قناعًا على وجهه. وكل ما تحتاج إليه هو عباءة

طويلة وزوج من أحذية الأولاد. وما دمت لا تتحدث، فسيعتقد الجميع بأنك ولد. لقد كانت حيلة ذكية تمامًا. وقد اصطحبتني جوليا لزيارة كافة الأماكن. لقد كانت تلك مدينة رائعة».

انتهى جيم ني من تناول آخر حبة بطاطس، وبهدوء تام وقف على قدميه وتحرك نحو النافذة. انتابه شعور بالغثيان، ليس بسبب تناوله ما يقرب من رطلين من البطاطس المشوية ونصف دجاجة سمينة؛ لكن بسبب قضائه ثلاثين عامًا من حياته في ذلك المكان الذي وصفته جينا، منها خمسة عشر عامًا في السجن أسفل سطح المياه الذي كان يفيض مع كل مد مرتفع. وعلى حين غرة، شعر بتلك الرائحة الرطبة الكريهة تغشاه.

ولم يلحظ أحد نهوض جيم ني؛ حيث واصلت جينا سرد قصتها: «لولا جوليا ما كنت لألتقي بالكيميائيين أبدًا».

تساءل سبتيموس: «هل كان هناك كيميائيون؟».

«بالتأكيد طبعًا. أعلم الكثير عن مارسيلوس الآن. هذا هو المكان الذي يأتون منه يا سِب. هو نفس المكان الذي أتيت منه، والذي أتت أمي منه أيضًا منذ قديم الأزل. إنهم يأتون من جزيرة في منطقة البحيرة».

«البحيرة؟».

«نعم، هذا ما كان يطلق على المكان بأكمله. لقد كان مكتظًّا بالجزر. وكنا نتواجد على أكبر تلك الجزر، بيد أنه كانت هناك

جزيـرة أخـرى يعيش فيهـا الكيميائيـون؛ حيث قامـوا بصناعة نوع خاص من الزجاج الداكن. أتعلم يا سِب، مثل الزجاج الذي صنعه مارسيلوس».

قـال سـبتيموس متجهمًـا: «يـاه. ذلـك». كانـت لا تـزال تنتابه الكوابيس بأنه يُسحب من خلال زجاج مارسيلوس.

نظـرت جينـا حولهـا وخفضـت صوتها ثـم قالـت: «كان هناك الكثير من الأشـياء التي تشبه ما يوجد بالقلعة يا سِب. تمنيت كثيرًا لو كنتَ موجودًا هناك لترى جميع تلك الأشـياء. في حقيقة الأمر، كان هناك الكثير منها ..ماذا كان ذلك إذن؟».

سـمعوا صوت اصطدام مرتفـع من ورائهم، ليُفتـح بعدها باب خفـي عبر بطانة الجدار ويخـرج منه العمَّان هيـب يحدقان بعينين واسعتين ويصرخان في القاعة.

32

آل هيب في مواجهة آل هيب

سادت لحظة من السكون هناك؛ حيث وقف الفريقان المتعارضان من عائلة هيب يمعنان النظر في بعضهما، وقد أصيب كل منهما بالصدمة بنفس القدر. فحين ظهر الأخوان إدموند وإرنولد المعتوهان الطاعنان في السن من خلف الجدار بشعرهما المتموج، ذي اللون الأصفر مثل القش الذي يميز أفراد عائلة هيب، ورداءيهما

القديمين متعددي الألوان المتدليين منهما، والمبللين المتسخين بالطين - شعر أبناء هيب الأربعة الآخرون بالرثاء لحالهما، حتى إن جينا سيطرت بالكاد على رغبتها في الاندفاع نحوهما ودعوتهما بالقدوم والجلوس بجوار المدفأة. مرت لحظات، لم يتحرك أحد فيها. فكر الغزاة مليًا، وهما يجولان بأنظارهما حول القاعة، وعيناهما مثل الكشافات، تهبطان على كل واحد من الموجودين؛ لملاحظته ثم تنتقلان إلى الشخص التالي كما لو كانا يقومان بوضع علامات على قائمة الفحص.

حدق فيهما المدرجون على القائمة مثل الأرانب المتجمدة. تباطأ الزمن، وبدت اللحظة كما لو كانت ستستمر إلى الأبد حتى سمع صوت اصطدام! أُغلق الباب المتواجد في بطانة الجدار، وفي ومضة عين، ألقى سايمون نفسه أمام جينا، بيد أن نكو دفعه بعنف بعيدًا عنها، تأرجح سايمون في غضب ثم قال: «أنا لن أؤذيها يا نِك!».

«أعلم ذلك، بيد أننا في حاجة إليك، عليك إيقافهما، أنت وسِب، استخدم معرفتك بالأمور الشيطانية والسحر الأسود يا ساي .. افعل أي شيء!».

ابتسم سايمون.. لقد ناداه نكو باسم ساي للتو، ها قد تجمع كافة أبناء هيب معًا الآن، كما كان الأمر على الدوام. أبناء هيب

يجابهـون العالـم بأسـره، بيـد أن الأمـر يبـدو الآن كمـا لـو كانت مجموعـة مـن أفراد عائلـة هيب تجابـه مجموعة أخرى مـن أفراد عائلـة هيـب، لقد كان مـن الصعوبة بمـكان تصديق أن مـا يقوم به إرنولد وإدموند مجرد مزحة غريبة.

وعلـى حيـن غـرة، توقـف كل شـيء .. وتحدثا؛ حيـث تبادلا الحديث، مـن أحدهما للآخر بسلاسـة ودون توقف، في أصوات باردة وخالية كما لو كانت قادمة من سفح أحد الكهوف المظلمة.

«لقد».

«جئنا من أجل».

«الـــ».

«أميرة».

وكان لصوتيهمـا أسـوأ الأثر على جينا؛ حيث بـدا الأمر كما لو كانت ذكريات الأجداد قد أتت لملاحقتها. كبحت جينا رغبتها في الهرولة خارج الغرفة وهي تصرخ - وهو على الأرجح بالضبط ما أراده السـاحران - وأخـذت تُهيئ نفسـها للرد. فكـرت في أنها لو أمكنهـا الـرد في هدوء فقـد يعيرانها الاحتـرام ويغـادران المكان، أخذت جينا نفسًا عميقًا من أجل تجهيز صوتها فقط لتجد سايمون يبدأ بالإجابة عنها، وهو ما أثار غضبها.

حيث قال: «هي ليست هنا».

تبادل الساحران ابتسامة تدل على معرفتهما بالحقيقة.

«نومياس».

أحجم سايمون فور ذكر اسمه في عالم الشر والسحر الأسود.

«أنت».

«واحد».

«منَّا».

قال سايمون: «لا! أنا..».

أضاف سبتيموس منهيًا عبارته ونافيًا كلمات الساحرين عن عمد: «لست كذلك».

زمجر الساحران قائلين: «أنت».

«كاذب».

«نحن نرى»

«الأميرة»

«وأنت»

«واحد»

«منَّاااااا». همسا الكلمة الأخيرة كالأفعى التي تستعد للانقضاض على فريستها.

وبذلك، تمايل العمان هيب للأمام، مثل آلين، عادا إلى مشيتهما القديمة، ليس لشعورهما بالإنهاك وحسب، وإنما أيضًا بسبب وجود آثار باقية من العمين إرنولد وإدموند هيب لا تزال تقاوم نوايا الساحرين الشيطانيين.

تراجع كل من سبتيموس ونكو وجينا وسايمون للخلف باتجاه البـاب، وفي الظـلال وراء السـاحرين اللذيـن يدنـوان منهم، كان بوسـع سـبتيموس رؤية كومة متوترة من الكعـك المحلى، بيد أنه أخـرج جيم ني من حسـاباته، وقد انصب تركيزه فـي تلك اللحظة على شـيء واحد وحسـب، عليـه أن يرفع **درع الأمـان**؛ وهو ما لم يفعله من قبل.

وبعد أن اتخذ قرارًا بحماية جينا ونكو فقط **بالدرع** - حيث إنه كلما قـل عـدد الأشـخاص المشـمولين بالحمايـة، زادت فاعليـة **الدرع** - وضـع سـبتيموس ذراعه حول كتفي سـايمون وسـار بـه بعيدًا عن المسـاحة المشـمولة بالدرع، ثم دار بسرعة حولها، وأحكم قبضته ثم فتحها. وما أثار ارتياح سبتيموس، هو انطلاق شريط من الضوء الأرجوانـي من يـده المرفوعة، وبالدهشـة جينا ونكو حين سـقط ذلك الشـريط فوقهما ليكوِّن قبة صغيرة غائمـة! لقد كان درعًا آمنًا بسـيطًا للغاية، بيد أنه قام بالمهمة المطلوبة. نظر كل من جينا ونكو بإمعـان مثل زوجين من الفئران المحجوزين تحت غطاء زجاجي. وضحك السـاحران الشيطانيان على إثر ذلك.

«يا له من أمر..».

«طريف للغاية!».

وسُـمع صـوت فرقعة حـاد هنـاك مثل صـوت قرقعـة العظام، مصحـوب بوميـض مـن الضـوء، وعلى حيـن غرة أصبح كل من

إدموند وإرنولد هيب يمسكان بهراوة لامعة سوداء اللون، وناعمة مثل الزجاج.

حدق سايمون في الهراوتين برعب، إنه لم يرَ مثلهما من قبل، بيد أنه كان علم بكنههما في الحال: إنها **العصي السحرية المتحولة**، أدرك أنه يوجد بداخلهما، في مركز، مثل العمود الفقري الصغير ذي اللون الفضي الممتد بطول **العصا السحرية**، قطرات من القوة الشريرة. وكانت العصي السحرية المتقلبة تتمتع بقوة ودقة وخطورة على نحو لا يصدق، انتاب سايمون شعور بالغثيان، يبدو أنه لن تكون لديهما أدنى فرصة.

عندها صدر صوت فرقعة مدوٍّ، وعلى إثره اهتزت جدران القاعة وخرج من حافة كل عصا رصاصة صغيرة من الضوء، اتجهت مباشرة صوب درع الأمان. ألقى كل من جينا ونكو بنفسيهما على الأرض، بيد أن رصاصات **النار** الصغيرة لم تتمكن أبدًا من الوصول إلى درع الأمان؛ حيث قام سايمون بلف عباءته في الهواء والتقطهما، فأمسكت ألسنة اللهب بعباءته، إلا أن سايمون لم يهتز لذلك، كما لو كان معتادًا على اندلاع النيران بعباءته، وألقى سايمون بها على الأرض ووطئها بقدميه.

ثم قال متحديًا الساحرين: «هلما، بوسعكما القيام بأفضل من ذلك».

اعتقـد سـبتيموس أن سـايمون كان متهورًا بعض الشـيء، ولـم يكن لديه أدنى شـك في أن السـاحرين لن يرياه فقـط ما هو أفضل بكل سهولة، بل إنهما سيثبتان ذلك.

إلا أن سايمون يعرف تمامًا المعركة التي يخوض غمارها، فهو يعلـم أن السـحرة الشـيطانيين يتغـذون علـى الخـوف وأن إبـداء الازدراء والاحتقار لهما هو أفضل وسـيلة للدفـاع، كما علم أيضًا أنه سـيكون مضطرًّا لاستعراض قوته، وبالتالي فقد نكث سايمون بوعوده للوسي بألا يعود أبدًا لاستخدام السحر الأسود.

وباسـتخدام آخر ألسـنة لهب مشـتعلة في عباءته، قام سـايمون باسـتحضار روح ثعبان ناري وأرسـله مشتعلاً في الهواء، ليصطدم بالساحرين ويلف نفسه حولهما مرة واثنتين وثلاث مرات، وبعدها بـدأ في إحـكام جسـده عليهمـا. وفي غضـون لحظة واحـدة، قام شـاماندريجر سـارن ودراميندونـور نـارن بتحويلـه لصالحهمـا، وباستخدام ألسنة اللهب أعدا سحابة من الدخان الأسود وألقيا بها على سايمون وسبتيموس؛ ليحبساهما في دائرة من الأدخنة الناتجة عن نيران الثعبان.

ثم قام شـاماندريجر بلف الثعبان الناري حول العصا السـحرية التي بحوزته وقذفه في الدخان، حيث حرق شعر سبتيموس وسقط يتلـوى على الأرض. وكان سـايمون لا يزال حاضـر الذهن وكان

على أتم الاستعداد كي يطأ عليه بقدميه، بيد أنه لم يكن بوسعه ولا بوسع سبتيموس إيجاد مخرج من الدخان الخانق.

والآن توجه الساحران الشيطانيان صوب درع الأمان؛ حيث أمسكا بعصيهما السحرية مثل الرماح، وطعنا القبة الأرجوانية اللامعة، وعلى إثر ذلك صدر صوت أنين شخص مجروح، وأخذ الضوء الأرجواني يتلاشى.

همس نكو: «يا جين، سوف أصرف انتباههما، وما عليك سوى الهروب، اذهبي إلى طريق الملكة، لن يكون بوسعهما تتبعك هناك».

قالت جينا: «اخرس يا نِك».

تساءل نكو، وهو غير متأكد ما إذا كان ما سمعه صوابًا أم لا: «ماذا قلت؟».

انفجرت جينا قائلةً: «هلا توقفت عن الحديث؟».

شعر نكو بالخوف، فقد حدث شيء غريب لجينا.

وعند ذلك تلاشى درع الأمان.

وجدت جينا نفسها تنظر في عيني عميها البائسين اللتين تعلوهما الكدمات والضربات وكانت مرعوبة تمامًا، بيد أنها ما إن دققت النظر، حتى استطاعت أن ترى مكر الشيطنة والحقد الدفين لدى الساحرين الشيطانيين، وكانت جينا قد تعرضت للخوف

لمرات قليلة منذ أن علمت أنها الأميرة، بيد أنها لم تشعر بنفس حالة الرعب التي تشعر بها الآن.

أمسك نكو بيدها وضغط عليها، فاستعادت جينا شجاعتها، ثم وقفت وجهًا لوجه أمام الشخصين الأشعثين الموحلين بالطين وسألتهما: «ماذا تريدان؟».

جاء ردهما ليبث الرعب في نفوس جميع من في القاعة.

«إنهاء»

«حياتك»

«كما»

«تعهدنا».

رفعت جينا يدها إلى أعلى وانتزعت الحلقة الذهبية، التي أهداها حُتب رع للملكة منذ فترة طويلة للغاية.

همس نكو ظنًّا منه أنها سوف تستسلم: «لا، يا جين!».

قالت جينا: «نعم، يا نك». ثم أمسكت بعدها بالحلقة في كلتا يديها ومدت ذراعيها كما لو كانت تقدمه للساحرين، وفي تلك الأثناء كان نكو يشاهد الموقف، وهو في حالة صدمة وغير واثق من كيفية التصرف حيال ذلك.

من ضمن الأشياء التي كانت جينا قد سمعت عنها أثناء رحلتها قصة قيام الملكة بحبس الساحرين الشيطانيين في الخاتم، وقد استمعت إلى ذلك الأمر بحرص وعناية؛ نظرًا لمعرفتها بالشيء

الـذي يدور حوله الحديث، بيـد أن القصة أتت في نهاية يوم طويل وشـاق انطوى على كثير من القواعد والأنظمة، وكانت جينا تشعر بالنعاس.

ثم تذكرت قيام جدتها بتلاوة **تعويذة الحبس** عليها حينما كانت أشـعة شـمس المسـاء تمر من بين ألواح النافذة الصغيرة الدائرية، كمـا تذكرت قيامهـا بترديد التعويذة وهي في حالة نعاس. والآن - أملًا منها في إمكانية تذكرها أثناء النطق بها- بدأت جينا في القيام بالشيء الوحيد الذي يخشى ساحرا الخاتم الاستماع إليه: «بقوتنا، في هذه الساعة، نقوم بـــ..».

ومع بداية تلاوة **تعويذة الحبس**، انكمش الساحران للخلف.

ومن بين أعمدة الدخان الشـيطانية، رأى سـبتيموس وسايمون صدعًـا مـن الضـوء فألقيا بنفسـيهما فيه، ثـم خرجا باندفـاع وهما يبصقـان، ليجدا السـاحرين يتراجعان بعيدًا عن جينـا، وهو ما أثار اندهاشهما، والآن حانت فرصتهما.

قال سبتيموس لسايمون دون صوت: «**تعويذة الطرد**».

أومأ سـايمون برأسه وأشـار بعلامة السـبابتين المتقاطعتين من أجل الشر.

رفع سبتيموس إصبع الإبهام متمنيًا له النجاح، فلا يوجد توقيت أنسب من ذلك لاستخدام قوى الشر.

«تسيجا!».

لم يحدث شيء، فقد أدار شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن وجهيهما وقاما بتوجيه العصي السحرية المتقلبة صوبهما بدلًا من جينا، التي كانت لا تزال تواصل حديثها.

همس سايمون: «لا يعمل، نحن في حاجة إلى أسمائهما في عالم **السحر الأسود**».

وأثناء تفكيره في الاسم الشرير الخاص به، سوم، من سبتيموس، قام سبتيموس بمغامرة وصرخ قائلًا: «تسيجا! تسيجا، يا رجي ورون!».

صرخت جينا قائلةً: «لا!». انطلق الساحران الشيطانيان-كما لو كانا على عجلات -بعيدًا عنها، وخرجا للخلف كما اعتاد رجال الحاشية الملكية على فعل ذلك بكل احترام، ولكن بعشرة أضعاف السرعة.

وفي نهاية المطاف، شارك جيم ني في الحدث؛ حيث قام بفتح الباب المتواجد في بطانة الجدار، وانحنى بأدب جم ليخرج الساحران من خلالها ثم أغلق الباب، تألق الجني وأطلت من عينيه نشوة الانتصار كما لو كان هو الذي قام بطرد الساحرين.

قال سايمون: «أبليت بلاءً حسنًا يا سِب!».

قال سبتيموس بابتسامة عريضة: «صحيح».

بيد أن جينا لم توافقهما في الرأي؛ حيث قالت: «أيها الغبيان!».

قال سبتيموس وسايمون في حالة من الاندهاش: «ماذا؟».

تساءلت جينا: «لم قمتما بذلك؟».

قال سبتيموس وهو ينظر لجينا كما لو كان قد أصابها الجنون: «كنا فقط نحاول إنقاذ حياتك يا جين! هذا كل ما في الأمر، هل هناك مشكلة في ذلك؟».

«نعم. أقصد لا. أقصد.. أوه، يا سِب، أنت أحمق. لقد تمكنت للتو من تذكر كافة الكلمات المتعلقة **بتعويذة الحبس**، بيد أنك قمت أنت وسايمون بمساعدتهما على الهرب».

33

العقرب

أصيب جيم نـي بحالة من الصدمة. لقد كان على وشـك الانتحار، وبالنسبة للجنـي يعنـي ذلـك أن يُقتـل سـيده فـي حضـوره؛ فذلك لا يعـد كارثيًّا فقط بالنسـبة للسـيد، بيد أنه سيئ للغاية بالنسـبة للجني؛ حيث يتبخر على الفـور فـي وعاء مناسـب، وهو ما يعني أنـه يقع في معظـم الأحيان في أيـدي القاتل. وهنـاك مقولة قديمـة لأحـد الجن تقـول: «القاتـل أسـوأ سـيد». وهـي مقولة صحيحة.

ومـع ذلـك، لـم يكن جيـم نـي عازمًا علـى نقل

تلك المعلومة إلى سيده، فمن الأفضل أن يرجع صدمته للهروب العسير الذي قام به سيده ونجاته من خطر محدق.

بيد أن أحدًا لم يلحظ تلك الصدمة التي انتابت جيم ني؛ حيث كان جميع المتواجدين في الغرفة في نفس الحالة، وقد تجمعوا حول الباب الصغير المتواجد في بطانة الجدار، وهو المكان الذي خرج منه الساحران للتو مؤخرًا.

قال نكو: «ما لا أفهمه هو كيفية وصولهم إلى الخزانة من البداية». ثم ارتجف لمجرد التفكير في ذلك وقال: «ومتى؟ لقد كنت أنا وجين في هذا المكان بمفردنا لفترة طويلة، وكان بوسعهما النيل منا حينئذٍ، إذن ما السبب وراء انتظارهما حتى يتواجد الجميع هنا؟».

قال سايمون: «هذه ليست خزانة، إنها نوع من الأنفاق القديمة، بوسعك اشتمام رائحتها، لم نكن لنقدم على إخراجهما إلى خزانة يا نِك».

جاء صوت جيم ني ليثير دهشة الجميع وقال: «إنه مفر للمهربين».

وقد كان الجني هادئًا على غير العادة منذ وصوله إلى قصر الميناء.

تساءلت جينا: «مفر للمهربين؟! وما هذا؟».

قال جيم ني: «اعتقدت أنك على علم بذلك؛ نظرًا لأن القصر قصرك، إنه نفق مؤد إلى القلعة».

«مباشرة إلى القلعة؟ مباشرة من هنا؟».

«بالتأكيد. هو طريق موحل ونتن الرائحة، لا يسلكه إلا البائسون للتهرب من قانون الميناء».

قال سبتيموس: «أو القلعة؟».

«بالفعل، يا سيدي».

سألت جينا جيم ني: «ولكن كيف علمت به؟».

صمت جيم ني. ومثله مثل سائر الجن، لم يكن يشعر بالارتياح للحديث حول الحياة السابقة.

طلب السيد من جيم ني بفراغ الصبر الإجابة عن السؤال خشية تضييع الوقت: «أجب عن السؤال يا جيم ني، كيف علمت بالأمر؟». قال جيم ني: «لقد سلكت ذلك الطريق من قبل، لقد كنت الطباخ الملكي في وقت من الأوقات».

«إذنْ فقد ذهبت من خلال النفق؟».

قال: «إيه، لا». مرت ذكرى مخيفة بذهن جيم ني: هجوم في منتصف الليل، وصرخات، وإطلاق نار، ومحاولة لاختراق الأبواب بالفئوس، وكانت تالولا كرام المسكينة وغير المحبوبة، تراقب الجميع أثناء هروبهم على درجات السلم الصغيرة للغاية،

وهـي تدرك أن جسـمها السـمين لن يسـمح لها بالمـرور بداخله، وعندها أدركت أنها ستكون نهايةً لحياة أخرى.

تسـاءلت جينا: «وكيف علمت بشـكل يقيني بـأن ذلك الطريق يؤدي إلى القلعة؟».

«أنا على علم بذلك، لقد كان يستخدم كثيرًا عندما كنت طباخًا. كانـوا ينقلـون عبره الأشـياء الثمينة بأمان؛ حيث كان الميناء يتسـم بالهمجية في تلك الأيام».

همهم نكو: «لـم يتغير الأمر إذن».

نظـروا جميعًـا بإمعان صـوب الباب، وهـم في اشـتياق لفتحه ورؤيـة مـا وراءه، بيد أنهم لا يمتلكـون الجرأة علـى القيام بذلك.

قالت جينا: «أعتقد أنه ينبغي علينا التأكد هل انصرفا بالفعل أم لا».

أوضـح سـبتيموس: «أنهمـا لـن يتسـكعا حـول هـذا المكان، وخاصة الآن بعد أن علموا بمعرفتك لتعويذة الحبس».

قالت جينا: «بيد أنني أريد التأكد بنفسي».

وضـع نكو يـده على السـكينة التـي بحوزته، والتـي اعتاد على الاحتفاظ بها دومًا في قراب مربوط بحزامه منذ أن كان في الميناء، ثـم قال: «صحيح، في حال بقائنا هنا هذه الليلة، يتعين علينا التأكد من الأمر إذن، لا نريد منهما أن يتسللا إلينا ونحن نيام».

قال سبتيموس بشيء من الغضب لعدم التعامل مع سحره بجدية: «بيد أنني قمت بطردهما، ليس بوسعهما العودة».

قال نكو: «إنهما ساحران شيطانيان يا سِب، بوسعهما القيام بما يحلو لهما».

قال سايمون: «نِك على صواب، علينا وضع أداة لمكافحة الشر على الباب على أقل تقدير، في الحقيقة، أقترح وضع قفل وحاجز أيضًا».

قال سبتيموس وقد استشاط غضبًا: «لم أكن أنتوي ترك الباب دون حراسة، سيكون من الغباء فعل ذلك، بيد أنني في حاجة إلى التفكير بحذر حول ما يمكن القيام به».

قال سايمون منزعجًا من عدم أخذ خبرته في الاعتبار: «نحن جميعًا في حاجة إلى التفكير».

كانت جينا قد أرهقها هذا الجدال، لقد كان ذلك هو قصرها؛ لذا أرادت معرفة كل شيء حوله؛ ولذا أثناء تشاحن الأولاد، قامت بفتح الباب المؤدي إلى مفر المهربين.

صدر احتجاج جماعي تجاه فعلها: «جين!».

لم تولِ جينا أي انتباه، حيث دققت النظر في الظلام؛ لتهب في وجهها رائحة كريهة وهواء بغيض، ثم أمسكت بإحدى الشموع القريبة منها ودفعتها نحو الظلام من وراء الباب المفتوح. ومن خلال ضوء الشمعة، كان بوسع جينا رؤية بعض درجات السلم

الصغيرة، التي لا تتسع لأكثر من قدم واحدة فقط، وقد اختفت إلى الأسفل بين جدارين متناقصين تدريجيًا مبنيين من الأحجار المنقوشة، لقد كان أضيق الأنفاق التي رأتها من قبل.

وكان جميع الأولاد ينظرون من فوق كتفي جينا الآن، حتى نكو - الذي كان يشمئز من الأماكن الضيقة - كانت لديه رغبة في المشاهدة. شعر الجميع بالارتياح لرؤية النفق مهجورًا تمامًا.

همست جينا: «لقد انصرفا». وأدركت حينئذٍ أين ذهبا. «لقد عادا إلى القلعة». وبهدوء، قامت جينا بإغلاق الباب الصغير.

ولأنها سمعت صوتًا من مسافة طويلة عبر النفق؛ لذا وضعت إصبعها على شفتيها وأشارت للجميع بالاتجاه بعيدًا نحو المدفأة؛ حيث تبوأت موقعها أمام العتبة الحجرية الضخمة وقالت: «هناك بعض الخطط التي يتعين عليها وضعها، وبسرعة».

أومأ كل من سايمون وسبتيموس برأسيهما.

قالت جينا: «لا يمكننا تركهما حرين طليقين في القلعة .. ليس بوسعنا ذلك. وهو ما يعني أنه يتعين عليَّ إلقاء تعويذة **الحبس** قبل خروجهما. وللقيام بذلك، عليَّ الاستعداد وانتظارهما عند الخروج من مفر المهربين».

تساءل سبتيموس: «كم تستغرق الرحلة للذهاب عبر مفر المهربين وصولًا إلى القلعة يا جيم ني؟».

رد جيم ني: «كان من المعتاد أن يستغرق الأمر تسع ساعات، لم تكن بالرحلة السعيدة، هذا ما أخبروني به. لكن من يعلم الحال الآن؟ ربما يستغرق الأمر مدة أطول».

تساءلت جينا: «وأين يقع المخرج؟».

«رقم سبعة وستين في الطريق السحري؛ في الفناء الخلفي، بالتأكيد كان المكان سرًّا، بيد أن والدة مساعدي الصغير كانت تعيش في منزل رقم سبعة وستين، وهو من أخبرني بذلك، لقد كان غلامًا شجاعًا. وفي يوم إجازته، كان يسلك الطريق نحو منزله جريًا على الأقدام عبر النفق، وكان أول من يعود في الصباح دون تقصير».

تساءل سايمون: «أين يقع رقم سبعة وستين؟». حيث يعتبر نظام الترقيم في الطريق السحري له علاقة بسيطة أو لا علاقة له على الإطلاق بموقع المبنى.

تنهد سبتيموس ثم قال: «إنه قصر لاري، مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة. عظيم».

كانت جينا تفكر في الأمر: «إذن يتعين عليَّ التواجد هناك في غضون تسع ساعات، ما لم يصل الساحران الشيطانيان في وقت أسرع».

قال سبتيموس: «إنهما مقيدان بأجسام الأشخاص الذين يسكنونهم، حتى يصبح بوسعهما استعادة الهيئة الخاصة بهما؛

وهو ما لا يمكن القيام به حتى الانتصار في المعركة مع الأشخاص الذين **يسكنونهم**، وحتى الآن، لا يزال إدموند وأرنولد موجودين بداخلهما. حتى الآن...».

سيطر الرعب على جينا حيال ما حدث لعميها؛ ثم همست: «أوه! هذا أمر مريع، عمي إدموند المسكين وعمي أرنولد المسكين».

قال سبتيموس: «لقد اضطررت ذات مرة إلى قراءة كتاب بعنوان (المسكونون) وذلك قبل أسبوع **الظلام**. لا أتذكر منه الكثير بالطبع، بيد أن قليلًا منهم فقط تم إنقاذهم قبل **التهامهم** بشكل كامل. إنه أمر مفزع على نحو غير مصدق، هناك كيان ما داخل رأسك، يتحكم في جسدك، ويدفعك نحو إنهاك نفسك، في محاولة لحملك على الاستسلام، للسماح لهم بالسيطرة عليك؛ لذا ليس بوسعك الحصول على راحة، ولا حتى لمجرد ثانية واحدة ..».

غمغمت جينا قائلة: «لا أطيق التفكير في الأمر».

قال سايمون: «بيد أن عمينا مثل الطيور العجوزة القوية. أعتقد أن بوسعنا التأكد من أن توقيت عبور– تعرف من أقصد – عبر الممر سيكون محددًا بحالة إدي وإرن».

«هل تقصد أنهما لن يموتا في طريق عودتهما؟».

نظـر سـايمون مرتبـكًا وقـال: «إمممم، نعـم؛ لذا أعتقد أن تسـع ساعات كافية بحد أدنى للوصول إلى القلعة».

نظـر نكو في حالة من القلق وقال: « علينا أن نذهب، المد ليس فـي صالحـنا الآن، على الرغـم مـن كوننا محظوظين بـأن الريـاح لا تـزال فـي صالحنا، قد يكون الطريق وعرًا، بيد أنني أعتقد أنه في حـال ذهابنا الآن سـوف نصل إلى القلعة في غضـون ما يقرب من خمس ساعات».

قالـت جينا: «لكن المركب البخـاري قد غادر الميناء منذ وقت طويل».

قـال نكـو: «لدي مركب الإمـدادات الخاص بجانيـت يا جين، هكذا جئت إلى هنا».

«أوه! نعم، بالطبع. تمام، من الأفضل لنا الذهاب».

قال سايمون: «لقد أغفلت شيئًا ما».

«ماذا؟».

«أنت تفترض أن الذي أقصده وأنت تعرفه سوف يلتزم بالذهاب إلـى القلعة؛ بيـد أنه ليس هناك ما يمنعه مـن الالتفاف والعودة، في حقيقة الأمر، من المحتمل ألا يتوجها إلى القلعة على الإطلاق».

قال سبتيموس: «ما إن يصل ميرين هناك، فسوف يتوجهون إلى هناك».

«بيد أننا، في حاجة إلى التأكد تمامًا من المكان الذي سيذهبون إليه الآن، وعلى حد علمنا جميعًا، من المحتمل أن يكون هناك تفريعات من النفق، هل هناك تفريعات يا جيم ني؟».

هز جيم ني كتفيه وقال: «لا أعلم، لم يخبرني أحد بوجودها، لم يخبرني أحد بشيء، وفقًا لذاكرتي». ولم يحب جيم ني تذكر كيف كانت تالولا كرام وحيدة، وكان صديقها الوحيد حينئذٍ الولد الخادم الصغير المشتاق للعودة إلى بيته وفطائر الحلويات التي اعتاد على إعدادها ليلًا والتي كانت تجد سلواها فيها. والآن بعد أن فكر جيم ني حيال الأمر، كان بوسعه أن يتذكر أن هناك شيئًا ما غير صائب حول تالولا كرام؛ لقد كانت، على ما يظن، بطيئة الفهم، بيد أنه عندما كان فى هيئة تالولا كرام، لم يستوعب ذلك، لقد انتابه فقط شعور بالحيرة والتعاسة طوال الوقت، ثم تنهد جيم ني، لقد أصبحت الحياة تسير بشكل أفضل الآن.

ولسوء حظ جيم ني كان كل ذلك على وشك أن يتغير.

قال نكو: «لا بد من وجود مداخل أخرى في الميناء، ليس بوسعي تخيل اصطفاف كافة المهربين في أدب جم خارج قصر الميناء من أجل الدخول في المفر، هل تتخيل ذلك؟».

قال سبتيموس: «أنت على صواب، سوف يتعين على جيم ني الذهاب في أعقابهما، بسرعة».

كان جيم ني يأمل أنه لم يستمع إلى ذلك بشكل صحيح، فقال: «ماذا؟».

«حسنًا، إنه من الخطير للغاية إقدام أي شخص آخر على الذهاب».

قال جيم ني: «إن ذلك يشكل خطرًا علي أنا أيضًا يا سيدي».

«بصفتك جيم ني، نعم. ولكن ليس بصفتك عقربًا».

أصيب جيم ني بالرعب وقال: «عقرب!».

«بوسع العقرب النجاة في جميع الأحوال تقريبًا، إنه يتميز بقدرته على السير في الأنفاق المظلمة بالتحديد، ومحترف في الانتقال عبر الأراضي الوعرة، وباستخدام فكه من الممكن أن يقوم العقرب بشكل مثالي باقتياد الساحرين الشيطانيين».

«بيد أن العقارب صغيرة للغاية يا سيدي، سوف يستغرق العقرب أسابيع كثيرة للعدو عبر الطريق إلى القلعة، هذا إن لم يدعسه أحدهم قبل أن يصل».

«إذن سوف تتحول إلى عقرب كبير يا جيم ني، بما يتوافق مع حياة العقارب. وهو، إذا كانت ذاكرتي على صواب، ما يقرب من الحجم المناسب لهبوط تلك السلالم».

أمعن جيم ني النظر صوب سيده، وفي بعض الأحيان كان ماهرًا للغاية من أجل مصلحته الخاصة، وبالتأكيد كان ماهرًا للغاية من أجل مصلحة جيم ني، أسند جيم ني ظهره إلى الباب الصغير

وأسقط قبعته الصفراء على نحو يفطر القلب، ثم أخذ يفكر في الهيكل الخارجي للعقرب، والأرجل الثمانية الصغيرة المدببة، وفك العقرب، والذيل المريع الذي يكسوه الشعر يمتد خلفه، ويعلق عليه لدغاته، وجميع تلك الأطراف المتفرقة، ثم ارتجف جيم ني، كم كان يكره تلك الأطراف.

قال سبتيموس: «سيكون طولك ما يقرب من عشرة أقدام، بالإضافة إلى الكماشات، سوف تمنحك حتمًا السرعة الكافية للحاق بهم».

«وماذا أفعل عند اللحاق بهما يا سيدي؟».

«سوف تقتادهما باتجاه القلعة إلى نهاية النفق، ولن تسمح لهما بالعودة، وسوف أكون أنا وجينا في انتظار وصولك».

قال جيم ني: «حسنًا للغاية يا أستاذي، كافة رغباتك أوامر بالنسبة لي، للأسف الشديد».

رد سبتيموس في حزم: «نعم هي كذلك». كان متعاطفًا مع جيم ني، من الصعب أن تكون جنيًا، حيث إن الجني لديه كافة أحاسيس البشر، ومع ذلك يظل للأبد تحت رحمة شخص آخر، لابد أنه من الصعب ألا يتمكن حتى من اختيار الشكل الذي يظهر عليه جسمه، بيد أن سبتيموس كان على علم بأنه إذا ما أراد من جيم ني القيام بالتزاماته، فعليه ألا يُظهر له ضعفه، وبالتالي، وعندما التقت عينا

جيم ني بعيني سبتيموس ليجد فيهما سبتيموس نظرة تضرع والتماس، كان رد سبتيموس فقط هو أن قال: «**تحوّل**».

حدثت فرقعة نتيجة ظهور الضوء الأصفر مصحوبًا بصوت قعقعة مرتفع، ليحل فجأة عقرب طوله عشرة أقدام محل جيم ني، ملوحًا بإبرته المرقطة باللون الأصفر في نهاية ذيله.

شهقت جينا قائلةً: «يع». فاستدار العقرب نحوها ونظر إليها في عتاب. «آسفة يا جيم ني، لا تأخذ الأمر على محمل شخصيٍّ».

وفي المقابل، فتح العقرب كماشته وأغلقها بصوت فرقعة حاد، وقد أراد أن يقول إن الأمر ليس شخصيًّا، بل أكثر من ذلك بكثير، أشكرك شكرًا جزيلًا، بيد أن مهارات المحادثة كانت محدودة للغاية على صورته الحالية؛ لذا واسى العقرب نفسه عن طريق الإشارة بإبرته في غضب صوب سيده؛ حيث أمكنه من خلال التعبير الذي اعتلى وجه سيده أن يستقرئ أنه لم يكن متحمسًا للغاية للدغات.

لم يكن سبتيموس متحمسًا على الإطلاق لإبرة العقرب المدببة؛ حيث تحرك ببراعة وفتح الباب المؤدي إلى مفر المهربين وهو يقول: «جيم ني، لقد حان وقت الذهاب. تحرك».

لم يكن لدى سيد جيم ني أي فكرة حول مدى صعوبة طاعته في ذلك الأمر، تمايل العقرب من جانب إلى آخر في ارتباك تام، كان هناك الكثير من الأرجل، كيف يتمكن من تحريك ثمانٍ منها؟

وكانت تلك الأرجل معقدة للغاية؛ حيث كان لديه، بحق الإله، ست وخمسون ركبة، كيف يمكنه ثني الركب؟ و ... ياه، لا، إن البعض منها يستدير، ما الذي ينبغي عليه القيام به؛ تحريك أول رجلين ومن ثم آخر رجلين، أم تحريك أحد الجانبين ثم الجانب الآخر، أم كان هناك بعض التركيبات غريبة الشكل مثل: واحد- ثلاثة- خمسة- سبعة، ثم اثنان- أربعة- ستة- ثمانية؟ وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يمكنه ترقيم أقدامه؟ هل يبدأ من المقدمة أم المؤخرة؟ من الجانب الأيسر أم الجانب الأيمن؟

عاد سبتيموس إلى العقرب وقال وقد نفد صبره: «تعال يا جيم ني، استمر بالتقدم».

نظر العقرب حيال أستاذه وكأنه يشير إليه بأصابع الاتهام، من الواضح أن سيده لم يفكر مطلقًا في مسألة الأرجل.

قالت جينا: «مُره، ومن ثم عليه التنفيذ».

«يا جيم ني، آمرك بأن ...». ثم أعاد نظرته الخاطفة إلى الباب المفتوح المؤدي إلى النفق وخفض صوته ثم قال: «ادخل مفر المهربين. امض للأمام!».

انتاب العقرب حالة من الهلع: لقد صدرت له الأوامر؛ لذلك يتعين عليه المضي قدمًا، وعلى إثر ذلك، قام بتنشيط قدمه اليسرى الثالثة، لتنجر إلى الوراء وتتعلق أسفل كماشتها في الرجل الخلفية، ثم اهتزت الرجل الخلفية، والتي كانت أقوى من الأرجل الأخرى،

في محاولة لتحرير نفسها وبدأ العقرب في التمايل والارتعاش، ثم تأرجح لثوان قليلة، وتباعدت أقدامه وهبط العقرب على بطنه، وتدلَّى ذيله وسقط مصدرًا صليلًا على الأرض، ليستلقي أمام أعينهم عقرب أسود لامع بطول عشرة أقدام - بالإضافة إلى كماشاته - مثل البساط غريب الشكل.

قال سبتيموس: «فئران».

قال نكو مبديًا ملاحظته: «ربما كان من الأفضل أن يتحول إلى فأر».

قال سبتيموس: «لدى الفئران حساسية مفرطة تجاه الظلاف، على عكس العقارب، التي لديها مناعة ولا تتأثر، تعالوا جميعًا. دعونا نساعده على النهوض».

ابتلع نكو ريقه ثم قال: «صحيح».

جثت جينا على ركبتيها ووضعت يديها أسفل الدرع الأملس أسود اللون ثم قالت: «إنه ليس إلا جيم ني، إذا ما وضعنا أذرعنا جميعًا تحته، يمكننا أن نقلبه على قدميه مرة أخرى».

لاح الغشاء المشطي للعقرب تعبيرًا عن عدم سعادته حيث لم يعجبه سماع كلمة «نقلبه».

انضم كل من سبتيموس وسايمون ونكو إلى جينا. «واحد، اثنان، ثلاثة.. اقلبوا!».

كانت الحشرة العملاقة خفيفة على نحو مدهش؛ حيث حلقت في الهواء، وهبطت برقة على أقدامها الثمانية الصغيرة المدببة ذات الكماشات، واستأنف ذيلها تقوسه، وتهادى العقرب للأمام، وكانت الأطراف تتنفس بصعوبة، تستنشق الهواء الرطب الخارج بكثافة من مفر المهربين.

إن **التحولات** تكون أبطأ في العقل أكثر منها في الجسد، بيد أن سمات التحول إلى العقرب شرعت في التسرب إلى العقل وبدأت أرجله في العمل؛ ليكتشف بعدها سهولة الأمر؛ حيث كان هناك مجرد حركتين فقط.

الأرجل رقم واحد: للأمام. الأرجل رقم اثنين: للخلف. الأرجل رقم ثلاثة: للأمام. الأرجل رقم أربعة: للخلف.

ثم: الأرجل رقم واحد: للخلف. الأرجل رقم اثنين: للأمام. الأرجل رقم ثلاثة: للخلف. الأرجل رقم أربعة: للأمام.

لقد كان الأمر بسيطًا: في الخطوة الأولى تحركت الرجلان المتوسطتان كزوج واحد، وفي الخطوة الثانية تحرك كل من الساقين الأماميتين والساقين الخلفيتين كزوجين.

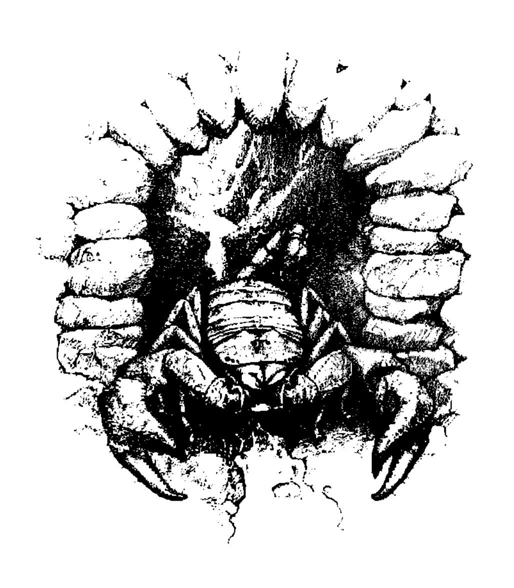
وأثناء ترديده في صمت لنفسه، اثنان وثلاثة معًا، اثنان وثلاثة تباعد، تدحرج جيم ني بجوار أربعة أجسام طويلة متعجبًا من كيفية توازنها على رجلين اثنتين فقط. ثم توجه بامتنان إلى الرائحة

اللذيذة للرطوبة والعفن التي تهب من الظلام وتنبع من مفر المهربين.

شاهدته الأجسام الأربعة التي لها صوت كصوت انفجار الفقاقيع أثناء الانصراف، وأخذوا يراقبون انعكاس ألسنة لهيب الشموع على كماشاته اللامعة، ثم تناهى إلى أسماعهم صوت جلجلة كماشاته على الأحجار أثناء توجه جيم ني ببطء للأسفل. (ومع وجود ست وخمسين ركبة، تطلب الأمر رعاية خاصة). وبعد أن تلاشى العقرب في الظلام وأصبحت كافة الأمور هادئة، قام نكو بإغلاق الباب وهو يقول: «ما كنت لأرغب أبدًا في سماع ذلك الكائن خلفي في مثل هذا النفق».

وهناك في الظلام السحيق، كانت رغبة تالولا كرام الأخيرة تتحقق: حيث كانت تجري بحرية في مفر المهربين.

34
مفر المهربين



عندما يتحول الجني، يصبح كائنًا هجينًا وغريبًا. إلا أنه في قلب المخلوق المتحول، تظل النفس القديمة، تمامًا مثل بذرة الثمرة، فتظل تراقب وتُوجه من قلب الأعماق؛ بيد أن المخلوق الخارجي الذي تحول إليه يسيطر على حواس الجني.

وبالتالي، عندما أسرع جيم ني على طول الأرضية الصخرية القاسية عبر مفر المهربين، كانت غرائز العقرب هي التي تقوده للأمام في الظلام، وهذا من حسن الحظ بالنسبة لجيم ني؛ وذلك لكون مفر المهربين مكانًا لا يختار أي من البشر السير فيه.

كان النفق خاليًا تمامًا من الضوء إلا أن العقرب شعر كما لو كان في موطنه؛ الظلام هو الحالة التي ينتمي إليها؛ حيث تدحرج بابتهاج على طول المفر، وراحت كماشاته تحك الجدران الضيقة، كما ارتفعت إبرته الصفراء عاليًا متقوسة فوق رأسه من أجل قياس ارتفاع النفق، وأخبرته بكل ما كان يريد معرفته. وقد غمره شعور بالخفة والرشاقة أثناء مسارعته عبر النفق الصخري، متوجهًا خارج الميناء، ومتابعًا النفق أثناء نزوله أسفل مستنقعات مرام.

كان جيم ني منطلقًا، ولم تكن هناك أي طريقة يمكن لسيده من خلالها الإمساك به، وكان بوسعه القيام بما يريد، ومع ذلك، كانت اختيارات جيم ني محدودة للغاية، لم يكن بوسعه الاستدارة؛ نظرًا لكون عرض مفر المهربين أضيق من طوله، كما أن جيم ني لم يتلذذ بالتفكير في الاستمرار إلى الأبد في صورة العقرب العملاق المنحشر في أحد الأنفاق، كما لم يكن بوسعه التوقف؛ نظرًا لاكتشافه أنه إذا توقف، كانت تنتاب رجليه رغبة مقلقة بالتشابك وطرحه على الأرض.

وبالعودة إلى التفكير في الست والخمسين ركبة لم يكن ذلك خيارًا؛ لذا كان لجيم ني كامل الحرية في القيام بما يحلو له؛ بشرط ألا يخرج اختياره عن التحرك للأمام على طول مفر المهربين.

وكان مفر المهربين - أو المفر، كما كان يُعرف بين أجيال من المهربين واللصوص وقطاع الطرق - قد تم شقه في اللوح الصخري الكبير الذي سلك النهر طريقه من خلاله انطلاقًا من القلعة ووصولًا إلى الميناء. وعلى بعد ما يقرب من نصف ميل خارج الميناء، انحدر المفر بشكل حاد للأسفل ليغوص أسفل المستنقعات. وبذلك قلت جودة الهواء اللطيف وأصبح المناخ عدائيًّا. وكان هذا الجزء من النفق مصدرًا للرعب حتى بالنسبة لأكثر الفارين صلابة؛ على الرغم من اعتيادهم استخدام النفق بشكل منتظم. في هذا الجزء كان أصحاب القلوب الضعيفة يولون دبرهم، تاركين وراءهم في غالب الأحيان بضاعاتهم المهربة؛ لكن لا يسري هذا الرعب على العقرب؛ الذي أسرع مباشرة، وتدحرج فوق البراميل القديمة المتهالكة الآتية من المكاسب غير المشروعة المتناثرة على طول الأرض الصخرية للنفق؛ ليذهب بعدها العقرب للأسفل عبر الظلام، وعند وصوله إلى المياه المعكرة بالطين والتي تملأ أدنى نقاط المفر، لم يفزع كما حدث مع كثير من المهربين، وإنما قفز إلى المياه اللزجة والمالحة قليلًا مجتازًا إياها، مغلقًا الفتحات التنفسية، ومحكمًا أطرافه بهدف

حماية الرئتين الحساستين قليلًا والحفاظ على المراقبة الشديدة لأرجله المتوسطة، والتي اكتشف جيم ني أنها مفتاح الركض بسلاسة، وأنها تميل إلى التشابك في حال عدم التركيز عليها.

وبالتالي، تمامًا مثل الدمية الميكانيكية الكبيرة، تحرك العقرب في طريقه محدثًا قعقعة: اثنان- ثلاثة معًا، اثنان- ثلاثة تباعد، اثنان- ثلاثة معًا، اثنان- ثلاثة تباعد، ليقترب بسرعة من رجلين فاقدين للأمل ومترنحين في الظلام.

وفي أعماق الأعماق، حيث الجزء الأكثر وحلًا في المفر، ترنح كل من إدموند وأرنولد هيب قدمًا، لاهثين في الهواء الفاسد، بعد أن دفعهما ساكنوهما بلا رحمة للأمام عبر النفق، ليتعثرا في برك من الوحل اللزج، فوق الصخور المتساقطة، ويصطدما بجدران النفق القاسية في أوج الظلام. وكان ساحرا الخاتم غير حريصين تمامًا على التوءمين هيب، حيث كانا يتخذانهما كوسيلة فقط للوصول إلى المرحلة النهائية من عملية **العودة إلى الأصل**، بحيث يتمكنان من استعادة هيئتهما القديمة مجددًا.

وهنا، في أسفل الأعماق تحت مستنقعات مرام أصبح جيم ني محشورًا في تلك المحجرة مع من يتعقبهم، لقد استمع إليهما أولًا؛ استمع إلى صوت أنفاسهما المجهدة، وتأوهاتهما أثناء التعثر، وصوت سقوطهما في المياه، وصرخاتهما عند إجبارهما على الوقوف من جديد ليصدما بصخرة أخرى، قام جيم ني بإبطاء

سرعته؛ حيث إن آخر شيء يريده هو أن يسحق إدموند وأرنولد سحقًا كما تفعل القاطرة البخارية، والآن أبقى على المسافة بينه وبينهما؛ ليباريهما خطوة بخطوة. وعلى الرغم من عدم وجود أي مكان للشفقة في عقل العقارب، فإنه في أعماق العقل الباطن لدى جيم ني، شعر العقرب بالشفقة عليهما.

وعلى الجانب الأقصى للقناة العميقة، بدأ الموكب الغريب في التسلق لأعلى، حيث بدأ الهواء يصبح أكثر نقاءً، وهو ما لاحظه العقرب مع ازدياد لهاثهما على نحو يائس من أجل استنشاق الهواء، وباستخدام كماشاته التي تلوح في ابتهاج نتيجة لتغيير الهواء، سارع العقرب في الوصول عبر الأرض التي أصبحت الآن رملية بعد أن جف النفق واستقام أسفل الحقول، وكان السير أسرع الآن حيث تحرك العقرب محدثًا قعقعة على نحو سعيد، دون توقف إلا في حال توقف التوءمين هيب للحظة من أجل استنشاق الهواء النقي القادم إلى الأسفل، تمامًا مثل الظِّماء الذين يبتلعون المياه.

توقف كل من إدموند وأرنولد أسفل المزرعة الأولى بعد القناة. وكان يطلق عليها اسم استراحة المهربين، وكان المهربون يتسلقون دون إبطاء عبر سلم من خلال فتحة تعرف باسم حاجز الخروج؛ حيث كان أولئك الذين امتلكوا الجرأة على المرور من المفر بوسعهم الخروج بحثًا عن الهواء النقي ورؤية منظر السماء

الواسعة. وحتى الآن، لا يزال الهواء يتدفق في النفق عبر فتحة التهوية - وهي عبارة عن مدخنة كبيرة - والتي بُني حولها منزل المزرعة.

لم يكن مسموحًا للتوءمين هيب بالوقوف لإستنشاق الهواء لفترة طويلة، بيد أن طريقهما من مفر المهربين للأمام كان أكثر سهولة.

وقد أصبح مفر المهربين الآن عبارة عن نفق مسطح قليلًا، لا يتجاوز انخفاضه ما يزيد على ستة إلى ثمانية أقدام أسفل البساتين وحقول الأراضي الزراعية. وفي الماضي، كان للنفق العديد من منافذ الخروج المؤدية إلى المزارع والمنازل الريفية على طول الطريق إلى القلعة، وهو ما نتج عنه انغماس كثير من المزارعين في التهريب عندما كانت مهمة الحصول على المشروبات المسكرة والخمور من البلدان البعيدة تتطلب تكاليف مرتفعة بشكل فلكي. وفي تلك الأيام، كان من المعروف في القلعة أنه في حال الرغبة في شراء خمر جيد بسعر مقنع، فإن الذهاب إلى إحدى المزارع المعزولة على الطريق المتعرج المؤدي إلى الميناء هو أفضل ملاذ لك، وفي حال إعلان المزارع عن كونها من الخمور منزلية الصنع، فمن الأفضل عدم التعليق على عدم وجود حقول العنب أو حتى عدم وجود الطقس المناسب لزراعة العنب.

كما كانت المخارج المؤدية إلى المنازل الريفية بمثابة منافذ تهوية للنفق، وقد ترتب على قربها من السطح السماح لكثير من فتحات التهوية الأخرى لدفعها للأسفل من خلال التربة، والمموهة بأحواض الشرب، وملاجئ الأغنام، وحظائر الأبقار وكافة وسائل ومعدات المزارع. وأثناء الحفاظ على تلك الأمور، كان النفق يتمتع بتهوية جيدة، ويقال إنه كان بوسعك اشتمام رائحة زهر التفاح في المفر في فصل الربيع.

بيد أنه لم يعد شيء من ذلك بعد الآن؛ حيث إنه منذ حوالي ما يقرب من مائتي عام، كان معدل مهمات المفر قد تقلص بشكل جذري، كما توقفت أعمال التهريب تمامًا في فترة الليل. وسرعان ما تحول مفر المهربين إلى مكان مهجور، وعلى مدار السنوات اللاحقة، امتلأ الكثير من منافذ التهوية بالتربة، أو انهارت ببساطة، إلا أن النفق -الذي كان صلبًا مثل الصخور التي يمر منها- ظل كما هو.

والآن لم تتسلل رائحة زهور التفاح لإدموند وأرنولد أثناء ترنحهما نحو القلعة، فقط رائحة التربة وقسوة الصخور.

جلست ديزي بايك في استراحة المهربين حاولت تنبيه زوجها وإيقاظه. حيث قالت: «يا مومان، هناك شخص ما بالطابق السفلي. اذهب وألق نظرة».

تساءل مومان: «ولماذا أنا بالتحديد؟».

قالت ديزي: «ولمَ لا؟».

وكان مومـان لا يجيـد الجـدال؛ لـذا تنهـد، وخرج من سـريره ومشى على أطراف أصابعه على السلالـم، متحاشيًا تلك الدرجات التي تحدث صريرًا. وفي أسـفل السـلالـم، شـعر في قدميه بشعور غريـب، واضطر للجلوس على درجة السـلم الأخيـرة؛ حيث كان هناك شبح عظيم، مرتديًا رداء ساحر أعظم يتجول جيئة وذهابًا في قاعـة الاسـتقبال الصغيرة التابعة لهم. على أي حـال، لم ير مومان شـبحًا من قبل، ولا حتى شـبح إنسـان. لقد رأى الكثير من أشـباح البقر؛ حيث كانت جميع أبقاره التي أحبها لا تزال ترعى في حقولها وتأتي لتحيته، بيد أنه لم ير بشرًا من قبل، حتى الآن.

حـدق مومـان في حالة مـن الذهـول؛ حيث توقف الشـبح عن الركـض وبدا كما لو كان يتخذ قرارًا مـا. فكر مومان في أنه يرغب فـي القيام بأمـر ذي أهمية كبيرة. وبدا من الواضح أن الشـبح اتخذ قرارًا؛ حيث أسـرع عبر الغرفة باتجاه المدخنـة الحجرية الضخمة التـي بـرزت من منتصف منـزل المزرعة. قام الشـبح بتثبيت قدميه بحرص، ووقف مسـتقيمًا مثل عصا البوكـر واضعًا ذراعيه بجانبه، وبدأ ببطء في الانخفاض من خلال البسـاط. تسـاءل مومان حول المـكان الـذي يذهب إليه الشـبح، ثـم تذكر ما الـذي يكمن تحت الأرض: الباب المسـحور الذي كان قد أغلقه بالمطرقة منذ أعوام مضت، وقام بتغطيته بالبساط بعد شكوى ديزي من انبعاث «تيارات

هواء ذات رائحة كريهة وبغيضة» من خلاله. شاهد مومان المنظر حتى لم يعد يرى من الشبح سوى رأسه المميز نوعًا ما والمستلقي على البساط مثل كرة القدم الضالة. وبعدها، غاص هو الآخر أيضًا وتلاشى.

هز مومان رأسه وعاد إلى العلية ليجد ديزي جالسة في حالة من الرعب في وضع عمودي على السرير وملفوفة بالملاءات.

ثم همست متسائلة: «لماذا تأخرت هكذا؟ اعتقدت أن شيئًا ما مروعًا قد حدث. واعتقدت أيضًا أنك قد فارقت الحياة أو شيئًا من هذا القبيل».

عاد مومان إلى سريره ليكتشف أنه كان يرتجف، ثم قال: «لا، لست أنا الذي فارقت الحياة. بل هو».

اتسعت حدقتا ديزي في ذعر وسألت: «من هو؟».

«أحد أجدادي. ذلك الساحر الأعظم. كان ذلك شبحه».

تساءلت ديزي: «أتقصد جوليوس بايك؟».

قال مومان: «صحيح، هو نفس الشخص تمامًا. من المدهش التفكير أنني من سلالته». ثم ابتسم في وجه ديزي، كاشفًا عن الفجوة التي حلت محل سِنَّيه الأماميتين؛ ثم تساءل: «من المحتمل وجود بعض السحر بداخلي ..صح؟».

قالت ديزي له: «لا، يا مومان بالتأكيد ليس بك سحر».

أطفأ مومان الشمعة وعاد تحت الغطاء: «أتساءل عما كان يفعله أسفل ذلك المكان. لقد بدا في حالته الطبيعية. آمل ألا يبدأ في التصرف بشكل سيئ وإلقاء الأشياء حوله بلا مبالاة».

تثاءبت ديزي ثم قالت: «سوف يكون على ما يرام، إن أشباح السحرة الأعظمين هم أشباح طيبون، ويتسمون باللطف والتحضر. والآن اخلد للنوم يا مومان. فسرعان ما سيأتي وقت حلب الأبقار».

نزل شبح جوليوس بايك للأسفل من خلال حاجز الخروج .. وهو عبارة عن فتحة مبطنة بخشب البلوط وبها سلم من الداخل. لم يخش جوليوس بايك مفر المهربين أبدًا. فعندما كان لا يزال صبيًّا، ركض من خلال المفر مرات عديدة، وهو ما يتذكره جيدًا.

وقد استمتع جوليوس بالنشأة والترعرع في أحد منازل المزارع في قلب تلك الأنشطة الكثيرة. كان منزل المزرعة ذلك معزولًا تحيط به مستنقعات مرام، والنهر وأراضيه الممتدة، والذي احتوى على بساتين وحظائر أغنام وقطيع صغير من الأبقار الحلوب (دون أن توجد به تعريشة عنب واحدة) بيد أنه في أعين جوليوس الصغير، بدا ذلك المكان كما لو كان قلب العالم. وكان جوليوس أصغر أشقائه الخمسة، الذين عملوا جميعًا في المزرعة، ولذلك كان طفلًا يشعر بالكثير من الوحدة. وقد اعتاد الجلوس بجوار مدخنة التهوية، يقرأ في هدوء، ويسمع أيضًا أصوات خطوات الأقدام، وضجيج عربات النقل المنبعث على طول النفق من مكان

سفلي لا يبعد كثيرًا عن مكان جلوسه. وكان يفتح الباب السحري الواقع بجانب المدخنة وينتظر؛ أملًا منه في خروج أي شخص مثير للاهتمام. وعادةً ما كان يخرج أحد الأشخاص.

وبالرغم من جنون أو سوء أخلاق أولئك الأشخاص، وبغض النظر عن طبيعة الجريمة التي ارتكبوها في الميناء أو التي كانوا يخططون للقيام بها في القلعة، كانوا يتعاملون بأدب جمٍّ وامتنان مع والدة جوليوس السيد مارثا بايك؛ حيث كانت تسمح لهم بالجلوس بجوار مدفأة المطبخ وتقدم لهم مشروبًا ساخنًا وفطيرة من لحم الضأن، دون أن تطرح عليهم أية تساؤلات. وفي المقابل كانوا يقدمون لها قليلاً من البضائع، ويقصون على جوليوس الصغير بعضًا من مغامراتهم، وهو ما كان يسلي ذلك الطفل الفضولي لساعات. وكان أحد السحرة المنغمسين قليلًا في مهمات تهريب في بعض وقته، هو أول من أثار اهتمام جوليوس بالسحر، وهو من أخبره بما كانت والدته على علم به بالفعل؛ وهو أن لديه موهبة سحرية، وبالتالي، عند بلوغه عامه الرابع عشر، غادر جوليوس بايك منزل المزرعة ليصبح تلميذًا في برج السحرة، وللمرة الأولى، ارتحل إلى القلعة فوق الأرض. وعندما كان يغلبه الحنين إلى بيته، كان يقوم بما كان يقوم به وهو خادم صغير لدى تالولا كرام؛ حيث كان يعود إلى منزله ليرى البساتين ويأكل من الفطائر المحشوة بلحم الضأن.

والآن قد عاد إلى منزله في المفر مرة أخرى. أسرع الشبح، متوجهًا نحو القلعة؛ حيث انتابه شعور بالانزعاج التام بسبب الآثار التي يتبعها، والتي كانت تحمل رائحة **السحر الأسود** والنوايا الشريرة كما اعتادت والدته أن تقول.

بوسع الشبح أن يسير بشكل أسرع من شخصين منهكين، ولم تمر مدة طويلة حتى سمع جوليوس بايك التأوهات المثيرة للشفقة النابعة من إدموند وأرنولد. والتي توقف الشبح ليسترق السمع إليها.

حينئذٍ أدرك جوليوس أنه ليس الشخص الوحيد الذي يتبعهما. فإلى جانب الحقد والضغينة المنبعثين من ساحري الخاتم، واليأس المنبعث من التوءمين هيب، أمكنه الاستماع إلى همس كائن آخر: **كيان عتيق**.

وأثناء انطلاق الشبح إلى الأمام، ليتباطأ نتيجة تباطؤ سرعة الشخصين الضعيفين أمامه، فكر جوليوس مليًّا فيما يحتمل أن يكون ذلك الكائن. لقد كان له صوت غريب، صوت إيقاعي مجلجل، وهو ما أثار انبهاره. حيث بدا كما لو كان مثل صوت الحشرات، ومع ذلك كان هناك شيء ما قديم وحكيم وعاقل متعلق به، وهو ما أصاب جوليوس بالحيرة والارتباك لبعض الوقت أثناء متابعته للمنعطفات والملفات في الأنفاق ولهاث وآهات التوءمين هيب. استغرق الأمر أميالًا قليلة حتى تسنى

للشبح اكتشاف أن ذلك الكائن الغامض من المحتم أن يكون جنيًّا **متحولاً**. شعر جوليوس بالارتياح. فحتى وهو في حالة شبح، لم يكن يستمتع بفكرة تواجده بمفرده في ذلك المحبس المغلق مع كائنين شريرين. وكان من المفيد له أن يجد رفقة أخرى.

وبالتالي، أثناء الليل، ليس بعيدًا أسفل المزارع، سلك الموكب الغريب طريقه ببطء ومعاناة على طول مفر المهربين، متوجهين إلى المخرج التالي: المنزل رقم سبعة وستين على طريق السحرة.

وبالعودة إلى الميناء، وقف كل من جينا وسايمون ونكو يرتجفون على أحد جانبي الميناء، وهم يراقبون عودة سبتيموس إلى برج السحرة عن طريق **الانتقال**؛ فكلما أسرعوا في إخبار مارشا بما حدث، كان ذلك أفضل. وما إن تفرق ضباب **السحر** الأرجواني اللون في الهواء ليلًا وتلاشى سبتيموس، حتى أسرع بهم نكو للخروج إلى رصيف العمال، حيث يرسو مركب الإمدادات التابع لجانيت.

وسرعان ما خرجوا في الليل، وكان نكو على صواب: لقد كانت رحلة عسيرة؛ حيث أرسلت الرياح المعاكسة للمد أمواجًا متلاطمة كانت تحمل المركب لأعلى وأسفل أثناء الإبحار في طريقه باتجاه مصب النهر حيث يلتقي المد والتيار.

وقف نكو على الدفة بابتسامة عريضة؛ حيث أحب الإثارة المترتبة على قيادة المركب في تلك المياه الجامحة، وهو ما لم

يعتـد على فعله كثيرًا؛ حيث أصبح كبير التلامذة في الميناء، وغالبًا مـا كان يشـرف على سـير العمل ويراقـب التلميذ يوسـتاس بوت الصغير الحزين أثناء توجهه في مأموريات الميناء، وهو يغبطه على ذلك. وكان الراكبان بصحبة نكو أقل تحمسًا للرحلة؛ حيث جلس كل مـن جينا وسـايمون في غرفـة صغيرة بالمركـب، وقد لف كل منهما نفسـه في دثارات مبللة يُشـتم منها رائحـة القطران، وحاولا الحصول على قسط من النوم.

ستكون ليلة طويلة بلا شك.

35
المنطلق

أعلى برج السحرة، كان سبتيموس قد عاد سالمًا من الانتقال الذي قام به ونام في سريره. إلا أن مارشا كانت لا تزال مستيقظة تمامًا. كانت قد انتهت لتوها من إرسال إنذار تجريبي للقلعة بأكملها، وبعدها، راحت تطوف على نقاط المراقبة الجديدة وتتفقد النتيجة، ومن خلال ذلك العدد الكبير من الشموع التي أضاءت



على نحو سـريع في غالبية النوافذ بالطوابق الأرضية، استشفت أن التجربة قد نجحت.

كان ذلك **الإنذار** وسـيلة جديدة للأمان. فبعد أن أُصيبت مارشا بالصدمة نتيجة عدد الضحايا الذين سقطوا بسبب **الهيمنة الشيطانية**، كانـت عازمة علـى ألا يؤخذ أي من سـكان القلعة علـى حين غرة مجددًا من قبل **السـحر الأسـود**. ولهذه الغاية، قامـت بتثبيت نظام معقـد من أجهزة الإنـذارات في كل مبنى مـن المباني. وبالطبع لم يوافـق الجميع على وجود جهاز **إنذار** في منازلهم أو مقار عملهم، وكان لاري المقيم في مبنى رقم سبعة وستين على الطريق السحري واحـدًا من أولئـك الذين لم يقبلـوا، ولكن معظمهم كانوا سـعداء للغاية بهذا الأمر.

راقبت مارشـا النوافـذ المضيئة تظلم مرة أخرى؛ لذا انسـحبت إلـى مطبخها من أجل إعطاء تعليمات بإعـداد وعاء القهوة، وأثناء انتظارها لإعداد القهوة، قامت بالتقاط مظروف مغلق به شـريطتان حمراء وذهبية. وكان المظروف، على حسـب علمها، مرسـلًا من قبـل ميلـو. أمعنت مارشـا النظـر في المظـروف في الوقـت الذي أحـدث وعـاء القهـوة أصـوات الهمهمـة المبهجـة كالمعتـاد، ثم تمتمـت نحو المظـروف قائلة: «هـاه، المزيد من الأعـذار المثيرة للشـفقة». لتبـدأ بعدها القهوة في إحداث فقاعـات؛ وعندها مالت مارشا على الموقد وأشعلت النيران بالمظروف وبكل محتوياته.

كانت مارشا قد صبت القهوة لتوها، عندما سمعت طرقًا على الباب الأرجواني الكبير. وفي تلك الليلة، كان لدى الباب تعليمات للسماح بدخول أي من كبار السحرة العاملين في برج السحرة، وكانت مارشا قد سمعت صوت فتح الباب. ثم أعدت نفسها لنظرات جيلي دجين الدقيقة وسارت عبر غرفة الجلوس لترى مَن الذي حضر.

لقد كانت داندرا درا هي مَن حضرت، وهو ما أثار سعادة مارشا؛ حيث أحبت داندرا وكانت في تلك اللحظة في أمس الحاجة إلى رفقة طيبة. أخذت ساحرة المستشفى تحوم مترددة أتدخل أم لا، ثم قالت: « سيدة مارشا، هناك أمر هام أود الحديث عنه».

قالت مارشا: «أوه، من فضلك، مارشا دون ألقاب».

وما أثار صدمة كل من مارشا وداندرا، هو أن شبح جيلي دجين اختار تلك اللحظة للتحدث للمرة الأولى، حيث انساب صوتها المرتفع والمتردد في أرجاء الغرفة، مثل عاصفة من الإزعاج:

« مارشا فقط ...أرجوكي لا داعي للألقاب، مارشا... من فضلك».

أطلقت داندرا صيحة خافتة.

قالت مارشا: «أف، كنت آمل أن أستمتع بشهرين إضافيين على الأقل من الصمت».

«شهرين إضافيين ... كنت آمل..».
تنهدت مارشا وقالت: «ادخلي يا داندرا، من الرائع أن أراك».
«وأن أراك... أيضًا.. أن أراك... أن أراك... أيضًا».
تمتمت مارشا قائلةً: «إذا ما واصلت حديثها بنفس الطريقة فسوف أقتلها».
قالت داندرا بابتسامة بسيطة: «انتهت المهمة، على ما أعتقد».
في المقابل ابتسمت مارشا ابتسامة متجهمة. لقد أحبت حس الدعابة الذي تتمتع به داندرا. «بالتأكيد. تعالي معي إلى المطبخ يا داندرا؛ لنحتسي بعض القهوة».
«تناولي بعض القهوة... بعض القهوة..... المطبخ، يا داندرا. تعالي».
شعرت مارشا بأنها قد تُصاب بالجنون إذا ما واصلت الاستماع إلى صوت الشبح الثرثار للحظة واحدة إضافية. ثم اقتادت داندرا بشكل سريع عبر الغرفة وأغلقت الباب وراءها بإحكام.
عاد شبح جيلي دجين ليغوص بين وسائد الأريكة، وقد اعتلى وجهها ابتسامة رضا. جيلي دجين: واحد، مارشا أوفرستراند: صفر. ولا يزال لديها تسعة أشهر إضافية لتعزيز مهاراتها.
أصدرت مارشا تعليماتها إلى وعاء القهوة لإعداد، فنجانين بسكر ساخنين هذه المرة، وضعت داندرا شريطًا مبتورًا مصنوعًا

من الذهب على منضدة المكتب. ثم قالت: «لقد عثرت على هذا، أعتقد أنه الخاتم».

أمسكت مارشا الحلقة الذهبية الضعيفة بعناية، ومن ثم أخرجت **العدسة المكبرة** التي بحوزتها وفحصتها، ثم قالت: «يا إلهي، أعتقد أنه هو، إن به علامات تدل على وقوع أنشطة شيطانية مؤخرًا. و... آه، نعم... هنا، بوسعي رؤية آثار الرأسين». نظرت إلى أعلى وابتسمت للمرة الأولى في ذلك المساء.

«رائع يا داندرا. أين عثرت عليه؟»

ابتسمت داندرا وقالت: «محشور في أحذية أحد السحرة».

«حقًّا؟»

«لقد أتى إلى المستشفى وقدمه تعاني من قرحة؛ لذا نظرت في بداية الأمر إلى الحذاء، وكان هذا محشورًا به. ولا توجد أي مشاكل في قدمه». ثم هزت داندرا رأسها وقالت: «إنه كثير المشاكل كما تقولون؟»

قالت مارشا: «نعم، هذا بالضبط ما نطلق عليه». ثم ابتسمت ونظرت إلى الخاتم البائس والمشوه وفكرت في كيفية تحول هذا الخاتم، وفقًا للأسطورة، من خاتم قيم لدى إحدى الملكات ومع ذلك ظل طيلة تلك الفترة الطويلة محتويًا على مثل هذه الأشياء الشيطانية. شعرت مارشا بالحزن لأن هذا الخاتم سيضطر إلى الاحتفاظ بهما ثانية، بيد أنه سيكون أكثر أمنًا **إعادة حبس** ساحري

الخاتم في خاتمهم الأصلي، بدلًا من المخاطرة باستخدام واحدة من **القارورات الثلاثية** التي لم تُختبر بعد.

«أشكرك شكرًا جزيلًا يا داندرا. لحسن الحظ أنك عثرت عليه وأنك تمكنت من التعرف عليه». ثم تنهدت مارشا وقالت: «أعتقد أنه من المفيد أن أستعين بقليل من الحظ في الوقت الحالي».

ارتشفت داندرا فنجان القهوة القوية المحلاة، والتي أُعدت وفقًا لما تحب بالضبط. لقد كانت تأخذ مهمتها فيما يتعلق بتحمل مسئولية الاهتمام بصحة كافة السحرة الموجودين في البرج بجدية وفكرت في أن مارشا في حاجة إلى بعض الدعم. «هل شبحك، غير موجود هنا؟ أقصد الشبح اللطيف العجوز ذا المزحات البذيئة».

«أوه، ألثر؟ لا. هو بالخارج».

قالت داندرا: «إذن تمكثين بمفردك لفترة طويلة، هذا أمر غير جيد».

تنهدت مارشا وقالت: «هذا من الأمور الطبيعية والتي تحتمها طبيعة المواقف».

نظرت داندرا في ارتباك:

«وظيفتي. هذا جزء من وظيفتي».

«بيد أنك في حاجة للتحدث. جميع الناس في حاجة للتحدث».

لم ترد مارشا. لقد مرت فترة طويلة منذ أن اهتم بها أحد على هذا النحو لذا انتابها شعور بالتأثر.

قالت داندرا: «أنت قلقة حيال ساحري الخاتم».

أومأت مارشا برأسها.

«هل تعرفين كيف يمكنك إحضارهما إليك؟»

أبدت مارشا اهتمامها، وسألتها: «أتعلمين أنت؟»

«عليك العثور على آخر شخص ارتدى الخاتم. ثم تقومين بسجنه».

ابتسمت مارشا. لقد أحبت المنهجية البسيطة والمباشرة التي تبنتها داندرا.

تساءلت داندرا: «أنت تقومين بذلك، على ما أعتقد؟»

في الأحوال الطبيعية لم تكن مارشا لتأتمن ساحرة جديدة على تلك المعلومات الحساسة، بيد أنها شعرت بأنها يمكنها الوثوق في داندرا. «نعم. في حقيقة الأمر، هو في طريقه إلى هنا، الآن».

ابتسمت داندرا: «إذن سوف تصبح جميع الأمور على ما يرام. وسوف يعود ساحرا الخاتم لاستعادته لتقومي بالإمساك بهما، صحيح.؟»

«حسنًا، نعم. على الأقل، عندما تعود جينا - الأميرة جينا - إلى هنا».

تساءلت داندرا: «وماذا تنتظرين من الأميرة؟» كانت لداندرا خبرة سيئة بالأمور الملكية، حيث كانت خبرتها تنحصر في ثلاث من الأميرات المقاتلات، واللاتي قمن جميعًا على التوالي بفرض حصار على قريتها.

قالت مارشا: «هي الشخص الوحيد الذي يعلم **تعويذة الحبس**».

بدا على داندرا حالة من الفزع، ثم تساءلت: «وأنت لا تعلمينها؟»

قالت مارشا معترفة: «لا». وهي على علم بأن الاعتراف بذلك قد يُظهرها في مظهر عدم الكفاءة، لذا أسرعت في توضيح الأمر وقالت: «ولكن كما ترين، يا داندرا، هذا هو السبب وراء وجود المكتبة الهرمية. إنها مثل العقل الإضافي للساحرة العُظمى. ليس بوسعنا تذكر كل شيء، بيد أن ما نعرفه بالفعل هو مكان وجود الأشياء وكيفية الحصول عليها». ثم ابتسمت مارشا بأسى وقالت: «بيد أنه لا يمكن للساحرة العُظمى العثور على ما ليس موجودًا في هذه المكتبة».

تساءلت داندرا: «وهل **تعويذة الحبس** غير موجودة هناك؟»

قالت مارشا: «لم تعد موجودة، حيث قام بعض السحرة الأعظمين في الماضي **بإزالة** كميات ضخمة من المحتويات. ولم يكن حريصًا للغاية حيال كيفية القيام بالأمر». هزت مارشا رأسها

ثم قالت: «إنه لأمر مخزٍ. وقد اكتشفت بعد ظهيرة هذا اليوم امتداد **الإزالة** لتطال قسم المحتويات الغامضة القديمة وتنتزع بعض المعلومات الحساسة والثمينة للغاية».

أصيبت داندرا بالصدمة وتساءلت: «هل اكتشفت ذلك للتو فقط؟»

وكان بوسع مارشا أن ترى أن رأي داندرا فيها واحترامها لها في طريقه إلى التلاشي، ثم قالت: «حسنًا، نعم. بيد أننا لا نقوم بفتح سجلات الحفظ القديمة ما لم نضطر لذلك، إنها هشة للغاية. وبالطبع نقوم بفحص الفهارس من حين لآخر، وكانت **تعويذة الحبس** مدرجة في فهرس سجلات الحفظ باعتبارها موجودة».

«غير أنها غير موجودة؟»

هزت مارشا رأسها على نحو بائس وقالت: «لا. لقد اختفت. اختفت تمامًا. لذا فإن السجل الوحيد الذي نملكه الآن بحوزة الأميرة جينا».

«وهي غير موجودة هنا».

«لا. حسنًا، ليس بعد. هي في طريقها. أنا... لا أعلم فقط إذا ما كانت ستصل إلى هنا في الوقت المناسب أم لا».

صمتت داندرا لوهلة، ثم قالت: «صرت أعلم الآن السبب وراء القلق الذي يساورك».

قالت مارشا وقد انتابها شعور أسوأ بكثير: «أشكرك».

ثم ساد الصمت. أمعنت مارشا بعدها النظر في الساعة المعلقة على جدار المطبخ على هيئة مقلاة؛ وهي أحد كنوز ألثر القديمة. عادةً ما كان النظر إلى هذه الساعة يجعلها تشعر بشعور أفضل، بيد أنها لم تشعر بشيء في هذه الليلة، وقد انصب جُل تفكيرها الآن في أنها تقوم باستدراج الساحرين **الشيطانيين** للعودة إلى القلعة دون أن يكون بحوزتها أية وسائل لتدميرهما فور وصولهما.

وعند وصولهما، سوف تضطر للاعتماد بشكل كلي على نسخة **تعويذة الحبس** التي بحوزة جينا. ولم يكن ذلك هو الخيار الذي تفضل أي من الساحرات العظميات اللجوء إليه. فهي بهذه الطريقة تضع الجميع في خطر رهيب. لذلك وضعت مارشا رأسها بين يديها، وشعرت بخوف كبير.

وضعت داندرا ذراعها على كتفي مارشا وقالت: «الأمور بخير، نحن جميعًا هنا، معًا». أومأت مارشا برأسها، وأغمضت عينيها في محاولة للتخلص من الدموع لترى عقارب الساعة المقلاة المعلقة على جدار المطبخ قد تسللت إلى الثالثة، ثم قالت: «من الممكن ظهورهما الآن، هل ترغبين في الذهاب إلى موقع **المراقبة** برفقتي؟»

وكانت غرفة مارشا، التي استحوذت على الطابق العشرين من برج السحرة بأكمله، بها أربعة **مواقع جديدة للمراقبة**؛ موقع واحد على كل واجهة من واجهات البرج. توجهت هي وداندرا صوب

موقع المراقبة الجنوبي، وهو عبارة عن غرفة ضيقة وطويلة، مجاورة لغرفة نوم سبتيموس، تشبه الممر أكثر من كونها غرفة. وكانت الغرفة مظلمة ولكن الضوء كان يغمرها من خلال نافذة دائرية في نهايتها، وكانت النافذة شفافة وواضحة ولامعة للغاية فبدا لداندرا كما لو كان القمر بذاته جالسًا في نهاية الغرفة.

تبعت داندرا مارشا لدى دخولها إلى الغرفة، وبعد إغلاقها للباب خلفها خيم السكون على الغرفة تمامًا. لذا أسرعت مارشا إلى النافذة في نهاية الغرفة وأشارت لداندرا بالوقوف إلى جانبها. ولم يكن هناك شيء سوى الغرفة فقط.

أصيبت داندرا بالاندهاش لوضوح الرؤية من النافذة؛ حيث ركز الزجاج الشفاف على كافة التفاصيل وأظهر صورة ضخمة للمكان بالأسفل، الممتد من الغابة حتى إن داندرا كانت على يقين من أنها قادرة على رؤية كل ورقة شجر وكل فرع من الفروع التي تهتز في الرياح التي أخذت تعوي وتعصف بالقلعة حتى بعد الخندق المائي، الذي راحت تضربه الأمواج العنيفة فتشق سطحه المظلم، وبعيدًا نحو التواءات النهر الباردة المتجهة للأسفل صوب الميناء.

أُصيبت مارشا بالصدمة؛ حيث لم تدرك أنها ليلة عاصفة بهذه الطريقة. لذا رفعت يديها وأمسكت بهما في شكل مقعر فوق النافذة الشفافة، للتركيز على أبعد الالتواءات في النهر التي تخرج من رقعة الغابة. وكان يراودها الأمل في رؤية مركب نكو هناك،

وبداخله جينا في أمان. شاهدت داندرا المشهد وأصيبت بالانبهار، وهي ترى مارشا تضغط على يديها معًا ثم تباعد بينهما حتى يتسنى لهـا رؤية دائرة صغيرة من الزجاج من بينهما. وببطء قامت مارشـا بإبعـاد يديها عن بعضهما أكثر لترى بها داندرا وكانت صورة التواء النهـر تكبـر، حتى مـلأت النافـذة بأكملها. أسـدلت مارشـا يديها وحدقت هي وداندرا في تلك المسافة البعيدة.

قالت مارشا: «هناك! انظري!»

ولم يكن هناك شـيء أكثر من نقطة بيضـاء ضئيلة للغاية. ولكن عندمـا دققـت دانـدرا النظـر، كان بوسـعها أن تـرى شـراعًا لأحد المراكب، المائلة، والتي تتقاذفها الأمواج.

قالت داندرا: «أمواج ضخمة بالنسبة للنهر».

قالـت مارشـا: «إنـه لأمـر مروع، لـم يكن لـديَّ أدنـى فكرة أن الطقس سيئ لهذه الدرجة». انتفض جسدها وقامت بتكبير المشهد مجـددًا. لتصبـح الصـور غائمـة بعض الشـيء، ولكن مـن خلال الضباب كان بوسـعها أن ترى كلاًّ من جينا وسـايمون ملفوفين في دثارهما، بينما يقف نكو عند دفة السفينة، وكان يبدو عليه بوضوح الاسـتمتاع بكل لحظة تمـر عليه. راقبت مارشـا المركب الصغير، وانبهرت لتقدمه السـريع أثناء تراقصه في الميـاه؛ والواقع أن رؤية الثقـة التي يتمتع بها نكو جعلها تشـعر أنها أفضـل كثيرًا. ثم قالت: «سوف يكونون بخير، سوف يعود بهم نكو بأمان».

ثم قالت مارشا: «والآن هذا هو المركب، انظري، إنه قادم أيضًا».

كان هو بالفعل، حيث أطل شراعه الأبيض الكبير من المشهد. كان يسير بثقل وثبات في ذات الوقت، انجرف الزورق البحري حول الالتواء الذي طار نكو تقريبًا حوله. اعتقدت مارشا أنه لا بد أن نكو قد تخطاه. وتخيلت أنه يستمتع بالأمر كثيرًا. ابتسمت مارشا ونظرت عن كثب إلى الزورق البحري. رأت مارشا بريقًا خافتًا يحلق فوق المركب وعلمت أنه ألثر؛ كما لم ترَ في الزورق البحري بالأسفل شيئًا سوى الغطاء القماشيِّ المرفرف على منطقة الركاب. ولكنها كانت على يقين أنه ما دام ألثر هناك، فذلك يعني وجود كل من ميرين والممرضة حتمًا في المركب.

استدارت مارشا صوب داندرا وقالت باسمة: «هم في طريقهم جميعًا».

قالت داندرا: «أمر جيد، سأذهب الآن، وأنت اخلدي إلى النوم».

قالت مارشا بارتياب: «ربما».

غير أن مارشا نامت بالفعل. وبعد مرور ساعتين أيقظها المنبه فقامت على الفور. وبعد خمس دقائق، كانت تهز سبتيموس لإيقاظه. لم يكن هناك وقت لتضييعه.

كانت جميع الأجواء هادئة في البهو الكبير أسفل برج السحرة، في ذلك الضوء الأزرق الخافت المنبعث من **سحر** الصباح المبكر.

ترجل كل من مارشا وسبتيموس على الدرج- والذي كان لا يزال مضبوطاً على النظـام الليلـي - وسـارا باتجـاه الأبـواب الفضية الشـاهقة. وعند وصولهما، قامت الأرض بتحيتهما: *صباح الخير، أيتها السـاحرة العُظمى. صباح الخير، يا تلميذ السـاحرة العُظمى. إنه صباح جميل. كافة الأمور على ما يرام.* عبست مارشا بوجهها؛ حيث إن الأرض لا تعبر عن تفاؤلها إلا عندما تصبح الأمور سـيئة بالفعل.

كانت الرياح قد أدت إلى انقشاع السحب الممطرة فبدت سماء الفجر صافية، بلون أخضر شاحب لدى خروج مارشا وسبتيموس مـن بـرج السـحرة. وكان الطريق السـحري آمنًا ومهجـورًا - لولا وجـود بيتل وحيدًا، متدثرًا في ردائـه الكحلي اللون، منتظرًا خارج دار المخطوطـات. وعندما رأى مارشـا وسـبتيموس يخرجان من منطقة القوس العظيم، حياهما باقتضاب وأسرع للقائهما.

سار الثلاثة مسرعين أسفل الطريق، متنقلين بين الظلال الطويلة والحادة المتسـاقطة على الأحجار الصفـراء، والتي تقطعها أعمدة الضـوء الأصفـر أثنـاء وميضهـا الخاطـف مـن خـلال الفجـوات المتباعدة. وكانت الأرضية مناسبة؛ لقد كان صباحًا رائعًا بالتأكيد.

وقف الثلاثي خارج الواجهة المتهدمة للمبنى رقم سبعة وستين علـى الطريق السـحري - مكتـب لاري لخدمات ترجمـة اللغات الميتة - وأخذوا نفسًا عميقًا جماعيًا. مررت مارشا يدها على حافة

الباب ليستمع سبتيموس وبيتل إلى النقرات المتسارعة لسلسلة من الأقفال أثناء حل نفسها.

وهذا هو ما فعله لاري أيضًا.

وكان لاري قد استيقظ مبكرًا لترجمة لهجة محلية غامضة لا يتحدثها سوى ستة أشخاص كانوا يعيشون بجوار إحدى الواحات في الصحاري الساخنة والجافة الموجودة بالشرق. ولم يكن في أفضل حالاته المزاجية، بعد أن قضى ليلته في إزعاج بسبب الحشد الذي أطلق عليه لاري «الأشقياء المزعجين» الذين كانوا يقرعون على بابه حتى منتصف الليل. لذا عندما دفعت مارشا الباب بدفعة قوية، لم يكن لاري في أفضل حالاته.

ثم صرخ: «إيه!»

وما أثار غضب لاري الكبير، هو دخول مارشا، ومن ورائها موظفه السابق بيتل – وهو مَن عامله بازدراء في اليوم السابق – وتلميذ الساحرة العُظمى الذي يَدَّعي معرفة كل شيء.

سحب لاري أحد المقاعد –وهو أحد الأسلحة المفضلة لديه– وانطلق في طريقه للالتقاء بالمتطفلين. ثم أمرهم قائلًا: «اخرجوا!» وهو يلوح بالمقعد صوبهم كما لو كان أحد مروضي الأسود الذين يشعرون بالتقزز منها.

لـم تكن مارشـا مـن المعجبين بلاري، لذا قالـت: «بالتأكيد أيها السـيد الأحمـق، هذا ما سـوف تفعله أنـت بالضبـط. الخروج من هنا».

تساءل لاري وهو ماضٍ للأمام وبحوزته الكرسي قائلًا: «كيف تجرئين على ذلك؟»

كانت إجابة مارشـا سـريعة في شـكل وميض صغيـر أرجواني اللـون تحديـدًا. وعندما تلاشـى الوميض، كان لاري جالسًـا على المقعد خارج الباب وهو ينظر للداخل.

قالـت مارشـا: «يـا له مـن رجل وقـح!». وما إن هـم لاري بهز مقبض الباب قالت مارشا: «**إغلاق!**»

ليسـتجيب الباب لها. رفعت مارشـا صوتهـا ليعلو على صوت القرعات الغاضبة لقبضـات يد لاري على الباب. «والآن، يا بيتل، هلا أريتنا الطريق؟»

اقتـاد بيتل مارشـا عبر المحل ومـن خلال متاهة مـن الممرات الضيقة، والمصفوف على جانبيها أرفف تحمل أكوامًا متكدسة من الأوراق المتراصـة بشـكل فوضـوي. وفي نهاية المطـاف، توقف بيتـل بجانب إحدى الخزانـات التي انهار بابها وسـقطت الأوراق الموضوعـة عليـه علـى الأرض. ثـم سـحب سـتارة باليـة كريهـة الرائحـة، وفتـح مجموعة من الألواح المسـمرة التـي أطلق لاري

عليها بابًا وضربه ضربة عنيفة. تأرجح الباب وفُتح ليكشف عن فناء صغير ورطب مكتظ بالسحرة.

قالت مارشا في حالة مرح: «صباح الخير جميعًا».

جاء الرد الجماعي الحزين من الأربعة عشر ساحرًا الذين وقفوا في نوبة الحراسة طوال الليل: «صباح الخير يا سيدة مارشا».

تفقدت مارشا مجموعة السحرة القذرين والشُّعثاء المتجمعين حول كوخ خشبي آيل للسقوط في منتصف الفناء، مماثل تمامًا للمراحيض الموجودة في القلعة القديمة، أو بيوت الخلاء كما كانت تعرف بذلك. وقف السحرة، متشبعين بالماء بعد تلك الليلة الممطرة، وقد تجمهروا معًا مثل السرب الصغير من الأغنام الزرقاء التي ضلت طريقها بمفردها في أحد التلال التي تعصف بها الرياح. وقد انتشرت في الفناء الرائحة الموحشة للصوف المبلل.

تساءلت مارشا بنشاط: «أعتقد أنه لا يوجد شيء للإبلاغ عنه؟»

جاء الرد الجماعي الحزين: «لا يا سيدة مارشا».

خرج صوت شجاع من الخلف قائلًا: «هل بوسعنا الانصراف الآن؟ لقد تجمدنا من البرد».

قال الآخرون يوافقونه الرأي.

«متجمدون».

«نحن محطمون تمامًا وبالكلية».

«أعتقد أن أصابع قدمي قد سقطت من مكانها».

تنهدت مارشـا. ولـم يكن السـحرة على الحالـة التي اعتادوا أن يكونوا عليها، حيث كان بوسـعها أن ترى أنه لا فائدة من وجودهم علـى الإطـلاق فـي تلـك الحالـة، لـذا قالـت: «نعـم. بوسـعكم الانصراف. أشكركم شكرًا جزيلًا. أدرك أنها لم تكن أفضل الليالي المثيرة للعمل».

وفي خلفية من الهمهمات- سُـمع صوت يقول: «يمكنك قول ذلـك مجـددًا». «لقـد قضيت وقتًـا أمتـع عندما خلعت أسـناني». «للأسـف» «لقـد كان مضيعة للوقـت»، وذلك أثناء تسـلقهم أحد السـلالم التـي جلبوها بعدما رفض لاري الاسـتجابة لهم من وراء الباب، ثم تسـلقوا الجدار بجهد. ليعود بعدها السـحرة المشبعون بالماء إلى برج السحرة، وقد انتهت مهمتهم.

كما انتهت أيضًا مهمة بيتل في إرشـاد مارشـا إلى المنطقة التى يقـع بهـا منزل لاري، كما كان هناك مكان آخـر يرغب في الذهاب إليـه. لذا قـال: «أعتقد أنها سـتكون فكرة جيدة، إذا مـا ذهبت إلى رصيف الميناء بالقصر والتقيت بجينا».

قالت مارشا: «فكرة رائعة للغاية، أحضرها مباشرة إلى هنا».

تسـلق بيتل السـلالم وتخطى الجـدار. ليختفي بعدها، مسـرعًا نحو النهر، وكان يتحرق شوقًا للقاء جينا أكثر مما كان يتوقع.

***

حكت مارشا يديها معًا نظرًا لتلك البرودة التي اجتاحت الفناء البارد المظلم في ذلك الصباح الباكر. «حسنًا، يا سِبتيموس، دعنا نلق نظرة!» ثم قامت بحذر شديد بفتح باب الكوخ القديم المتهالك وأمعنت النظر بداخله. وقالت بصوت كبته الكوخ: «هذا ذكي، لم نكن لنفكر فيه على الإطلاق. فهو مجرد كنيف قديم بأرضية خشبية. بيد أنه، وعند النظر عن كثب، بوسعك رؤية باب سحري في الأرضية بأكملها».

خطت مارشا خطوة للخلف لتسمح لسبتيموس برؤيته.

ثم قالت: «علينا التأكد من انتهاء هذا الباب السحري حقًّا إلى مفر المهربين وأنه ليس مجرد مكان لإخفاء البضائع المهربة، أعتقد أن هناك القليل من تلك الأماكن حولنا، على ما يبدو. لذا أقترح رفع الباب السحري وإلقاء نظرة».

وبحذر شديد، قام سبتيموس بفك المسامير اللولبية ورفع الباب السحري لقليل من البوصات لتهب رائحة رطبة وعفنة. جثت مارشا على ركبتيها وأخرجت المصباح اليدوي الذي بحوزتها. وأضاءت به الفتحة لترى صفًّا من درجات السلم الضيقة المؤدية إلى الظلام. وعلى حين غرة، قامت بإطفاء المصباح اليدوي.

ثم همست: «هناك شيء ما قادم، يمكنني الشعور به».

وبحذر شديد، قام سبتيموس بإنزال الباب السحري مرة أخرى، ثم قال: «لقد أتوا بسرعة كبيرة».

وقفت مارشا، وأخذت تنفض الغبار عن ردائها، ثم قالت: «أنا متأسفة يا سِبتيموس، لا بد وأن ذلك يعني أن إرنولد وإدموند قد ..». ثم توقفت، وهي غير قادرة على التماسك لتتفوه بالمزيد.

قال سبتيموس لها: «**تم التهامهما**».

36

إلى القلعة

قالت مارشا: «علينا أن نستعد، أشك في أن جينا لن تتمكن من الحضور إلى هنا في الموعد المناسب. نحن في احتياج إلى الإبقاء على ما أقصده وتعرفه في المستشفى حتى وصولها».

تساءل سبتيموس: «هل نقوم بتغليفه؟».

«بالضبط، يتعين القيام بالأمر بحرص شديد. ليس بوسعنا المخاطرة بتكوين أي انشقاقات».

«إذن ليس بشكل سريع للغاية».

«بالتأكيد».

«بعمق متساوٍ».

«بالضبط. حوالي ثلاث بوصات إجمالًا».

«هذا سميك».

«إنها طاقة كبيرة سيتم الإبقاء عليها في المستشفى يا سِبتيموس، علينا التأكد من ذلك».

«تمام، هل أقوم بقياس المسافة؟».

قالت مارشا: «نعم»، وأخرجت زاوية القياس من جيبها وقامت بقيـاس ارتفـاع الكوخ بسـرعة. ثـم قالت: «سـبعة، فاصلـة ثمانية وخمسين مكررًا».

قال سبتيموس: «إذن محيطه يساوي ثلاثة عشر بالضبط».

قالت مارشا: «صحيح، لنقم بهذا الأمر على أفضل ما يكون!».

ثم أجرت مارشـا بعض الحسابات السـريعة وقالت: «حسنًا ، الآن يا سِبتيموس سوف أكون في حاجة إلى أن تقوم بـ ...».

خرح صوت لاري قائلًا: «لقد أمسكت بكما!» وقد أطل بوجهه الغاضـب مـن أعلى قمة الجـدار. ثم أضاف: «كيـف تجرئين على إخراجي من منزلي، أنت أيتها الساحرة العجوز المتطفلة!».

وقف شعر مارشا.

كان لاري يطـأ بقدميه أرضًا خطيرة، بيد أنـه من الواضح أنه لم يكن يعبأ بالأمر، ثم صرخ قائلًا: «اخرجا من سـاحة منزلي! أم هل

يتعين عليَّ القدوم إليكما وإخراجكما بنفسي؟» تذبذب لاري، أو على الأرجح السلم الموجود في حديقته، في سخط.

قالت مارشا ببرود شديد: «إذا كنت ترغب في الحفاظ على سلامتك الشخصية، فإنني أقترح عليك عدم القيام بذلك».

سألها لاري: «هل هذا تهديد موجه إليَّ؟ لأنك إن كنت...».

وخرج صوت قرقعة مرتفعة نتيجة انشطار الخشب، ليختفي بعدها لاري عن الأنظار.

قالت مارشا: «لا تثق في السلالم الخشبية أبدًا، والآن هيا بنا نمضي، أخشى مجرد التفكير في مدى قربهما منا».

وبعد مرور مائة وثمانين ثانية، اتخذ كوخ الكنيف مظهرًا مختلفًا للغاية. لقد أصبح تكسوه قشرة متوهجة من الضوء الأرجواني، والتي أخذت تتصلب ببطء، مثل الشرنقة. نظر سبتيموس إليها وقد أسره المنظر؛ حيث لم يرَ أبدًا من قبل عملية تغليف حقيقية. لقد كان نوعًا من أنواع السحر التي يصعب استيعابها وتطبيقها على النحو الصحيح. وكان سبتيموس قد مارس هذا النوع على قليل من الأشياء الصغيرة، بيد أن الأغشية كانت تنهار مثل البالون أو ينتهي بها الأمر إلى ما يشبه كتلة كبيرة مثل البطاطس القديمة. ولكن مارشا قامت بعمل ممتاز، حيث غطت الكوخ بطبقة متساوية وناعمة، وعندما بدأت في التصلب والتيبس، أخذت تفقد بريقها الأرجواني شيئًا فشيئًا لتتحول إلى لون أزرق رقيق. وسرعان ما

سيتلاشى اللون تاركًا مادة شفافة مثل الزجاج لتغطية المبنى بأكمله، وهو ما يشكل عائقًا لا يمكن تجاوزه، ولا يمكن حتى للأشباح المرور من خلاله.

بيد أنه وحتى يتلاشى اللون بأكمله، يمكن اختراق **الأغشية**. لقد كانت تلك فترة عصيبة. وتحسبًا لذلك، وضعت مارشا سبتيموس عند مؤخرة الكوخ الصغير؛ لتراقب مقدمة الكوخ بنفسها.

وعلى حين غرة، سُمع صوت لهاث من وراء الكوخ: «هناك شيء ما... قادم عبر ...».

وانتابت مارشا حالة من الخوف. وسارعت بالالتفات إلى سبتيموس في الوقت المناسب لترى شبحًا طويلًا أرجواني اللون يدفع نفسه للمرور من خلال **الأغشية المتصلبة**.

أصيبت مارشا بارتياح كبير. ثم همهمت قائلة: «إنه ساحر أعظم قديم، يا له من... أمر غريب للغاية!».

خرج شخص أنيق، وقد رُبط شعره الرمادي القصير بعقال رأس خاص بالسحرة الأعظمين من الطراز القديم، بينما توحي ملامحه الهزيلة والحادة، وأنفه المنقاري بأنه أحد الطيور الجارحة الهزيلة.

قال سبتيموس: «إنه جوليوس بايك!».

قالت مارشا: «هذا توقيت جيد للغاية».

قام جوليوس بايـك بتعديل هندامه بعد ذلك الاختراق المزعج عبر مؤخرة الكوخ، متعجبًا من السـبب وراء قيام شخص ما بوضع الباب على الجانب الآخر من المكان الذي دائمًا ما كان يوجد فيه، ومع اختراقه فقدت الكبسولة آخر درجة من درجات اللون الأزرق وأصبحت شـفافة تمامًا. ابتسـمت مارشـا. لن يخرج أي شيء من هناك بعد الآن.

انحنى جوليوس أمام مارشـا على نحو رسمي عتيق الطراز، ثم قـال: «أيتهـا السـاحرة العُظمى، سـامحيني على تطفلـي على أكثر أعمالـك السـحرية تميزًا، آسـف لمقاطعـة الـدورة التعليمية التي تقومين بها».

قالت مارشـا: «لسـت بحاجة إلى تقديم الاعتذارات، أؤكد لك ذلك».

وكان مـن بيـن التقاليـد السـائدة بيـن السـحرة الأعظميـن عند الالتقاء بشـبح أحد السـحرة الأعظمين للمرة الأولى (دون اعتبار التجمعـات) أن يقـوم الأحيـاء بتقديـم أنفسـهم، وأن يطمئنـوا، ياللغرابـة، على صحة الشـبح. والآن بعد ذهاب التهديد المباشـر، واصلت مارشـا تقديم نفسها ثم سبتيموس ليوقفها شبح جوليوس بايك قائلاً: «لسـت بحاجـة لذلك، أيتها السـاحرة العُظمى؛ حيث التقينا أنا وسبتيموس من قبل في فترة زمنية أخرى في أثناء حياتي».

ثم ابتسم الشبح في تعاطف في وجه سـبتيمـوس وقال: «أنا سعيد

للغايـة أن أراك آمنًا هنا أيهـا التلميذ، وأود أن أقول إنه عندما التقينا مـن قبل لـم أكن على دراية بما حدث لك. وقد افترضت فقط أنك مجرد تلميذ كيميائي آخر من التلامذة الذين أقل ما يقال عنهم إنهم مختلّـون». ثـم استدار الشبح صوب مارشا وقـال: «كان مارســيلـوس بـاي في ذلك التوقيــت صديقي الـعزيــز، بيد أن هناك بعض الأشياء التي كان يقوم بها ولا أؤيدها».

قالت مارشا: «حقًّا؟».

«كان اختطـاف أحـد الأولاد مـن فتـرة زمنية أخـرى أحد تلك الأمور».

قالت مارشـا: «تمامًا». كانت كل كلمة يتفوه بها الشـبح تزيدها إعجابًا به، ثـم سألته: «أعتقد أنك بخير، أليس كذلك؟».

أجابها جوليوس إجابة قياسـية: «أنا بخير كسـائر الأشباح». ثـم واصل الشـبح حديثه: «لقد أتيت لإنـذارك» -ومثله مثل جميع من يتحدث حيال سـاحرى الخاتم، قـام بخفض صوته حتى الهمس- «ساحرا السحر الأسود الأكثر شيطنةً وقذارة، هما في هذه اللحظة، في طريقهما للوصول إلى القلعة من خلال المفر. من حسن الطالع أن يقـع اختيارك على هذا المكان بالتحديد لتلقي الدورة التعليمية حول الكبسولة هنا».

قالت مارشـا: «الأمـر ليس له أدنى علاقة بالحـظ، إنه عن عمدٍ تام».

«أها. أنت على علم بالأمر. إذًا هل العقرب الذي يتعقبهما تابع لك؟».

قال سبتيموس: «نعم، إنه تابع لي بالفعل».

ذهل جوليوس وقال: «حسنًا، حسنًا». ثم اتجه صوب مارشا وقال: «أيتها الساحرة العُظمى، هذان الساحران الشيطانيان هما من الخاتم ذي الوجهين، وهو ما نعلمه منذ زمن. وفي ساعات الصباح الأولى شعرت بتوجههما إلى القلعة؛ ولذا فقد أتيت إليك لأحذرك».

قالت مارشا: «نحن على علم بالأمر». وبعد أن شعرت بأنها كانت فظة معه قالت: «لكن أشكرك. أقدر اهتمامك بشكل كبير».

وكان هناك شيء ما اضطر سبتيموس للسؤال عنه: «كيف بدا الساحران؟».

قال جوليوس بايك: «إنه لأمر محزن للغاية، أن يسكنا اثنين من المتشردين، على الأرجح أنهما قد عثرا عليهما في أحد الخنادق. السحر الأسود لا يعرف الشفقة بـ... ».

قاطعته مارشا متسائلة: «ما هو الوقت المتبقي لدينا؟».

لقد تخطيتهما عن طريق استخدام مكان قديم للمرور عبر المفر منذ حوالي ساعتين، بيد أن الاثنين المتشردين يتم دفعهما للأمام على نحو سريع بلا رحمة. أعتقد أن أمامهما ساعة».

أصيبت مارشا بالفزع وقالت: «ساعة! اذهب يا سِبتيموس! وبمجرد وصول جينا أحضرها إلى هنا. يجب ألا يكون هناك أي تأخير. لا تأخير على الإطلاق. أسرع، أسرع!».

كان سبتيموس قد وصل إلى منتصف السلم الخشبي، وعندئذ أدرك أن ترك مارشا بمفردها مع جوليوس ليس بفكرة جيدة. وكان على يقين إلى حد ما من معرفته بمارشا بأن جوليوس بايك كان ساحرًا أعظم في وقت حدوث الكارثة الكيميائية الكبرى. ولن يستغرق الأمر طويلًا حتى تبدأ مارشا بطرح كثير من الأسئلة الغريبة على الشبح، وما من شك في أنها ستحصل على إجابات أغرب. وأصبح سبتيموس الآن يشارك مارسيلوس الرأي في أن مارشا سوف تقوم بإخماد النار، حتى في تلك المرحلة المتأخرة، في حال معرفتها بها. كان قد عرف من مارسيلوس كذلك أن جوليوس هو من قام بإخمادها في السابق. لم يكن من الأمان ترك شبح جوليوس بايك بمفرده مع مارشا.

نظر سبتيموس إلى الأسفل من أعلى السلم الخشبي وقال: «إمم. مارشا! لم لا يرافقني جوليوس؟».

تساءلت مارشا: «وما السبب؟».

شعر سبتيموس بالسوء لما كان سيقوله، بيد أنه أخبر نفسه أن تلك هي الحقيقة بالفعل، حيث قال: «سأشعر بمزيد من السعادة، هذا كل ما في الأمر. الأمر يصعب شرحه».

ولم تسمع مارشا سبتيموس أبدًا يتحدث بتلك الطريقة من قبل، وهو ما أثار قلقها.

قالت مارشا: «نعم، بالطبع. الآن أسرع، أسرع!» راقبت مارشا سبتيموس وهو يتسلق الجدار ويهبط من الجانب الآخر، متحاشيًا السلم المكسور، وقد تبعه جوليوس بايك، والذي كان قد قام بنفس الأمر حينما كان تلميذًا. وبعد أن أصبحت بمفردها في الفناء الخلفي، أُصيبت مارشا بالقلق. كانت تكره الانتظار، بيد أنها ليس لديها شيء آخر للقيام به.

أسرع كل من سبتيموس وشبح جوليوس بايك على طول الطريق السحري باتجاه القصر. شعر سبتيموس بدفء حرارة الشمس وزقزقة الطيور في فصل الربيع وهو ما أدى إلى ارتفاع روحه المعنوية: عما قريب سيعود كل شيء إلى طبيعته. ولم يكن لديه أدنى شك في أن الساحرين لن يتمكنا من اختراق تلك **الكبسولة** السحرية قبل وصول جينا إلى هناك. كل ما يتوجب عليها فعله هو نطق **تعويذة الحبس** -وهو ولا شك ما تدربت عليه جينا تمامًا طوال الليل- ثم يعود الساحرون إلى الخاتم ويصبح بوسع مارسيلوس **تغيير طبيعته في النار**. فكر في أن كل ذلك من الممكن أن يحدث في يوم واحد، وكم كان حقًّا يتطلع إلى رؤية مارشا مع **النار**.

سيكون من الرائع أن يطلعها على كافة الأسرار. أعاد سبتيموس إلى ذهنه التفكير في أرنولد وإدموند. وحينئذ لم تكن لديه رغبة في التفكير في ذلك.

توجها عبر مروج القصر الخضراء باتجاه رصيف ميناء القصر، حيث رأى سبتيموس سارة وسايلاس وبيتل في انتظار جينا. كان بيتل وسايلاس يظللان على أعينهما من أشعة الشمس المتوهجة، بينما كانت سارة تقفز لأعلى وأسفل وتلوح بيديها. وعلم سبتيموس أن قارب نكو لا بد أن يكون على مرمى البصر؛ لذا أسرع في آخر مائة ياردة باتجاهه، إلى ساحة الرسو، ورأى مركب إمدادات جانيت مارتن يتسارع نحوه، وهو يتراقص فوق المياه اللامعة. كان نكو يبدو كما لو كانت الرياح قد عصفت به، بيد أنه كان يبتسم أمام الدفة، بينما كانت جينا وسايمون ينحنيان ويلوحان بأيديهما.

استدار سبتيموس إلى جوليوس ونظر إليه في ارتياح ثم قال: «لقد عادت جينا، ستكون الأمور على ما يرام».

ونظرًا لعدم اهتمامه بسلامة الملوك، راح الشبح يمعن النظر صوب بيتل، ثم تساءل: «لماذا لا يتواجد رئيس الكتبة السحريين في دار المخطوطات؟».

تذكر سبتيموس أنه من المعروف عن جوليوس بايك أنه كان صارمًا فيما يتعلق باتباع البروتوكول. وحينئذٍ بدا الأمر في غير

محله بعض الشيء. قال سبتيموس رافعًا صوته من أجل إشراك بيتل في المحادثة: «لا يتعين على رئيس الكتبة السحريين التواجد دومًا في دار المخطوطات، أليس كذلك يا بيتل؟».

أدار بيتل وجهه ليرى شبح الساحر الأعظم غير المألوف يقترب منه. وكانت آداب اللقاء للمرة الأولى تسري كذلك على رئيس الكتبة السحريين. لذا انحنى بيتل في أدب جمٍّ، ثم قال: «أوه، بيتل، رئيس الكتبة السحريين تحت خدمتك، أيها الساحر الأعظم».

قال الشبح بلا صبر: «جوليوس بايك في خدمتك».

تساءل بيتل: «هل أنت بخير؟».

همهم جوليوس قائلًا: «بخير -أوه، بحق السماء! أنا بخير- من حالك ومن حال جميع الموجودين إن لم تعد إلى دار المخطوطات الآن».

بدت على بيتل الصدمة وقال: «ماذا؟».

«يا رئيس الكتبة السحريين، حقًّا أنا لا أعلم ما الذي تفكر في القيام به، بترك المخرج الرئيسي من المفر دون إشراف منك شخصيًّا في مثل هذا التوقيت».

أصيب بيتل بالاندهاش وتساءل: «المخرج الرئيسي؟ في دار المخطوطات؟».

انفجر جوليوس قائلًا: «وأين سيكون غير ذلك؟».

قـال بيتـل متلعثمًا: «أنا .. فـي الفناء الخلفي لمنزل رقم سـبعة وستين».

تسـاءل الشـبح بانتقاد عنيف: «هل يبدو كـوخ الكنيف مخرجًا رئيسيًّا بالنسبة لك؟».

«لا... لكـن... أوه، أيـن هـو؟ أقصـد أيـن هـو فـي دار المخطوطات؟».

كان جوليـوس بايـك مصدومًـا؛ لأنـه لا علم لأحـد بالمخرج الرئيسي. ثم قال: «هناك باب سحري في مؤخرة السراديب».

تساءل بيتل: «أين؟».

قال جوليوس: «سوف أريك المكان، ليس لدينا وقت لنضيعه».



37
المخارج

أطل فوكسي المضطرب برأسه عبر باب دار المخطوطات حيث كان **قفل الإغلاق** يُخيفه حقًّا.

ثم حرك فمه دون أن يخرج منه أي صوت: «*كلمة المرور؟*» تحدث بيتل في أنبوب التحدث الخفي هامسًا بكلمة المرور عبر المكتب الأمامي. قام فوكسي وهو لا يزال يرتجف، **بفتح قفل الباب** مُفسحًا المجال أمام رئيسه بالدخول، ومعه الأميرة الشعثاء وشبح لساحر أعظم غير معروف.

قالت جينا: «أهلًا بك يا فوكسي»، ثم قالت: «ماريسا، ماذا تفعلين هنا؟»".

هزت ماريسا كتفيها في لا مبالاة، وقالت: «أوه، كما تعلمين. بعض الأمور. مثل انتظار بيتل». ثم قهقهت وقالت: «أهلًا وسهلًا يا بيتل».

شعرت جينا بالسرور؛ لأن بيتل لم تبدُ عليه السعادة الغامرة لرؤية ماريسا على وجه التحديد.

سأل بيتل في قلق: «أهلًا ماريسا. ها، يا فوكسي، هل الأمور على ما يرام؟».

لم يكن فوكسي على اعتقاد بأن كافة الأمور تسير على ما يرام على الإطلاق، بيد أنه كان على علم بما قصده رئيسه، لذا قال: «إمم، تمام».

قال بيتل أثناء تخطيه لماريسا: «لقد فقدنا أحد المخارج، علينا العثور عليه الآن».

قال فوكسي: «بيد أننا **أغلقنا** كافة المخارج المشار إليها في الكتاب، بأمانة».

قال بيتل: «لم يُشَرْ إليه في الكتاب، لم أكن على علم بهذا المدخل عندما قمت بكتابة البروتوكول».

قالت ماريسا: «يا خبر».

توقف بيتل عند الباب المؤدي إلى دار المخطوطات من المكتب الأمامي. ثم تساءل: «هل أنت بخير يا جينا؟ من الأفضل النزول مباشرة من هنا».

قالت ماريسا: «ها، هل بوسعي المجيء؟».

قال بيتل وهو يسرع مع جينا نحو دار المخطوطات: «لا».

دفعت ماريسا فوكسي وهرعت في أعقاب بيتل: «أوه، أنا خلفكما».

انطلق بيتل بين صفوف من المكاتب الطويلة ووراءه جينا وماريسا وفوكسي وشبح جوليوس بايك الذي ازداد قلقه.

قال الشبح: «أيتها الأميرة، يا رئيس الكتبة السحريين، أنتما تعرضان أنفسكما لخطر محدق. علينا انتظار الساحرة العُظمى».

قالت ماريسا: «بوسعي الذهاب مع بيتل بدلًا منها، يمكن لجينا العودة إلى المنزل. بوسعي القيام بسهولة بأي شيء مهما يكن. أليس كذلك يا بيتل؟».

قال بيتل وجينا معًا: «لا».

وما أثار اندهاش الجميع هو أن الشبح المستشيط غضبًا استدار على حين غرة جهة اليمين وشرع في المرور عبر صف من المكاتب. في أيام جوليوس، كانت المكاتب مرتبة على نحو مختلف وكان مجبرًا على السير عبر الممرات القديمة. ثم نادى، وقد غير اتجاهه، مسرعًا بعيدًا عنهم: «يا أيتها الأميرة، عليك الانتظار!».

وصل كل من بيتل وجينا وماريسا إلى الباب الخفي في خزانة الكتب الموجودة في مؤخرة دار المخطوطات ليخرج الشبح مهمهمًا من أحد المكاتب المجاورة.

قال جوليوس: «أيتها الأميرة، اسمعيني، أتوسل إليك. إنهم يكتسبون المزيد من القوة مع كل ثانية تمر. لقد أخبرني سبتيموس بأنك تمكنتِ من النجاة في إحدى المواجهات، وهو ما يعني أنك كنت محظوظة للغاية، لكن لا تتوقعي النجاة في مواجهة أخرى. هذه المرة من غير المحتمل أن يقفوا مكتوفي الأيدي يستمعون إليك في أدب».

تردد بيتل. لم يفكر في ذلك. ونظر إلى جينا ثم قال: «ربما ينبغي علينا انتظار مارشا».

قالت جينا: «لا! هذه هي فرصتنا الوحيدة. إذا ما أسرعنا، فبوسعنا انتظارهما عند خروجهما من المفر وبإمكاننا مفاجأتهما. على أي حال، لدي **تميمة الحماية**». فتحت جينا يديها لتظهر **تميمة الدرع** التي كانت مارشا قد أعطتها إياها منذ فترة، ثم ابتسمت وقالت: «لقد قامت بدورها حتى الآن».

تذمر جوليوس بايك وقال في حزم: «ماذا تفعل قطعة الجليد الصغيرة تلك في فرن متأجج؟!».

تقمصت جينا ما تعتقد أنه صوت الملكات وقالت بنبرة حاسمة: «يا جوليوس، أرفض مناقشة هذا الأمر بعد الآن. إنه من واجبي القيام بما أستطيع لحماية القلعة. هيا بنا يا بيتل».

«صحيح. يا فوكسو، اذهب إلى المكتب الأمامي. لقد ذهب سبتيموس لإحضار مارشا. عند وصولهما، أحضرهما إلى السراديب. بسرعة!».

«تمام، أيها الرئيس».

شاهدت ماريسا الباب الخفي في أرفف الكتاب ينغلق بصوت نقير هادئ بعد دخول بيتل وجينا والشبح. تبعت فوكسي في تذمر في طريقهما للعودة إلى المكتب الأمامي، وألقت نفسها بقوة في المقعد الكبير الموجود بجانب المكتب وأخذت تكتب بعض الكلمات البذيئة في دفتر اليوميات. أصيبت ماريسا بانزعاج كبير. لقد قضت أكثر الليالي مللًا مع مجموعة من الحمقى، فقط ليعاملها بيتل بازدراء. أملت أن تكون **تميمة الحماية** الحمقاء التي بحوزة جينا مجرد هراء؛ فسوف يصب ذلك في مصلحتها.

ذهب فوكسي، الذي كان خائفًا بعض الشيء من ماريسا، إلى الباب الأمامي ودقق النظر بقلق صوب الطريق السحري. وقد رأى مجموعة من تلامذة الطباعة المسرعين للذهاب إلى عملهم. ألصق فوكسي أنفه الطويل في زجاج الباب ليبدو شكله غريبًا.

ورد فوكسي مجاملتهم. بدا كل شيء بالخارج طبيعيًّا للغاية، وكان صباحًا رائعًا. ظن أن الأمور لا يمكن أن تسير على نحو سيء مع إشراقة شمس الربيع وتوهجها على هذا النحو.

بيد أن جوليوس كان أعلم بالأمر. وبينما كان بيتل يقود الطريق أسفل الممر المنحدر للغاية المؤدي إلى السراديب، ومضت الشموع أثناء ركضه هو وجينا بجوارها، وهو ما زاد انزعاج وقلق جوليوس، حيث كانت الأميرة تتجه صوب موت محقق وكان ذلك نتيجة خطئه هو. كان ينبغي عليه العودة وإخبار الساحرة العُظمى بأنهم قد أغفلوا المخرج الرئيسي، بدلًا من إفشاء ذلك - من غير تفكير - لمراهقين مندفعين مثل الأميرة ورئيس الكتبة السحريين. والآن كان المراهقان المتهوران يندفعان بسرعة أسفل النفق باتجاه السراديب دون أن يساورهما أي قلق وكأنهما كانا متأخرين على تناول وجبة الغداء.

لم ييئس جوليوس وقال: «توقفا، توقفا!» فيما اندفع بطول الالتواءات المنحنية في النفق المتجه إلى الأسفل بشكل حاد. بيد أن أيًّا من جينا وبيتل لم يعيراه أي اهتمام. فكر جوليوس في أن التحول إلى شبح يكون محبطًا للغاية في بعض الأحيان. وكان يريد التقدم للأمام بسرعة كي يسد النفق ويطلب منهما التصرف بطريقة منطقية، بيد أنه لم يكن بوسعه القيام بشيء سوى التوسل إليهما أن يتوقفا.

وصل كل من جينا وبيتل إلى درجات سلم الهروب الطويلة شديدة الانحدار والمؤدية إلى السراديب. ارتفعت آمال جوليوس عندما رأى رئيس الكتبة السحريين يتوقف للحظة. ربما أدرك، في نهاية المطاف، أنه سيكون عليه التصرف بعقلانية. لكن سرعان ما امتعض جوليوس، عندما وجد أن بيتل قد مد يده للإمساك بيد الأميرة، لاقتيادها أسفل درجات السلم، إلى قدرها المحتوم، هذا هو ما كان الشبح قد تيقن منه.

كان الباب القديم المؤدي إلى السراديب، بألواحه الكبيرة المصنوعة من خشب البلوط والمرصَّع بالمسامير، في أسفل درجات السلم. شعر جوليوس بالارتياح عندما وجد الباب موصدًا تمامًا. وبمجرد وصول جينا وبيتل إليه، توسل جوليوس إليهما للمرة الأخيرة.

«أيتها الأميرة، غادري الآن، أتوسل إليك!».

استدارت جينا نحوه في غضب، كان الشبح يحول دون تركيزها على **تعويذة الحبس**، لذا قالت له: «فقط اصمت، واذهب بعيدًا عنِّي».

بدت على جوليوس بايك حالة من الذعر. لقد أصابته أخلاقيات الشباب بصدمة، لم يكن بوسع الأميرات التحدث بهذه الطريقة مع أحد السحرة الأعظمين في زمنه لا سيما مع الأشباح. دائمًا ما كانت الأشباح تحظى بالاحترام. لا عجب في أن القلعة صارت

على هـذه الحالة من الفوضى. ثم شـاهد رئيس الكتبة السـحريين يضغـط على يد الأميرة وينظر لها نظرة تشـجيع. لتدفع جينا الباب المؤدي إلى السراديب فاتحة إياه.

صرخت الأميرة!

كان أرنولـد وإدمونـد واقفيـن خلف البـاب، وكأنهمـا كانا في انتظارهـا. وقـد وقفا محطمين بائسـين بثيـاب رثة وعيـون جوفاء وعلامـات الكدمـات واللكمات علـى وجهيهما، وكانا يمسـكان ببعضهمـا التماسًـا للدعم. ومـن يدري، ما الذي شـعر به التوءمان هيب في تلك اللحظة! لقد مرت الآن ثمانٍ وثلاثون سـاعة منذ أن **سكنهما** هذان الساحران، وقد أُجبرا خلال تلك الفترة الزمنية على الركـض إلـى الميناء والعـودة من خـلال أكثر البقـاع والتضاريس قسـوة. وقد أفاد الأشـخاص القليلون للغاية الذين تـم إنقاذهم من **السكن المؤدي للهلاك** –وهو السكن المصمم للوصول إلى هلاك الجسـد وإنهاكه بـدلًا من مجرد الاسـتخدام المتواصـل –بوجود لحظـة ما يعي فيها العقل أنه على حافة الاحتلال الكامل، لذا يقوم بوقفة أخيرة ويائسة ضد من يجتاح جسده.

وهـي تلك اللحظة التي توصل إليهـا إدموند وأرنولد. حيث إن منظر قيام جينا بفتح الباب جعلهما يستعيدان ذكريات رؤيتها للمرة الأولـى فـي القصر، وهكذا تمـردًا للمرة الأخيـرة. والآن، ولبضع لحظات بائسة، استطاعا أن يلتمسا القوة لقتال ساحرى الخاتم.

راقب شبح جوليوس بايك- في حالة من الاندهاش- وقد وقفت جينا في موقعها في المقدمة أمام المشردين اللذين يبدو عليهما اليأس. وأدرك الآن أنهما توءمان متماثلان؛ شخصان تعيسان ومنهكان يحاربان بشجاعة من أجل البقاء أمام اثنين من سحرة **السحر الأسود**. وشاهد الشبح جينا أثناء انتزاعها الحلقة الذهبية من رأسها ومدها يديها بها إلى الرجلين، وهو في حالة من الرعب. انتظر جوليوس انقضاض ساحرى **السحر الأسود** عليها في أي لحظة، بالتأكيد لن يسمحا بتفويت تلك الفرصة للقضاء على الأميرة وتدميرها. بيد أنهما لم يتمكنا من ذلك، نظرًا لصمود ضحاياهما بطريقة أو بأخرى. رأى جوليوس الرجلين أثناء قيامهما بلفِّ ذراعيهما على كتفي بعضهما وهما يمعنان النظر صوب جينا كما لو كانت لديهما الرغبة في دفعها للاستعداد.

وهكذا، نظرت جينا بعمق في عيني عمَّيها، وشرعت في تلاوة **تعويذة الحبس**.

انبهر جوليوس من أدائها؛ لقد تدفقت الكلمات بسهولة وطلاقة، وأثناء مضي جينا في كلماتها، شعر كل من الشبح وبيتل بأن الزمن يتباطأ. ولم يجرؤ أي منهما على الحركة. أخذا يراقبان جينا وهي في حالة سكون تام، وقد صبت كل تركيزها على الكلمات التي تتفوه بها. كما كان التوءمان هيب أيضًا ثابتين في مكانهما، يحاول كل منهما التمسك بعقله والإبقاء على آخر

لمحات الوعي من أجل إطالة الصمود أمام ساحرى الخاتم لمزيد من الثواني القليلة الغالية. بيد أن السكون أخفى التوتر الكبير بين القوى المتصارعة، المتوازنة تمامًا في تلك اللحظة، تمامًا مثل الحبل ما بين فرقتين متناحرتين، الذي يصبح ساكنًا فقط نظرًا لتساوي الفريقين في القوة.

لم يكن جوليوس على علم بالكلمات المحددة الخاصة **بتعويذة الحبس**، بيد أنه كان على علم بالنمط الذي سلكته **التعويذات** القديمة، وكان بوسعه أن يقول إن جينا في طريقها إلى النهاية الآن، بيد أنه كان بوسعه هو وبيتل أن يقولا إن التوءمين كانا على وشك الانهيار. وفي سكون حثًّا جينا على المواصلة، بينما كان جوليوس في انتظار سماع **الكلمة الرئيسية** التي تشير إلى بداية نهاية **تعويذة الحبس** لينتهي الأمر بالساحرين وقد خارت قواهما. وكان شبح الساحر الأعظم على علم بجميع **الكلمات الرئيسية** الممكنة، وبحالة من القلق المتزايد، انتظر سماع أي منها.

وفجأة توقفت جينا عن الكلام. انتظر جوليوس أن تواصل الحديث؛ حيث كان من الخطورة بمكان التوقف لفترة طويلة. بيد أن جينا ظلت صامتة ليدرك جوليوس في حالة من الذعر أن جينا كانت تعتقد أنها انتهت من تلاوة التعويذة.

بدأت أعين التوءمين هيب في الدوران من مكان لآخر.

انتظرت جينا أن تعمل **تعويذة الحبس**.

بدأ التوءمان هيب في إحكام قبضتهما.

لم يعد بوسع جوليوس بايك تحمل المزيد، لذا صرخ: «اركضا! أتوسل إليكما، اركضا!».

أمسك بيتل بيد جينا وسحبها بعيدًا. بدت جينا مصدومة تمامًا. لم يفلح ذلك، لم تنجح في الأمر. ولكن لماذا؟ لقد تذكرت كل كلمة من كلمات التعويذة بشكل صحيح. وهي على يقين من أنها فعلت ذلك.

على صوت التأوهات المنبعثة من إدموند وأرنولد، انطلق بيتل وجينا يصعدان درجات السلم التي بدت وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية. لقد كان الأمر يشبه كابوسًا من كوابيس بيتل. لذا ركض بأسرع ما يمكن، وهو على علم بأنه هو وجينا في مرمى أنظار السحرة بشكل كامل، وهو ما يجعل منهما أسهل هدف يمكنهم الوصول إليه. توقع في أي لحظة من اللحظات، أن يسقطا بفعل وميض البرق أو ما هو أسوأ منه. وواصلا الركض لأعلى، حتى وصلا إلى القمة، ووقفا عند الزاوية وهما غير قادرين على التنفس أمام الجدار.

تحدثت جينا لاهثةً: «أريد التنفس...». قالتها وهي تعيد وضع الحلقة التي بحوزتها على رأسها مرة أخرى.

أومأ بيتل برأسه، وهو غير قادر على النطق. لقد كان يعاني من ألم حاد للغاية في جنبه. وفيما كان يكافح من أجل التقاط أنفاسه، كانت جينا تمعن النظر حول الزاوية. ثم استدارت بوجهها وهي تبتسم، فيما مدت يدها وقامت بحركات كماشة بيديها.

هناك في أسفل المدخل، قام عقرب عملاق باحتجاز إدموند وأرنولد بمخلبيه؛ وبجوارهما وقعت عصوان سحريتان متحولتان.

اقتحم بيتل وجينا دار المخطوطات، ثم صرخ بيتل قائلًا: «يا فوكسي، أخرج الجميع!».

ولم يكن فوكسي بحاجة إلى إخباره مرتين. وفي خلال ثلاثين ثانية، كان كل من ماريسا وبارتريدج وروميلي وموير ا مول بالخارج. ثم قال بيتل: «سوف أصطحب جينا إلى برج السحرة من أجل سلامتها، وأقترح عليكم المجيء معنا».

قالت ماريسا منفجرة: «انس ذلك، لدي أشياء أخرى أفضل للقيام بها». ثم اتجهت إلى الخارج في طريقها إلى المتجر القوطي.

انطلق بيتل على طريق السحرة، ساحبًا جينا خلفه. ثم قالت جينا بعد أن رأت سبتيموس ومارشا يسرعان نحو طريق السحرة: «انتظر يا بيتل، ها هما سب ومارشا. علينا إخبارهما بالأمر».

قال بيتل: «لا!، هذا غير آمن».

قال فوكسي وقد عزم على التحلي بالشجاعة: «سوف أخبرهما أنا، امضيا أنتما للأمام».

قالت بارتريدج: «سوف نخبرهم جميعًا، هيا بنا يا فوكسي».

وأثناء تقدم كل من جينا وبيتل بسرعة عابرين منطقة القوس العظيم تجاوزا شبح ألثر ميلا، والذي كان يقود ميرين والممرضة عبر الفناء كراعٍ للغنم يقتاد خروفين غبيين. راقب جينا وبيتل أثناء اختفائهما في برّج السحرة وسمع صوت خطوات أقدام متسارعة خلفه. وبعد مرور لحظات، اجتاز كل من مارشا وسبتيموس، ومعهما مجموعة الكتبة، منطقة القوس العظيم. وبمجرد دخولهما، نزعت مارشا التميمة التي بحوزتها وحشرتها في إحدى الفتحات الصغيرة بجانب القوس، وعندها نزل المتراس القديم بصوت صرير عالٍ في منتصف منطقة القوس العظيم، مُغلقًا الفناء.

سحب كل من إدموند وأرنولد هيب أنفسهما على طول درجات السلالم العميقة من السراديب. وقد استلقى خلفهما عقرب مدمر تدميرًا بالغًا، وكماشته مبتورة ومحترقة.

وكان ساحرا الخاتم قد اعتراهما الغضب؛ حيث كان مضيفوهما قد أعدوا لهما أكثر بكثير مما كانا يتوقعان. وما لم يأخذه الساحران في الاعتبار، هو حقيقة كون إدموند وأرنولد هيب توءمين متماثلين. وطيلة الرحلة المرعبة على طول الممر، كلما كان يشعر أحدهما بالوهن كان الآخر يشجعه على المضي قدمًا؛ وبهذه الطريقة تمكن

التوءمـان هيب من الحفاظ علـى مقاومة الكائنات التي سـكنتهما أكثـر مـن أي سـاحرين آخريـن غيـر مرتبطيـن ببعضهمـا. بيـد أن التوءميـن هيب استخدما آخر ما لديهما من طاقـة من أجل حماية جينـا، والآن، بعـد أن هبطـا من البـاب المخفي وارتـدًّا من خلال المكاتـب الموجـودة في دار المخطوطات مثـل كرتين متباطئتين، كانـت قدرتهمـا على الاحتمال على وشـك النفاد، كمـا كان صبر سـاحرى الخاتم على وشـك النفاد. دفع التوءم من الباب المهلهل الذي يفصـل بين دار المخطوطـات والمكتب الأمامـي، وارتطما بكومات من الأوراق المتراكمة بجانب النافذة وتم الإلقاء بهما من النافذة الأمامية.

ارتمى إدموند وأرنولد هيب على الرصيف الواقع في مقابل دار المخطوطـات، وقد تناثر عليهما شـظايا صغيرة مـن الزجاج. وقد اندفع إليهما قليل من المارة لتقديم المسـاعدة، بيد أنهم توقفوا في صمت مميت عندما بدأ ضباب أخضر من الدخان الكثيف يتصاعد مـن جسـدي التوءمين هيب ويرتفع فـي هيئة عموديـن إلى ارتفاع عشـرة أقدام على الأقل. وبمجرد إدراكهم أن هذا سـحر شـيطاني أسـود، هـرع النـاس إلـى بـرج السـحرة لطلـب العـون، ليجدوا المتـراس قـد أُنـزل؛ ومن ثـم فقد أسـرعوا بالعـودة إلـى منازلهم وأوصدوا أبوابهم.

بيد أن الزائرتين، فيلوتا بوت وتريمولا فين، اللتين وصلتا لتوهما في القارب البحري الليلي للقيام بجولة لمتابعة سحر القلعة، بقيتا في مكانهما للمشاهدة. لم تسِر الجولة على ما يرام، حيث كان برج السحرة مغلقًا لأسباب مجهولة، حتى الفناء لم يكن مفتوحًا. كما كانت معظم المحلات الموجودة في طريق السحرة تغلق أبوابها، بدلًا من أن تفتح أبوابها، والآن، وما زاد الطين بلة، هو هروب مرشد الجولة مغادرًا المكان.

همست فيلوتا إلى صديقتها: «وأخيرًا سيقوم أحدهم بتقديم عرض».

ومن خلال أعمدة الدخان الخضراء اللافتة للنظر، رأت فيلوتا وتريمولا الضباب أثناء دورانه ببطء محدثًا ظلالًا وأشكالًا. وقد انبهرتا وهما تريان شكل إنسان بدأ يتجسد من كل تلك الأشكال بطول عشرة أقدام، مرتديًا إحدى الدروع الحربية القديمة للسحرة المقاتلين وعباءة غريبة للغاية، وهي ما بدت سوداء ولامعة في ذات الوقت. شعرت فيلوتا وتريمولا بالسعادة.. أخيرًا رأتا السحر. واصلتا في سعادة مشاهدة لتلك الجزيئات الخضراء المتلألئة التي تدور حول الشخصين الطويلين على نحو لا يصدق مثل حلوى غزل البنات.

همست تريمولا: «أعتقد أنهما واقفان على طوالات للأرجل».

ردت فيلوتـا: «يقومـان بالأمـر بشـكل جيـد للغايـة؛ حقًّـا مـن الصعوبة بمكان البقاء في سكون على طوالات الأرجل».

وبعـد أن احتلـت كل ذرة من الذرات المتجولـة مكانها، أصبح الكائنان أكثر وضوحًا وبدأ الضباب في الانقشـاع، مرسلًا جزيئات صغيرة لامعة ومتراقصة في أشعة الشمس التي توهجت من خلال أعمدة الإنارة الفضية الموجودة خارج دار المخطوطات.

همهمت تريمولا: «عرض رائع».

وعلـى حيـن غرة، خـرج وميض يسـبب العمـى وأربعة أشـعة ضوئيـة حمراء اللـون رفيعة انبعثـت من العيون الخضـراء اللامعة لتلك الكائنات.

لهثت كل من فيلوتا وتريمولا في سعادة.

وفـي انسـجام وتوحـد، مـد كل مـن شـاماندريجر سـارن ودراميندونـور نارن ذراعيهما لتظهر **عصوين متحولتين** جديدتين. ثم دارا حول أنفسـهما، لتخرج من أعينهما أشعة مثل طعنات الإبر تجتـاح طريق السـحرة. عندهـا قامت فيلوتـا وتريمـولا بتحيتهما بتصفيق حاد.

قالت تريمولا بقليل من التوتر: «يبدو واقعيًّا للغاية، أليس كذلك؟».

لقد كان واقعيًّا على نحو مريع.

ثم عادت أربعة من أشعة الضوء الحمراء واستقرت على فيلوتا وتريمولا؛ لتضحك فيلوتا قائلة: «أووه، أشعر بدغدغة».

همست تريمولا: «هذا أمر مخيف بعض الشيء».

لهثت فيلوتا: «إنها تؤلم! آآآخ! إليك عني». وأخذت تصرخ وهي تحاول إبعاد الأشعة عنها.

ثم صرخت تريمولا.

انطلق صوت ضربة قوية! لتنطلق **صاعقة** من البرق محدثةً أزيزًا من كل **عصاة سحرية**، فسقطت كل من فيلوتا وتريمولا أرضًا، وتصاعدت خيوط الدخان الأخضر من الفساتين الجديدة الصيفية التي ابتاعتاها للذهاب إلى رحلة القلعة.

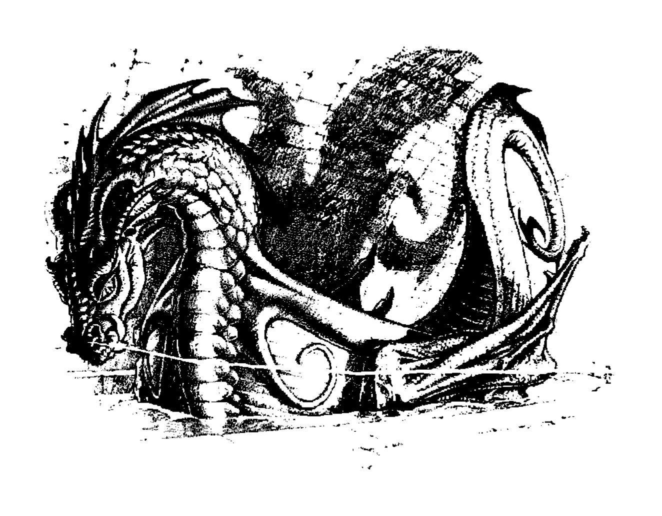
نظر كل من شاماندريجر سارن ودراميندونور نارن إلى بعضهما، وكان شبح الابتسامة يلوح على شفاههما الرفيعة. حيث ترتب على آلاف الأعوام التي قضياها محتجزين جنبًا إلى جنب في الخاتم ذي الوجهين حالة من التواصل بينهما جعلتهما قادرين على فهم بعضهما دون التحدث.

النار... نحن نشتمها ... في الهواء... وهو ما يعني ... أنه يتحتم علينا ... تدمير ... وسيلة دمارنا.

استدار ساحرا الخاتم وسارا أسفل طريق السحرة في خطوات مثالية،تاركين وراءهما كومتين من قطع القماش خارج متجر بوت للعباءات، وخارج دار المخطوطات تركا ما بدا أنهما جوالان فارغان وموحلان بالطين، ثقفان في حالة غريبة من الحزن في أشعة شمس الربيع.

38

انطلاق التنينين بعيدًا



قبعت زجاجة البحث المكتنزة والغامضة جاثمة على تعريجاتها مثل العنكبوت في مركز البحث والإنقاذ.

وكانت الردهة الدائرية ذات الغرف السوداء معتمة بالظلال، والضوء الوحيد ينبعث من الزجاجة السحرية التي طفت بشكل

غامض داخل إطارها الأسود الرقيق. أخذت كل من مارشا وهيلدا جارد تمعنان النظر في أعماقها في حالة من الرعب.

وضعت هيلدا جارد يديها بإحكام على فمها وصرخت قائلةً: «لقد قتلاهما».

غمغمت مارشا قائلة: «أوه، هذان الرجلان البائسان».

قالت هيلدا جارد: «أنا... لا أكاد أصدق عيني . إنه مروع للغاية، وهاتان السيدتان. تخيلي: كل ذنبهما أنهما وقفتا هناك لمراقبة ما يحدث».

هزت مارشا رأسها وقالت: «يغفل الناس ويتناسون خطورة السحر».

عكست الكآبة التي تخيم على غرفة البحث الحالة المزاجية التي تتسم بها مارشا وهيلدا جارد، وأخذتا تمعنان النظر في صورة الشخصين المسلحين البالغ طولهما عشرة أقدام والمنطلقين فى طريق السحرة، واللذين تتطاير عباءتاهما خلفهما، ساحبتين خلفهما خيوط دخان الضوء الشيطاني. وكان الطريق السحري مهجورًا، وهو ما أثار ارتياح مارشا عند رؤية ذلك، من الواضح أن جهاز الإنذار قد قام بمفعوله.

همهمت مارشا في قلق: «أين يذهبان؟ لم لا يأتيان إلى هنا من أجل جينا وميرين؟».

قالت هيلدا جارد: «بيد أنهما ليسا على علم بوجود جينا وميرين هنا!».

وقد وجدت مارشا هيلدا جارد مزعجة إلى حد كبير. وتساءلت عما إذا كانت قد أخطأت في السماح لها بالانتقال من درجة الساحر المساعد إلى الساحر العادي الكامل. وقالت لها: «يا هيلدا جارد، بالطبع هما على علم بوجودهما؛ حيث ترتبط تلك الكائنات القديمة برابط مع الماضي مثل...» بحثت مارشا عن طريقة للتعبير عن مرادها وقالت: «مثل السمك».

«السمك؟».

«يكون في سرب، سرب طويل، عند اصطياده».

تساءلت هيلدا جارد: «إذًا ماذا كانوا يصطادون الآن؟ سمك الحدوق؟».

نظرت مارشا نظرة خاطفة بحدة صوب الساحرة الجديدة، وتساءلت عما إذا كانت تمزح؟ بيد أن هيلدا جارد، والتي كانت سيدة جامدة الوجه، بدت عليها الجدية تمامًا.

تنهدت مارشا وتساءلت: «ومن يعلم؟ راقبي أين يذهبان. وأخبريني بالأمر. أشكرك يا هيلدا جارد».

وبالعودة إلى غرفتها الخاصة، قام شبح جيلي دجين بتحية مارشا بطريقته الخاصة.

«سمكة لطيفة... سمكة حدوق... لقد اصطدتها... اصطدتها».

نظرت مارشا إليها في ذهول. لقد تطورت قدرات جيلي دجين على الكلام إلى حد بعيد، وأصبح لدى الشبح الآن قدرة مثيرة للقلق على معرفة ما كانت تتحدث بشأنه، وهو الأمر الذي اعتبرته مارشا مثيرًا للخوف بشكل كبير. لذا اندفعت بجانبها وتوجهت إلى المكتبة الهرمية في الأعلى، حيث حياها شبح آخر لا يقل إزعاجًا عن سابقه.

قال جوليوس بايك: «سوف تسعدك معرفتك بعثورنا على **نموذج تعويذة الحبس** التي أعدها حُتب رع».

«هل عثرتم عليه؟».

قال سبتيموس: «ها هو». ثم أشار إلى مربع صغير من الورق الرقيق الأصفر اللون الموجود في منتصف المكتب الذي تجمع حوله هو وروز وبيتل وجينا التي كانت منشغلة بالكتابة. اندفعت مارشا للأمام لتفقده. حيث التقطت **النموذج** الرقيق للغاية ووضعته بين السبابة والإبهام وأمعنت النظر بإجلال في كتابة حُتب رع الصغيرة للغاية، والعنكبوتية، والممتلئة بالدوامات والدوائر.

قالت مارشا وقد شعرت كما لو طُلب منها إرجاء تنفيذ العقوبة: «هل هذا حقًّا هو **نموذج تعويذة الحبس**». بيد أن هناك شيئًا ما لم يكن منطقيًا، في ظنها؛ لذا نظرت صوب جوليوس نظرة حادة، وقالت: «إذًا أين كان؟».

«لقد كان في الرف الخفي في السجلات الأرشيفية القديمة».

انتابت مارشا حالة من الذهول، وقالت: «لكنه لا يوجد رف خفي في سجلات الحفظ الأرشيفية القديمة».

بدت على جوليوس حالة من العجرفة والاعتداد بالنفس، ثم قال: «يوجد هناك بالتأكيد».

«إذًا ما السبب وراء عدم تسجيل ذلك في فهرس المكونات الخفية؟».

لم يرد الشبح. وقد بدا أنه واسع الحيلة بالتأكيد، كما ظن سبتيموس.

علقت مارشا على نحو لاذع قائلة: «يبدو لي يا سيد بايك، أنك في فترة تقلدك منصب الساحر الأعظم قمت بإخفاء كثير من الأشياء دون تسجيلها».

كان الشبح مراوغًا، لذا قال: «مثلي مثل سائر السحرة الأعظمين، فعلت ما اعتقدت أنه الأفضل».

«ليس بوسع السحرة الأعظمين أن يقرروا بأنفسهم ما الذي قد يحتاج -أو قد لا يحتاج- السحرة المستقبليون إلى الاطلاع عليه. تصرفك هذا أسوأ من متعالٍ ومستبد، إنه خطير بشكل مطلق. لقد وضعتنا أفعالك جميعًا في خطر محدق».

سادت لحظة صمت غريبة، كان الجميع على علم بأنه من الوقاحة بمكان قيام أحد السحرة الأعظمين الحاليين بتوجيه

الانتقاد وجهًا لوجه لمن سبقوه في تقلد منصب الساحر الأعظم. ومن جهته اتخذ سبتيموس قرارًا بتلطيف الأجواء، لذا قال: «حسنًا، على الأقل هو بحوزتنا الآن».

وضعت جينا قلمها وقامت بتمرير ورقة إلى مارشا ثم قالت: «هذا ما قلته».

التقطت مارشا الورقة وقالت: «أشكرك يا جينا». ثم وضعتها بجوار نموذج حُتب رع وقارنت بينهما. وبعد مرور عدة دقائق، هزت رأسها في حالة من الحيرة:

«أنا لا أفهم الأمر. هلا فحصتهما من فضلك يا سِبتيموس؟».

قارن سبتيموس بدقة متناهية بين ما كتبته جينا وبين النموذج الذي أعده حُتب رع مرتين ليهز رأسه هو الآخر ويقوم بتمريرهما إلى بيتل. قام بيتل بنفس الأمر ومررهما إلى روز.

قالت مارشا: «حسنًا!».

قال الثلاثة معًا: «هما نفس الكتابتين، إنهما متطابقتان».

اتجهت مارشا إلى جينا، وحاولت اختيار كلماتها بعناية، ثم قالت: «جينا، عندما قمت بتلاوة **تعويذة الحبس** كنت في موقف مخيف. أليس من المحتمل أنك لم تقومي بتلاوتها بالضبط؟».

قاطعهما جوليوس بايك وقد نفد صبره: «يا مارشا، أؤكد لك أن الأميرة قالت تلك الكلمات ذاتها. وتكمن المشكلة في عدم اكتمال الكلمات». ثم غمس إصبعه الشبحي النحيف في **نموذج**

الورق الرقيق، وقال: «كما هو الحال. لقد افتقد كلاهما وجود **الكلمة الرئيسية**».

«يا جوليوس، لا تكن مثيرًا للسخرية. كيف **لنموذج** حُتب رع الخاص به ألا يكون مكتملًا؟».

تكلم جوليوس بايك ببطء شديد، وكان من الواضح أنه يحاول جاهدًا كبح جماح انفعاله، ثم قال: «أنا لا أعلم. غير أن هذا هو الواقع. ما كُتب هناك لا يحتوي على **الكلمة الرئيسية**».

قالت مارشا في محاولة لكبح جماح انفعالها هي الأخرى: «ليس من الضروري أن تحتوي جميع الأشياء على **كلمات رئيسية**».

«كل ما قام به حُتب رع احتوى على **كلمات رئيسية**. هذه هي الطريقة القديمة».

أمعنت مارشا النظر في الورق الرقيق، وقالت: «حسنًا، ليس في هذه الورقة يا جوليوس، كما يبدو جليًّا». ثم نظرت إلى جينا، وقالت: «أعتقد أنك قمت بتغيير موضع إحدى الكلمات أو حذفها».

«لم أفعل».

«يا جينا، هذا ليس ضدك. بيد أن هناك شخصًا ما -أحترمه كثيرًا- قال ذات مرة: إذا ما استُبْعِد المستحيل، فمن المحتم أن يصبح ما تبقى، على الرغم من كونه مستحيلًا، هو الحقيقة. ومن

المستحيل أن يكون حُتب رع لم يكتب **تعويذة الحبس** بالطريقة الصحيحة».

وقفت جينا في حالة من الغضب، وقالت: «لكن هذا ما قلته».

تبنت مارشا نبرة تهدئة تسببت في حقيقة الأمر في إزعاج جينا.

«يا جينا، لقد تحليت بشجاعة لا تصدق. فلم يكن من اليسير عليك تذكر...».

«لست في حاجة إلى دعمي ومعاضدتي وعدم تصديقي في ذات الوقت يا مارشا. أعتذر من الجميع». وعلى إثر ذلك انسحبت جينا من المكتبة. وقد سمعوا صوت صلصلة خطوات أقدامها المتسارعة على السلالم الحجرية.

قالت مارشا فى ضجر: «هلا ذهب أحدكم وراءها من فضلكم».

قام بيتل فقالت له: «أشكرك يا بيتل».

خيم السكون بعد مغادرة الإثنين. وكان سبتيموس يفكر في الأمر حيث قال: «ربما تكون هناك أكثر من حقيقة بعيدة الاحتمال. كما ترين، عندما تحدثت مع حُتب رع ...».

قاطعه جوليوس بايك متسائلًا: «عندما فعلت ماذا؟».

كرر سبتيموس مقولته: «تحدثت مع حُتب رع».

أمعن الشبح النظر فيه وهو فاغر الفم.

أخرج سبتيموس من جيبه الخاص حصاة ملساء كبيرة كُحْلية اللون وبها لمعان متقزح، ثم وضعها في كف يده، فظهر حرف

الــ «ر» المنقـوش باللـون الذهبـي اللامع على الحجـر. ووضعها بعدئـذٍ علـى المكتب المقابل للشـبح ثم قال: «لقـد خضت رحلة بحث طويلة وشاقة».

صـرخ جوليوس بايك حتى إنه تحول إلى شـبح شـفاف؛ وقال هامسًا: «رحلة بحث؟!».

«نعم».

«ثم عُدت؟»

لم يكن بوسع سبتيموس مقاومة الأمر؛ لذا ابتسم وقال: «ها أنا ذا أمامك، بالتالي أعتقد أنني عُدت».

حذرت مارشا سبتيموس: «يا سِبتيموس...».

بدا على جوليوس بايك حالة من الذهول، ثم قال: «لقد عُدت. بخلاف اثنين من تلامذتي. أوه، عزيزتي سايرا المسكينة...».

رفعت مارشا يدها من أجل إيقاف سبتيموس. حيث كانت على علـم بمـا كان سـيقول جوليـوس، ثـم قالـت: «هـذا ليـس الوقت المناسب».

سـأله جوليـوس: «إذًا قابلت شـبح حُتب رع فـي رحلة البحث الطويلة؟».

«لا، لقد قابلت حُتب رع نفسه».

«لكن... كيف ذلك؟»

قال سبتيموس: «هذه قصة طويلة، سوف أقوم بتدوينها في يوم من الأيام». ثم أدار وجهه نحو مارشا، وقال: «كانت إحدى الأمور التي سألني عنها حُتب رع هي الأضرار التي لحقت بالنماذج التي أعدها. كان يخشى أنها قد تتقلص بسبب المكونات الشيطانية التي جلبها دومدانيال إلى البرج؛ أي: تقويضها بما يكفي حتى تبدو على ما يرام، غير أن مفعولها يتوقف. بالطبع لم أكن على علم بكل شيء في ذلك الوقت. بيد أنني أعتقد أن ذلك هو ما حدث».

اعترفت مارشا: «حسنًا، هذا توضيح للأمر، في حال تغيير النموذج، يتم تغيير كافة الصيغ والأشكال في ذات التوقيت، بما في ذلك الصيغة المنطوقة، وهذا هو السبب وراء مطابقة جينا لها». ثم تنهدت، وقالت: «إذًا الأمر ميئوس منه. لقد فقدنا تعويذة الحبس للأبد، يا سِبتيموس، إلى أين أنت ذاهب؟».

وكان سبتيموس بالفعل قد وصل إلى منتصف الطريق للخروج من الباب، ثم قال: «أنا ذاهب لرؤية حُتب رع».

قفزت مارشا على قدميها، وقالت: «لا تكن سخيفًا!»

«أنا لست سخيفًا، أنا ذاهب لأسأله عن ماهية تعويذة الحبس. من المؤكد أنه على علم بها».

«يا سِبتيموس، لن أسمح لك بالعودة إلى بيت الفوريكس الشبحي ذلك من جديد. لن تخرج منه مرة أخرى».

قال: «يمنحني **حجر البحث** حق المرور الآمن، بوسعي الدخول إلى بيت الفوريكس والخروج منه دومًا في زمني الحالي. دومًا».

تنهدت مارشا. ثم فكرت في البديل خاصة أن السحرة **الشيطانيين** كانوا يتجولون في القلعة دون ضابط أو رابط، كما فكرت في الخطر اللانهائي الذي يحدق بجينا وبالجميع، وكانت على يقين أنه ليس لديها خيار سوى الموافقة.

لذا قالت: «إذًا... كيف تقترح الذهاب إلى هناك؟».

ولم تكن هناك سوى طريقة واحدة تبدو مقنعة حينها. «عن طريق المركبة التنينية».

وجد سبتيموس كلًّا من جينا وبيتل في البهو الكبير أسفل برج السحرة. وكان بيتل يحاول إقناع جينا بالعودة إلى الطابق العلوي، دون أي تأثير عليها.

قال سبتيموس: «يا جينا، أنا ذاهب للحصول على **تعويذة الحبس** الأصلية وأود أن ترافقيني».

قالت جينا: «أنت تراهن على ذلك، كيف يمكن لنا الخروج من هذا المكان؟».

فُتح جزء من باب مهمات الخزانة السحرية ليظهر رأس ميلو. همس قائلًا: «يا جينا، أعتقد أنني استمعت إليك. آمل ألا تخرجي».

قالت جينا: «ميلو! يا للعجب! ما الذي تفعله هنا؟».

تنهد ميلو، وكان قد حُشر في الخزانة منذ نزول المتراس، ثم قال: «أحيانًا ما أتعجب أنا أيضًا، يا جينا، من فضلك، يجب عليك البقاء هنا. أنت في خطر كبير».

قال سبتيموس: «سوف تكون جينا بخير، وسوف نغادر القلعة في الحال».

«هذا أمر معقول للغاية. سوف أرافقكما».

كانت جينا على وشك الاحتجاج، بيد أن سبتيموس خطا خطوة للأمام، وقال: «أشكرك، نحن ذاهبون إلى رصيف ميناء جانيت».

أخرج ميلو خنجرًا تبدو عليه الخطورة من القراب المربوط على خاصرته. وكانت شفراته الحديدية اللامعة ذات اللون الأرجواني تعكس الأضواء اللامعة على الأرضية، ثم قال: «لن يذهبا قبلي. أوه، يا له من أمر مزعج!»

رأى ميلو مارشا أثناء سيرها في اتجاه معين عبر البهو الكبير على رأس مجموعة من سبعة أفراد من كبار السحرة، ثم قالت: «يا جينا، هؤلاء هم حراسك، يتوجب عليك السماح لهم بإحاطتك بشكل كامل حتى تطأ قدماك متن السفينة بسلام».

تنهد ميلو: «أهلًا يا مارشا».

قالت مارشا بسخرية: «لقد أضعت وقتك في هذه الزيارة يا ميلو. هيلدا جارد منشغلة في هذه اللحظة. لديها أشياء أخرى أهم يتعين عليها القيام بها».

«يا مارشا، من فضلك، الأمر ليس ....».

قاطعته مارشا قائلةً: «تجنبًا لأية عواقب، أبعده من فضلك يا ميلو. برج السحرة منطقة منزوعة السلاح».

أغمد ميلو السكين الذي بحوزته وهمهم قائلًا: «متأسف!».

استدارت مارشا صوب سبتيموس وجينا، وقالت: «نحن نتبع سارن ونارن في غرفة البحث والإنقاذ، وهما يتوجهان الآن صوب الطريق الكيميائي، بالتالي يمكنكما الركض بأمان نحو رصيف الميناء. أسرعا!»

نظرت جينا إلى بيتل وتساءلت: «هلا أتيت معنا أيضًا من فضلك؟».

هز بيتل رأسه للتعبير عن الأسف الشديد، وقال: «ليس بوسعي مغادرة قبو المخطوطات في مثل هذا التوقيت».

بدا على جينا حالة من الإحباط، وقالت: «لا، بالطبع ليس بوسعك. أنا متأسفة، لم أفكر في الأمر!».

قال بيتل: «غير أنني سوف أحضر مع ميلو وأتأكد من وصولكما إلى رصيف الميناء بخير».

فتحت الأبواب الفضية الكبيرة وانطلق الموكب أسفل درجات السلالم وتوجهوا عبر رصيف الميناء. قاد سبتيموس وبيتل وميلو الطريق، وفي أعقابهم دائرة من سبعة سحرة لتوفير الحماية لهم، وكانت جينا في منتصف تلك الدائرة. ثم قاموا بفتح قفل إحدى

البوابات الجانبية الصغيرة، وانطلقوا خلسة على طول الطريق الملتوي الذي قادهم إلى النفق المؤدي إلى رصيف ميناء جانيت مارتن.

سار ساحرا الخاتم على الطريق الكيميائي يسارًا يمينًا، يسارًا يمينًا؛ ليقطعا الطريق بسرعة بخطوات يبلغ طولها خمسة أقدام. وعند مرورهما أسفل المدخنة الكيميائية، توقفا وأمعنا النظر فيها. وشاهد بعض المراقبين الشجعان من المنزل الواقع في الزاوية بمنطقة الزر الذهبي المنخفض أربعة من ألسنة الدخان ذات اللون الأحمر الفاتح في سُمك القلم الرصاص تصعد على المدخنة وتقف على الخط الدخاني الرفيع الأبيض المتصاعد من المدخنة.

ثم شاهدوا هذين الكائنين اللامعين اللذين يبلغ طولهما عشرة أقدام ينظران إلى بعضهما ويتفقان على شيء ما فيما بينهما؛ وهو ما أثار حالة من الرعب لديهم، شاهدوهما يدوران ويستديران ويتجهان نحوهم. وعلى إثر ذلك، نزلوا تحت أسرّتهم ولم يخرجوا من تحتها حتى صباح اليوم التالي.

* * *

كان لافظ اللهب في مكانه المعتاد بجانب المركبة التنينية، وقد منح وجوده كل ليلة قوة كبيرة للمركبة التنينية منذ قيام جينا **بإعادة إحيائها**؛ لقد تعافت الآن بشكل تام ولم تعد الأيام الطويلة والمظلمة التي اكتست فيها بالجليد أكثر من مجرد ذكرى بعيدة.

فتح لافظ اللهب إحدى عينيه ونظر باهتمام صوب الموكب القادم، وفور رؤيته لسيده، ضرب ذيله في الأرض ضربة عنيفة. كما فتحت المركبة التنينية عينيها، وحنَت رقبتها باتجاه لافظ اللهب، الذي رفع رأسه وتحسس أنفها برفق.

وكان نكو يعلّم يوستاس كيفية إصلاح عارضة السفينة، غير أنه عندما رأى ميلو وسبتيموس وبيتل يقتادون مجموعة من السحرة باتجاه المركبه التنينية، وضع أدواته جانبًا، حيث كان هناك شيء ما يحدث، ثم قال: «يا يوستاس، سوف أعود إليك في غضون لحظات».

توجه نكو صوب المركبة التنينية وهو غير مصدق تمامًا ما كان يراه، بدا له الأمر كما لو كانت جينا وسبتيموس يصعدان على متن المركبة التنينية.

الآن تجمع السحرة داخل المركبة التنينية وكان بوسع نكو رؤية سبتيموس واقفًا فوق رءوسهم عند ذراع المقود، وقد بدا عليه كما لو كان في انتظار تغيير اتجاه الرياح. وكانت جينا في مقدمة المركبة، وقد مالت على بيتل لتقول له شيئًا. وكان رأس التنين قد رُفع عاليًا؛ وقد لمع بريق أخضر زمردي من عينيها التي توهجت فرحًا وابتهاجًا، وفي لحظة أخفضت التنين الأنثى رأسها بحركة رشيقة مثل البجع كي تنظر في عيني جينا. والآن رأى نكو بيتل يقفز

للخلف بسرعة؛ ما أصابه بصدمة، وسمع صدى صوت همس جينا حول منزل التنين وهي تقول: «امض بنا إلى حُتب رع».

قفز نكو على الممر الرخامي واندفع بجانب السحرة ثم تساءل: «هل أنتم مجانين؟!».

قالت جينا: «يا نِك، من فضلك لا تنزعج، نحن مضطرون لذلك!».

«أنا حقًّا متأسف يا نِك! ليس لدينا أي اختيار. يتحتم علينا الذهاب».

وكان نكو على علم بطبيعة جينا؛ لذا قرر عدم الدخول معها في جدال. لذا قال: «في تلك الحالة، سوف أرافقكم». ثم قفز على متن المركب.

والآن أصبح الغرض وراء الممر الرخامي الذي يمر داخل منزل التنين واضحًا. وكانت المركبة التنينية في حاجة إلى قيام جميع السحرة السبعة - بالإضافة إلى ميلو وبيتل - بدفعها من مرساها. لقد كانت مركبة ثقيلة للغاية حيث تحركت ببطء في بداية الأمر، غير أنه بمجرد أن لامس أنفها أول ضوء من أشعة الشمس، مرت التنين رقبتها الطويلة خارج ظلال منزل التنين التماسًا للحرارة. وبعدها بدأت في الانزلاق بسهولة ويسر خارج الضوء الكحلي المعتم، وقد تقوست رقبتها وذيلها لتحية الشمس، وكانت قشورها ذات اللون الأخضر القزحي تتلألأ في ضوء الشمس.

سار بيتل وميلو والسحرة بالمركبة التنينية في طريقهم عبر الحدود الضيقة في الشق واقتادوها إلى الخندق المائي. لتنظر بعدها جينا ونكو وسبتيموس إلى بعضهم ليتذكروا تلك الليلة - التي مر عليها أمد بعيد الآن - التي اقتادوها فيها إلى هنا جريحة تنازِع الموت.

قال نكو: «لم أعتقد أبدًا أننا قد نعود جميعًا إلى هنا مجددًا بهذه الطريقة!».

قالت جينا: «غير أني كنت على يقين من ذلك، لقد كنت على علم بأننا سنعود يومًا ما».

وأثناء قيام الساحرين بقطع طريقهم عبر رصيف الميناء، طفت المركبة التنينية في منتصف الخندق المائي. ولم تكن - فقط - أعين بيتل وميلو ويوستاس بوت تراقبها في رعب، بل عين ولد صغير أيضًا واقف في إحدى نوافذ السطح أعلى جدار القلعة. حتى جانيت بدا عليها الانبهار؛ حيث بدأت أجنحة المركبة التنينية الضخمة - المفرودة بإحكام على طول هيكل السفينة - في التحرك ببطء للأعلى لتنشر رايتها حتى أصبحت كبيرة للغاية إلى حد لامست فيه أطراف الأجنحة كلتا ضفتي الخندق المائي.

سأل سبتيموس طاقم السفينة قائلًا: «هل أنتم مستعدون؟»

قال نكو: «نعم»، وقد تحدث مثل البحّارة.

وصاحت جينا: «أنا مستعدة!».

سُمعت صرخة من رصيف الميناء: «سبتيموس! سبتيموس!».

قال سبتيموس: «انتظروا! إنها روز».

وصلت روز إلى حافة الشق وهي غير قادرة على التنفس، وقالت لاهثة: «لقد جلبت لكم شيئًا ما من مارشا. دونك هو». ثم لوحت بذراعيها.

قال نكو: «ألقي به إذًا».

هزت روز رأسها وقالت: «حقًّا لا أجيد الإلقاء بالأشياء، قد يسقط في الماء».

عرض يوستاس قائلًا: «بوسعي اصطحابك في قاربي، لدي قارب». قالها وهو يشير إلى زورق مربوط في ضفة الخندق المائي.

قالت روز: «أوه يا يوستاس، أنت نجمٌ رائعٌ!».

احمرّ وجه يوستاس؛ حيث لم يطلق عليه أحد من قبل صفة نجم. وبعد مرور دقائق معدودة، كانت روز تقف على أطراف أصابعها، وقد انحنت على هيكل المركبة التنينية الناعمة ذات اللون الذهبي اللامع، بينما كان سبتيموس قد مال للأسفل للإمساك بحقيبة سحرية صغيرة مخملية، والتي كان على علم بوجود تميمة الطيران السحرية بداخلها.

قالـت روز بخجـل: «يـا لها من مركبـة رائعة! هـل تطير كذلك حقًّا؟!».

قال سبتيموس: «مثل الطائر».

لهثت روز قائلةً: «واو ... هذا أمر رائع ... واو».

تساءل نكو: «هل سنذهب أم ماذا؟»

قالت روز: «أوه، متأسفة، سوف أبتعد عن طريقكم».

قال سبتيموس وهو متردد وهو يرى روز تغادر: «أنت لست في طريقنا».

« أوه، لست كذلك. حظ سعيد. سوف أفكر بك».

«نعم، وأنا كذلك».

قال نكو: «أوه، من أجل الإله، دع الفتاة تصعد على متن المركبة وتوقف عن للمغازلة».

قالت روز: «يا إلهي! أتمنى ذلك. غير أن..».

أكمل سبتيموس لها الجملة: «مارشا سوف تستشيط غضبًا».

قالـت روز بابتسـامة: «نعم بالضبط، حسـنًا، أتمنـى لكم رحلة آمنة».

اسـتعدت المركبـة التنينية للإقلاع من مرسـاها، ودفعت طرف ذيلهـا ومـدت رقبتها كما لو كانت تريد الوصول إلى شـيء ما بعيد المنال، ثم سُمع صوت مرتفع سـووش لاندفاع المياه نتيجة هبوط أجنحتهـا، مرسـلةً رذاذ المياه إلـى ضفتـي الخنـدق المائـي، كما

تأرجحت مركب يوستاس بوت؛ حين بدأت في التحرك ببطء في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما انطلقت بسرعة أسفل القطاع السفلي الطويل المستقيم في الخندق المائي في مقابل رصيف الميناء، وبعد سبع ضربات من أجنحتها، شعر نكو بتلاشي صوت إيقاع المياه المتدفقة أسفل هيكل المركب، وعلى حين غرة تذكر كيف كان تحليق المركب أمرًا مزعجًا.

ومع ذلك، كان سبتيموس يشعر بارتياح كما لو كان في منزله تمامًا. لقد اندهش حقًّا من أن تحليق المركبة التنينية ذكره بتحليق لافظ اللهب. وبثقة، قام بدفع ذراع المقود بعيدًا عنه، وأدار الكائن أعلى جدران القلعة. وقد أدى الضغط المتواصل برفق على ذراع المقود إلى دوران المركبة التنينية مرة أخرى فوق رصيف الميناء، وحينئذ لاح بيتل وميلو ويوستاس بوت. في حين وقفت جانيت في حالة من الجمود، وقد عقدت ذراعيها، ولم تبدُ سعيدة على الإطلاق لرؤية كبير التلامذة لديها يغيب عن عينيها دون الحصول على إذن، على الرغم من سعادتها لانصراف المركبة التنينية البائسة.

وعندما حلقت المركبة التنينية أعلى القلعة، تبعها لافظ اللهب، كابنها البار. بيد أن سبتيموس لم يدرك بعد أن لافظ اللهب كان يرافقهم هو الآخر. وكان جميع ركاب المركبة التنينية مهتمين فقط

برؤية ما يدور بالأسفل، وقد تجمع الآن موكب السحرة خارج دار المخطوطات حول جثماني أرنولد وإدموند هيب.

39

المتطفلون

كان سايمون قد عاد إلى منزله لتناول وجبة الغداء مبكرًا عندما سمع هو ولوسي - مثل سائر سكان القلعة - **جهاز الإنذار**. وقد أصبح بحوزة جميع المنازل التي قبلت العمل بنظام **جهاز الإنذار** صندوق صغير متلألئ بجانب الباب الأمامي، الذي يتوهج بضوء أخضر.

وعندما يتم تفعيله من قبل برج السحرة، يتحول إلى لون أحمر لامع (أو أصفر عند إجراء التجارب). وحينئذٍ فُتح باب الصندوق وأُخرج **جهاز الإنذار**، وقد

بـدا مثل البوق الكبير أحمر اللون، والذي واصل الضجيج بشـكل مزعـج فـي أنحـاء المنـزل **لإنـذار** الجميـع، وكانت لوسـي تكره الإنذار.

لـذا صرخـت: «آآآه، ابتعد عنّـي!». وقد دفعته بقـوة بعيدًا عنها أثناء دورانه حول رأسها.

قال سـايمون: «فقط حافظي على سكونك يا لو، سوف يتوقف فـي غضون دقيقة ويبحث عن شـخص آخـر». وبيقين كافٍ، حوّل الإنـذار علـى حين غـرة انتباهـه إلى سـايمون، دافعًا إيـاه للركض للخلـف صوب البـاب من أجل الضغـط على زر إغـلاق **الإنذار**. ليعـود **الإنـذار** علـى نحو مسـرع إلى الصنـدوق، ويغلق سـايمون الباب الصغير ويسرع بالعودة إلى المطبخ.

قالت لوسـي في تذمر أثناء التقاطها بيضتين مسلوقتين من أحد الأوعية: «هذا كثير.. تجربة أخرى بعدما حدث في الليلة الماضية»، ولاحظت تعبير سايمون لذا سألته: «يا ساي ... ماذا حدث؟»

«يا لو، إنها ليست تجربة».

«ليست كذلك؟».

«نعم، اللوحة ليست صفراء بل حمراء».

قفزت لوسي على قدميها وتساءلت: «ما الذي يحدث؟».

«لا أعلم يا لو. غير أنني يجب عليَّ الذهاب وتحذير مارسيلوس. لن يكون على علم بذلك».

أصيبت لوسي بالرعب، وقالت: «لا يا سايمون!»

«سوف أكون بخير. أنا أجيد الحفاظ على نفسي تمامًا، كما تعلمين».

تنهدت لوسي فقد أخبرتها نظرته أنها لن تتمكن من إثنائه عن ذلك، فقالت: «أوه، يا ساي، كن حذرًا».

التقط سايمون **تميمة الأمان** الذهبية من جيبه وهي أقوى التمائم التي بحوزته، ثم قال: «يا لو، داومي على الإمساك بهذه طوال الوقت. وسوف أضع **حاجزًا** على المنزل عند مغادرتي. أحبك!». وقام سايمون بتقبيل لوسي قبلة سريعة وأسرع قبل أن تدفعه لتغيير رأيه.

لم يكن مارسيلوس يشعر بانزعاج نتيجة **أجهزة الإنذار**، بل كانت تغمره السعادة. والآن بعد أن وصلت **النار** إلى كامل قوتها، أصابه الرعب من احتمالية كشفها نقاط ضعف جديدة في المرجل. لذا، بالإضافة إلى النقر المنتظم الذي كان يقوم به، بدأ في القيام بعمليات فحص بصرية. في قديم الزمان، كان الطُّرّاق يفعلون ذلك، حيث كانوا يركضون حول المرجل مثل السحالي على صخرة ساخنة، وكانت أصابع أيديهم وأصابع أقدامهم التي تلتصق بالأسطح تأخذهم إلى حيث يرغبون، وكانت أعينهم الحادة ترى كافة التفاصيل. غير أن مارسيلوس كان مضطرًّا للقيام بها بالطريقة البشرية البطيئة؛ باستخدام النظارات والسلم الخشبي وكرة **النار**.

وفـي ذلـك الصبـاح، كان مارسـيلوس قد اسـتغنى عن السـلم وتفقـد أسـفل المرجل. وكانـت النظـارة مثبتة بإحكام علـى أنفه، لينظر إلى دائرة الضوء التي تركزت على السـطح الحديدي الناعم للمرجل. وعلى حين غرة، لفت شـيء مـا انتباهه.. وهو عبارة عن دائـرة صغيرة مـن المعدن فاتحـة اللون، شـعّ منها انفجـار نجمي الشـكل اتضـح في الشـقوق التي تم إصلاحهـا بمهـارة تامة. دقق مارسيلوس في تلك الدائرة الدقيقة بعدسته المكبرة. ابتسم حينها؛ لقـد كان إصلاحًـا نموذجيًا من قِبَل أحد الطُّـرّاق؛ حيث كان عبارة عن سـدادة صغيـرة من الحديد تحيط بها حلقة من سـبائك اللحام النحاسـية التي أخـذت تتوهج باللون الأحمر فـي الضوء. وبعدها مرّر أصابعه بخفة على سطحها، ولـم يشعر بشيء. لقد كانت ملساء ومسطحة ومندمجة بشكل ممتاز مع المعدن الأكثر سوادًا المحيط بهـا. وكانـت قطعة رائعة وعجيبـة تدل على مهـارة الصنع. غير أن مارسـيلوس أصيـب بالحيرة. لـذا أمعن النظـر مجددًا فـي الدائرة الصغيرة الواقعة في منتصف شـبكتها، متعجبًا من سـبب حدوثها. لقد بدت تقريبًا مثل ثقب رصاصة، في ظنه. لقد كانت غريبة للغاية. وتبادر إلى ذهن مارسيلوس فجأة أن هذا هو الذي تسبب في وقوع الكارثة الكيميائية الكبرى. اسـتحوذ اليقين المفاجئ على أنفاسه، ودارت في ذهنه آلاف من الأسـئلة مع عدم وجود أمل في الإجابة عنها. كيف سـيكون قادرًا على سـؤال الطارق العجوز دوجليوس

عما حدث. خيمت موجة كبيرة من الحزن على مارسيلوس ومال على الصخرة، وقد أصابته حالة من الاندهاش لشعوره بالتواجد بمفرده دون الطُّرّاق.

وعلى حين غرة، سمع مارسيلوس صوت قعقعة الباب الصغير للنار المنخفضة أثناء إغلاقه بجانب الصوت المميز لمجموعتين من خطوات الأقدام الثقيلة على المنصة العليا. لم يكن مارسيلوس مرهف الحس بالمناخ على وجه التحديد، بيد أنه أثناء تواجده في غرفة النار، قد تضاعفت قدراته وحواسه. ومنذ ذلك الحين، كانت حواسه تخبره بالبقاء خارج الطريق. على إثر ذلك، تواري مارسيلوس في الظلال أسفل المرجل، متسائلاً من كان ذلك الشخص، واعتقد أنه من الممكن قيام سايمون في بعض حالات الطوارئ باصطحاب سبتيموس معه. أو حتى مارشا. غير أنه كان هناك شيء ما حيال خطوات الأقدام؛ كان يختلف عن وقع أقدام سايمون أو سبتيموس، وبالتأكيد لم تكن مثل خطوات أقدام مارشا. أدرك مارسيلوس للمرة الأولى في حياته بالفعل أنه يريد الاستماع إلى صوت نقر حذاء مارشا أوفرستراند المدبب الأرجواني اللون والمصنوع من جلد الثعبان. من المحتم، في ظنه، أن تكون الأمور سيئة.

استمع مارسيلوس إلى صوت صرير السلم الممانع عندما بدأ المتطفلون في الهبوط من خلاله. وبعدها شعر وكأنما تملكه

شعور بالاستماع إلى الأبد لكل خطوة من الخطوات أثناء اقترابها، ليخبره صدى صوت القعقعة من فوق رأسه بوصول المتطفلين إلى محطة المشاهدة.

اتخذ مارسيلوس قرارًا بالمغامرة لإلقاء نظرة سريعة وفي صمت، انسلخ من مظلة المرجل ونظر، وعلى ارتفاع حوالي ثلاثين قدمًا، في انعكاس الضوء الأحمر، رأى مارسيلوس كابوسًا؛ شخصين طويلين بشكل لا يصدق يرتديان عباءتين لا يمكن وصفهما سوى بالضوء الأسود، وهما يتحركان وينتقلان، ليصبح من المستحيل رؤية حدود هيئتهما.

ومن أسفل العباءتين، كان بوسع مارسيلوس أن يلاحظ لمعان درع أخضر قزحي اللون، به قطاعات مثل الدرع القرني لإحدى الحشرات العملاقة. وكما لو كانا راكبين على متن السفينة، يراقبان غروب الشمس، أمعن الشخصان النظر للأسفل صوب دائرة **النار** البراقة.

شعر مارسيلوس مرة أخرى بالانزلاق إلى فترة زمنية سابقة. قبل بضعة أسابيع من الكارثة الكيميائية الكبيرة، عندما أحضر جوليوس بايك أحد السحرة الزائرين لرؤية **النار** دون الحصول على إذن منه، وقد منحهما الفرصة لرؤيتها من مكان أقرب إلى حدٍّ بعيد مما يقف فيه الآن. وعندها انتاب مارسيلوس شعورٌ قويٌّ ليصبح على وشك الصراخ، يا جوليوس، ما الذي تفعله، تمامًا

كما فعل من قبل، عندما خطا الزائر خطوة للخلف ليرى مارسيلوس التوهج الأخضر في وجهه والنظرة الحارقة في عينيه الخضراوين اللامعتين.

ليعود مارسيلوس بعدها إلى الزمن الحالي.

وحتى قدوم تلك اللحظة، لم يكن مارسيلوس يؤمن بالشر. وطيلة حياته الطويلة كان قد اطلع على الكثير من جوانب الشر، مثل: الكذب، والخيانة، والخداع، والعنف، والبذاءة الصريحة، وعليه أن يعترف أنه قد ارتكب بعضًا من ذلك بنفسه. بيد أن «الشر» له مسحات باطنة من القوة غير طبيعية، وهو ما لا يكاد يقبله مارسيلوس. ولكنه في تلك اللحظة تحديدًا تغير رأيه تمامًا. لقد أصبح على علم بأنه كان في حضرة الشر. وأدرك السبب وراء ذلك؛ فقد كان هذان هما ساحري الخاتم.

سقط مارسيلوس على الأرض، وجلس على التراب، في محاولة منه لاكتشاف ما حدث، بعدما ثارت في عقله كافة الأفكار الفظيعة. وضع مارسيلوس رأسه بين يديه. لقد انتهى الأمر الآن. لقد انتهت كافة الأشياء التي عمل من أجلها. ثم ما لبث أن تراجع في حالة من اليأس وقد نقره شيء ما على رأسه.

وكان الأمر غامضًا بالنسبة لمارسيلوس؛ فهو لا يعرف كيف تمكن من عدم الصراخ. ومن المحتمل، في ظنه لاحقًا، أنه قد أدرك تلك اللمسة الناعمة التي تحمل في طياتها الاعتذار بعض

الشـيء. مهمـا يكـن السـبب، فقـد قفـز مـارسـيلـوس لأعلـى واسـتدار ليجـد نفسـه وجهًـا لوجـه فـي مقابـل الطـارق دوجليوس.

40

الحُرّاس



حلقت المركبة التنينية سريعًا بعيدًا عن القلعة، ورأسها مرفوع إلى أعلى وطلاء هيكلها يتوهج في ضوء الشمس. راحت تضرب بجناحيها الضخمين الجلديين ببطء للأعلى والأسفل وللأعلى والأسفل، وأخذ الجناحان يصدران صريرًا نتيجة الجهد غير المعتاد، بينما كانت تسلك طريقًا مباشرًا

خـارج النهر وأعلى بسـاتين المـزارع المنخفضة المغطـاة ببراعـم التفاح الوردية.

وقد حلق في أعقابها تنين أكثر اخضرارًا وأقل حجمًا منها وكان يبذل أقصى طاقته للحاق بها.

صرخ سبتيموس قائلًا: «عُد إلى المنزل يا لافظ اللهب!».

أبقى سـبتيموس يده علـى ذراع المقود، ونظـر للخلف، مرورًا بالذيل القشري الكبير للمركبة التنينية لافظ اللهب، ورأسه الذهبي نحو التنين، الذي تبعه مثل الكلب الوفي.

تساءل نكو: «هل سيأتي لافظ اللهب أيضًا؟».

قال سبتيموس: «لا، لن يأتي».

قال نكو ملاحظًا: «ليس هذا قراره فيم يبدو».

لـم يكن سبتيموس مسرورًا. لذا صرخ مجددًا: «يا لافظ اللهب! عد إلى المنزل!».

غيـر أن لافظ اللهب بدا كما لو أنه لـم يسـمع شـيئًا، على الرغم من تشـكك سـبتيمـوس في اسـتماعه لما قال جيدًا. ثم بدت على التنين نظرة خيلاء تشير إلى أنه على علم بمكانته عند سيده.

قـال سـبتيمـوس: «أمـر مزعج، ليس بوسـعه القـدوم معنا. لن يكون قادرًا على المـواصلة».

لـم تلاحظ جينـا وجود لافـظ اللهب، حيث كانـت تجلس في مقدمـة المركبة التنينيـة، وتنظر للخلف نحو القلعـة – التي كانت

تبـدو كدائرة ذهبية تمامًـا يحيط بها اللونـان الأزرق والأخضر من كل جانـب - في محاولـة منها للتخلص من الشعور الذي انتابها بمغادرتها للقلعة في الوقت الذي كانت تحتاج إلى وجودها فيها.

لاحظ سـبتيموس نظـرة عيني جينا وابتسـم مشـجعًا إياها. لقد تذكـر المـرة الأخيرة التـي قاما فيهـا بالتحليق معًا، عندمـا أقنعهما سـايمون، وفكر في كيفية اختلاف الأمـر بمجمله الآن، ومع ذلك فهـو ليـس مختلفًا تمامًـا. كان الخاتـم ذو الوجهين آخـر رابط من سلسـلة **أعمال السـحر الأسـود** التي تعود إلـى دومدانيـال، وكان سـبتيموس عازمًا على كسـره. ردت جينا الابتسـامة لسـبتيموس، وانحنـت علـى رقبة المركبـة التنينيـة، فتوهج ضوء الشـمس على الحلقـة الذهبيـة، وتدلّى شـعرها الأسـود الطويل خلفهـا. وانتاب سبتيموس إحساس مفاجئ بأن هذه اللحظة سوف تبقى في ذاكرته للأبد.

ومـع ذلـك، كان نكـو أقل ميـلًا لتذكر تلـك اللحظة. ومـا أثار خجله، شـعوره بالغثيان. لـم يكن ليصدق الأمر؛ لأنه لـم يصب أبدًا بـدوار البحـر. غير أنه كان هناك شـيء ما غير مسـتقر بالمرة حيال الحـركة المسـتمرة للأعلى والأسـفل، للأعلى والأسفل التي تقوم بها المركبة التنينية، ولا علاقة لها بأي شيء محسوس مثل الأمواج. ومـع الشـعور بالغثيان، ثبـت نكو نظـره على الجانـب وركز على الكون الذي يبدو في صورة مصغرة للغاية أثناء مروره للأسفل إلى

حد بعيد، أملًا منه في التخلص من ذلك الدوار. وسـرعان ما رأى الخـط الفضـي الدقيق الـذي يشـير إلى الخنـدق العميـق والرتابة الخضراء الضبابية الخاصة بمسـتنقعات مرام الواقعة خلفه، والتي تتخللها جزر دائرية صغيرة تبرز من خارج الضباب.

سـلكت جينـا طريقهـا علـى طـول سـطح المركـب باتجـاه سبتيموس.

«يا سِب... كما تعلم... العم إدي والعم إرن...».

قال سبتيموس في هدوء: «نعم».

«حسنًا، هل تتذكر كيف استعادت العمة زيلدا ميرين عندما تم استهلاكه على هذا النحو؟».

قال نكو متذمرًا: «يا للمسكين».

«نعـم ... حسـنًا، من المحتمـل أن يكون بوسـعها القيام بنفس الشيء من أجلهما».

نظر سبتيموس للأسفل صوب مستنقعات مرام، وقال: «ربما».

توجـد جزيرة العمة زيلدا في مكان مـا بين الضباب، ولكن أين بالتحديد؟

قالـت جينا: «المركبة التنينية على علم بكيفية العثور على العمة زيلدا، لن يستغرق الأمر طويلًا، وهذه هي الفرصة الأخيرة لهما».

قـال سـبتيمـوس: «أنـت على صـواب». ثـم نظـر للخلـف صـوب لافظ اللهب.

«بالإضافة إلى ذلك، لدي طرد أرغب في إسقاطه. طرد أخضر كبير».

كان الفتى الذئبي يقف بجوار مساحة كبيرة من الوحل، وكان يحاول إقناع الغول بجمع بعض سموم المستنقعات.

قال الغول: «لا أخرج للبحث عن سموم المستنقعات نهارًا، ليس بعد الآن. إذا ما كنت ترغب في ذلك، فبوسعك العودة وطلب ذلك ليلًا».

قال الولد المتوحش: «غير أنك لا تتواجد هنا أبدًا ليلًا».

«أنا أتواجد».

«ولكن لا أجدك عندما أحضر للالتقاء بك .. ها!»

قال الغول مشتكيًا: «لست في حاجة للصراخ». ولكن ضاعت صيحته هباءً.

أخذ الفتى الذئبي يركض عائدًا إلى الكوخ وهو يصرخ: «يا زيلدا! يا زيلدا! المركبة التنينية .. المركبة التنينية قادمة!».

قدمت العمة زيلدا إلى الباب، وقد احمر وجهها نتيجة قيامها بغليان مزيج من سمك الأنكليس ومحصول طازج من بق الأشباح. وقد أُصيبت بالذهول عندما شاهدت المركبة التنينية وتابِعها الوفي يطوفان حول الجزيرة على ارتفاع منخفض، ويدوران مرتين وينزلان على اليابسة فوق الخندق المائي؛ خندق المستنقعات الكبير الذي أحاط بالكوخ.

وكانت العمة زيلدا قد أُصيبت بصدمة بالغة، ولم يكن بوسعها القيام بشيء أكثر من هز رأسها في حالة من عدم التصديق وإمعان النظر في سحب المياه المعكرة التي تتطاير في الهواء على شكل أقواس أثناء ارتطام المركبة التنينية بقناة الغِمد. وعندما قامت العمة زيلدا بمسح رشات المياه من على عينيها، رأت المركبة التنينية الجميلة تلف جناحيها وتستقر في قناة الغِمد، وقد بدا الأمر بالنسبة لها كما لو كانت المركبة التنينية لم تذهب بعيدًا عنها أبدًا. وكان هناك وميض مفاجئ من الضوء الأحمر عكس هيكل السفينة ذا اللون الذهبي، ورأت العمة زيلدا جينا تقفز للأسفل وتركض على الطريق باتجاهها.

صرخت جينا: «يا عمة زيلدا!».

قالت العمة زيلدا التي كانت لا تزال في حالة من الذهول لرؤية المركبة التنينية: «هممم؟».

قالت جينا بإلحاح وقد أمسكت بيدي العمة زيلدا اللزجتين بعض الشيء: «يا عمة زيلدا، من فضلك، اسمعي، من فضلك، هذا أمر هام للغاية».

لم تُبدِ العمة زيلدا أي تفاعل.

قال الفتى الذئبي: «امنحوا زيلدا لحظة للتفكير، هي لا تزال في حالة من الصدمة».

انتظـرت جينا بلا صبر أثنـاء إمعان العمة زيلـدا النظر، وعيناها ممتلئتان بالدموع، صـوب المركبة التنينية. وعلى حين غرة، هزت العمة زيلدا رأسـها، ومسـحت يديها في ثوبها واتجهت لتنظر إلى جينا: «نعم، يا عزيزتي!».

بسـرعة، انطلقت جينا في سرد قصتها قبل أن تبدي العمة زيلدا أي انتبـاه. سـردت القصـة على نحو مسـرع وبسـيط وسـرعان ما وصلت إلى النهاية. «إذًا كما ترين، يا عمة زيلدا، أبناء شقيقك إرن وإدي في حاجة شديدة لمساعدتك».

لـم تتفوه العمة زيلدا بشيء.

حثها الفتى الذئبي قائلًا: «سوف تكونين في حاجة إلى جرعات الـدواء الجذريـة والقـوة الكهربائيـة المنشـطة. أليـس كذلـك يـا زيلدا؟».

تنهدت العمة زيلدا.

كانت جينـا قد بدأت في فقدان الأمل عندما نظرت العمة زيلدا إليهـا على حين غرة بتلك النظرة القديمـة والحكيمة التي افتقدتها جينا كثيـرًا. ثم قالت:«يا عزيزتي جينـا، ذاكرتي في طور الانعدام، وقـواي في طور الضعف، وأعلـم أنني لن أكون قـادرة على إعادة ابنيْ شـقيقي السـخيفين للغاية، واللذين - وفقًا لروايتك- يتسمان بالشجاعة في ذات الوقت إلى هذه الحياة».

«من فضلك أيتها العمة زيلدا، بوسعك القيام بذلك».

هزت العمة زيلدا رأسها، وقالت: «لا يمكنني القيام بذلك». ثم اتجهت صوب الفتى الذئبي، وقالت: «غير أنني أعرف شخصًا ما بوسعه القيام بذلك».

وجاء الدور على الفتى الذئبي ليهز رأسه، ويقول: «لا يا زيلدا، هذه مهارة من مهارات الحُرّاس».

«بالتأكيد هي مهارة من مهارات الحُرّاس، وهذا هو السبب وراء تكليفي لك بهذه المهمة، أيها الفتى الذئبي، أو أعتقد أنه ينبغي علي مناداتك باسم مارويك الآن.. أنا أكلفك بهذا». أخرجت العمة زيلدا من جيبها سلسلة صغيرة فضية اللون مصنوعة من روابط ثلاثية ناعمة، وقالت: «هذه هي سلسلة الحُرّاس. لقد ضاقت عليّ قليلًا في العام الماضي، لذا نزعتها، وأصبحت على علم حينها بأن أيامي في الحراسة قد اقتربت من نهايتها، غير أنها سوف تناسبك تمامًا يا عزيزي مارويك».

أُصيب الفتى الذئبي بحالة من الصدمة وقال: «لا يا زيلدا».

«نعم يا مارويك، عما قريب سوف أنسى مكان سلسلة الحُرّاس وقد أنسى حتى ماهيتها، عليك أخذ السلسلة الآن، وأنا لا أزال مدركة لما أقوم به». ثم ابتسمت العمة زيلدا في وجه سبتيموس ونكو، الذي قدم على الطريق للانضمام إليهم، تاركًا وراءه لافظ اللهب جالسًا بجانب المركبة التنينية. «وكما ترى، الآن لدينا جميع الأشخاص الذين يتطلب وجودهم لتسليم هذه السلسلة. لدينا

الملكة - أو التي ستصبح ملكة قريبًا-وممثل عن الساحرة العُظمى بصفتهما شاهدين. وكل ما نحتاج إليه الآن هو الحصول على إذن من الملكة».

كانت جينا على علم بما تقول: «أيتها الحارسة، منحتك الإذن».

ردت العمة زيلدا: «هذا فضل منك، وأنا أيضًا أمنح الإذن». ثم قامت بتسليم السلسلة إلى جينا، التي اضطُرت للوقوف على أطراف أصابعها لتثبيتها حول رقبة الفتى الذئبي المتسخة.

قال الفتى الذئبي: «يا إلهي»، وهو يلامس بيده السلسلة الناعمة لتسري بين أصابعه أصداء جميع أولئك الذين ارتدوها من قبل.

ومن جيب آخر، في أعماق الفستان البالي والمرقع الذي ترتديه، التقطت العمة زيلدا حزمة من المفاتيح، وجميعها ذات أشكال وأحجام مختلفة، وقامت بتسليمها للفتى الذئبي، ثم قالت: «سوف تكون حارسًا جيدًا يا مارويك».

قال الفتى الذئبي: «أشكرك يا زيلدا». ثم نظر حوله صوب أصدقائه وهز رأسه في حالة من عدم التصديق، ثم قال: «واو، ها، حسنًا، من الأفضل لي المضي قدمًا. لدي عمل يجب القيام به. وأشياء عليّ إصلاحها، وبسرعة».

احتضنت العمة زيلدا الفتى الذئبي بشدة، وقالت: «وسوف تقوم بهذه المهمة، يا مارويك. أعلم أنك سوف تقوم بها». وارتجف صوتها للحظة، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة، وقالت

بابتسامة: «حسنًا، الآن سأمضي في الطريق. سوف أذهب وأتحدث إلى المركبة التنينية».

شـاهد كل من الفتى الذئبي، وجينا، ونكو، وسـبتيموس، العمة زيلدا أثناء ذهابها إلى أسفل الطريق باتجاه قناة الغِمد.

قالت جينا: «أوه، يا عزيزتي». ثم أخرجـت غطـاء رأس حريريًّا أحمر اللون ومسحت أنفها.

قـال الفتـى الذئبـي: «صحيح»، ثـم نظر إلـى أصدقائـه، وقال: «سـوف أبـذل قصـارى جهـدي، أعدكم بذلـك. مـن الأفضل لي الانصراف الآن. سوف أذهب إلى هناك بأسرع وقت ممكن».

قالت جينا: «أتمنى لك حظًّا وافرًا يا مارويك».

رفع الفتى الذئبي يده تقديرًا لهم واختفى في ظلال الكوخ.

سـار كل مـن جينا وسـبتيموس ونكو ببطء إلى نهايـة الطريق. وكانـت المركبـة التنينية لا تزال سـاكنة في مكانها بـكل عظمة في الميـاه، وقد خفضت رأسـها لتتحدث مع العمة زيلـدا، التي كانت تربـت علـى أنفها المخملية برفق. راقبهم لافـظ اللهب، وقد بدت عليه الغيرة قليلًا، في ظن سبتيموس.

ربتـت العمـة زيلـدا على أنـف المركبـة التنينية للمـرة الأخيرة وابتعـدت عنها، ثم قالت: «حسـنًا، أيها الأعـزاء، من الأفضل لكم الانصـراف. وعلـي أن أقول لكم: إن المركبـة التنينية أصبحت في حالة رائعة. لقد اعتنيتم بها على أكمل وجه».

نظرت جينا إلى سبتيموس كما لو كانت ستتفقد شيئًا ما معه، فأومأ برأسه.

قالت جينا: «أيتها العمة زيلدا، هل ترغبين في المجيء معنا في المركبة التنينية؟».

هزت العمة زيلدا رأسها بحزن، وقالت: «ليس بوسعي ترك الكوخ خاليًا؛ لدينا مشكلة سيئة مع جنيات المستنقعات في الوقت الراهن. وسوف يدخلن الكوخ بمجرد انصرافي. سوف يأكلن كل شيء».

ثم نظرت بأسف صوب المركبة التنينية، وقالت: «بيد أنني كنت سأحب كثيرًا الذهاب معكم».

وبعد مرور خمس دقائق، كان لافظ اللهب الممانع واقفًا خارج كوخ الحُرّاس، ليخبره سبتيموس: «يا لافظ اللهب، أعلن تنصيبك رسميًّا في منصب التنين القائم على رعاية كوخ الحراس، لا تسمح لأي من جنيات المستنقعات - أو أي من مخلوقات المستنقعات الأخرى - بالاقتراب أكثر من عشر ياردات من كوخ الحُرّاس حتى عودة العمة زيلدا. مفهوم؟».

ضرب لافظ اللهب بذيله في غضب. لقد فهم فهمًا تامًّا حيث كان بارعًا وداهية. وعلى إثر ذلك، بدأ في دوريته للقيام على رعاية كوخ الحراس متسائلًا عن مذاق جنيات المستنقعات. وكانت لديه النية في التهام أكبر قدر ممكن منهن.

انطلقت المركبة التنينية من قناة الغِمد، محدثةً رشاشًـا كبيرًا من مياه المسـتنقعات المعكّرة. وقام سبتيموس بتسيير المركبة التنينية حـول الكـوخ مـن أجل تفقـد لافـظ اللهب، ثـم حلقوا بعيـدًا عن المسـتنقعات، متوجهيـن إلى الكثبـان، والبحـر المتلألئ خلفهم. جلسـت العمـة زيلـدا في مقدمـة المركبة مـع جينا، وكانـت يداها تسـترخيان على القشـور الناعمة على رقبة التنين. ثم ابتسـمت في حالة من الرضا، وهي تمعن النظر في المستقبل البعيد الذي لا يراه أحد سواها.

41

مشكلة عميقة

انحشر مارسيلوس في أحد جحور الطُرَّاق، هناك في أسفل الأعماق فيما وراء المرجل. وكانت الواجهة الصخرية الأمامية لغرفة النار يتخللها مداخل مؤدية إلى مدينة خفية؛ هي عبارة عن نظام معقد من الغرف والأنفاق المتفرعة منها في شكل شجرة مجوفة في الصخرة. وكان الجذع الرئيسي عريضًا، ومتعرجًا، وكبيرًا بما يكفي حتى لتسلق أحد البشر عليه، ومنه تفرعت الكثير من الأنفاق. كانت تلك هي المساحات العامة

للطُرّاق، وكانت اليرقات المتوهجة تضيئها، بينما كانت كرات النار المتناهية الصغر المتوهجة إلى ما لا نهاية تضيء الغرف الكبرى. وكانت الأنفاق الصغيرة تؤدي إلى مجموعات من الغرف الخاصة (التي أطلق عليها الطُّرّاق اسم أعشاش) وهي الأماكن التي كانوا ينامون فيها. وتلك الغرف الخاصة قد رُتبت في عناقيد متفرعة من الممر المركزي. وعلى الرغم من عدم تفضيل الطُرّاق المشاركة في عش واحد، فإن المجموعات العنقودية كانت مقرًّا للشئون الاجتماعية، وغالبًا ما كان يقطنها مجموعات الأصدقاء الذين نشئوا وترعرعوا معًا.

كان مارسيلوس موجودًا في الغرفة العامة، أكبر الغرف على الإطلاق، وهي الغرفة التي كان بوسعه الجلوس فيها، وبجانبه جلس القرفصاء ذلك الطارق المكتنز دوجليوس. ومثله مثل سائر الطُّرّاق، كان من الصعوبة بمكان مراقبته ما لم تعلم بوجوده هناك. كان الطُّرّاق يبدون مثل الأرض المحيطة بهم، فشعورهم طويلة ومضفرة، ومربوطة في حبال كثيفة، وملطخة بالأرض. وبشراتهم البيضاء كالطباشير، والتي لم تر ضوء النهار من قبل، مغطاة بالأتربة الناعمة من الصخور، وأصابع أيديهم وأرجلهم - التي تنتهي بمماص تسمح لهم بالتسلق على كل من الصخور والمرجل على حد سواء - مكسوة بالسخام والقذارة. وإذا ما كانت هناك كلمة واحدة تستخدم في وصف أحد الطُّراق، فستكون

«أشعث». ومن خلال عينيه الكبيرتين والقذرتين والدائريتين واللامعتين والمتسائلتين، أمعن النظر في كافة التفاصيل الدقيقة في مارسيلوس باي. منذ تلك اللحظة التي نقر فيها على رأس أستاذه القديم، لم يتوقف الطارق دوجليوس عن الابتسام، كانت ابتسامته عريضة حتى تمكن مارسيلوس من رؤية أسنان الطارق الصفراء الصغيرة للغاية.

تحدث مارسيلوس ودوجليوس بلغة الإشارة التي يفضل الطُّرّاق استخدامها. وكان دوجليوس قد أخبر مارسيلوس قائلًا: «لقد قام جوليوس بايك بسحبك بقسوة حتى اعتقدنا أنه سوف يتخلص منك. وكان يساورنا بالغ الحزن أثناء تأميننا للجميع وإصلاح الخلل الذي أدى إلى إشعال النار، ثم تهيأ الجميع للاستعداد لاحتمالية اشتعال النار مجددًا. آه أيها الكيميائي، وكانت الأجواء باردة بشكل فظيع في ذلك الحين، ورحنا نسير ببطء مريع. غير أننا عدنا إلى أعشاشنا في الوقت المناسب للحاق بآخر لحظات الدفء النابع من الصخور، وهو ما كان كافيًا كي نصنع شرنقات لنا».

تنهد مارسيلوس متسائلًا: «شرنقات؟».

«آه، كي ننام نومًا عميقًا».

«لم أكن على علم بذلك».

غمـز دوجليوس بعينيـه في وجه مارسـيلوس وقال بالإشـارة: «نحن الطُرّاق يجب أن نحتفظ بأسرارنا أيضًا، أيها الكيميائي. البرد أعلن لنا عن بدء النوم، أما حرارة النار فهي شـمس الصباح بالنسبة لنا».

وكاد مارسـيلـوس ينسـى التشـبيهات البلاغيـة فـي حديـث الطراق، والتي تنسـاب في أغانيهم حتى بدت أيديهم كما لو كانت تتراقـص أثنـاء خـروج الكلمـات. ثم اسـترخى لينسـى للحظات الخطـر المحـدق بـه. لقـد عـاد أخيـرًا وكان بصحبة عائلتـه وكان بوسعهم التوصل إلى حلول لبعض الأمور معًا.

وبعد مرور قليل من الوقت، كان مارسيلوس غير متفائل. وكان قد زحف خارج الجحر ليصبح فقط أمام وهج أحمر لامع بشـكل مخيـف يملأ أرجـاء الكهف. وأطلـق الضوء شـراراته من المعدن القديم المتشـابك والمترسـخ في الصخور حتى بدا سقف الكهف المحـدب تكسـوه شـبكة فضيـة لامعـة مـن العناكـب العملاقـة المجنونة. بدأ الهواء في الفرقعة وإلقاء الشرار أثناء قيام مارسيلوس باستنشاقه، تاركًا مذاق المعدن على طرف لسانه. وعلى حين غرة، عاد مارسيلوس إلى الماضي من جديد، إلى بداية الكارثة الكيميائية الكبرى. كان ذلك هو مذاق الهواء حينئذٍ.

وفـي محاولة لكبـح جماح الفزع الذي انتابه، نزل مارسـيلوس فـي الظلال الواقعة أسـفل المرجل. كانت الحـرارة مرهقة؛ وأخذ

العرق يتصبب على جبينه وكان رداؤه الصوفي ثقيلًا وحارًّا. تسلل مارسيلوس أسفل سطح المرجل المنتفخ الدائري. وببطء شديد وتأنٍّ مثل السلحفاة، خرج من حماية المرجل حتى رأى الظلال الضخمة لشاماندريجر سارن ودراميندونور نارن ملقاة على الجدار المقابل من الكهف. شاهدها مارسيلوس لعدة دقائق، غير أنهما كانا ساكنين ولم يفصحا عن أي إشارة لما كانا يفعلانه.

ثم لفتت انتباهه حركة خفيفة خلفه لتتسارع نبضات قلب مارسيلوس من الخوف. وببطء شديد، عاد وأدار وجهه ليرى فقط صفًّا من الطِّراق يمعن النظر فيه، وكانت أعينهم السوداء الواسعة في الظلام، ترى أبعد بكثير مما كان بوسعه رؤيته. ابتسم مارسيلوس، كان قد نسي عادة الطُّراق في تعقبه. ثم أشار إليهم بضرورة البقاء في أماكنهم، وعزم على رؤية ما يحدث، ليبدأ في التحرك ببطء بعيدًا عن مظلة المرجل.

تمكن مارسيلوس من رؤيتهما عاليًا في ممر التفتيش، وهما يوجهان أشعة من الضوء الأحمر كقلم رصاص مرفوع على قمة النار، كما كان المتطفلان يسيران ببطء حول المرجل، كما لو كانا سيقلبان إناء ضخمًا من المرق. رأى مارسيلوس حينها ألسنة اللهب الزرقاء الكيميائية تتقافز لملاقاتهم، كما يقفز السمك لالتقاط الحشرات، وأصبح على علم بما كان يحدث، وببطء وثقة في ذات الوقت، كان يتم تسريع النار.

انطوت **النار** الكيميائية على الكثير من التناقضات؛ أحدها، خلافًا للنار الطبيعية، أن إضافة الفحم تعمل على تهدئتها واحتوائها. ومثل الأسد الذي يخمد بعد التهام ظبي صغير، تهدأ **النار** الكيميائية باستخدام دثار من الفحم.

وأصبح مارسيلوس على يقين بأنه يتعين عليه التصرف سريعًا. كان هناك قادوس ضخم من الفحم المضغوط مخبأ في سقف غرفة **النار**، غير أن العتلات التي تستخدم في إطلاقه كانت متواجدة في غرفة التحكم، وسيكون السبيل الوحيد بالنسبة له للوصول إلى هناك على مرأى السحرة بشكل كامل؛ لذا اتخذ قرارًا بالركض للوصول إلى هناك، غير أنه كان في حاجة إلى خلع حذائه أولًا لينال تلك الفرصة.

لفتت تلك الحركة انتباه شاماندريجر سارن، فغادرت شفرات السيف ذي الحدين من الضوء الأحمر تلك **النار** ومالت للأسفل على الأرض، للبحث عن مصدر تلك الحركة الغريبة. تجمد مارسيلوس في مكانه، ووقف على ساق واحدة مثل طائر اللقلق. وبشكل ممنهج، اكتسحت الأشعة الأرضية، ذهابًا وإيابًا، ذهابًا وإيابًا، لتقترب من مارسيلوس. وعلى إثر ذلك، أغلق عينيه وانتظر النتيجة الحتمية.

ثراك. تردد صدى صوت فتح الباب الصغير للنار عبر الكهف. فتمايلت الأشعة الحمراء للأمام؛ ليفتح مارسيلوس

عينيه بعدها. وعندها، رأى سايمون يسقط إلى أسفل، ثم يعود مجددًا أعلى السلم مثل الفأر الذي يقفز في أنابيب المجارير. وكان سايمون قريبًا للغاية من الباب الصغير عندما أمسك أحد الأشعة بحذائه الخارج بسرعة وقطعه إلى شرائح. سمع مارسيلوس صوت صرخة، ثم صوت إغلاق الباب الصغير للنار.

انهار مارسيلوس مجددًا في الظلال في حالة من الصدمة. هل تمكن سايمون من الخروج؟ أو بالأحرى هل خرج سايمون بجميع جسده؟ أم لا تزال قدمه مستلقية على المنصة العليا؟ لا، أخبر مارسيلوس نفسه بصرامة، لا يجدر به التفكير على هذا النحو.

يجب عليه تصديق أن سايمون لم يخرج وحسب، ولكنه أيضًا في طريقه إلى مارشا من أجل تحذيرها مما حدث؛ نظرًا لأن مارسيلوس الآن، بعد أن أخبره دوجليوس بالحقيقة وراء حدوث الكارثة الكيميائية الكبرى، كانت لديه الرغبة في إخبار مارشا بكل شيء.

تلك التجربة التي خاضها سايمون بين يدي ساحري الخاتم جعلت مارسيلوس يدرك أنه ليس لديه فرصة للوصول إلى غرفة التحكم وهو على قيد الحياة، غير أنه قد يتمكن الطّراق من القيام بذلك.

وبالعــودة إلـى جحــر الطُّـراق، جلـس مارســيلوس مع دوجليوس ونائبه بريوس.

قال مارســيلـوس بالإشارة: «دوجليـوس، سـوف أذهــب للحـصـول على المساعدة».

نظر دوجليوس في ريبة، ولم يكن بوسـعه التفكير في ماهية المسـاعدة التي قد يحصل عليها مارسـيلوس. غير أنه لم تكن مهامه تتضمن توجيه أسئلة للكيميائي؛ لذا قال بالإشارة فقط: «ما الذي بوسعنا القيام به، أيها الكيميائي؟».

وكان مارســيلوس قد أعد الخطة. سـوف تذهب مجموعة واحد - هذا هو الاسم الذي كانت تطلقه الأطراف العاملة من الطُرّاق على أنفسـهم - إلى غرفة التحكم، حيث يتعين عليهم إسـقاط الفحم لحماية أعمدة النار. كما تذهب مجموعة اثنان إلى مدخل المياه، ومجموعة أخرى إلى مخرج المياه من أجل الحفاظ على تدفق المياه. وتكون كافة المجموعات على أهبة الاستعداد لتحل محل أي من تلك المجموعات، التي ...

أشار دوجليوس: «التي تتعرض إلى الدمار في واقع الأمر».

أشــار مارسـيلوس قائلًا: «نعم، لسـوء الحظ سـيكون ذلك حتميًّا.

والآن يا دوجليوس، سـوف أسلك طريق الطارق للخروج من هنا».

نظر دوجليوس صوب أستاذه نظرة حاسمة، ثم قال: «لن يناسبك مقاس المخرج».

قال مارسيلوس: «يجب أن يناسبني».

ومثل الدودة العمياء، زحف مارسيلوس للأعلى عبر طريق الطارق؛ ذلك الجحر الكبير الذي يمتد للأعلى داخل الصخرة مثل جذع الشجرة الأجوف. ولم يكن هناك مساحة لتسع كيميائيًّا يبلغ طوله ستة أقدام، والذي دأب على تناول كميات كبيرة من البطاطس في الآونة الأخيرة.

رأى مارسيلوس الطريق يلتوي أمامه، مرقط بالأضواء المتمعجة الصغيرة للغاية، وهي عبارة عن اليرقات المتوهجة التي استعمرت الجحور منذ آلاف السنين. امتد الجذع لأعلى صوب منحدر يبدو معتدلًا بالنسبة للطراق، غير أنه يبدو شديد الانحدار بالنسبة للبشر. وكان الجذع ساخنًا وغير جيد التهوية، ومثله مثل الطراق، كانت تكسوه أتربة ناعمة. وقد تسبب وجود الأتربة في زيادة صعوبة التسلق؛ حيث جعلت مارسيلوس ينزلق ويتزحلق؛ فاندفع ذلك الغبار إلى رئتيه، وهو ما أدى إلى صوت صفير مصاحب لأنفاسه، جعله لاهثًا يتوق لاستنشاق الهواء النقي.

بيد أن الغضب قاد مارسيلوس للأمام. الغضب حيال ما أخبره به الطارق دوجليوس عما وجده أسفل المرجل عقب

إغلاق جوليوس لباب **النار**، والغضب حيال كيفية تضليله. غير أن الأهم من ذلك كله، هو غضب مارسيلوس إزاء عمليات الخداع والمكر التي قام بها جوليوس بايك، التي وضعت القلعة في قلب المخاطر؛ لذا خاض بنفسه المغامرة وشق طريقه بصعوبة من خلال الجحر إلى أعلى، مارًّا بجوار الجحور الصغيرة للغاية والمتفرعة المؤدية إلى أعشاش الطُرّاق، والتي كانت حتى ساعات قليلة ماضية ممتلئة بشرانق الطراق.

وفيما كان مارسيلوس يواصل تسلقه بصعوبة بالغة، لاحظ أن الصخرة بدأت تبرد، فخمن حينها أنه يتحرك خارج الكهف، بعيدًا عن **النار**. وكانت الأفرع المؤدية إلى أعشاش الطُرّاق قد توقفت، وما أثار ارتياح مارسيلوس هو اتساع جحر الهروب، كما قلت نسبة الانحدار أيضًا واستقر الجحر في سلسلة من الحلقات مثل الحلقات الفلينية الضخمة، وهكذا كان مارسيلوس قادرًا على الزحف من خلالها بدلًا من التسلق. أخذت روحه المعنوية ترتفع كل لحظة، وأخذ مارسيلوس يزحف على نحو أسرع، ولم يعد يعبأ بجرح ركبتيه أو كشط أصابعه أو حقيقة كونه يزحف في شبه ظلام، مع ازدياد تناثر اليرقات المتوهجة. وكان قريبًا للغاية، وفق تخمينه، من باب

الهروب الذي سيؤدي به إلى النفق الجليدي السفلي تحت الغرفة الكيميائية الكبيرة.

وحينها وقعت الكارثة.

أثناء دورانه في حلقة أخرى من الحلقات الفلينية، زحف مارسيلوس بسرعة معينة فيما بدا أنه انهيار صخري. وتمامًا مثل صوت الجلجلة الجوفاء لسقوط ثمرة جوز الهند على الأرض، ارتطم رأس مارسيلوس بالصخرة، ليرى وابلًا من النجوم أمام عينيه، تهاوى بعدها للخلف وانهار على التراب. وهناك رقد، مغمض العينين، ودمه يتقاطر نتيجة الكدمة الكبيرة على جبهته.

وعلى بعد كبير في أسفل غرفة النار، وصلت مجموعة من الطراق - وكانت هي المجموعة الثالثة في المحاولة - في نهاية المطاف إلى غرفة التحكم. ثم احتشدوا أعلى الجدار وقاموا بإمالة أول مجموعة من الرافعات للأسفل. وبعد ثوان، وبصوت زئير رعدي، وقعت بعنف كميات هائلة من الفحم من أحد المنحدرات بالسقف وسقطت في الهواء داخل المرجل. وأثناء ارتطام وابل الفحم الناعم بألسنة اللهيب، ملأت الأعماق أصوات صفير هائلة وتصاعدت سحابة كبيرة من التراب الأسود في الهواء، لتكسو ساحري الخاتم وتحول لون الدرع القرني الأخضر الخاص بهما إلى لون أسود ترابي.

استشاط الساحران غضبًا، كزوج من الدبابير التي خرجت لتوها من حالة البيات الشتوي في رماد الموقد، ودار الساحران بحثًا عن ضحايا، غير أنهما لم يعثرا على أحد؛ حيث كان الطراق في السحابة الترابية غير مرئيين تمامًا. وبعد أن أصيبا بالإحباط، سلط الساحران أشعة الضوء الحمراء الخاصة بهما على غطاء الفحم الذي استقر أعلى قمة **النار**، فتناهى إلى سمعهما صوت هبة عالية، واشتعل الفحم وقفز لوح من ألسنة اللهب في الهواء. وكان الساحران شديدي الابتهاج بما حدث.

وعلى بعد كبير في التراب السخامي بالأسفل، كان الطراق، أيضًا، في حالة من السعادة. فما دام الفحم يشتعل، فذلك يعني أن **النار** في أمان.

وببطء شديد للغاية، بدأت ألسنة اللهب الناتجة عن نار الفحم بالتسلل أسفل القلعة. ثم ما لبثت أن انتشرت عبر منافذ التهوية التي كان مارسيلوس قد فتحها مؤخرًا، مما ترتب عليه تدفئة الصخور فوقها وأرضيات المنازل القديمة. قام الناس بفتح نوافذ منازلهم، يتذمرون من حرارة فترة ما بعد الظهيرة، ولكن مع قدوم سحب المساء من الميناء، سُمع صوت أزيز للأمطار أثناء ارتطامها بالرصيف.

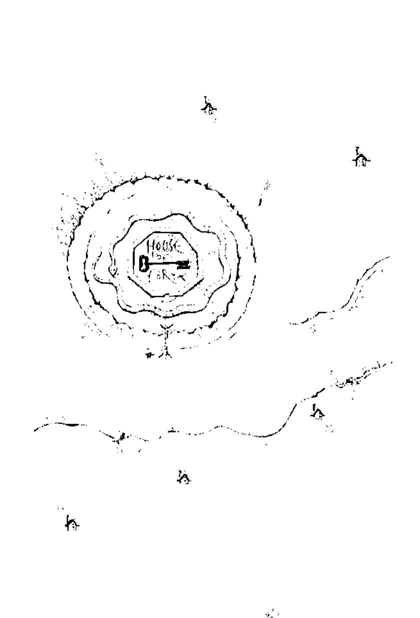
وهناك في الأعلى حيث غرفة **البحث والإنقاذ**، رأت هيلدا جارد أول ألسنة اللهب التي انطلقت بسرعة خلال الرصيف

المقابل لمتجر تيري تارسـال. وعلى إثر ذلك، اندفعت سريعًا إلى الأسـفل نحـو البهو الكبير، حيث قامت مارشـا بإنشـاء ما أطلقت عليه «مركزًا للقيادة».

صرخت هيلدا جارد: «النار! النار، النار، النار!».

✢ 42 ✢

بيت الفوريكس



فيما كان مارسيلوس يرقد فاقد الوعي هناك في الظلام، كانت المركبة التنينية تحلق ليلًا عبر البحر، فوق جزر الحورية؛ حيث انبعثت الأضواء اللامعة والبراقة من منارة صخرة القطة، متجهة للأمام صوب الأرض المبني عليها بيت الفوريكس. تبادل كل من سبتيموس وجينا ونكو الأدوار على دفة القيادة، ليس بهدف إرشاد

المركبـة التنينيـة، التي كانت تعلم جيدًا أين تذهب، وإنما للتسـرية عنها إبان رحلتها.

كان الليل هادئًا وصافيًا، والنجوم متوهجة مثل بلورات الجليد المتناثرة في السـماء. وكان نكو قد بدأ يشعر بالاسترخاء وقد اعتاد حركة الارتفاع والانخفاض التي تقوم بها المركبة التنينية. اسـتلقى نكـو على ظهـره وهو يمعن النظر في الليل حتـى بدأ يصدق أنه قد عاد إلى البحر، وأنه يتدحرج بسبب موجة عاصفة تأتي من المحيط.

وفـي السـاعات القليلـة الأولى مـن صبـاح اليوم التالـي، رأى سـبتيموس اليابسـة ليأخذ بعدهـا المركبـة التنينية للأسـفل ويرى مـكان وجودهـم. وأثناء تحليقهـم أعلى نقطة رمليـة طويلة مرقطة بأكـواخ الصياديـن المثبتة على ركائـز، لفت انتباه سـبتيموس فتاة صغيرة تمعن النظر من خلال نافذة مضيئة في أسطح أحد المنازل. لـوح لهـا فلوحت له الفتاة هـي الأخرى. وأخـذت تراقب المركبة التنينيـة تنطلق في طريقها، ثم استسـلمت للنـوم ورأت التنانين في أحلامها.

حلقت المركبة التنينية لأعلى، فوق مركز التجارة، حيث أوضح عُقد من الأضواء صف الموانئ التابع له، عبر المدخل الذي تستقر عليـه تلك الموانئ، ثـم فوق متاهة من الضفـاف الرملية التي تفتح

الطريـق إلى المسـتنقعات، ثـم فوق أميـال من المزارع المسـتنزفة والمنبسطة؛ ليصلوا بعدها إلى أرض بيت فوريكس.

وبينمـا كانت الأجـواء لا تزال مظلمة في القلعة - وكانت أكثر ظلمة في المكان الذي يستلقي فيه مارسيلوس - كان الليل يتلاشى بالنسـبة لأولئك المتواجدين على متن المركبة التنينية. رأت العمة زيلـدا - التي كانت جالسـة فـي مقدمة المركبة بصحبـة جينا، التي كانت نائمة ملتفة تحت لحافها - شـريطًا رفيعًا من اللون الأخضر الباهـت باديًـا في الأفـق أعلـى الظلام المخيـم علـى الحقول في ساعات الليل.

همست العمة زيلدا: «نحن نحلق نحو الشمس».

وبثبات، أخذت المركبة التنينية ترتفع وتنخفض، وهي مستمرة فـي التحليـق. نام نكـو نومًا خفيفًا وقـد تلحف بأحـد ألحفة العمة زيلـدا، فـي الوقـت الـذي كان فيه سـبتيموس يمسـك بالدفة وهو ناعـس تمامًا فيما كان يراقب الأرض بالأسـفل. ومع بزوغ الفجر، رأى أشـكال المـزارع المتناثرة في الظلام علـى الأرض، كما رأى توهـج الضـوء المنفـرد من حـين لآخر، وذلك مع بدء اسـتيقاظ الناس والانطلاق في أعمالهم الصباحية.

انتشر الشـريط الأخضر الشـاحب ببطء في السماء ليحل محل اللون الأصفر الباهت. وعلى بعد كبير في الأسـفل، تلألأ الشريط

اللامع للنهر وقد شق طريقه عبر رقعة من الحقول التي تناثرت عليها طبقة من الجليد. استيقظت جينا وتثاءبت؛ وهي تشعر بتيبس في جسدها وبالبرد، غير أن منظر السماء المضيئة أمامها، والتي كانت الآن تتخذ مسحة من اللون الزهري بالغ الرقة، هو الذي أنعشها مجددًا. أدركت أن نكو كان يتحرك على متن المركبة فاتجهت لتقول له «صباح الخير»، وهي مزغللة العينين.

كان نكو يتقدم بكوبين في يد واحدة، ممسكًا الحافة العليا من المركبة باليد الأخرى، ثم قال: «صباح الخير، أيتها الأميرة النائمة. أترغبين في احتساء بعض المشروبات؟».

ثم قدم كوبين من الشوكولاتة الساخنة إلى جينا والعمة زيلدا.

«ياه، أشكركَ يا نِك».

«بوسعك تقديم الشكر لسِب. لقد أحضر إلينا بعض المعونات في تلك الحقيبة الخاصة به».

ابتسمت جينا متسائلة: «هل هذه هي تميمة الشيكولاتة الساخنة؟».

«صحيح. كل واحدة في الكوب الخاص بها. أنيقة أليس كذلك؟».

نادت جينا باتجاه أسفل المركب قائلة: «شكرًا يا سِب».

«تمام، يا جين. ها، بوسعي رؤية الغابة الآن!».

نظرت جينا إلى الأسفل ورأت المشهد يتغير على نحو سريع. حيث تحولت الطبقة الرقيقة من الجليد إلى غطاء متواصل من اللون الأبيض يكشف عن خطوط مظلمة من المسارات التي تتعرج عبر مساحات من الأشجار. وأثناء مشاهدتها لذلك، اقتربت رءوس الأشجار أكثر فأكثر معًا وتلاشت المسارات واختفت أسفل القبة البيضاء.

وتمامًا مثل الغابة القابعة بالأسفل، خيم الصمت على طاقم المركبة التنينية. وكان الصوت الوحيد المسموع هو حفيف الجناحين أثناء تحليقها للأمام حتى أصبح كل ما يمكن رؤيته بالأسفل عبارة عن بحر رتيب من رءوس الأشجار الجليدية الممتدة في الأفق الكبير. أخذوا يحلقون، وهم يمعنون النظر للأسفل صوب الأشجار، حتى فقدوا الإحساس بالاتجاه، وحتى سبتيموس بدأ في التساؤل إذا ما كانت المركبة التنينية تحلق في دوائر.

تلاشت كافة المسارات زهرية اللون من السماء عندما شعر طاقم المركبة بحدوث تغيير في الطيران. بدأت الأجنحة في التباطؤ، وخفضت المركبة التنينية رقبتها لترى جينا عينيها الخضراوين الزمرديتين تنظران أمامها.

اخترق وميض مفاجئ من ضوء الشمس منبعث من إحدى الفجوات في الغمامات - القوس الفضي الهش المُعلَّق عاليًا فوق الأشجار، وهو ما جعله يتلألأ مثل شبكة العناكب العملاقة التي تمطر رذاذًا وندى، لينكشف بعدها الجسر المؤدي إلى بيت الفوريكس. وحتى سبتيموس، الذي كان يعاني من ذكريات مخيفة متعلقة بعبور الجسر، انبهر بجماله وروعته. وبعد مرور ثوانٍ قليلة، انزلقت أشعة الشمس من وراء السحب واختفى الجسر، ليندمج مجددًا مع السماوات البيضاء. مالت المركبة التنينية بحدة ودارت متوجهة إلى الأسفل.

وحينئذٍ، وعلى حين غرة، رأوا بيت الفوريكس أمامهم بلونه الأسود الصارم على خلفية الجليد الأبيض، وقف هناك كحصن كبير مبني من الجرانيت في فخامة متفردة على إحدى ركائز الصخور تحيط به الهاوية العميقة المظلمة. وقد بدت أبراجه الأربعة ذات الزوايا الثمانية، والتي أحاطت بالجواهر الثمانية الأكبر منها، وكأنها تشق عنان السماء البيضاء، وحلقت فوقها مجموعة من الغربان التي أخذت تنعق في الصباح.

همست العمة زيلدا قائلةً: «أوه، يا عزيزي».

انزلق نكو على طول ظهر المركب وجاء للجلوس بجوار العمة زيلدا، فأحاطته بذراعها وغطته بلحافها. ولم يبدِ نكو - الذي لم

يكـن يحب «التدليل» كما كان يطلق عليه – أية مقاومة، ليشـاهدوا معًا – هو والعمة زيلدا وجينا – بيت الفوريكس يدنو منهم.

ارتجف نكو. ولم يكن المبنى هو الذي أفزعه في حقيقة الأمر، ولكن علمه بأنه كان هناك كثير من الناس داخل الحصن بالأسفل، حيث لم يكن للزمن أي وجود، وقد تعلَّقت حيواتهم أثناء انتظارهم للعودة والخروج مجددًا إلى أزمانهم، تمامًا كما انتظر ذات مرة هو وسـنوري ... وانتظـرا... وانتظـرا. لينظر بعدها نكو إلى الأسـفل صـوب النوافذ المعتمة، والتي تكسـوها طبقـات رقيقة متنقلة مثل الزيت الذي يطفو على سـطح الماء، وتسـاءل: أي من تلك النوافذ التي قضى فيها هو وسنوري؟ ما بدا أنها فترة بلا نهاية يمعنان النظر صـوب الخـارج. وفجأة، نهض من مكانه وسـلك طريقه عبر ظهر المركب المنحدر متوجهًا إلى سبتيموس.

«يا سِب. لا تعد إلى هناك من فضلك».

قال سـبتيمـوس: «هـا، يا نِـك، لا بأس». ليخـرج بعدها **حجر البحـث** من جيبـه ويقلبه رأسًـا علـى عقب بهـدف إظهـار الكتابة الهيروغليفية التي نقشـها حُتب رع أسفله، وهي باللون الذهبي في مقابـل اللون الأسـود: «كما تـرى، هذا هو جواز مـروري. ومعنى ذلك أنه بوسـعي المجـيء والذهاب وفق ما أريد. وبوسـعي دومًا العودة أيضًا إلى زمني. حقًّا؛ الأمر على ما يرام هذه المرة».

هز نكو رأسه وقال: «أنا لا أصدق هذا الأمر».

«يا نِك، حتى وإن كنت لا تصدق أن هذا الجواز سوف يعمل، فلا بأس على الرغم من ذلك. أنت وجينا هنا، كما أن العمة زيلدا هنا. في زمننا، وفي حال عدم خروجي، بوسعك رن الجرس والسؤال عنِّي، ويصبح حينئذٍ بوسعي العودة مجددًا إلى زمننا. أنت تعلم ذلك».

هز نكو رأسه مجددًا وقال: «ليس بوسعك الوثوق بهم».

وكان سبتيموس على يقين من أنه لن يمكنه قول أي شيء كي يقنع نكو. لذا أعاد إحكام قبضته على الدفة وشرع في توجيه المركبة التنينية إلى الأسفل عبر بيت الفوريكس، باتجاه قبة زجاجية واقعة في المنتصف، والتي لم تكن مرئية من الأسفل. وخلافًا للنوافذ الفاقدة للحياة والمتواجدة في سائر بيت الفوريكس، انبعث ضوء أصفر رقيق من القبة وتوهج في هواء الصباح الرمادي.

وكان حُتب رع قد أصبح شخصية روتينية. ففي ذلك المكان الذي لا وجود للزمن فيه، صنع الساحر القديم إيقاع الزمن الخاص به. حيث كان يقوم كل يوم، بالثانية، بنفس الشيء، وغالبًا ما كان يفكر في ذات الأفكار. وكانت آخر مرة طرأ فيها تغيير على الروتين اليومي الخاص به عندما جاء أحد المتدربين الشباب يدعى سبتيموس هيب لرؤيته في نهاية **رحلة البحث**. ولم يكن لدى حُتب

رع أدنـى فكـرة عـن وقت حـدوث ذلك. مـن المحتمـل أن يكون حـدث ذلك في اليوم السـابق، ومن المحتمـل أن يكون منذ مئات السـنوات فـي الماضـي. ففـي بيـت الفوريكـس ليـس هنـاك أي اختلاف..

وفي ذلك الصباح، انحرف روتين أفكار حُتب رع عن مسـاراته المعتادة: حيث أضاء شـمعة، واستلقى بظهره على الكرسي الواقع أسفل القبة، وأمعن النظر في السماء البيضاء التي تكسوها الثلوج، وفكر في مركبته التنينية.

لـذا عندمـا رأى حُتب رع بالفعـل المركبة التنينيـة ذات اللونين الذهبي والأخضر اللامعين تحلق في السـماء، أصابته الدهشـة في بدايـة الأمر. وبعد مرورها الثاني فقـط، أدرك حُتب رع أن المركبة التنينية كانت بالخارج بالفعـل. ولم يكن على علم بالحقبة الزمنية التـي كانت فيها، غير أنهـا جاءت من أجله، كان يعلم بأنها سـوف تفعل ذلك يومًا ما.

نهض حُتب رع من فوق الكرسـي الجالس عليه وقال لتلميذته، تلمـار راي بيـل: «أنا فقط ذاهـب إلى الخارج، ومـن المحتمل أن أتأخر لبعض الوقت».

بدت علامات الرعب على تلمار وقالت: «لا تقل ذلك!».

ابتسم حُتب رع في وجه التلميذة لديه وقال: «لِمَ لا؟».

قالت: «هذا فأل سيئ، لقد قال شخص ما ذلك ذات مرة ولم يعد أبدًا».

قال حُتب رع: «لسوف أعود».

«لقد قال أحدهم ذلك ذات مرة أيضًا».

كانت المركبة التنينية في طريقها إلى الهبوط، وقد علمت أين تتجه، غير أن طاقمها لم يكن على علم بالأمر. شعر سبتيموس بتحرك الدفة من تحت يديه أثناء ميل المركبة التنينية للأمام في منحدر نحو الأسفل. وبأجنحتها الممدودة وذيلها المنخفض مثل المكبح، سقطت للأسفل باتجاه الشرفة الكبيرة المنبسطة المبنية من الرخام والواقعة في مقدمة بيت الفوريكس.

صرخت جينا: «يا سِب، ليس بوسعها الهبوط هنا!».

أغلق الجميع أعينهم، باستثناء العمة زيلدا، التي رأت خرير الماء يتساقط على سطح الرخام مثل الرياح المنسابة على الحرير، ليتحول الرخام بعدها إلى بحيرة من المياه البيضاء مثل اللبن. انزلقت المركبة التنينية بسهولة ويسر دون توقف، فقد كانت متمرسة على ذلك كونها قد هبطت في هذا المكان عدة مرات سابقة، ثم طوت جناحيها واستقرت في مقابل بيت الفوريكس مثل الطائر الراقد في عشه.

أطل سبتيموس على الجانبين؛ كان الرخام قد عاد صلبًا مجددًا. ثم قال: «**إنه متغير الانسيابية**».

قال نكو: «إنه ماذا؟».

«صلب، غير أنه يتحول إلى سائل عند تعرضه للضغط».

قال نكو عابسًا: «ألسنا جميعًا كذلك؟».

قالت جينا: «في الحقيقة، يا نِك، لسنا كذلك، وأنت على وجه التحديد لست كذلك. لا تسمح لهذا المكان بالتأثير على مشاعرك. لقد نسيت أنه بدونه ما كنت ستتواجد معنا هنا على الإطلاق».

أومأ نكو برأسه، ثم قال: «تمام. أعلم ذلك. فقط أريد أن أبقي الأمور على هذا النحو».

«نحن نريد جميعًا الإبقاء عليها على هذا النحو، يا نِك. وهذا ما سوف نفعله».

قال سبتيموس: «حان وقت الانطلاق. ثم أسقط سلم الصعود ذا اللون الذهبي والأزرق السماوي على جانب المركب، وترجل هابطًا.

وبعد مرور دقيقة، كانوا يقفون على درجات سلم بيت الفوريكس، وهو نفس المكان الذي انتظر فيه نكو وسنوري ذات مرة منذ خمسمائة عام في الماضي، ومنذ فترة ليست بالبعيدة للغاية كان سبتيموس قد وقف هنا وبحوزته **حجر البحث**، ثم

توهج ضوء أحمر لامع؛ وقد أصبح لونه أزرق وأسود، في حين لمعت الكتابة الهيروغليفية التي نقشها حُتب رع باللون الذهبي مانحًا إياه ممرًّا آمنًا للعودة إلى الحقبة الزمنية الخاصة به. على الأقل كان هذا هو ما يأمله.

ارتفع الباب المؤدي إلى بيت الفوريكس فوق رءوسهم، وكان مشهدًا بغيضًا، حيث وضعت ألواح ضخمة من خشب الأبنوس متجمعة معًا مع القضبان الحديدية والمسامير الضخمة. وأخذت الوحوش البشعة والمخلوقات العجيبة المنقوشة في هيكل الباب تمعن النظر في وجه سبتيموس ونكو كما لو كانت تتحداهما، لئلا يجرؤا على قرع الجرس الخارج من فم تنين حديدي رافعًا رأسه من خلال الجدار المبني من الجرانيت.

إلا أن سبتيموس جرؤ على ذلك. قعقع صوت الجرس على مسافة بعيدة، وبعد مرور بضع دقائق، كما توقع، قام رجل يشبه الخفافيش بجذب الباب بقوة فاتحًا إياه.

قال الرجل: «نعممممممممممممم؟».

كان سبتيموس على علم بأن هذا الرجل الصغير مولع بالجدل، لذا دخل مسرعًا، ثم قال: «لقد جئت لرؤية حُتب رع. لدي جواز مرور». أبرز **حجر البحث** في وجه الرجل، رافعًا الجانب المنقوش

بالكتابـة الهيروغليفيـة. أمعـن البواب النظـر في **الحجر**، ليسـتعد سبتيموس للأمر، ترقبًا لحدوث مشاكل .. وهو ما حدث.

قال البواب مرتابًا: «لم أرَ مثل هذا من قبل».

قـال سـبتيموس: «ولـن تـرى فـي المسـتقبل، هذا هـو **الحجر** الوحيد».

«فعلاً؟ سـوف تكـون مضطرًّا لإبـرازه أمام الحـارس». ثم نظر الرجـل الصغير صوب نكـو وقد بدا عليه الانزعـاج وقال: «أعتقد أنك ترغب في الدخول أيضًا».

رد نكو: «لا سبيل إلى ذلك».

حملق البواب الذي يعاني من قصر النظر صوب نكو عن كثب، وبدا على وجهه أنه قد تعرف عليه. وعلى حين غرة، امتدت ذراعه النحيلـة القوية وأمسـكت نكو من رسـغه، ثم قـال: «لقد عرفتك! لديـك عقوبـة زمنيـة لتقضيهـا!»، وبقـوة لا تتناسـب طبيعتهـا مع حجمه، سحب نكو عبر عتبة الباب.

وهناك فـي المركبة التنينية، كانت جينا تشـاهد المنظر في حالة من الرعب، وقد شـاهدت نكو يختفـي في ظلال بيت الفوريكس. كما رأت سـبتيموس يدخل في أعقابه وأُغلـق الباب خلفهما. لقد اختفيا.

وكانت جينا على علم بأنه يتعين عليها إخراج نكو، لذا قالت: «أيتها العمة زيلدا، أنا ذاهبة وراءهما».

قالت العمة زيلدا: «كوني على حذر يا عزيزتي، لا يبدو الأمر لطيفًا للغاية بالداخل».

«هو ليس كذلك. والآن، أيتها العمة زيلدا، هذا أمر من الأهمية بمكان حقًّا حقًّا. إذا ما تم سحبي أيضًا للداخل، يتعين عليك المجيء ورن الجرس، غير أنه لا يتعين عليك الدخول، فقط واصلي رن الجرس حتى نخرج. تمام؟».

بدت على العمة زيلدا حالة من الارتباك وقالت: «تمام، يا عزيزتي. لكن لم لا أدخل أنا وراءهما؟».

«الأمر خطير أيتها العمة زيلدا. لا يجدر بك الدخول».

«لا يبدو من الصواب القيام بذلك يا عزيزتي، كيف لي البقاء بالخارج وأنت في خطر بالداخل؟ من المحتمل أن تكوني في حاجة للمساعدة».

«لا، لسنا بحاجة إلى المساعدة.. حسنًا، ليس كما تتصورين. المساعدة الوحيدة التي نحتاج إليك فيها هي المكوث بالخارج. هنا في هذا الزمن».

تجهمت العمة زيلدا، في محاولة منها لاستيعاب الأمر، ثم قالت: «حسنًا، يا عزيزتي، سوف أنتظر. في هذا الزمن».

انتاب جينا شعور مخيف بأنها أصابت العمة زيلدا نفسها بمزيد من الارتباك، ثم تسلقت جينا خارج المركبة التنينية، وسارت عبر الرقعة الفسيحة البيضاء وصعدت درجات السلالم المؤدية إلى الباب، ثم أخذت نفسًا عميقًا وقرعت جرس الباب بقوة.

على إثر ذلك، فُتح الباب.

وما أثار ارتياحها، أن نكو كان واقفًا هناك مع سبتيموس والذي كان ممسكًا **بحجر البحث** الخاص به وعلى وجهه ابتسامة عريضة، ثم قال: «كما ترين، إنها تعمل يا جينا. وسوف تعيدني إلى زمني. كما أنها حررت نكو أيضًا.

لوى نكو قسمات وجهه. كان **حجر البحث** قد حرره بالفعل، لكن ليس قبل تعرضه للسجن، ولم يكن يعرف المدة الزمنية التي يتحتم عليه قضاؤها في السجن. وسرعان ما دخل في الحقبة الزمنية الخاصة به وأخذ جينا في أحضانه.

وقد أصيبت جينا بصدمة بالغة نتيجة نظرات نكو المطاردة لها، حتى إنها لم تلحظ ذلك الرجل الطويل الواقف في الظلال خلفه. غير أنه عندما خرج من بيت الفوريكس - للمرة الأولى منذ آلاف الأعوام - رأت جينا رداء الساحر الأعظم القديم المطرز بالرموز السحرية، وعقال الرأس الرسمي الخاص بالساحر الأعظم

والملتف حول شعره الأبيض الطويل، وتعرفت جينا عليه على الفور.

«حُتب رع!».

رد عليها بصوت عميق مدهش، ولكنة غريبة للغاية، قائلًا: «أيتها الأميرة»، ثم انحنى برأسه، لينجرف قليل من رقائق الثلج للأسفل وتستقر على شعره الأبيض. نظر حُتب رع بعدها للأعلى، كما لو كان مندهشًا بملامسة الثلوج لشعره. وحينئذٍ رأى المركبة التنينية في انتظاره. حبس أنفاسه وانطلق عبر الشرفة البيضاء المبنية من الرخام، ليُسمع حفيف زيه الأرجواني وهو يتحرك.

وأعقبه كل من جينا ونكو وسبتيموس على بعد مسافة مناسبة.

سأل نكو جينا بلا مبالاة: «هل تنتظرون منذ فترة طويلة؟»، كما لو كانت في جولة في مركب الميناء.

قالت جينا: «منذ خمس دقائق تقريبًا».

تبادل كل من سبتيموس ونكو النظرات. ثم قال سبتيموس: «أرأيت؟ هذا ما أخبرتك به».

ووقفا في هدوء بجانب بعضهما البعض، رغبةً منهما في عدم تعكير صفو لقاء الأصدقاء. ثم رأيا المركبة التنينية تلتفت لتنظر صوب سيدها القديم وأنزلت رقبتها للأسفل لتحيته. ثم رأيا حُتب رع يضع يده على أنف التنين المخملية ليسري شعاع فضي من

عين التنين، ليسقط بعدها على الأرض ويتمايل نحو جينا. التقطته جينا ووضعته في راحة يدها. كانت قطرة من دموع التنين التي تتكون من الفضة الخالصة.

وكان هناك شيء ما أصبح سبتيموس على علم بأنه يتعين عليه القيام به، حيث انتزع الخاتم التنيني وقدمه إلى حُتب رع، ثم قال: «هذا يخصك».

وبصورة رسمية، أخذ حُتب رع الخاتم التنيني وقال: «شكرًا لك، غير أنه سوف يصبح ملكًا لك مجددًا قبل مدة ليست بالطويلة، أعدك بذلك». انتابت سبتيموس حالة غريبة عند مشاهدته حُتب رع أثناء وضع الخاتم في أصبع السبابة اليمنى، كما رأى العين الزمردية لتنين الخاتم تتوهج، وأخذ الخاتم يكيف نفسه ليتواءم مع أصبع مالكه القديم.

تسلق حُتب رع وصعد على متن المركبة وهو يشعر بنشوة بالغة؛ فهو لم يصعد على متن تلك المركبة منذ آلاف السنوات. وما لبث أن دعا العمة زيلدا للجلوس بجانبه عند ذراع المقود ونادى جينا أيضًا.

«أيتها الأميرة، أعتقد أنه يتعين علينا مراجعة **تعويذة الحبس**».

صعدت جينا على متن المركبة، وأخرجت نسختها الممزقة من كتاب قواعد الملكة وناولته إلى حُتب رع، وقد فُتح على الصفحة المدون فيها **تعويذة الحبس**.

وبدت الصدمة على وجه حُتب رع، ثم قال: «لقد كان هذا الكتاب رائعًا يومًا ما».

شعرت جينا بالمسئولية وقالت: «أنا حقًّا آسفة».

أخرج حُتب رع عدسته المكبرة وأمعن النظر في الكتابة المنقوشة بخط يد جينا، ثم قال: «**الكلمة الرئيسية** مفقودة، لن تعمل هذه التعويذة أبدًا».

أخرجت جينا أفضل الأقلام لديها من جيبها وقالت: «إذا ما أخبرتني **بالكلمة الرئيسية**، فسوف أدونها الآن».

قال حُتب رع: «أيتها الأميرة، اسمحي لي بتوضيح الأمر. لم أكن واحدًا من أولئك السحرة الكُسالى الذين اعتادوا استخدام نفس الكلمة الرئيسية. بل كان لدي كلمة رئيسية مختلفة لكل **تعويذة** من **التعويذات** الإحدى والعشرين الرئيسية»، ثم تنهد وقال: «لسوء الحظ، كان هذا منذ زمن بعيد للغاية، وليس بوسعي تذكر **الكلمة الرئيسية** التي استخدمتها في هذه **التعويذة**».

أُصيبت جينا بالذعر وتساءلت: «ألم تدونها؟».

قال حُتب رع موجهًا خطابه لسبتيموس: «من فضلك أيها التلميذ، اشرح لها الأمر».

بينمـا انطلق حُتب رع بالمركبة التنينية عاليًا نحو السـماء، أخبر سـبتيموس جينـا قائـلًا: «كمـا تريـن يا جيـن، لقد نقـش حُتب رع التعويـذات الخاصـة به على قمة الهرم الواقع أعلى برج السـحرة. لقـد أراد لهـا البقاء للأبد، كما كانت تلك طريقـة ما للحفاظ عليها من الضياع».

«لكن يا سِـب، لقـد أخبرتني بـأن تلك الكلمـات الهيروغليفية كانت.. ماذا كانت؟ مجرد طنطنة، هذا ما قلته».

قال سبتيموس: «هي كذلك، هذا هو كل ما في الأمر، إنها عبارة عـن سـتارة أو حجاب. ولاسـتدعاء الكلمـات الرئيسـية الحقيقية نحتاج إلى استخدام مفتاح الرموز».

«أي مفتاح؟».

«حسنًا..».

تنهدت جينا ثم قالت: «أعتقد أنه ليس لدينا هذا أيضًا».

«إمم، ليس الآن، لا. في حقيقة الأمر، يتواجد مفتاح الرموز في قمـة الهرم ذاتـه. عندما كان أجدادك منشـغلين بإطـلاق النار على هذين السـاحرين، أصيبـوا بالجنون وأطاحوا بقمـة الهرم ثم قاموا بتصغيرها».

تسـاءلت جينـا: «ومـا الذي دفعهـم إلـى القيام بذلـك؟»، وقد راودها اعتقاد بعدم اسـتيعاب تصرفات السحرة في بعض الأحيان على الإطلاق.

«حسـنًا، لقد كان المقصـود بذلك هو حُتـب رع، غير أن دهاءه فاقهم».

«إذن أين يتواجد مفتاح الرموز الحقيقي في قمة الهرم؟».

« أعطاه حُتب رع للملكة».

«إذن، ماذا فعلت به؟».

نظر سبتيموس إلى حُتب رع طالبًا المساعدة.

قال حُتب رع: «لقد قالت إنها ستحتفظ به في مكان آمن».

تأوهت جينا وقالت: «أوه، لا». دائمًا ما تفقد سارة الأشياء التي تضعها في «مكان آمن».

قـال حُتب رع: «أيتها الأميـرة، يتعين عليك العـودة إلى القصر والعثور على مفتاح الرموز».

«غير أنني لم أره من قبل».

قال حُتب رع: «حسنًا، من المحتم أنه هناك في مكان ما».

وكانت جينا قد سمعت ذلك من سارة أيضًا، وهو ما لم يمنحها الشعور بالثقة.

«وللوصـول إلـى هنـاك بسـرعة، أقترح عليكـم اتخاذ المسـار المباشـر للعودة. تمسـكوا جيـدًا». وبذلك، أدار حُتـب رع مركبته التنينية وغاص بها في الهاوية.

43

أوقات عصيبة

فتح مارسيلوس عينيه ولم يرَ شيئًا. حاول الوقوف ليصطدم رأسه، عبس مارسيلوس بوجهه. أين هو؟ ثم تذكر ساحري الخاتم أسفل غرفة النار العزيزة عليه، ومحاولتهما لتدمير النار الدقيقة الرائعة التي أشعلها، كما تذكر تسلقه الطويل والمؤلم عبر جحر الهروب، وتذكر أنه كان يتعين عليه الوصول إلى مارشا وتحذيرها مما يحدث.

والأهم من ذلك كله أنه تذكر كم كان غاضبًا.. والسبب وراء غضبه. مدفوعًا بغضبه، قام مارسيلوس بدفع

الصخـور المنهارة التي كانت تسـد طريقه. عثر بيده على فجوة ما، وبـدأ بصـورة ممنهجة في إزالـة كل حجر مـن الأحجـار وإلقائها لتتدحرج إلى أسفل الجحر الواقع وراءه.

وهناك في أسـفل غرفة **النار**، ومع وجود جدار من ألسنة اللهب المشـتعلة عاليًـا والحفـرة المثيرة للـدوار بالأسـفل، كان الطارق دوجليـوس يطـرق علـى الحافـة الضيقـة للمرجـل ويحافظ على المراقبـة وهو في حالة من القلق. وأخذت ألسـنة اللهب البرتقالية اللون اللامعة والناتجة عن الفحم تنطلق عاليًا في الهواء، وتتراقص وتلتف فيما تم سـحبها عبر منافذ التهوية، حيث كانت تتغذى على الغازات التي تسـحبها معها. ثم اعتلى وجه دوجليـوس ابتسـامـة متجهمة. لم يكن يحب رؤية ألسـنة اللهـب، غير أنه كان على علم بأنها شـر لا بد منه. وطالما احترق الفحم في الأعلى، كانت ألسـنة اللهب الزرقاء الدقيقة في **النار** الكيميائية بالأسفل تحظى بالحماية. وفي القادوس الشاسع الواقع داخل سقف الكهف، علم دوجليوس بأنه لا يزال هناك مخزون كبير متبق من الفحم.

واصـل دوجليوس السير على امتـداد الحافـة - وكانت قدماه الحافيتـان تحظيـان بحماية من المسـاند الحراريـة - وراح يطرق علـى المعـدن أثناء ذهابـه. وكان المرجـل لا يزال سـليمًا، غير أن هنـاك صوتًا مملاً ناتجًا عن خاتم المطرقة، وهو ما أثار قلقه. هناك شـيء مـا يتغيـر. وأثناء اسـتماع دوجليـوس مجددًا لصـوت قرع

مطرقته، تمكن من خلال الضباب الناتج عن الحرارة من رؤية ساحري الخاتم المريعين وهما قادمان نحوه على طول ممر المراقبة. ودون انقطاع، واصل الطارق القديم عملية الطرق في ثبات. وكلما اقتربا ورأى درع ساحري الخاتم الأخضر اللون يتوهج، وعباءتيهما السوداوين تحلقان في التيار الصاعد من ألسنة اللهيب، وعينيهما تلمعان نتيجة الشعور بالابتهاج، لم يكن بوسع دوجليوس القيام بشيء سوى حبس أنفاسه في خوف؛ غير أنهما واصلا المضي قدمًا والمرور بجانبه دون أن يلحقا به أي أذى. وقد عامل ساحرا الخاتم، مثل كافة السحرة، الطُّرّاق كما لو كانوا حشرات طفيلية ولم يعطوا لهم أي اهتمام. وعلى الرغم من ذلك، لم يتوانيا في تدمير مجموعتين من الطُّرّاق متجهتين إلى غرفة التحكم من أجل الترفيه. وفي تلك المرة، وهو ما أثار ارتياح دوجليوس، لم يلقيا له أي اهتمام ليواصل طريقه بسلام.

وجد دوجليوس معاونه في القيادة، الطارق بيريوس، في انتظاره عند محطة المشاهدة.

قال بيريوس له بالإشارة: «هناك انهيار صخري قادم أسفل جحر الهروب، أيها الطارق دوجليوس. هل تود أن أذهب لأرى ما الذي يحدث؟».

«سوف أذهب وأرى أيها الطارق بيريوس، وسوف تتولى أنت الأمر نيابة عني من فضلك».

«سوف أتولى الأمر أيها الطارق دوجليوس».

«أشكرك أيها الطارق بيريوس. من فضلك افتح منافذ تهوية حرارة المرجل المؤدية إلى الأنفاق الجليدية. لقد حان وقتها».

وافقه بيريوس الرأي وقال بالإشارة: «لقد حان وقتها أيها الطارق دوجليوس».

وكان تسلق دوجليوس لجحر الهروب أسرع بشكل ملحوظ من تسلق مارسيلوس، غير أنه قام بالمهمة بصعوبة بالغة نتيجة الصخور التي تنهمر بسرعة للأسفل، حتى إن دوجليوس أُصيب بالكثير من الكدمات عندما وصل إلى مارسيلوس الذي كان يزيح آخر قطعة صخرية. وعلم مارسيلوس بوجود دوجليوس بسبب لمسته اللطيفة على قدمه.

فيما كان دوجليوس يتسلق إلى أعلى، كانت المركبة التنينية تحلق نحو الأسفل في الهاوية. أخذت تدور وتدور في شكل لولبي إلى أسفل أعماق الوادي الضيق الذي يحيط ببيت الفوريكس. وقف حُتب رع عند ذراع المقود، في حالة تركيز كبيرة من أجل الحفاظ على مرور آمن لأطراف أجنحة مركبته التنينية بعيدًا عن الصخور البارزة في جدران الوادي الضيق، وكان ذلك التحليق بمثابة مهمة تجريبية لأحد الطيارين، غير أنه يعد تحديًا كبيرًا لمن لم يحلق منذ آلاف السنوات.

ولـم تكن لدى أحد الرغبة في صرف انتباه حُتب رع؛ لذا لم يجد كل مـن جينا، ونكو، وسـبتيموس، والعمة زيلدا أي اختيار سـوى إمعـان النظر في صمت في الضبـاب، وملاحظة كم كانت الأجواء باردة أثناء تحليقهم في مزيد من الأعماق، والاستماع إلى صرخات أي مـن تلك الكائنات التي تسـكن الهاويـة. وكان يراودهم الأمل بأن يكون لدى حُتب رع سبب مقنع وراء ما يقوم به.

وفـي نهاية المطاف، هبطت المركبـة التنينية مع صوت حفيف، لتتناثر سـحب مـن المياه الباردة المتجمدة عليها، ثم اسـتقرت في إحـدى برك المياه شـديدة الرطوبـة التي تقع على أرضيـة الهاوية، وطـوت جناحيها وحنت ذيلها بصعوبة خارج المياه. توجهت عينا المركبـة التنينية ذات اللـون الأخضر الزمردي عبـر الظلام المعتم وهـي تدور برأسـها لتنظر صـوب حُتب رع كما لو كانت تسـأله ما السبب وراء قدومه إلى ذلك المكان المهجور.

ولم يُطلع حُتب رع أيًا من المركبة التنينية أو طاقمها على الأمر، وإنمـا التقط قبضة مـن رمال العفريت من جيبه وأمسكها بيده، ثم – كما لو كان يلقي بالبذور– أخرج ذراعه لتحلق من يده مجموعة عنقودية من الأضواء الصغيرة للغاية. وما لبثت العفاريت أن التفت فـي الهواء وتجمعت حول حُتب رع مثل سـرب من النحل لتغمره بضـوء براق. وكان سـبتيموس قد أصيب بالـدوار. لقد قرأ من قبل عـن العفاريت المضيئة القديمة، والذين اختفى سـحرهم منذ فترة

طويلة. وفكر كم كانت الفكرة رائعة، حيث تتعقبك أجسام كروية صغيرة من الضوء أينما ذهبت، كما سمع عن وجود بعض **العفاريت المرشدة** التي تبين لك الطريق.

انحنى حُتب رع أمام العمة زيلدا وقال: «أيتها السيدة الحارسة»، وتجاهل إشارة العمة زيلدا تعبيرًا عن اعتراضاتها بأنها لم تعد حارسة بعد الآن، ثم تابع حديثه قائلًا: « أعتذر منك لدقائق معدودة حتى يتسنى لي مساعدة أولئك المسافرين الشباب في طريق عودتهم إلى القلعة. وأثق في أننا أنا وأنت سوف نقضي رحلة أكثر متعة وسعادة في المركبة التنينية».

عبس كل من سبتيموس، ونكو، وجينا في وجوه بعضهم البعض. لم يبدُ ذلك جيدًا. كما بدت على العمة زيلدا علامات القلق، ثم تساءلت: «لكن كيف سيذهبون إلى القلعة؟».

«سوف أشرح لك الأمر عند عودتي. لن أتأخر».

لوحت العمة زيلدا في خوف لجينا، وسبتيموس، ونكو أثناء تعقبهم لحُتب رع **والعفاريت** المحيطة به أسفل السلم الواقع على متن المركبة وابتعادهم في الظلام. وسرعان ما تلاشى الضوء النابع من العفاريت ورشات المياه الناتجة عن خطوات أقدامهم، لتبقى العمة زيلدا بمفردها في حالة من الكآبة. ومن جانبها، ساعدت نفسها على النهوض من جانب ذراع المقود وتحسست طريقها باتجاه مقدمة المركبة، لتخفض المركبة رقبتها لتقديم

التحية لها، وتجلس العمة زيلدا، وهي تربت على الأنف المخملية للتنين، وتهمس بأصوات هادئة، وذلك لمصلحتها ومصلحة المركبة التنينية.

وبعيدًا عن أنظار العمة زيلدا، قادت **العفاريت الدالة** الطريق، أثناء تراقصها في الضباب، وتبعها حُتب رع وطاقم المركبة، ليتعثروا عبر برك المياه الصغيرة وفوق الأراضي غير المستوية. ولم تكن أرضية الهاوية مكانًا جذابًا، إذ أحاط بهم الضباب البارد الهادئ من كل مكان، وعندما استدار سبتيموس لينظر إلى المركبة التنينية لم يعد بوسعه رؤيتها؛ حيث كان هناك حجاب قاتم من الظلام بينهما. واصلوا طريقهم في معاناة، خلف **العفاريت**، وسرعان ما ظهرت واجهة الصخور المظلمة أمامهم، ورأى سبتيموس حُتب رع وهو يتوجه نحو باب حديدي صدئ صغير في أعماق الصخور.

وعلى حين غرة، شعر سبتيموس بقبضة باردة تلتف حول رقبته، ورأى الوجه الغاضب للرجل المقرن الذي كان قد دفعه ذات مرة في الهاوية متجسدًا أمامه وعيناه تتوهجان بالكراهية. همس صوت حاقد شيطاني في أذنه قائلًا: «أترى، الآن سوف أنتقم منك».

«**انصرف** أيها الشيطان!». أتى حُتب رع للفصل ما بين الرجل المقرن وسبتيموس، فتلاشى الشبح على الفور.

همهم سبتيموس في ارتياح قائلًا: «شكرًا لك».

ابتسم حُتب رع وقال: «لدي الكثير من الأعداء أيضًا في الهاوية، والهاوية هي المكان الذي يقيمون فيه. أها، لقد وصلنا!»، ثم نقر بالصولجان الذي بحوزته على الباب الحديدي، ليُفتح وتحلق **العفاريت** داخله مثل سرب هائج من النحل.

تبع سبتيموس جينا، ونكو، وحُتب رع في الدخول إلى غرفة باردة مثل الثلج ومجوفة في الصخور. اقتادتهم **العفاريت** إلى باب آخر، حيث فتحه حُتب رع ليكشف عن وجود شيء ما كانوا جميعًا قد رأوه من قبل.

بين رصيفين معدنيين شبكيين، رقد نفق أرجواني اللون ذو أطراف دائرية، يبلغ طوله حوالي خمسة عشر قدمًا. كما كان هناك أربع فتحات مُرتبة في صف واحد على طول السطح، وكانت الفتحة الأمامية هي الأكبر. وعلى طول جانبي النفق، كان هناك صف من النوافذ الزجاجية الخضراء وأسفلها اثنتان من السيقان الجارية المتكئة على قضيبين معدنيين متوازيين، وقد انحدرا بعمق أسفل الفوهة المظلمة للنفق.

لهث سبتيموس قائلًا: «إنه قطار أنفاق أحمر».

قالت جينا: «إن لونه أرجواني».

بدا على حُتب رع الدهشة البالغة وقال: «بالتأكيد هو قطار أنفاق. غير أنني لم أتوقع تعرفكم عليه».

قال سـبتيموس والابتسـامة تعتلي وجهه أثناء تذكر الأمر: «لقد سـاعدت ذات مرة في إعادة قطار أنفاق مثل هذا إلى منارة صخرة القطـة». وكان قـد أحـب توجيـه قطـار الأنفـاق أسـفل البحـر، والاسـتمتاع برؤية الأسماك تسـبح بجانبه وذلك الشعور بالتواجد في عالم آخر.

«إذن فأنت على علم بكيفية عمله؟».

«نوعًا ما. نظرًا لأنني لم أظل به فترة طويلة».

ابتسـم حُتـب رع وقـال: «مـع ذلك، هـذه أخبار جيدة. سـوف تكونان في القلعة خلال وقت بسيط».

«في هذا؟».

«بالطبع».

«ولكن كيف؟ لا توجد مياه هنا».

«غيـر أن هناك جليـدًا. الجليد أو المياه، كلاهما واحد بالنسـبة لقطار الأنفاق».

سـرت في جسد نكو رعشة. كان قد رفض ركوب قطار الأنفاق مـن قبـل، ومجرد التفكير فـي الذهاب الآن من خـلال هذا القطار المشابه للنعش كان مرعبًا.

ضغـط حُتـب رع بطـرف الصولجـان الـذي بحوزتـه علـى زر مطاطي أسـود اللون أمام الباب البيضاوي الصغير. وبصوت طنين خافت، فُتح الباب، واشتعل ضوء باهت أرجواني اللون ينبعث من

أحد المصابيح داخل قطار الأنفاق، وهبت رائحة مثل الجلد القديم أو الحديد من الداخل، وهو ما جعل نكو يشعر بالغثيان.

أمعن سبتيموس النظر للأسفل. ورأى بالداخل مقعدًا كبيرًا ذا ظهر مرتفع مخصصًا للسائق، ومجموعة بسيطة من المفاتيح والأزرار، وزجاجًا أماميًّا كثيفًا أخضر اللون ملتفًّا حول مقدمة قطار الأنفاق. كما كان القطار أكثر ضيقًا مما يعتقد. كان على يقين بأن نكو سوف يكرهه.

لذا سأله: «هل أنت بخير، يا نكو؟».

لم يرد نكو.

اتخذت جينا قرارًا بأنه حان الوقت للتصرف بعض الشيء باعتبارها الأميرة؛ لذا اتجهت صوب حُتب رع وقالت: «سوف أدخل أنا وسبتيموس إلى داخل قطار الأنفاق يا حُتب رع، غير أنني أود من نكو تقديم المساعدة لك في المركبة التنينية. الطريق إلى القلعة طويل وسوف نستغرق جزءًا من الرحلة خلال الليل».

وما أثار دهشة جينا، هو أن نكو لم يكن هو الوحيد الذي بدا عليه الارتياح لهذا القرار. شعر حُتب رع بالارتياح أيضًا. وكانت جينا قد اعتقدت أن الساحر العجوز الضعيف لم يكن يتطلع إلى خوض رحلة طويلة على متن المركبة التنينية بصحبة العمة زيلدا فقط، لتكون هي كل طاقم المركبة.

ابتسـم نكو لجينا تعبيرًا عن شـكره لها، وراقب في قلق هبوطها هـي وسـبتيموس عبر الباب الصغيـر الأمامي المـؤدي إلى الضوء أحمر اللون المتوهج بالأسـفل. كما رأى أعلى رأسـيهما خوذتين إحداهمـا صفراء والأخرى سـوداء، وقد اسـتقرا في مقعد السـائق بأريحية.

أمعن حُتب رع النظر للأسفل.

ثم تساءل: «هل تتذكر مفاتيح التحكم؟».

رد سبتيموس قائلًا: «أعتقد ذلك».

بدأ حُتب رع في شرح مفاتيح التحكم، ثم وصف ما أطلق عليه «بروتوكول الانطلاق» الذي ينتهي بـعبارة: «تقع دواسـة التشـغيل عنـد قدمـك اليمنـى، بينمـا تقـع الفرامل بجـوار قدمك اليسـرى. يمكنـك قيادة القطار عـن طريق العجلة الصغيـرة، على الرغم من أنك بالكاد سـتحتاج إليها؛ فسوف يسلك القطار مسارًا مباشرًا من هنا وصولًا إلى القلعة».

وبـدا على وجـه نكو علامـات الدهشـة. ثـم راوده التفكير في الرحلـة الطويلـة التـي خاضها هو وسـنوري ذات مرة عبـر البحر، وأراضي المسـتنقعات والغابة المتجمدة للوصول إلى هناك، على الرغـم مـن أنـه كان هناك ذلك المسـار الذي وصفه حتب رع بأنه مسـار مباشـر. ورأى حُتـب رع علامـات الارتباك علـى وجه نكو وابتسـم إليـه، ثـم قـال: «وهـذا هـو السـبب وراء بنـاء بيتـي بيت

الفوريكس هنا، غير أنني مثلك تمامًا أخشى الأماكن المغلقة. لقد ارتحلت في هذا الطريق مرة واحدة فقط، ومرة واحدة تكفي، صدقني».

ثم التفت نحو قطار الأنفاق الأرجواني.

ونادى عليهما متسائلًا: «مستعدان؟».

ترددت أصداء صوتي جينا وسبتيموس على نحو أجوف من خلال الباب الصغير المفتوح وقالا: «إمم. نعم. مستعدان».

لاحظ نكو التوتر الذي بدا على وجه حُتب رع عند سماع الأصوات القادمة من الأسفل.

قال حُتب رع: «فور تشغيل قطار الأنفاق، سوف تسقطان على نحو منحدر في النفق القريب لتدخلا إلى النفق الجليدي. هل تفهمان ما أقول؟».

تبادل كل من جينا وسبتيموس النظرات الخاطفة، ثم جاء الرد منهما: «نعم».

«والآن من فضلكما، اربطا حزام الأمان».

بحث كل من جينا وسبتيموس عن أحزمة الأمان المتيبسة القديمة وقاما بإغلاق الأبازيم بإحكام.

قال حُتب رع: «أتمنى لكما حظًّا سعيدًا، الآن بوسعكما البدء في تسلسل الانطلاق».

وعلى طول لوحة القيادة المعدنية المتقوسة، كان هناك سبعة مفاتيح نحاسية مرقمة. أدارت جينا المفتاح الأول حتى أصبح في موضعه. ليُغلق بعدها الباب الصغير العالي فوق رءوسهما مع سماع صوت هسيس خافت ليخيم الظلام التام على المكان.

همست جينا: «إنه مخيف». ابتلع سبتيموس ريقه، وقد شعر بجفاف في حلقه. وصلت أصابع جينا إلى المفتاح الثاني، لتديره، مما ترتب عليه ظهور خط من الأضواء الحمراء الصغيرة للغاية لتضيء لوحة القيادة.

وقد أدى المفتاح الثالث إلى إنزال مسند الرأس من أجل توفير الراحة لهما على نحو مناسب، كما أرسل المفتاح الرابع هبة من الهواء، يُشتم منها رائحة البحر، والتي اندفعت داخل الكابينة. والآن تولى سبتيموس مقاليد الأمور. أدار المفتاح الخامس، وهو ما أشعل المصباح الأمامي الأبيض وأنار الطريق أمامهما. ولم يكن ذلك مشجعًا على وجه التحديد، حيث كشف عن زوج من القضبان الفضية اللامعة المنغمسة أسفل انحدار عميق داخل فم النفق الدائري الأسود. وقام المفتاح السادس بتخفيف الرباط. وقبل إدارته للمفتاح السابع، نظر سبتيموس صوب جينا، وكان وجهه يعلوه ضوء أرجواني مخيف.

ثم سألها: «هل أنت بخير؟».

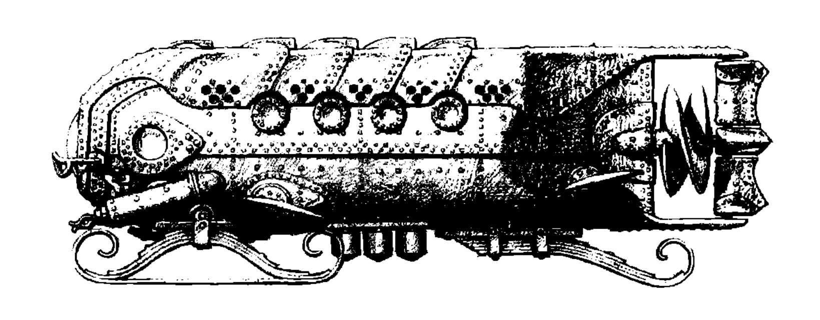
هزت جينا رأسها وقالت: «حسنًا».

وقد توقع كلاهما ما الذي قد يحدث فور إدارة سبتيموس للمفتاح الأخير، وكانا على صواب، فما إن أدار المفتاح، حتى مال قطار الأنفاق للأمام، وفي اللحظة التالية أخذا يندفعان بعنف وبسرعة أسفل القضبان باتجاه الفجوة الدائرية السوداء.

راقب نكو انطلاق قطار الأنفاق الأرجواني في دائرة الظلام ليختفي بعدها، وبدا الأمر بالنسبة له كما لو كان قد تلاشى للأبد.



44
في مكان ما



بعيدًا أسفل الغابة الجليدية، اندفع قطار الأنفاق الأرجواني بسرعة وعنف، عبر أطول الأنفاق الجليدية وأكثرها استواءً مقارنة بما رآه سبتيموس من قبل. وقد تزلجت أهدابه الجارية بسلاسة على الجليد، كما التقط المصباح الأمامي الخاص به الصقيع المتجمد والمتلألئ كاسحًا إياه في ضباب أبيض. لهثت جينا قائلةً: «إنه سريع!».

نظر سبتيموس خارج الزجاج الأمامي، وقد أصابه الذهول نتيجة دائرة الظلام السوداء التي ظلت دائمًا على ذات المسافة

أمامهما. ثم قال: «ألا تعتقدين أن الأمر يبدو كما لو كنا في حالة سكون والنفق هو الذي يتحرك؟».

قالت جينا: «لا تقل ذلك .. يا سِب!». وضعت يديها على عينيها، ثم أمعنت النظر من خلال فجوة بين أصابعها، وقالت: «هذا أمر عجيب للغاية! هذا هو ما أراه أنا أيضًا .. النفق هو الذي يتحرك».

«آسف، يا جين!».

خيَّم الصمت عليهما لبرهة، وهما يستمعان لصوت دمدمة أهداب قطار الأنفاق الجارية أثناء انتقالها على الجليد، وبعد مرور برهة من الوقت، قال سبتيموس: «أتساءل أين نحن الآن؟ أقصد أنني أتساءل ماذا يوجد فوق رءوسنا الآن؟».

ارتجفت جينا وقالت: «لا أريد أن أفكر حتى في كافة الأشياء التي تقع فوق رءوسنا، شكرًا جزيلًا لك».

«أوه. آسف».

«لا بأس، فقط ذكِّرني ألا أرتحل بصحبتك في أحد هذه القطارت مرة أخرى، أو ألا أرتحل بها على الإطلاق، حقًّا»، ثم ابتسمت في وجهه وقالت: «أيها الولد المخيف!».

أخرج سبتيموس لسانه في وجه جينا، وواصل إمعان النظر في الضباب الأبيض المتواجد خارج النافذة، لقد كان المنظر مبهرًا.

انطلق قطار الأنفاق بسرعة فائقة ليفتقدا إحساسهما بالزمن، وبعد مرور حوالي ساعة من بداية الانطلاق، بدت على جينا

علامات القلق، قالت: «يا سِب! لقد بدأ يتهادى، هل تعتقد أن به شيئًا مكسورًا؟».

لاحظ سبتيموس الأمر ذاته، حيث تغير السير السلس إلى اهتزاز مزعج ناتج عن الأهداب الجارية، وتحول الأمر إلى طحن للعظام.

وارتفع صوت دمدمة منخفض في الخلفية للغاية، مما حدا بسبتيموس ليرفع صوته حتى تسمعه جينا.

قال: «ربما من الأفضل خفض السرعة، إذا ما كانت هناك مشكلة ما، ونحن نندفع بهذه السرعة».

قالت جينا: «سوف أضغط على الفرامل»، ثم قامت بتحريك قدمها اليسرى باتجاه اللوحة الكبيرة المتصلة بالأرضية على جانبها.

«صحيح. فكرة جيدة».

وبحذر شديد، ضغطت جينا بقدمها على الفرامل؛ ليتباطأ القطار حتى صار يزحف، غير أن الاهتزاز أصبح أكثر وضوحًا.

قالت جينا بعد أن رفعت قدمها من على الفرامل: «لقد حدث خطأ ما».

وعلى حين غرة، أدرك سبتيموس المشكلة، ثم قال: «إنه الجني، يا جين!».

«توقف عن التفوه بعبارات سخيفة، هذا أمر غير لطيف بالمرة. أوه!» ،ثم تمايل قطار الأنفاق بشكل كبير وسقطت جينا على جانبها.

أمسكها سبتيموس وقال: «هل أنت على ما يرام، يا جين! أنا أعلم بمكاننا، وأعلم ما الذي حدث، إنه الجليد، لقد تم تدميره حقًّا . انظري، بوسعك رؤية ذلك من خلال ضوء المصباح الأمامي، من المحتم أن يكون هذا المكان هو الذي مرَّ من خلاله الجن المقاتل باتجاه القلعة، وهو ما يعني أننا بالتأكيد أسفل جزر الحورية الآن».

أمعنت جينا النظر من خلال الزجاج، وقالت: «ها .. أنت على حق!».

قال سبتيموس مبتسمًا: «لا داعي للاندهاش كثيرًا».

فكرت جينا فيما قاله سبتيموس وقالت: «إذن نحن أسفل البحر الآن، صحيح؟».

«نعم، أتوقع ذلك».

ارتجفت جينا وقالت: «كل تلك المياه فوق رءوسنا، يا سِب. إنه لأمر مخيف للغاية».

لم تكن لدى سبتيموس الرغبة في التفكير في الأمر، لذا قال: «سوف أسرع لنتمكن من الخروج من هذا المكان».

«لا تسرع كثيرًا، حسنًا».

ضغط سبتيموس على الدواسة التي بجانبه على الأرض؛ لينطلق قطار الأنفاق أسرع، ويصبح معتادًا على اهتزاز معتدل على طول الجليد المُخدَّد.

وبعد مرور عدة دقائق، قالت جينا: «هل هناك باب صغير للنفق الجليدي أسفل القصر، يا سِب؟».

«أفترض أنه من المحتم وجوده، ومع ذلك لم أره من قبل أبدًا».

تنهدت جينا وقالت: «كنت أتمنى لو كان بيتل بصحبتنا، كان سيعرف ذلك». ثم التفتت نحو سبتيموس وقالت: «تبدو كافة الأمور على ما يرام عندما يكون بيتل موجودًا في المكان، ألا تعتقد ذلك يا سِبتيموس؟».

نظر سبتيموس في وجه جينا تلك النظرة التي تقول سارة هيب إنها نظرة ذات معنى وقال: «ربما يتعين عليك إخباره بذلك في وقت من الأوقات».

احمرَّ وجه جينا وقالت: «اخرس، يا سِب!».

«تمام، تمام. والآن أفكر أنه ما دامت هناك علامة تشير إلى برج السحرة في النفق الجليدي بالأسفل، لذا فأنا أراهن على وجود علامة تشير إلى القصر أيضًا».

تساءلت جينا: «إذن هل تعتقد أننا اقتربنا؟».

قال سبتيموس: «لا يمكن أن نكون بعيدين كثيرًا، حيث لم نستغرق وقتًا طويلًا للغاية انطلاقًا من بيت الفوريكس وصولًا إلى جزر الحورية، أليس كذلك؟ والقلعة أقرب من ذلك بكثير».

قالت جينا بقلق: «ربما يتعين علينا الإبطاء في السير، لا نرغب في إغفال العلامة وإلا سنضل طريقنا أسفل القلعة». عندها اصطدم قطار الأنفاق بشق عميق، واهتز على نحو ينذر بالخطر، «أبطئ، يا سِب!».

«لا تقلقي، يا جين».

«أنا لست قلقة، أنت تمضي بسرعة فائقة».

بغضب، أبطأ سبتيموس قطار الأنفاق وهو ما أدى إلى اهتزاز غير مريح بالمرة، فيما كانت جينا تحدق من خلال الزجاج الأخضر السميك، بحثًا عن العلامة التي تُشير إلى القصر.

وبعد مرور بضع دقائق، قالت جينا: «ما حجم ذلك الهرم وفقًا لوصف حُتب رع؟ أقصد، هل هو في حجم الرأس أم حجم الأنف؟».

قال سبتيموس: «في حجم الأنف، لقد قال إنه سوف يستقر بأريحية على يدك».

قالت جينا في كآبة: «إنه صغير حقًّا».

قال سبتيموس وقد خيمت عليه الكآبة هو الآخر: «بيد أن القصر كبير للغاية».

«الأمل الوحيد الذي يراودني هو أن تقوم والدتي، الملكة، بإخباري بمكانه».

نظر سبتيموس صوب جينا وقال: «هل تعتقدين أنها سوف تخبرك؟».

قالت جينا: «لا. احذر، يا سِب!».

رفع سبتيموس قدمه من على دواسة التشغيل وقال: «جين، الفرامل، الفرامل، الفرامل!».

ومن خلال الضوء الساطع خارج قطار الأنفاق، رأى سبتيموس وجينا منظرًا عجيبًا؛ حيث برزت رأس وكتفا رجل ما من النفق الجليدي، وكان يمعن النظر صوب قطار الأنفاق القادم إليه في رعب، لذا وضعت جينا قدمها على الفرامل ليتوقف قطار الأنفاق الأرجواني في الوقت المناسب تمامًا، ظل الرأس والكتفان في مكانها وواصل الرجل التحديق بهما، وهو يفتح ويغلق فمه مثل السمكة الذهبية التي تم إلقاؤها خارج البركة التي تسبح فيها.

«يا إلهي! إنه مارسيلوس». مد سبتيموس يده إلى مفتاح الباب وضغط عليه، ليُفتح باب كابينة القيادة وفي ثوانٍ معدودة، وخرج في الأجواء الباردة بالنفق الجليدي، ليهبط على السلم ويركض وينحدر فوق الجليد باتجاه مارسيلوس، وتبعته جينا عن كثب.

ونظرًا لعدم رؤيته بسبب ضوء المصباح الأمامي الباهر، كان مارسيلوس على قناعة بأن القطار سوف يدهسه، ثم ما لبث أن

سمع صوت سبتيموس، غير أنه ظن أن ذلك في مخيلته، ولم يدرك مارسيلوس أنه لن يموت إلا بعد أن قام سبتيموس بهز كتفيه.

توقفت جينا بجانبهما، وقد أصابتها صدمة نتيجة لما رأته، كان مارسيلوس في حالة فظيعة، حيث كانت تكسوه القذارة وكانت هناك دماء جافة تسيل من فجوة كبيرة في جبهته، قالت جينا لاهثةً: «يا مارسيلوس! ماذا حدث لرأسك؟».

وكان من الصعوبة بمكان على مارسيلوس أن يشرح ما حدث في ذلك التوقيت، ردَّ قائلًا: «أنا محشور».

قال سبتيموس: «تمام، هيا نخرجك».

وقامت جينا بجذب إحدى كتفيه وقام سبتيموس بجذب الكتف الأخرى، ثم قالا: «واحد، اثنان، ثلاثة، شِد!».

صرخ مارسيلوس: «آآآآآخ»، وهو يسحب بقوة من خلال باب صغير للهروب وأُلقي به على الجليد.. وقد بدا – في ظن سبتيموس – لينًا على نحو غير معتاد، وأثناء استلقاء مارسيلوس متأوهًا على الجليد، لمح سبتيموس وجهًا صغيرًا، تعتليه الأتربة والوحل، وملامحه كبيرة، وبه عينان واسعتان دائريتان سوداوان تدققان النظر صوبهما عبر الجليد، غير أنه قبل أن يتفوه بأي شيء، ثم تلاشت العيون الصغيرة.

قال مارسيلوس في حالة من الضعف والوهن: «مارشا... أريد الذهاب إلى مارشا. عليَّ أن أخبرها».

لـم يعد هناك شيء يمكنه أن يفاجئ سـبتيمـوس بعد الآن. إذا ما أراد مارسيلوس فجأة إخبار مارشا بكل شيء، فسيكون ذلك رائعًا بالنسـبة له؛ لذا قال: «حسـنًا، والآن، يا مارسـيلوس، هل بوسعك الوقوف؟».

أومأ مارسـيلوس برأسـه وتأوه مجددًا. لقد أصيب رأسه إصابة بالغة، ثم سـمح لجينا وسـبتيموس بمسـاعدته علـى الوقوف على قدميـه وسـار بينهمـا علـى نحو غير مسـتقر باتجـاه قطـار الأنفاق الأرجواني.

ودون أن يـراه أحد، أطل دوجليوس برأسـه مجـددًا من الفتحة الصغيرة للتأكد من سـلامة سيده، رأى أحدهم يساعد مارسيلوس في صعـود السـلالم الواقعة على جانـب قطار الأنفـاق والدخول بشـيء مـن المشـقة من خـلال البـاب الصغيـر، كمـا رأى التلميذ والأميـرة يصعدان في أعقابه، وعندما سـمع صـوت إغلاق الباب الصغير لقطار الأنفاق، عاد دوجليوس إلى أسـفل الجحر الخاص بهـروب الطُّرَّاق وأغلقه خلفه هو الآخر، ثم سـحب حصيرة لامعة - تُعرف باسم مزلاقة - من إحدى الكومات أسفل الباب الصغير وجلـس عليها، وبدفعـة واحدة، ذهـب دوجليوس بعيـدًا، متقدمًا بسرعة أسفل جحر الهروب، واليرقات المتوهجة تقفز في طريقه، والأتربة تعتلي وجهه، لقد كان ذلك من الأشياء التي لم يقم بها منذ

أن كان طارقًا شابًّا، منذ أمد بعيد، بعيد للغاية، ومرة أخرى شعر دوجليوس بالسعادة المطلقة لكونه ما زال على قيد الحياة.

وأثناء توجهه للأسفل، كان دوجليوس عازمًا على أن يبقى هو والطُّرَّاق التابعون له والنار على هذا الحال.

وداخل قطار الأنفاق الأرجواني، استرخى مارسيلوس ليجلس على المقعد الخلفي للسائق، جلست جينا بجواره وقالت: «يا مارسيلوس، علينا الوصول إلى الباب الصغير الجليدي المؤدي إلى القصر، هذا أمر هام للغاية، هل بوسعك إخبارنا بالطريق؟».

غمغم مارسيلوس بغير وضوح: «ليس القصر، مارشا».

قال سبتيموس بإصرار: «القصر أولًا، ثم مارشا بعدها». كانت عينا مارسيلوس قد بدأتا تغمضان. «أيقظيه يا جين».

ربتت جينا برفق على وجنتي مارسيلوس الملطختين بالدماء لإبقائه مستيقظًا وقالت: «مارسيلوس .. مارسيلوس! من فضلك يا مارسيلوس. هذا أمر هام للغاية، علينا الوصول إلى الباب الصغير المؤدي إلى القصر. مارسيلوس، علينا الوصول إلى الباب الصغير المؤدي إلى القصر، أين الطريق إليه؟».

نجحت نبرة الإلحاح في صوت جينا في نهاية المطاف، وتراجع مارسيلوس عن النوم المريح الذي أغراه. كان مارسيلوس على علم بكل بوصة في الأنفاق الجليدية وحتى في حالة الارتباك التي تملكته، تمكن من توجيههم إلى لافتة مكتوب عليها: إلى القصر.

استدار سبتيموس وتوقف أسفل الباب الجليدي الصغير المؤدي إلى القصر، ثم انتزع **المفتاح** الكيميائي - وهو عبارة عن قرص دائري ذهبي - من حول رقبته وقام بتسليمه إلى جينا، ثم قال: «اضغطي به على الفتحة الموجودة في الوسط».

فتح سبتيموس الباب الصغير الخاص بالركاب لتسرع جينا بالخروج. تقاطرت المياه على رأسها أثناء وقوفها على قمة قطار الأنفاق، ثم وضعت **المفتاح** الذهبي في المكان الأجوف في الباب الصغير الفضي أعلاه، ثم نادت عليهم قائلة: «لقد انفتح! سوف أسرع بقدر المستطاع!»، وبتلك الكلمات اختفت عن الأنظار.

حدق سبتيموس من خلال الزجاج أخضر اللون صوب الجليد المتواجد بالخارج، لقد كان هناك شيء ما خطأ؛ حيث بدا الجليد مختلفًا، ومن ثم أدرك ما الذي حدث له؛ لقد افتقد بريق التجمد الذي دائمًا ما كان يحبه. وبعد ذلك، فتح سبتيموس الباب الصغير الخاص بكابينة السائق، ثم قال: «يا مارسيلوس، سوف أعود في غضون دقيقة»، ومال بنفسه للأعلى خارج الباب الصغير ثم نزل على الجليد، وأصابته صدمة كبيرة، لقد أصبح الثلج في مرحلة الذوبان.

نظر إلى سقف النفق المتقوس المرتفع عاليًا لتهبط على وجهه بقعة مياه. دعك عينيه، وعاد سبتيموس ثانية إلى قطار الأنفاق، وقد أصبح متأكدًا بأن الأنفاق الجليدية تذوب.

دفعت جينا الباب السحري فاتحةً إياه عند قمة درجات السلم المؤدية إلى النفق الجليدي، ثم ألقت على جانبها سجادة ثقيلة وممتلئة بالأتربة على نحو فظيع، لتجد نفسها في خزانة المعاطف المتفرعة من البهو الواقع في مدخل القصر. أخذت تسعل وتعطس وهي تفتح الباب، ثم اندفعت وركضت مباشرةً صوب سام.

هتف سام لاهثًا: «جينا!».

«سام، ليس لدي وقت للتوضيح، الهرم الذهبي الصغير، الأمر بالغ الأهمية بشكل كبير، يتعين علينا العثور عليه، إنه متواجد في مكان ما في القصر».

«في أي مكان بالتحديد في القصر؟».

«يا سام، إذا كنت على علم بمكانه، لم أكن لأبحث عنه، أليس كذلك؟».

نظر سام صوب شقيقته الصغرى وقال: «إنه مهم للغاية، أليس كذلك؟».

طغت الرغبة في البحث على جينا.

لذا قالت: «أوه، يا سام... نعم، إنه كذلك، وأنا لا أعلم كيف سأعثر عليه، حقًّا لا أعرف».

«سوف أستدعي الأولاد، وسوف نتوصل إلى مكانه».

قالت جينا مندفعة: «سوف أذهب وأتفقد مكانًا ما في البداية، يا سام، ولسوف أعود إلى هنا في غضون عشر دقائق، تمام؟».

ووقعـت هناك مواجهة أخرى في غرفة الملكة بين جينا وشـبح والدتها.

قالت الملكة سـيريس: «أها، الهرم الذهبي الصغير، إن البحث عن شيء بهذا الحجم سيكون أمرًا مجهدًا للغاية».

سألت جينا: «أين هو؟».

«لماذا تريدين معرفة مكانه؟».

أخذت جينا نفَسًـا عميقًا وبدأت في العد من واحد لعشـرة، ثم سألتها: «أين هو، من فضلك؟».

«لماذا تريدين معرفة مكانه؟».

عـدت من واحد لعشـرة مجددًا، ثم سـألتها ثانيـة: «أين هو من فضلك، يا أمي؟».

«يا ابنتي، ليس بوسعك الحصول على كل شيء في الحال، هذا الكنـز الروحاني خـاص بالملكات فقـط، عليك الانتظار حتى يتم تتويجك في منصب الملكة».

وبصعوبـة بالغة، كبتت جينا رغبتها فـي الصراخ والقفز لأعلى وأسفل.

«يـا ماما، هذا الأمـر ليس من أجلي، هذا من أجل القلعة، إذا لم نحصل عليه الآن، فقد لا يكون هناك قلعة من الأساس عند تتويجي في منصب الملكة».

«لا تبالغي، يا ابنتي».

أخـذت جينـا نفسًـا عميقًـا للغايـة مجـددًا وقالـت فـي صوت مكبـوت: «أنا لا أبالـغ يا ماما، من فضلك، هل تعلمين مكان الهرم الذهبي الصغير؟».

قالت الملكة سيريس: «أنا أعلم المكان الذي تركته فيه، غير أنه وبالنظر إلى الفوضى المثيرة للاشـمئزاز، ليس بوسـعي القول أين مكانه الآن».

تساءلت جينا: «إذًا أين تركته؟».

«سـوف أخبرك عـن المكان عندمـا تصبحين ملكـة وليس قبل ذلك».

حاولـت جينـا أن تبحـث عن حيلة جديـدة، فسـألتها في يأس: «هل جدتي هنا؟».

«لا، هي ليست هنا، سوف يكون الهرم الصغير بحوزتك عندما تصبحيـن ملكة ولن أقـول المزيد حول هـذا الموضوع حتى ذلك الحين. والآن، يا ابنتي، اذهبي وهدِّئي من روعك».

تخلـت جينا عـن محاولتها، ثـم صرخت بأعلى صوتهـا قائلةً: «آآآآه». واندفعت بقوة وهي تصرخ عبر الجدار.

كان سام قد جمع حوله سارة والأولاد، وكانوا جميعًا في انتظار جينا في بهو المدخل.

تساءل سام: «هل حالفك الحظ؟». وذلك على الرغم من أن وجه جينا أخبره ولا شك بالإجابة المنتظرة.

قالت سارة: «أوه، يا عزيزتي، إذا لم تكن الملكة سيريس على علم بمكانه، فلا أعلم ماذا عسانا أن نفعل. قد يكون في أي مكان».

تنهدت جينا، وقالت: «قد يكون في أي مكان». هذه هي إحدى العبارات التي تكررها سارة عند البحث عن شيء ما، ولكنها تعني أن هناك أملًا في العثور على ذلك الشيء على عكس الجملة الأخرى الأقل تفاؤلًا: «من المحتم أن يكون في مكان ما».

قالت جينا بغضب: «أوه، غير أنها على علم بمكانه».

أشرق وجه سارة، وقالت: «حسنًا، هذا خبر رائع».

«بيد أنها لن تخبرني».

«لن تخبرك؟».

«حتى أُصبح ملكة!».

أصيبت سارة بالفزع ثم قالت: «على الرغم من إخبارك لها بأهميته البالغة؟».

«صحيح، لقد قالت: إنها على علم بالمكان الذي تركته فيه، ولكن بالنظر إلى الفوضى المثيرة للاشمئزاز والمنتشرة في كل مكان، فليس بوسعها الإفصاح عن مكانه الآن».

قال سام: «حسنًا، هذا كل ما في الأمر! لقد أخبرتكِ بمكان وجوده».

تساءلت جينا: «ماذا تقصد؟».

«فكري في الأمر .. أين هو المكان الوحيد الذي رأت فيه سيريس تلك الفوضى المثيرة للاشمئزاز؟».

«أوه، واو! سام أنت ذكي للغاية! لا بد وأنه في...».

جاء الرد الجماعي من قِبل كل من جينا، وسام، وإد، وإريك، وجوجو: «غرفة ماما!».

بدا على سارة هيب الشعور بالإهانة، ثم قالت: «أعترف أنها الغرفة التي نعيش فيها والمليئة بالأشياء، غير أنني أعتقد أن إطلاق صفة الفوضى المثيرة للاشمئزاز على غرفة الجلوس الصغيرة الخاصة بي أمر بعيد تمامًا عن الحقيقة».

وبعد مرور دقائق معدودة، كانت غرفة الجلوس الصغيرة الخاصة بسارة قد زادت فيها الفوضى المثيرة للاشمئزاز. حيث قلصت الجهود المبذولة من قبل الأبناء فورست هيب الأربعة ذوي الأقدام الثقيلة بالإضافة إلى جينا التي تملكتها حماسة شديدة، وسارة الخجلة (والتي كانت تحاول تنظيف أكوام من براز البط أثناء ذلك) أدى إلى تحول الترتيب الهش الذي كانت تتسم به الغرفة، إلى كومة ضخمة مما أطلقت عليه جينا صفة «الركام» في منتصف الغرفة.

وفـوق قمـة الـركام، جلسـت البطـة إثيـل، جاثمة مثـل الديك الرومي البري في عشه.

نظـرت جينا حول الغرفـة الخالية على غير العـادة في حالة من اليـأس، ثـم قالت: «إنه غير موجود هنا، يا ماما، هل أنت على يقين بعدم رؤيتك له أبدًا من قبل؟».

قالت سـارة في صراحـة: «أبدًا! وأنـا على يقين مـن أنني كنت سأتذكر العثور على هرم ذهبي صغير، يبدو جميلًا للغاية».

قالـت جينـا وقلبها يكاد ينفطـر حزنًا: «مـن المحتمل ألا تكون والدتـي قـد قصدت هـذه الغرفـة على أي حـال، فعلـى أي حال، القصر بأكمله يعج بالفوضى، حقًّا».

قـال سـام: «غيـر أن الملكة لم ترَ باقـي القصر، ثم ركل مشـاية الباب الرقيقة على شكل أرنب بقدمه في حالة من الإحباط.

قالت جينا: «ماذا، إنها لم تتحركْ».

قال سام: «إنها مجرد مشاية . هذا كل ما في الأمر».

وفـي غمضة عيـن، هبطت جينـا على الأرض فـي محاولة منها لالتقـاط الأرنب، ثم لهثت: «إنه ثقيل للغاية، أعطني المقص .. يا ماما!».

نظرت سارة إلى كومة الركام في حالة من الفزع، ثم قالت: «من المحتم أن يكون في مكان ما».

وعلى حين غرة، سلَّ أبناء هيب الأربعة خناجرهم الحادة.

صرخت سارة: «لا! لا يا أعزائي!»، غير أن الوقت كان متأخرًا للغاية، حيث استلقى الأرنب الرقيق ذو اللون القرنفلي منزوع الأحشاء على الأرض وقد سقطت قطعة صغيرة على شكل هرم مصنوع من الجلد من خلال الحشو المتواجد داخله مصدرًا صوتًا خافتًا.

قالت سارة أثناء التقاطها الأرنب الضعيف: «أيتها اللعبة المحشوة المسكينة».

استعاد سام الهرم المصنوع من الجلد وأمسك به في انتصار.

قالت سارة باستخفاف: «هذا الشيء القديم؟ إنه باهت للغاية، لقد عثرت عليه موضوعًا على الرف عندما انتقلنا إلى هنا، لقد كان لطيفًا وثقيلًا، لذا قررت أن أحيك منه تلك اللعبة المحشوة لأصنع حاجزًا للباب».

قالت جينا: «سام على صواب يا ماما، أعتقد أنه هو».

قال سام في ابتهاج: «أعلم أنه هو»، ثم جلس على الأريكة التي كانت فارغة على غير العادة، وأخذ يعض على شفتيه في تركيز، وبحذر شديد قطع سام الخيط المشدود جيدًا، وبمجرد اتساع التفتقات في اللعبة المحشوة، اهتزت جينا من الفرح لرؤيتها لمعان الذهب في أسفلها، وبعد مرور دقائق معدودة، سقط هرم ذهبي صغير في حجر سام ليهبط بعدها على الأرض محدثًا صوت

جلجلة ثقيلًا، التقطه سام وناوله لجينا قائلًا: «هو لك يا جينا، فقط من أجلك أنت».

صرخت جينا تعبيرًا عن الانتصار: «لقد عثرت عليه!»، وأثناء إمساكها بشدة بالأرنب القرنفلي - والذي بدا أكثر الأماكن أمنًا للاحتفاظ بالهرم الصغير الغامض والثقيل بشكل ملحوظ - قفزت جينا في قطار الأنفاق الأرجواني وجلست بجوار سبتيموس، ثم قالت: «هيا بنا!»

تساءل سبتيموس أثناء إلقاء جينا للأرنب منزوع الأحشاء بينهما، بعد أن خاطته سارة على عجل لتغلق أحشاءه: «ما السبب وراء إحضارك لهذه اللعبة المحشوة؟».

قالت جينا، وهي لا تزال غير قادرة على التقاط أنفاسها: «الهرم، الهرم داخل اللعبة المحشوة».

هزَّ سبتيموس رأسه في ذهول: «ياه! حسنًا».

وبالاعتماد على توجيهات وإرشادات مارسيلوس، قاد كل من جينا وسبتيموس قطار الأنفاق عبر الأنفاق الجليدية، متوجهين إلى برج السحرة، اصطدمت الأهداب الجارية لقطار الأنفاق على طول الأرض الطينية، محدثةً احتكاكًا بالأحجار الواقعة بالأسفل، في حين ترددت أصداء صوت تساقط القطع الثلجية من السقف واصطدامها بمعدن قطار الأنفاق في الداخل، وقد أضاء المصباح الأمامي جدران الأنفاق الجليدية القديمة والمصطفَّة

بالأحجار بالإضافة إلى برك المياه المتجمعة في منخفضات الأنفاق، وقد اضطرُّوا أكثر من مرة للانخفاض بقطار الأنفاق أسفل المنخفضات الممتلئة بالمياه، والتي تذكر سبتيموس التزلج من خلالها بصحبة بيتل منذ فترة ليست ببعيدة للغاية.

نظر كل من جينا وسبتيموس إلى بعضهما البعض في حالة من القلق، غير أن مارسيلوس كان مبتهجًا على نحو مدهش، ثم قال: «أخيرًا، العودة إلى الوضع الطبيعي».

لم يتفوه سبتيموس بكلمة، وقد كان مارسيلوس على الدوام رافضًا للأنفاق الجليدية ولم تكن لديه رغبة الدخول في جدال مع أحد حينئذٍ، بيد أنه كان على علم بمقدار سمك الثلوج في بعض الأنفاق الأكثر ضيقًا، ولم تكن لديه حيلة سوى التساؤل: «أين كان سيذهب القطار؟».

بعد مرور دقائق معدودة، قالت جينا بحدة: «هل سمعت ذلك الصوت؟».

هز سبتيموس رأسه، وكان بوسعه سماع صوت دمدمة عميقة خلفهما. تلقائيًّا نظر للخلف، متناسيًا عدم وجود زجاج خلفي لقطار الأنفاق، وكل ما تمكن من رؤيته هو جلوس مارسيلوس في وضع ثابت باستقامة، وعلى الرغم من الكدمات المنتشرة على عينه اليمنى، بالتأكيد بدت عليه حالة من المرح، وبدا فخورًا بنفسه في ظن سبتيموس.

بدأ قطار الأنفاق في الاهتزاز ليستمعوا لصوت زئير رعدي قادم من الخلف كما لو كان هناك جيش من الخيل يعدو صوبهم.

لهثت جينا، وقالت: «هناك شيء ما قادم». لتلتف هي الأخرى في مقعدها، متناسية عدم وجود زجاج خلفي، ولم تعد علامات الرضا عن النفس بادية في وجه مارسيلوس.

وفجأة، أحاط بهم ذلك الزئير، حيث غمر جدار من المياه قطار الأنفاق ليصبحوا جميعًا في الحال جزءًا من الضوضاء، والاندفاع، والأتربة، والرمال، وموجات الفيضان التي اندفعت من خلال الأنفاق الجليدية، وبسرعة مخيفة وخارجة عن السيطرة، اكتسحهم الفيضان في طريقه. كافح سبتيموس من أجل أن يبقى ممسكًا بعجلة القيادة التي يستخدمها في تسيير قطار الأنفاق، وذلك أثناء إمعان جينا النظر بعينيها الواسعتين من خلال هدير أمواج المياه، في محاولة منها للتحقق من عدم تفويت الاتجاه صوب برج السحرة.

وفي نهاية المطاف ومن خلال رذاذ المياه، كان بوسع جينا ملاحظة الحروف الأولى من برج السحرة «ب.س»، مع يد أرجوانية كبيرة مرسومة على الجدار، تشير إلى نفق كبير متفرع باتجاه الجانب الأيسر.

صرخت قائلةً: «يسارًا! يسارًا!»، ثم حاولت هي وسبتيموس دفع عجلة القيادة نحو اليسار ليشعرا بتحول قطار الأنفاق، لترتطم

مقدمة القطار بفوهة النفق، غير أن مياه الفيضان أدارته فجأة ودفعته بعنف وبسرعة بعد الطريق، فيما أخذ قطار الأنفاق يتلاطم من جانب إلى آخر، ويصطدم بمياه الفيضان.

صرخ سبتيموس: «إنها دوامة، سوف ندور حولها ونحاول مجددًا!»

«تمام، يا سِب! بوسعنا القيام بذلك!».

جلس مارسيلوس في المقعد الخلفي وقد بدت عليه علامات القلق، وفكر في أنه من المحتمل ألا تكون فكرة الأنفاق الجليدية سيئة بهذا الشكل، في ضوء الظروف الراهنة.

✢ 45 ✢

الفيضان



فتحت مارشا قُفل الباب المؤدي إلى غرفة الغرباء وأمعنت النظر بداخلها، ليلقي ألثر عليها التحية في ضجر، وعلى الرغم من عدم شعور الأشباح بالإرهاق الجسدي، لا يزال بوسعهم الشعور بالإرهاق الذهني، وبعد قضائه ما يزيد على أربعٍ وعشرين ساعة على مقربة مِن الممرضة وميرين، شعر ألثر بأنه كالخرقة المبللة. راحت الممرضة تصدر أصوات شخير في كرسي الغرباء، بينما

كان ميرين متمددًا على الأريكة، يركل أرجل المنضدة ويشاهد إبريق المياه المتمايل.

قالت مارشا: «صباح الخير يا ميرين».

حدق ميرين صوب مارشا وقال مرتابًا: «صباح الخير».

فتحت الممرضة عينيها، وبمجرد رؤيتها للساحرة العُظمى، انطلقت مباشرةً إلى النقطة التي تريد التحدث فيها وتساءلت: «هل نحن مسجونان؟».

«أيتها القابلة ميريديث، أنا على يقين بأن السيد ميلا قد وضح لك الأمر، فأنت وابنك موجودان هنا من أجل سلامتكما الشخصية».

صرخ ألثر: «دع الرافعة لا تلمسها».

وكان ميرين قد بدأ في توجيه ركلات غير منتظمة للرافعة المجاورة للمدفأة، ثم رد وقد قطَّب جبينه: «لم ألمسها».

قال ألثر: «نصيحتي لك ألا تلمسها. يا مارشا، هل تسمحين لي بكلمة، من فضلك».

قالت مارشا: «بسرعة، يا ألثر».

همس ألثر قائلًا: «هل يتعين عليَّ البقاء هنا؟ إنهما كما قال سبتيموس، يسببان لي حالة من الارتباك والتعاسة».

«أنـا متأسـفة، يا ألثر، غيـر أنه لا يوجد أي شـخص آخر مدرب على التعامل مع غرفة الغرباء، أو بصراحة شـخص يمكنني الثقة به لن يقدم على قتل ميرين».

قال ألثر: «هذا الولد عبارة عن كابوس».

«بالضبـط. وأنـت الوحيـد الـذي بوسـعك التعامل معه يـا ألثر والآن، يتعيَّـن علـيَّ الذهـاب». وبتلـك الكلمات، أغلقت مارشـا الباب، تاركةً ألثر بمفرده ليتحمل مسئولياته.

ونظرًا لعدم قدرتها على تحمل شـبح جيلـي دجين، بعد أن بدأ فـي الصراخ: «**النار! النار!**» كل ثوان معدودة، نقلت مارشـا مقرها إلـى البهـو الكبير، حيـث أتت بمنضـدة دائرية كبيرة مـن المطعم، ونصبتهـا، ثـم اسـتخدمتها **لعـرض** خريطـة دائمـة للقلعـة. وكان المراقبون في **نقاط المراقبة** يرسـلون مراسـليهم كل خمس عشـرة دقيقة وبحوزتهم تقارير عن انتشـار النيران، والتي راحت تتشـكل في جميع أنحاء القلعة. وكانت مهمة روز القيام بالإشارة إلى تلك النقـاط علـى المنضـدة، وذلك من خـلال وضع **لوحـة نارية** على أماكن **النار** التي وردت تقارير عنها. ولولا ما تمثله **علامات الألواح النارية**، لكانـت روز قد اسـتمتعت بعملهـا. وكان بحوزتها حقيبة جلدية بداخلها أقراص حمراء سميكة، عند الضغط عليها للأسفل علـى المنضـدة **المجهـزة**، تشـتعل منهـا ألسـنة اللهيـب وتواصل الاشـتعال حتى يتم **إخمادها**، وحتى الآن لم تقم مارشا **بإخماد** أي

مـن النيران، وبعد ورود تقرير من **نقطة المراقبة** الغربية، كانت روز قـد وضعـت صفًّا من أربعة **ألـواح نارية** في جـزء قديم ومحدد في القلعة، وقد أخذت النيران الآن تنتقل من منزل إلى آخر.

وعلـى منضـدة منفصلـة موضوعة في أمـان بعيدًا عـن **الألواح النارية**، كانت هناك خريطة مباشرة لما يكمن تحت الأرض، والتي راح يشـاهدها سايمون باهتمام – وقد أسـند قدميه الملفوفتين في ضمـادة كبيـرة على الكرسـي – أثناء قيامه بالإبـلاغ عن وجود ظل غريب يشاهده للمرة الأولى محلقًا فوق غرفة **النار**، وكان سايمون قد تعقبـه حينها وصولًا إلـى القصر، حيث توقـف لبعض الوقت، وكان هـو ومارشـا علـى قناعـة بـأن هذا الظـل يعود إلى سـاحري الخاتم، وكان الظل يتحرك عبر الأنفاق باتجاه برج السـحرة، وهو ما أثار بعض المخاوف لدى مارشا.

فُتحـت أبـواب برج السـحرة وأسـرع بيتـل بالدخـول، وبنظرة واحـدة إلـى التعبير البادي علـى وجهه، علمت مارشـا بأنه يحمل مزيدًا من الأخبار السيئة.

قال بيتل: «هناك فيضان في الأنفاق الجليدية».

لهـث جميع المتواجدين في البهو، في حين حدقت مارشـا فيه وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه، ثم قالت: «من غير الممكن حدوث ذلك».

«لقد تحولت بالفعل إلى فيضان، هناك تيار جارف من المياه في النفق المتواجد أسفل دار المخطوطات، وأنا لا أعلم كيف تمكنت روميلي من الخروج».

«هل كانت روميلي هناك بالأسفل؟».

قال بيتل: «كانت تراقب انصهار الجليد، وكانت قد قطعت مسافة فوق الجليد عندما لاحظت أنه بدأ يتسارع على حين غرة؛ حيث بدأت كتل ثلجية في التساقط من السقف، كما اصطدمت الهوابط بالأحجار، لذا عادت في الطريق الطويل المستقيم - الذي ذهبت منه- الواقع مباشرة تحت دار المخطوطات، وهناك استمعت إلى صوت زئير. مسكينة روميلي، المسكينة قد علمت ماهيته بالضبط؛ فسرعان ما رأت جدارًا من المياه يرفع الزلاقة وانجرفت مع الماء ، ولم تتمكن من الفرار إلا عن طريق الإمساك بشدة في درجة السلم المتواجد أسفل الباب الجليدي الصغير».

تساءلت مارشا: «لكن هل هي بخير؟».

«هي فقط مصدومة، وبها بعض الكدمات، لكنها بخير».

انطلق جوليوس بايك بخفة أعلى المنضدة حيث كان يمعن النظر في النيران، ثم قال: «أيتها الساحرة العُظمى، عليك اتخاذ إجراء ما الآن، لا يمكن السماح للنار بالخروج عن السيطرة».

قالت مارشا في سخرية: «شكرًا لك، يا جوليوس، ومع ذلك، أنا غير مستعدة للمغامرة بحياة أي من الأشخاص دون أن يكون لدينا فرصة للنجاح، علينا الانتظار حتى معرفة **تعويذة الحبس**».

قال الشبح: «آمل ألا يكون انتظارك هذا بلا جدوى».

قالت مارشا: «لدي ثقة في التلميذ».

صرخ سايمون: «مارشا! لقد دخل الظل للتوِّ إلى نفق البرج ساحرا الخاتم؛ إنهم يتوجهان نحو هذا الطريق!».

كان قطار الأنفاق بالتأكيد متوجهًا بالفعل في ذلك الطريق؛ وذلك على الرغم من المصاعب التي قابلها، وكانت جينا وسبتيموس قد حاولا إيقافه من الانجراف إلى أسفل أحد الأنفاق الواسعة التي كان سبتيموس على علم بأنه يؤدي إلى منحدر التزلج الذي كان مفضلًا في وقت من الأوقات لدى بيتل، وانطلقا بسرعة أسفل النفق المؤدي إلى برج السحرة. اهتزَّ قطار الأنفاق من جانب لآخر أثناء انطلاقه بسرعة الصاروخ للأمام، محدثًا ضجة ارتدت على الجدران، وقد وصلت المياه المظلمة والدوامة تقريبًا إلى قمة الزجاج الأخضر السميك الخاص بنافذة مقصورة القطار، وما تبقى من النافذة كان يعلوه الرذاذ، دقق سبتيموس النظر من خلاله، متعجبًا من كيفية قدرتهم على رؤية الممر الصغير المؤدي إلى برج السحرة.

صرخت جينا قائلةً: «إنه قادم!».

ومن خلال الضوء المنبعث من المصباح الأمامي، تمكن سبتيموس من رؤية اللافتة التي تقترب بسرعة: إلى برج السحرة.

صرخت جينا: «توقف!».

صرخ سبتيموس: «لن يتوقف! الفرامل لا تعمل في المياه!».

صرخت جينا: «أخرج المرساة!».

«أين المرساة؟».

قالت: «هناك!»، ضغطت على زرٍّ أحمر في مقصورة القطار بجانب سبتيموس، ثم ما لبثا أن شعرا بخروج شيء ما بسرعة أسفل قطار الأنفاق لينحدر بعدها القطار متوقفًا محدثًا صوت صرير عاليًا، وارتطمت مقدمة قطار الأنفاق بعنف في الجدار، وهو ما أطاح بهما في ناحيتين متقابلتين من المقصورة.

لهث سبتيموس: «لقد نجونا بأعجوبة!».

قالت جينا: «نحن قريبون جدًّا. أمام درجات السلم تمامًا في الحقيقة».

وكان قطار الأنفاق الأرجواني اللون قد توقف بجانب الممر الصغير المؤدي إلى درجات السلم الخاصة ببرج السحرة.

فتح سبتيموس الأبواب الصغيرة ونظر من خلالها، ليصيبه زئير المياه بالصدمة ويصدمه رذاذ من المياه في وجهه، ثم خاض في طريقه أسفل الأبواب الصغيرة المفتوحة.

صرخت جينا بخوف: «آه! إنه بارد!».

وكانت درجات السلم المؤدية إلى برج السحرة أعلى من المياه، غير أنه بين قطار الأنفاق والدرجة السفلى لسلم الأمان، اندفع تيار من المياه الرفعية والعنيفة في ذات الوقت، وصرخ سبتيموس: «سوف نقفز إليه!».

قالت جينا: «حان الوقت للخروج، يا مارسيلوس».

وقد بدت فكرة الخروج فكرة جيدة للغاية بالنسبة لمارسيلوس. وبمساعدة كل من سبتيموس وجينا، قام بسحب نفسه من خلال الباب الصغير، وانزلق أسفل جانب قطار الأنفاق ليقفز قفزة خفيفة عبر مياه الفيضان وصولًا إلى درجة السلم.

صرخ سبتيموس: «اللعبة المحشوة!».

صرخت جينا وهي تمسك بيدها الأرنب القرنفلي من على المقعد وتحكم قبضتها حول وسطه: «كما لو كنت قد نسيته!»، وكان بوسعها الشعور بالزوايا الحادة للهرم بداخله من خلال القماش.

أعاد رذاذ الماء البارد مثل الثلج وزئير المياه مارسيلوس إلى رشده فتوقف عن السخافات، ومدَّ يده لجينا وسبتيموس ليقفزا من فوق الفجوة.

وبعد ذلك، جذبهما مارسيلوس ليسرعوا معًا على درجات السلم باتجاه الباب الأرجواني اللامع الواقع على الجانب الأيسر في القمة.

أمعن سبتيموس النظر في الباب الأرجواني في فزع وقال: «إنه محكم الغلق».

«بيد أنه بوسعك فتح القفل، أليس كذلك، يا سِب؟».

هز سبتيموس رأسه، وقال: «ليس من هذا الجانب، إنه موصد في وجهنا».

وعلى الجانب الآخر من القفل، قالت مارشا لبيتل: «لقد قمت بتسليح القفل، لم أفعل ذلك من قبل، هذا أمر غير أخلاقي في رأيي، غير أننا في حاجة ضرورية إليه».

تساءل بيتل: «ما السبب وراء كونه غير أخلاقي؟».

«بوسع التسليح قتل أي شخص يلامسه، غير أنه لا يختلف في ظاهره بالنسبة للأشخاص العاديين عن القفل العادي»، تنهدت ثم قالت: «وسوف يلاحظ ذلك الأمر معظم السحرة بالطبع، ولكن هناك احتمال ألا يتمكن بعضهم من ملاحظة ذلك. غير أن هذا القفل من شأنه أن يبقي السحرة الشيطانيين بعيدًا عن المستشفى لفترة من الزمن، دعنا نأمل أن يستمر مفعوله حتى عودة جينا».

لم يرد بيتل؛ حيث كان التفكير، مجرد التفكير، في جينا وفي بيت الفوريكس يزعجه؛ وتمنى الآن لو كان صاحبها عندما طلبت منه ذلك.

وعلى بعد بوصات قليلة من بيتل، وضعت جينا يدها لملامسة القفل؛ ليمسك سبتيموس يدها بشدة ويسحبها بعيدًا عنه.

قال هامسًا: «**لا تلامسيه! إنه مُسلّح**».

«**مُسلّح؟**».

«ششششش. نعم، ألا تستمعين إلى أزيزه وضجيجه؟».

قالت جينا: «ما السبب وراء همسك؟».

«نظرًا لعدم استخدام مارشا **للأقفال المسلحة**؛ حيث تعتقد أنه من الخطأ استخدامها».

نظرت جينا إلى سبتيموس في خوف وقالت: «أتعتقد أن ساحري الخاتم ... متواجدان هنا، أليس كذلك؟».

قال مارسيلوس: «أضمن لكما أنهما ليسا بالداخل، لن يسمح لهما دوجليوس بالمرور».

«دوجليوس؟» تبادل كل من جينا وسبتيموس النظرات القلقة، لقد شت عقل مارسيلوس تمامًا.

قال مارسيلوس: «كبير الطراق».

قالت جينا بهدوء: «أنا لست مندهشة من ذلك بسبب الجروح التي في رأسك، يا مارسيلوس، هناك ورم كبير في رأسك».

اندفعت موجة من المياه لتنظر جينا وترى أن الماء صار يغمر الدرجتين السفليتين من السلم، ثم همست: «يا سِب، المياه ترتفع».

وأثناء حديث جينا، اندفعت موجة كبيرة من المياه عبر النفق، لتطرح قطار الأنفاق أرضًا مثل الفرس الخائف.

كانت المرساة؛ فانجرف قطار الأنفاق مع التيار؛ ثم تلاشى عن الأنظار، فيما كان يقفز ويصطدم على طول سقف النفق بمرح.

وشـاهد كل من جينا، وسـبتيموس ومارسيلوس تلاشي الضوء المنبعـث مـن المصبـاح الأمامـي بسـرعة، تـاركًا إياهـم في ظلام دامس، انتظر سبتيموس حتى يبدأ الخاتم التنيني في التوهج، حتى تذكر بأنه عاد الآن لأصبع حُتب رع.

كانوا بمفردهم تمامًا.

وقفوا في الظلام، ليشـعروا ببرد المياه ترتطم بكواحلهم، وبعد أن ارتفع شيئًا ما أعلى من قدم سبتيموس، نظر أسفله، ليرى مزلجة برج السـحرة الرائعة الخاصة، به والتي كان قـد تركها مربوطة بعد الانتهـاء من آخر مرات الركض عبـر الأنفاق الجليدية بصحبة بيتل احتفـالًا بتقلده منصب رئيـس الكتبة السـحريين. وعلى إثر ذلك، فك سـبتيموس الحبل الأزرق السماوي، ليمسك به بشدة، كما لو كان قد عثر على صديق له.

وأثنـاء ذلك، أمسـكت جينا بالأرنـب القرنفلي المشـبع بالمياه والذي زاد ثقله، وبدأت في التساؤل، ما إذا كان ما فعلوه للحصول على **تعويذة الحبس**، سيذهب هباء.

تحركت موجة عنيفة، لتصل بالمياه إلى ركبهم.

قال مارسيلوس: «أيها التلميذ، بوسعك استخدام الطريقة القديمة للتعرف على مَن يتواجد في الجانب الآخر، بوسعك

الصراخ إذن».

وبعد قدوم موجة أخرى، أوصلت المياه إلى أعلى من خصورهم، أصبح سبتيموس على قناعة بأنه ليس لديه ما يخسره. لذا قال وصوته يتردد في أرجاء المكان المقبب والمرتوي بالمياه: «يا مارشا! هذا أنا .. سبتيموس!».

لم يتلق أي رد.

وعلى الجانب الآخر من القفل المسلح، تواصل الاجتماع الهامس.

قال جوليوس: «هذه خدعة، من غير الممكن عودة التلميذ بعد».

قالت مارشا: «إنها ليست خدعة، إنه سبتيموس، بوسعي الشعور بذلك».

انضم ميلو إلى مارشا، وقال: «عليك أن تتبعي شعورك».

قال جوليوس: «مشاعر! هاه! تلك الخزعبلات القديمة».

قدمت موجة أخرى فارتفعت المياه إلى صدورهم، ليرفع مارسيلوس ذراعه ليتفقد المساحة الفارغة المتبقية لهم، وساوره اعتقاد، بأنها تكفي لموجتين إضافيتين، فقط لا غير.

قال لجينا: «اتركي الأرنب الذي بحوزتك، ستكونين في حاجة إلى كلتا يديك عما قريب».

قالت جينا: «بيد أن الهرم بداخله»، وبعد أن رأت نظرات الحيرة في عيني مارسيلوس، قالت: «بداخله مفتاح **تعويذة الحبس**؛ تلك الكلمات التي سوف تُعيد السحرة مجددًا إلى الخاتم».

تذكر مارسيلوس ثم قال: «إذن أعطيني إياه، ولن أتركه، أعدك بذلك».

أعطت جينا الأرنب القرنفلي الثقيل المشبع بالمياه لمارسيلوس، الذي حمله من أذنيه، وسرعان ما هبط به للأسفل بعد أن فوجئ بوزنه، غير أنه لم يكن غريبًا على مارسيلوس حمل كتل ذهبية، وسرعان ما وضعه في ذلك الجراب الجلدي الكبير المخفي تحت عباءته، حيث انضم الأرنب اللعبة المحشو لمجموعة من العملات المعدنية الذهبية والكتل الذهبية الخام.

وبعد أن تحررت من العبء، وضعت جينا كل طاقتها في الصراخ، وقالت: «يا مارشا! اسمحي لنا بالدخول!».

وعلى الجانب الآخر من الدرع، لهث ميلو، ثم قال: «بوسعي سماع صوت جينا!».

قال بيتل: «وأنا أيضًا».

قال شبح جوليوس بايك: «هذه خدعة قديمة من الخدع الشيطانية، أنتم تستمعون إلى أصوات الأشخاص الذين تشتاقون إلى رؤيتهم، وبهذه الطريقة تبدأ **الهيمنة الشيطانية**».

تردد بيتل، الشبح على صواب .. كان يعلم بذلك تمامًا.

كمـا تلعثمت مارشـا هي الأخرى، ثم نظـرت إلى ميلو وقالت: «إنه على صواب».

قـال ميلـو: «لا، هـو ليـس علـى صـواب، هـذه جينـا عزيزتي بالخارج، ومساعدك سبتيموس، اسمحي لهما بالدخول».

قدمـت موجـة أخـرى من الميـاه فأصبـح مارسـيلوس الوحيد القـادر علـى الوقـوف والإبقاء على رأسـه خارج المياه. للأسـف الشـديد كان سـبتيموس قد ترك المزلاج الـذي بحوزته وتعلق هو وجينا بمارسـيلوس، فيما اهتزت رءوسـهم إلى الأعلى والأسـفل في مقابل السقف الحجري لبئر الدرج، وكانوا على علم أن الموجة المقبلة سوف تكون الأخيرة بالنسبة لهم.

لذا صرخوا جميعًا: «مااااااااااااااااااااااااااااااااارشـــــاااا».

ترددت أصوات صرخات جينا وسبتيموس في خزانة المكانس الصغيـرة وبداخـل البهو الكبير لبرج السـحرة، ليتجمع حشـد من السحرة القلقين حول باب الخزانة.

قـال سـبتيموس في يأس: «مارشـا غيـر متواجدة هنـاك، كانت ستسمح لنا بالدخول في حال وجودها، لابد أنهم سحرة الخاتم».

قدمـت موجة أخـرى – صغيـرة وهادئة – لتصل إلـى أفواههم وهو ما جعلهم يسعلون ويبصقون.

صـرخ مارسـيلوس: «يا مارشـا! اسـمحي لنا بالدخـول، بحق الإله! نحن نغرق الآن!».

قال جوليوس: «هذا هو القول الفصل، هؤلاء هم ساحرا الخاتم. وقد أخذوا مارسيلوس رهينة لديهم».

أمسك كل من جينا، وسبتيموس ومارسيلوس بإحكام ببعضهما البعض، سوف يغمرهم الماء في أي لحظة؛ وينجرفون أسفل الأنفاق الجليدية ليبدءوا رحلة لا نهاية لها في التيارات المائية مثل ثلاثة من الأشباح الجليدية.

صرخت جينا آخر صرخة يائسة: «النجـــــــــــــــدة!»

قال ميلو: «يا مارشا، هذا صوت جينا، أنا على علم بابنتي».

قالت مارشا: «وأنا على علم بابني، أقصد أنني على علم بسبتيموس». وبتلك الكلمات أزالت **القفل** من على الباب.

اجتاحت موجة كبيرة من الماء المتجمد من خلال **القفل**، لتجلب معها ثلاثة أشخاص على وشك الغرق ومزلاجة برج السحرة الخاصة بسبتيموس، والتي **مرت من خلال** شبح جوليوس بايك مثل شفرة من الحديد البارد. ثم انجرفت المياه خارج خزانة المكانس وألقت بجينا، وسبتيموس ومارسيلوس على أرضية البهو الكبير مثل الأسماك المدفوعة إلى الشاطئ.

تواصلت المياه في الاندفاع، حتى تمكنت الجهود المجتمعة لكل من مارشا وأكبر عدد من السحرة الذين تمكنوا من الدخول إلى الغرفة من إيقافها. ومن ثم، وأثناء تحرك المياه جيئةً وذهابًا برفق، قامت مارشا التي تقطر ماءً على عجل بإصلاح **القفل**.

ونظرًا لإصابتهم بالإرهاق والإعياء التام، انهار كل من سبتيموس، وجينا ومارسيلوس على الأريكة المبطنة خارج غرفة الغرباء وراحوا يشاهدون السحرة أثناء قيامهم بكسح المياه خارج البهو الكبير، ودفعها أسفل درجات السلالم الرخامية المؤدية إلى الفناء حيث اختفت ببطء هناك.

أسرعت مارشا نحوهم والماء يقطر منها، وقد أخذت تعصر عباءتها وهو ما أدى إلى تبعثر المزيد من الماء على أرضية برج السحرة، وقد ارتسمت على وجهها علامات الارتياح لعودتهم سالمين، ثم جثت على ركبتيها بجانب جينا وسبتيموس وأمسكت بيديهما اللتين كانتا باردتين مثل الثلج. حاولت مواساتهما قائلة: «لقد بذلتما أقصى ما في وسعكما، وهذا كل ما يمكنكما القيام به».

أدرك سبتيموس أن مارشا كانت تعتقد أنهما لم يتمكنا من مقابلة حُتب رع، غير أنه لم تكن لديه ولا لدى جينا طاقة الشرح الأمر؛ لذا وخز سبتيموس مارسيلوس قائلًا: «الأرنب».

أومأ مارسيلوس برأسه، وهو منهك للغاية وغير قادر على الكلام، ثم سحب الأرنب القرنفلي الذي كان يقطر الماء منه من جرابه، وناوله لمارشا دون أن يتفوه بكلمة.

46

مواجهة حاسمة

تصاعدت أعمدة الدخان السوداء عاليًا في السماء، حيث اشتعلت ألسنة اللهب في منازل الجميع أو أماكن معيشتهم. وفي المنتصف، وقفت المدخنة الكيميائية لتتصاعد منها بقوة أعمدة هائلة من الدخان الأسود، تمامًا كما تفعل الساحرة الأم التي عقدت اجتماعًا مع مساعديها في منتصف الليل وهم يتراقصون حولها.

حملت نسائم الهواء التي هبت فوق برج السحرة رائحة الدخان اللاذعة، بيد أن سبتيموس كان لديه أمور أخرى يفكر بها.

حيث كان ممسكًا **بتميمة الطيران** السحرية بإحكام بإحدى يديه وبقمة الهرم **المصغر** باليد الأخرى، ليستلقي ووجهه للأسفل، ويحلق على ارتفاع ذراع فوق المنصة الذهبية المنبسطة لسطح الهرم، والتي نُقشت عليها الكلمات الهيروغليفية الخادعة. ولا يتعين عليه - كما قال له حُتب رع- ملامسة المنصة؛ لأنه إن قام بذلك، قد لا يعمل **المفتاح**.

وكان حُتب رع قد أخبر سبتيموس أنه قام بإخفاء **التعويذات** العشرين داخل قبة الهرم أعلى برج السحرة. وكانوا مُجمَّعين وفقًا لترتيب استخدامهم، وفي ظنه ستكون أحدث التعويذات استخدامًا في القمة، لابد من **ظهور تعويذة الحبس** في أول الأمر. وفي حال عدم **ظهورها**، فإن ذلك يعني أنهم مخزنون على نحو معكوس وستكون آخر **التعويذات** ظهورًا. وحينئذٍ سوف يتعين على سبتيموس المرور من خلالها عن طريق رفع **المفتاح** في هيئة الهرم الصغير فوق الفجوة الفارغة الخاصة بها وإعادة وضعه. وفي كل مرة يقوم بذلك سوف **تظهر تعويذة** أخرى.

وبحذر شديد، أسقط سبتيموس الهرم الصغير في **القفل**؛ تلك الفجوة المربعة في منتصف الكتابات الهيروغليفية التي طالما حيرته وحيرت أجيالًا من السحرة والتلامذة من قبله. كان الهرم

الصغير مناسبًا لحجم **القفل** بالضبط تمامًا كأي **مفتاح** عادي. وعلى الفور، ظهر أحد الرموز على المربع الفارغ في أعلى **المفتاح** ليشعر سبتيموس بانبعاث الحرارة من داخل المنصة الذهبية.

تراجع إلى الخلف، وعندها شاهد سبتيموس في هول تلك النقوش الهيروغليفية الغامضة، وقد بدأت في الذوبان لتتحول إلى كلمات بوسعه فهمها: الخلاص من رائحة الخنزير.

قرأ سبتيموس تلك الكلمات فسقط قلبه في قدميه؛ حيث تم تخزين التعويذات وفقًا للترتيب المعكوس. وتساءل عن السبب في كون أول تعويذة يستخدمها حُتب رع في القلعة كانت **التخلص** من روائح الخنازير، ثم رفع سبتيموس **المفتاح** الهرمي، لتعود بعدها النقوش الهيروغليفية الغامضة، ومسح أعلى المفتاح من جديد. ثم عاود إسقاط **المفتاح** في القفل ليظهر رمز آخر على قمته وعلى المنصة، **تلك** هي **التعويذة** التالية: **شفاء الشباب.**

وفي الحرارة الشديدة النابعة من التوهج السحري على وجهه والرياح التي أخذت تعصف به جيئةً وذهابًا فوق قمة برج السحرة، قام سبتيموس بصعوبة شديدة باستعراض **التعويذات** واحدة تلو الأخرى، وفي كل مرة يسقط **المفتاح** ويرفعه، حتى وصل في نهاية المطاف إلى **التعويذة** الحادية والعشرين. حبس سبتيموس أنفاسه وأسقط **المفتاح** في **القفل** وكان يحدوه الأمل على نحو يائس أن تكون تلك هي المرة الأخيرة، ليظهر أحد الرموز على قمة

المفتاح والذي تعرف عليه سبتيموس: حتحور(*). وللمرة الحادية والعشرين ذابت النقوش الهيروغليفية لتتحول إلى كلمات. وفي تلك المرة كانت الكلمات هي: **تعويذة الحبس** في الذهب.

صرخ سبتيموس قائلًا: «هه!». وبحذر شديد لئلا يلامس المنصة (حيث إنه لم يكن يحتمل خوض ذلك كله من جديد)، التقط سبتيموس قلمه **ولوح التدوين** الخاص به، وبدقة متناهية دون الكلمات الخاصة **بتعويذة الحبس**. ثم راجعها وفحصها ثلاث مرات، وأوقف نفسه عن المراجعة للمرة الرابعة نظرًا لعلمه بنسخها بدقة، ثم التقط **المفتاح** من **القفل** وشاهد الكلمات أثناء تغيرها وعودتها مجددًا إلى حروف هيروغليفية غامضة.

وضع سبتيموس **لوح التدوين** الخاص به في أمان بداخل جيبه، ليقف ويمدد ذراعيه اللتين اعتصرهما الألم؛ ثم نظر للأسفل حيث كانت روز تراقب في قلق من خلال الباب الصغير للمكتبة بالأسفل، وقد أخبرت علامات السعادة البادية على وجهه بكل ما أرادت معرفته.

صاحت: «وأخيرًا! هل ستنزل الآن؟».

ولم يكن هناك أمور أخرى يرغب سبتيموس في القيام بها. وحتى مع وجود الأمان الذي توفره له **تميمة الطيران** السحرية،

(*) ربة السماء، والحب، والجمال، والأمومة، والسعادة، والموسيقى، والخصوبة عند الفراعنة.

لا تزال الارتفاعات العالية تبث فيه الرعب. وضع **المفتاح** بأمان بجوار **لوح التدوين** في جيبه، ثم هبط ببطء عبر الهواء المليء بالدخان.

* * *

وفي برج السحرة بالأسفل، شاهد مارسيلوس باي شبح جوليوس بايك يتسلل خُفية باتجاه السلالم اللولبية. اعتقد مارسيلوس أنه يتخيل أشياء لا وجود لها. لذلك أغلق عينيه، غير أنه عندما فتحهما كان جوليوس لا يزال هناك.

همس مارسيلوس لجينا متسائلاً: «هل بوسعك رؤية شبح الساحر الأعظم هذا؟».

قالت جينا: «نعم، هو مزعج للغاية».

«إذاً فإنه هو». ثم وقف مارسيلوس على قدميه فتمايل وكاد أن يسقط.

قالت مارشا في حزم: «اجلس، من المفترض أن تكون في المستشفى الآن».

قال مارسيلوس: «هاه! اعذريني، يا مارشا، ويا أيتها الأميرة، هناك شيء ما يتعين عليَّ القيام به». انحنى لهم على الطراز القديم وتوجه في حاله وتركهما في حالة من عدم التوازن.

راقب شبح جوليوس بايك بفزع مارسيلوس يقترب منه، وقد بدا على الكيميائي - بشعره الملتصق برأسه، والكدمات المنتشرة

حول عينه اليمنى، وردائه الممزق المهترئ - كما لو كان قد خرج من عراك لتوه، وفي سبيله إلى خوض عراك آخر.

خطا مارسيلوس خطوة أمام الشبح، وقال: «جوليوس».

لم يبد عليه الحماس، حيث رد جوليوس عليه قائلاً: «مارسيلوس، إمم، كيف حالك؟».

ابتسم مارسيلوس، وقال بشكل مقتضب: «لا أزال على قيد الحياة».

تعجبت مجموعة السحرة - الواقفة بالقرب منهما، والتي كانت تقوم بعملية التنظيف - من وقاحة مارسيلوس. حيث كان لفت الانتباه إلى حياة أحد الأشخاص أثناء الحديث مع شبح هو من الأخلاقيات السيئة للغاية. حينئذٍ، كانت الأخلاقيات هي آخر ما يفكر به مارسيلوس.

«يا جوليوس، أيها الأفعى. لقد استغرق الأمر مني ما يربو على خمسمائة عام لاكتشاف ذلك، ولكن الآن في نهاية المطاف أصبحت على علم بالسبب وراء حدوث الكارثة الكيميائية الكبرى».

قال جوليوس وقد نفد صبره: «ياله من أمر رائع!».

«الواقع، مازلت أجهل السبب وراء حدوثها، ولكني عرفت من قام بها .. أنت!».

بدا جوليوس مصدومًا وسأله: «أنا؟».

«نعم، أنت، أنت أيها الضفدع الكذاب. أنت أيها المتعجرف العجوز».

أسرعت مارشا للتدخل، وقالت: «مارسيلوس! أدرك أنك تعاني من ضربة قوية على رأسك، غير أنه يتعين أن أذكرك بضرورة التقيد بسلوكيات وأخلاقيات برج السحرة. أشباح السحرة الأعظمين ضيوف لدينا، ولابد أن يحظوا بمعاملة مهذبة وبالاحترام».

قال مارسيلوس وهو في حالة من الغليان: «متأسف يا مارشا، إلا أنه كان من المحتم أن أقول ما قلت. لقد نلت كفايتي من الانتظار».

«من المسموح لك أن تقول ما تريد يا مارسيلوس، غير أنه لا يسمح لك بإهانة ضيوفنا».

قال جوليوس: «أشكركِ، أيتها الساحرة العُظمى، عليَّ الانصراف الآن».

قال مارسيلوس: «ليس بهذه السرعة، يا جوليوس، ربما يتعين عليك احترامي والاستماع لما أقول».

«لقد تأخر الوقت، يا مارسيلوس، مرة ثانية، أستميحك عذرًا».

«لن أسمح لك بالانصراف، ولن تسمح لك مارشا أيضًا في حال علمها بحقيقة ما فعلت».

تساءلت مارشا: «مارسيلوس، عن أي شيء تتحدث؟».

تحدث مارسيلوس ببطء، وكان ينظر طيلة الوقت في عيني جوليوس بايك، حيث قال: «أتحدث عن شخص ما؛ اعتبرته بمثابة أعز أصدقائي وكاتم سرِّي طيلة أعوام، وكيف أنه دمر العمل الذي عكفت على القيام به طوال حياتي، وعمل كافة الكيميائيين الذين سبقوني. وكما أن ذلك لم يكن كافيًا بالنسبة له، فلقد تعمد تدمير سمعتي بعدها».

تساءلت مارشا: «كيف فعل ذلك يا مارسيلوس؟».

قال مارسيلوس: «كيف فعل ذلك؟ سوف أخبرك كيف. هذا الـ...».. بذل مارسيلوس مجهودًا كبيرًا لكبح جماح غضبه وتابع قائلًا: «الشخص الواقف هنا، من أجل أن يبهر بعض السحرة الذين ليس لهم أهمية والقادمين من حيث لا أعلم، لم يقم فقط باقتحام غرفة النار الخاصة بي - نعم يا مارشا، كما خمنت بالفعل، إنها موجودة بالفعل، وأعتذر أنني لم أصارحك بالأمر- وإنما قام أيضًا على نحو مخادع، ومتعمد، ومتهور بإلقاء أخطر الأشياء في مرجل النار؛ الخاتم ذي الوجهين!».

بدت على مارشا حالة من الارتباك والحيرة، وتساءلت: «وما الخطأ في ذلك؟ بالتأكيد، هذا ما سوف نقوم به بعد تعويذة السحر».

شعر جوليوس بايك بوجود من يؤيده، وقال: «تمامًا، أيتها الساحرة. إنهم يتلاعبون بالبروتوكول، أنا أعترف أنني لم أحصل

على الإذن منك، وهو ما أعتذر عنه، غير أن هذا الأمر ليس له أي علاقة بالكارثة الكيميائية الكبرى، التي حدثت بعد أسابيع من ذلك».

«يا جوليوس! إن له علاقة وثيقة بما حدث، إذا ما أردت **تغيير طبيعة** أحد الأشياء في **النار**، لا تلقي به فقط مثل غلاف الحلوى، وذلك لأن مرجل **النار** ليس صندوقًا للقمامة، كما أن تغيير الطبيعة عن طريق **النار** من المهمات الدقيقة، لذا يتعين عليك الإبقاء على الشيء المراد تغيير طبيعته معلقًا في وسط **النار** لعدة أيام، وبغض النظر عما تفعله يتعين عليك عدم السماح له بملامسة جانب المرجل».

بدأ جوليوس بايك **بالاختفاء**، وهو ما لم يَرُق لمارشا.

« سيد بايك، أرجو منك أن تحترمنا وألا تختفي الآن».

قال مارسيلوس: «شكرًا لك، يا مارشا، إذن، يا جوليوس، عندما قمت بإلقاء الخاتم ذي الوجهين في **النار**؛ غاص بين قضبان **النار** وظل أسفل قاعدة المرجل، ثم **هجرها** على مدار الأسابيع الثلاثة التالية. وفي اللحظة التي أحدث فيها فجوة، تصدع المرجل، واندفعت المياه فارتفعت حرارة قضبان **النار**، وهو ما يحدث عند فقدان المياه على حين غرة، وقد احتوى الطرّاق التابعون لي **النار** عن طريق إخمادها بالفحم المزيت الخاص بنا، وهو ما يقومون به الآن في هذه اللحظة ـ لا تقاطعني يا جوليوس؛ هذه هي الطريقة الكيميائية وهي تعمل، بيد أنك، أنت يا جوليوس، لم تكن لتثق بنا

للقيام بعملنا، لم تكن لتستمع إليَّ عندما قمت بتوضيح الأمر. لقد أصابك الذعر، لقد حجبت عنا الماء، كما حجبت عنا الهواء، وللتحقق من ذلك، لقد أجبرتني على **تجميد** نظام التدفئة الرائع الذي حافظ على دفء القلعة بأكملها في فصل الشتاء، كنت أنت، يا جوليوس، السبب وراء حدوث الكارثة الكيميائية».

تمتم الشبح قائلًا: «هراء!».

«يا جوليوس، هذه هي الحقيقة، أنا على علم بذلك نظرًا لعثور الطُّرَّاق التابعين لي على الخاتم ذي الوجهين على الأرض بعد **إغلاقك** لغرفة **النار** الخاصة بي، لم يكونوا على علم بماهيته؛ لذلك ألقوا به في شبكة تصريف المياه للتخلص منه، غير أنه لم يكن بوسعهم إخباري، لأنك كنت قد سحبتني بعيدًا حينها، وتركتُ الطُّرّاق التابعين لي - والأكثر ولاءً وإخلاصًا لي منك - يموتون».

تساءلت مارشا: «الطُّرَّاق».

قال جوليوس بايك: «تلك المخلوقات البشعة، التي رباها الكيميائيون».

رد مارسيلوس بحجة معاكسة: «إنها كائنات حساسة حية، تتنفس، بغض النظر عن الطريقة التي جاءت بها، غير أن ترك الطُّرّاق ليواجهوا مصيرهم بالموت لم يكن كافيًا بالنسبة لك، بل عملت على التأكد من موت الكيميائي أيضًا».

احتـج جوليـوس: «من أجـل مصلحـة القلعة، يا مارسـيلوس. وخاصة أن ذلك الكيميائي كان على وشك تدمير القلعة».

«لا يـا جوليــوس، أنــت الــذي أوشـكت أن تدمرهـا بمكـرك وخداعـك، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، أليس كذلك؟ لقد زورت السجلات، وطمست المعلومات القديمة، وزرعت الشكوك حول الكيميائي بين كافة السحرة، حتى وصل الأمر إلى قيام كافة السحرة الجـدد حتـى يومنا هذا بالقسـم على نبـذ كافة الأمـور الكيميائية، أليـس كذلك؟ وذلـك على الرغم من قيـام السـحرة والكيميائيين بأعمال عظيمة معًا في الماضي، وتعاونهم معًا. ومن أجل التخلص فـي نهاية الأمـر من هذا الخاتم، سـوف يتعيـن علينا القيـام بذلك مجددًا، ليس هناك سبيل آخر».

أدرك مارسـيلوس احتشـاد جمـع كبيـر مـن السـحرة العاديين والاسـتماع لما يُقـال في صمت مـن الصدمة، وعندمـا أدركوا أنه انتهـى تمامًا من كل مـا كان يريد التفوُّه به، بدأ قليل منهم بالتصفيق استحسـانًا لما قيل. انتشـر الأمر وسـرعان ما ضجت جدران البهو الكبير بصوت التصفيق.

* * *

كان كل من روز وسـبتيموس في طريقهما للأسفل بين الطوابق في وضع الطوارئ عندما تناهى إلى مسامعهما صوت التصفيق.

قالت روز: «لقد علموا أنك قمت بالمهمة، يا سِبتيموس!»، ثم قفزا من درجات السلالم ليكتشفا أنهما ليسا مركز الاهتمام؛ ولكن مارشا ومارسيلوس، كانا ذراعًا بذراع».

همست روز لسبتيموس: «يبدو أنهما سوف يتزوجان أو شيء من هذا القبيل».

قال سبتيموس: «لا أعتقد ذلك!».

وقعت عينا مارشا على سبتيموس، ورأت علامات الاستغراب البادية على وجهه، فكاد قلبها أن يقع بين قدميها، ثم قالت: «لم تنجح، أليس كذلك؟».

«نعم، لقد نجحت المهمة، على نحو مثالي، لقد أحضرت **تعويذة الحبس** معي هنا».

علت ابتسامة عريضة وجه مارشا الذي تبدو عليه علامات الإرهاق والتعب الشديد، ولمعت عيناها الخضراوان للمرة الأولى منذ أيام، ثم قالت: «يا سِبتيموس، إنه لأمر رائع، كان ينبغي عليَّ أن أعلم أنك أنت من ستتمكن في نهاية الأمر من **فك شفرة** قمة الهرم. تهانينا! أعتقد أن بوسعي القول بارتياح: إنك اجتزت صف **فك التشفير** بامتياز، بل وأكثر».

نظر سبتيموس إلى مارشا ومارسيلوس، اللذين لا يزالان يقفان ذراعًا بذراع، ثم تساءل: «إذن، إممم ... هل أنا بحاجة لتهنئتكما؟».

قالت مارشا: «بوسعك تقديم التهاني إذا ما أحببت ذلك، منذ اليوم أصبح بيننا شراكة جديدة!».

«ياه».

«يا سِبتيموس، أنا مندهشة من عدم ابتهاجك من هذا الأمر، حيث تعتبر الشراكة بين الكيمياء **والسحر** من الأمور التي كنت تريد تحقيقها منذ فترة طويلة. لن تكون هناك المزيد من الأسرار بعد اليوم».

«إذن هل ستنتقلان للعيش معًا؟».

نظرت مارشا صوب سبتيموس لثوانٍ معدودة في محاولة لفهم ما يقصده. وفجأة أدركت ما يعنيه، فبدت على وجهها علامات الفزع، وأسقطت ذراع مارسيلوس مثل حبة البطاطا الساخنة، ثم قالت: «يا إلهي، لا! أوه، يا للفزع. لا تفكر في ذلك إطلاقًا. هذه شراكة عمل».

ارك ارك ارك... ارك ارك ارك...!

انطلق **إنذار** غرفة الغرباء في اللحظة المناسبة لإنقاذ مارشا من مزيد من الحرج. أسرعت مارشا، وقد شعرت بالارتياح، وفتحت الباب الأزرق، لتقابل بالداخل شبحًا يستشيط غضبًا.

صرخ ألثر: «لقد سحب الرافعة، غبي، إنه ولد غبي!».

حدقت مارشا صوب الفجوة المتواجدة في الأرضية والتي كان من المفترض وجود كرسي الغرباء فيها؛ لتهب رائحة رطبة وكريهة منها.

تساءلت مارشا بقلق: «ما هي الرافعة التي استخدمها؟».

«في الخندق المائي، في الخندق المائي».

شعرت مارشا بالارتياح، على الأقل كان من الممكن إخراج الناس من الخندق المائي، ثم قالت: «أيها الأحمق!».

«أنا أعلم. يا مارشا. خالص اعتذاري. لقد غابت عيني عنه ثانية واحدة، هذا كل ما في الأمر، وأعدك أنني..».

«أوه، يا ألثر، أنا لم أقصد أن أصفك أنت بالأحمق، لقد قصدت ميرين، لقد كنت رائعًا، لا تقلق، سوف نرسل بعض السحرة إلى أسفل الخندق المائي في التو، يتعين على ميرين العودة مباشرةً إلى هنا، أنا لا أريد أن يدخل ساحرا الخاتم إلى داخل القلعة».

وأثناء إسراع مارشا بالخروج من الغرفة، خطر ببالها شيء ما: «يا ألثر، من الذي كان يجلس على الكرسي؟».

«أوه، الممرضة، بالطبع».

«إذن كيف اختفى ميرين هو الآخر؟».

هز ألثر رأسه، وقال: «لقد قفز في عقبها، لقد بدا عليه الانزعاج الشديد؛ وأنا لا أعتقد أنه قد تعمد القيام بذلك، إنه غلام غريب، لا يمكنك فعل شيء سوى الشعور بالأسف حياله».

هزت مارشـا رأسـها، وقالت: «كما تعلم، يا ألثر، أعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي لم يهتم فيها ميرين بأحد سـوى نفسـه، ربما يكون هناك أمل في إصلاحه».

«ربمـا. سـوف أصطحـب بعض السـحرة إلـى أسـفل الخندق المائي، سريعًا».

«شكرًا لك، يا ألثر».

«أوه، تشرفني خدمتك في أي وقت، لا، ليس في أي وقت، كي أكون صادقًا معك، لن أقوم بذلك أبدًا ثانية».

ابتسـمت مارشـا بأسـى، وقالت: «بالتأكيد، يا ألثـر. لن يحدث ذلك ثانية».



47
النــار

كان المفتاح الهرمي الصغير موضوعًا على منضدة الخرائط، حيث كان ملائمًا تمامًا مع مكان قاعدة برج السحرة على الخريطة. جلس كل من ميلو، ومارشا، وسبتيموس، ومارسيلوس، يراقبون جينا وهي جالسة على منضدة اجتماعات القيادة العامة لمارشا لتكتب **تعويذة الحبس** كاملة في كتاب قواعد الملكة بأفضل خط لديها.

قالـت مارشـا: «يا سِـبتيموس، هـلا أحضـرت جوليـوس، من فضلك، أريد منه فحص ذلك قبل انصرافنا».

وجد سبتيموس جوليوس بشيء من الصعوبة؛ حيث كان الشبح قد أصبح شـفافًا تقريبًا. ولكن وفقًا لما طُلب منه، وبعناية واهتمام كبيريـن، فحص جوليوس **تعويذة الحبس**. ثم قـال: «نعم ... نعم، أعتقـد أنها صحيحـة. حتحور، كمـا ترين، هي **الكلمة الرئيسـية**». قالها وهو يشير بإصبعه الطويل نحو رمز أحد الطيور داخل مربع.

قالت مارشا: «شكرًا لك، يا جوليوس، نحن نقدر علمك».

رد الشبح بتصنع بعض الشيء: «على الرحب والسعة».

تابعت مارشا حديثها: «يا جوليوس!».

«نعم؟».

«هل تريد قول شيء ما إلى مارسيلوس؟».

«أوه!» تنحنـح جوليـوس علـى نحـو شـبحي غريب، ثـم قال: «يا مارسيلوس. أنا. إمم. أنا متأسف ... أعتذر لك».

قـال مارسـيلوس: «عليـك أن تعتـذر لأولئـك الذيـن فقـدوا أرواحهم في الكارثة».

«نعم ... أنا ... أنا أدرك ذلك».

«ناهيك عن كافة السـحرة الأعظمين السابقين الذين حُرموا من المعرفة الأساسـية بالقلعة، ومن الحصول علـى مهارات الكيمياء على مدى ما يقرب من خمسمائة عام».

«نعم ... حسنًا».

«وإلـى الطُّـرَّاق التابعين لـي، والذين تركتهـم عـن عمد ليلاقوا حتفهم».

أُصيب جوليوس بالذعر وتساءل: «هل أعتذر للطُّرَّاق؟».

«أتـركُ الأمر لك يا جوليـوس للنظر في أفعالك. ليس بوسـعي قول المزيد». وبتلك الكلمات استدار مارسيلوس وابتعد.

راقبـت جينـا مارسـيلوس ينصـرف وهي تشـعر بقـدر كبير من الشفقة نحوه. أغلقت كتاب قواعد الملكة ووقفت على قدميها، ثم قالت: «حسنًا، أنا الآن مستعدة **لتعويذة الحبس**».

قال ميلو: «ليس بمفردك، سوف أصحبك».

قالت مارشـا: «لن تكون جينا بمفردها، عليك التأكد من ذلك، يا ميلو». ثم وقفت على قدميها، وقالت: «هلا سـمحتِ لي للحظة واحدة».

وسـرعان ما عـادت مارشـا بصحبتها مارسـيلوس، ثـم قالت: «لدى كيميائي القلعة اقتراح ما».

ابتسـم مارسـيلوس بسـعادة غامرة، فقـد كان يدرك مـاذا يعني لمارشـا أن تسـتخدم لقبـه القديـم بحرية، ثـم قال: «أعتقـد أنه من الخطـورة بمـكان الاقتراب مـن الباب الصغيـر للنـار، وأعتقد أن سـايمون يوافقني الرأي». أومأ سـايمون برأسـه: «أقتـرح الذهاب لغرفة **النار** من خلال الطريق السري».

تساءلت مارشا بابتسامة متصنعة: «الطريق السري؟ هل هذا سر جديد، يا مارسيلوس؟».

وكان ذلك لا يزال موضوعًا بالغ الحساسية بالنسبة لمارسيلوس، رد عليها بسرعة قائلاً: «ليس سرًّا خاصًّا بي يا مارشا».

اعترف جوليوس: «إنه سر خاص بي، أيتها الساحرة العُظمى. إن الطريق السحري هو حلقة الوصل المباشرة بين هذا المكان وغرفة النار كما يتجه مباشرة إلى أرضية الغرفة، وراء المرجل، وكنت قد قمت بإخفائه في أعقاب الكارثة الكيميائية الكبرى، يوجَد أسفل السلالم اللولبية. سوف أشرح لك».

احتشد كل من ميلو، ومارشا، وسبتيموس، وجينا، وبيتل، ومارسيلوس، وشبح جوليوس بايك في المنطقة الضيقة والممتلئة بالغبار أسفل السلالم اللولبية، ليتطلعوا إلى جدار جصي خشن خالٍ تمامًا.

«يوجد هنا شيء **مخفي** أعظم».

قالت مارشا بنبرة لاذعة: «وهو غير مدون أو مشار إليه في سجل **المخفيات**».

اعترف يوليوس: «لا».

وكانت **المخفيات** العُظمى غير قابلة للكشف، ولا تستخدم إلا من قبل السحرة الأعظمين في حدود برج السحرة. ومن شروط

استخدامها تدوينها في سجل **المخفيات**؛ حتى يتسنى لكل ساحر من السحرة العظماء العلم **بالمخفيات** في برج السحرة وأماكنها.

تساءلت مارشا: «ما الذي أخفيته هنا، يا سيد بايك؟».

«غرفة متحركة تنقلك إلى غرفة النار».

«فعلاً، حسنًا، أقترح عليك كشفها في الحال». أدرك سبتيموس أن مارشا كانت تستشيط غضبًا.

نفذ جوليوس الأمر وكشف عن باب أسود اللون أملس ولامع في الجدار. نظرت مارشا صوب كل من سبتيموس ومارسيلوس نظرة متشككة، ثم قالت: «يبدو هذا مألوفًا».

قال سبتيموس وهو يشعر بالذنب: «نعم، أعلم ذلك».

تساءلت مارشا: «هل هذا ما كنت تفعله في ذلك اليوم المريع.. الارتحال إلى غرفة النار؟».

انتاب سبتيموس شعور سيئ، وقال: «نعم، لقد كان ذلك».

هزت جينا رأسها، وقالت: «يا إلهي!».

قال سبتيموس: «كنت أرغب في إخبارك بشدة، ولكنني قطعت وعدًا بألا أفعل»..

قال مارسيلوس: «وقد قطع ذلك الوعد على مضض، غير أنه كان ضروريًّا، يا مارشا! لقد كنت أحتاج إلى مساعدته، هل تفهمين ذلك؟».

قالت: «نعم، أتفهم، ولن يكون ضروريًّا بعد الآن». ثم التفتت صوب جوليوس وتساءلت: «هل هذه الغرفة المتحركة آمنة؟».

قال جوليوس: «نعم، عندما قمت **بإخفائها** تركتها في وضعية **الشحن**، فلطالما آمنت بأهمية صيانة الغرفة المتحركة، على خلاف أولئك الكيميائيين الذين كانوا يتركون الغرف المتحركة الخاصة بهم لتجري الصيانة بذاتها».

تنحنح مارسيلوس: «هاه».

وحتى ذلك الحين، لم يكن سبتيموس يتفق في الرأي مع جوليوس بايك إلا قليلًا، غير أنه كان عليه الإقرار بأن الشبح صائب بشأن الصيانة.

قالت مارشا: «حسنًا للغاية، هلا صحبتنا من خلال الطريق السري».

وضع جوليوس بايك راحة يده الشبحية على الرقعة البالية الموجودة على الجانب الأيمن من الباب، ثم نزعها وقال على نحو يائس: «نسيت أنني شبح، لا بد من الاستعانة بيد أحد الأحياء».

ظن سبتيموس أن لديه بعض الخبرة في الأمر؛ لذا قال: «سوف أقوم أنا بالمهمة».

هز الشبح رأسه، وقال: «لن تتعرف عليك، لا يمكن لهذا الطريق السحري فتح أبوابه **إلا للهوية** المسجلة لديه والخاصة

بالسـاحر الأعظم في ذلك الوقت - وهو أنا - وكبير التلامذة لدي وكيميائي القلعة».

قالت مارشا: «حسنًا، إذن بوسع مارسيلوس القيام بالأمر».

قـال مارسـيلوس: «لن تتعـرف عليَّ أيضًـا، لقد قـام جوليوس بطمس ومحو هويتي من كل شيء».

عرض ميلو بحماس: «بوسعي تحطيمه».

قال مارسـيلوس فـي غضب: «لن يعمـل الطريق السـري بهذه الطريقة».

قالت جينا: «إذن سـيتعين عليَّ التسـلق عبـر الباب الصغير مثل سائر الناس، وسوف تكون الأمور على ما يرام».

قال مارسيلوس: «لا، لن تكون الأمور على ما يرام».

قال سـبتيموس فجأة: «سـايرا! يـا جوليوس، لقـد كانت كبيرة التلامذة لديك! هل ستتعرف على كف يدها؟».

تنهد جوليوس تنهيدة شـبحية جوفاء بثـت الفزع في المحيطين به، ثم قال بأسَـى: «لو أنها على قيد الحياة، كان بالتأكيد سـيتعرف على كفها، ففي أعقاب تلاشي سايرا في **رحلة البحث**، لم أقو على محو **هويتها**. ولكن، أيها التلميذ، هي ليست على قيد الحياة، أنا لا أعلم ما السبب وراء اقتراحك تلك الأفكار الحمقاء».

قال سبتيموس لمارشا: «اعتقدت أنك كنت ستخبرينه بذلك».

بدا على مارشا الغضب، وقالت: «لقد كنت منشغلة بعض الشيء هنا، يا سِبتيموس! كنت أفكر في أمور أكثر أهمية».

تساءل سبتيموس: «نعم، بالطبع. آسف. إذًا، هل أصطحب السيد بايك إلى المستشفى بالأعلى؟».

قالت مارشا: «نعم، لن تتأخر، أليس كذلك؟».

وبعد مرور عشر دقائق، انضمت إلى المجموعة سايرا سايارا التي لم تكن متزنة في وقفتها والتي انتابتها مشاعر متضاربة، وهي تستند إلى روز التي تم اختيارها بواسطة داندرا درا في وظيفة ممرضة، كما انضم جوليوس بايك الذي كان يتمايل أيضًا إليهم أسفل السلالم اللولبية ببرج السحرة. كانت سايرا لا تزال ترتجف من الصدمة نتيجة رؤيتها لشبح جوليوس الذي أحبته كثيرًا، ووضعت سايرا يدها النحيلة الباهتة على المادة السوداء الملساء المتواجدة على مدخل الطريق السري.

راقب سبتيموس الأمر، في محاولة منه لعدم تذكر التجربة الأخيرة التي خاضها في إحدى الغرف المتحركة المماثلة والمتجهة عبر الطريق الكيميائي، ولكن خلافًا لما قام به هو، لم تكن سايرا مضطرة للدفع بكامل ثقلها على اللوح الجداري المفتوح والمخفي؛ فبمجرد لمسة خفيفة من كفها انبعث ضوء أخضر لامع ليضيء أسفل المكان، ومن ثم تأرجح الباب البيضاوي وقد انفتح بلا ضوضاء وخرج منه الضوء الأزرق من داخل الغرفة.

نظـر كل من جينا، ومارسـيلوس، وميلو، ومارشـا إلى بعضهم البعض في ذهول؛ حيث لـم يروا شيئًا مثل هذا من قبل.

تسـاءلت مارشـا وهي تمعن النظر في الغرفة الفارغة تمامًا: «ما هذا؟ ليس بوسعي استشعار أي **سحر** هنا».

قال مارسـيلوس بغمـوض: «الأمر يعتمد على مـا تطلقين عليه **سحرًا**».

وبشيء من الارتياب والخوف، دخل سبتيموس إلى الغرفة في أعقاب دخول مارسيلوس، ومارشا، وميلو، وجينا، وبيتل، وسايرا - المستندة إلى روز - وجوليوس. كانت الغرفة مكدسة للغاية، وضعـت سـايرا يدها علـى الجـدار الداخلي ليتوهج ضـوء أحمر لامع أسـفل الجدار الداخلي، انغلق البـاب في صمت، ولـم يتفوه أحد بكلمة. أضفى الضوء الأزرق على وجوه الجميع شحوبًا غير معتـاد وجعـل بيـاض عيونهـم يبـرز علـى نحـو غريـب. لاحـظ سـبتيموس محاولة مارشـا جاهدةً عدم إظهـار خوفها؛ وهو ما لم تنجح فيه تمامًا. كان ميلو، الذي اعتاد الانحصار في زوايا السفن، أكثر تماسـكًا وصلابة؛ حيث أمسـك بيد مارشا مشجعًا إياها. وما أثار اندهاش سبتيموس هو عدم اعتراض مارشا على ذلك.

ثم ظهر سهم برتقالي صغير بجانب الباب، ولـم يشر إلى الأسفل عموديًـا، الأمـر الـذي أثار اهتمام سـبتيموس، بل أشـار إلى اتجاه مائل، مررت سايرا يدها عبر السهم فلهث الجميع، حتى سبتيموس

ومارسيلوس اللذان توقعا الأمر، وشعروا جميعًا بالغثيان كما لو كانت الغرفة تسقط، وما جعل الأمر أكثر غرابة هو اتخاذها طريقًا مائلاً. وبدأت جينا، التي كانت محشورة في وسطهم، في الشعور بالاضطراب.

استغرقت الرحلة أقل من دقيقة، ولكن عند اهتزاز الغرفة في النهاية وتوقفها، شعرت جينا بالغثيان. وراودها شعور بأن هذا الشعور لم ينتج عن رحلتها وإنما من التفكير فيما ينتظرها بالخارج. تبادل الجميع نظرات التوتر من خلال الضوء الأزرق، كما وضع ميلو ذراعه حول جينا، وقال: «سوف نكون بصحبتك في كل خطوة من خطوات الطريق».

أومأت جينا برأسها، ثم حاولت استحضار أفضل نبرة صوت تليق بها كأميرة، وقالت: «سايرا. هلَّا فتحتِ الباب، من فضلك؟».

فُتح الباب، لتهب في وجوههم حرارة وزئير هائل، كما لو كان منبعثًا من شلال ضخم؛ ليخرجوا واحدًا تلو الآخر إلى الظلال، وتصيبهم الصدمة نتيجة التوهج الأحمر العنيف والجدار المنحني بشكل كبير، الخاص بالمرجل المرتفع أمام أعينهم بلونه الأسود.

وكانت بضع درجات فقط هي التي تفصل مخرج الغرفة المتحركة عن أرضية الكهف، ووراء واحدة من أكثر الأرجل سماكةً، والمثبة بإحكام لتدعيم المرجل، ولم يكن هناك أي أثر لغرفة النار على الإطلاق من خلال المخرج وهو ما أثار انزعاج

مارسـيلوس في قديم الأزمان، لا سـيما عندما يأتيـه زوار من برج السـحرة يرغـب في إبهارهـم. لكنـه الآن كان ممتنًّـا لذلك الغطاء، تفقـد مارسـيلوس المـكان وتأكـد مـن أن كل شـيء آمن، وأشـار للجميع باتباعه. وبعد أن خطت جينا خطوة للأسفل توقفت.

لهثـت قائلة: «أوه!» بـدت الأرض على قيد الحيـاة؛ حيث نظر إليهـا عـدد هائل من الوجـوه الصغيـرة والموحلة بالطيـن بأعينهم السـوداء اللامعة. نظرت جينا نحو نظراتهـم المحدقة بها وللحظة علمت ما هو شعور أن تصبح ملكة أمام هذا الجمع الغفير.

همست جينا لمارسيلوس: «من هؤلاء؟».

قال مارسـيلوس: «إنهم الطُّرَّاق، لا تقلقي؛ سوف يفسحون لك الطريـق، حيـث لا يرغـب الطُّـرَّاق أن يطأهم أحد بقدمـه. هذا هو دوجليوس».

تسلق دوجليوس الجدار مثل السحلية ومد يده – الدافئة، اللينة والمتربـة – لجينا. مـدت جينا يدها هي الأخرى، وأمسـكت بيده لتلتصق أطراف أصابعه الماصة برقة في يدها.

«أهلًا بك، أيتها الأميرة، في غرفة النار».

قالت جينا: «شكرًا لك». وقد شعرت بانفصال الأصابع الماصة الصغيرة عن يدها؛ وبحذر شديد نزلت نحو الظلال.

التفتت مارشا صوب سايرا، التي كانت تستند إلى جدار الغرفة، ووجههـا شـاحب علـى نحـو مميت فـي مقابل السـطح الأسـود الساطع.

وقالت: «يا سايرا، يتعين عليك البقاء هنا».

تمايلت سـايرا وهي تشعر بالدوار وساعدتها روز في الجلوس على الأرض، ثم قالت: «سـوف تكونين على ما يرام، سـوف أبقى معك».

قال جوليوس: «وكذلك أنا»، وهو سعيد لأنه وجد عذرًا كي لا يدخل إلى غرفة النار.

قالت مارشـا: «شـكرًا لـك يا روز». ثـم نظرت إلـى المجهول القابـع أمامها، وقالت: «يا روز! في حال حدوث أي شـيء، يتعين عليك إغلاق الباب في الحـال والعودة بالغرفة المتحركة إلى برج السـحرة، لتطلبي بعدها من أحد كبار السـحرة القدامى وضع مادة مضادة للسحر الأسود عليها على الفور. مفهوم؟».

أومأت روز برأسها في تجهم، وقالت: «نعم، لقد فهمت».

أخذت مارشا نفسًا عميقًا وخطت خطوة داخل غرفة النار.

قـال دوجليـوس: «أهلًا وسـهلًا، أيتهـا السـاحرة العُظمى التي تنتعل ثعابين في قدميها. أهلًا وسهلًا بك في غرفة النار».

ابتسمت مارشا بسماحة، وقالت: «شكرًا لك أيها الطارق دوجليوس. شرف لي التواجد هنا». وهي تحاول أن تزيل حالة فقدان الثقة التي حالت دومًا ما بين الطُّرَّاق والسحرة.

وعندما غادر كل من مارسيلوس، وميلو، وسبتيموس، وبيتل الغرفة المتحركة، قفز دوجليوس من فوق الجدار للأسفل.

ثم قال: «اتبعوني، سوف نفسح لكم الطريق».

وهو ما قاموا به بالفعل، انقسم حشد الطُّرَّاق مثل المياه، في صف واحد، تبعوا دوجليوس إلى أسفل الجزء المنتفخ من المرجل، وكان بيتل آخر من ذهب. نظر للخلف، رأى الطريق قد أُغلق وراءه، كما رأى عددًا غفيرًا من العيون الصغيرة تمعن النظر فيه، وسرعان ما التفت وتبع سبتيموس من خلال الحشد.

كان كل من جينا ومارشا أول من خرج من أسفل المرجل، حيث توقفتا، وقد هالهما سطوع الضوء المفاجئ الحارق والارتفاع الشاهق لغرفة **النار**؛ وتوهج الشبكات الفضية اللامعة في السقف على بعد كبير، والدوران الهائل للجزء المنتفخ من المرجل الموجود فوق رءوسهم، وقد انتظروا معًا أثناء احتشاد الجميع، في صمت وتبجيل. وما شعر به كل شخص منهم على حدة هو الإحساس بوجود الشر في المكان.

همست جينا لمارسيلوس: «أين هم؟».

أشار مارسيلوس إلى دائرة التفتيش الواقعة حول أعلى المرجل، على بعد حوالي ثلاثين قدمًا فوق رءوسهم. حدقت جينا بعينين نصف مغمضتين للأعلى غير أنها لم تتمكن من رؤية شيء؛ حيث طغى توهج ألسنة اللهيب على عينيها، وكان الأمر أشبه بالنظر في قرص الشمس. اقتادهم دوجليوس حول قاعدة المرجل، متوجهًا نحو درجات السلم المعدنية التي من المفترض أن تقودهم إلى محطة المشاهدة ودائرة التفتيش. وأثناء اقترابهم، هبط عليهم طيفان؛ فتجمد الجمع في مكانه، انتظروا حتى مرور ساحري الخاتم من فوق رءوسهم مثل عاصفة السحاب المظلم، وانطلاقهم مجددًا حتى أصبحت في مرمى بصرهم من الدرجات ومحطة المشاهدة فوقهم.

رفع دوجليوس يده ليتوقف الموكب، ثم قال: «هذا المكان آمن للانتظار».

قالت مارشا: «شكرًا لك، يا دوجليوس، سوف أذهب أولًا، ومن بعدي جينا».

قال بيتل وميلو في صوت واحد: «وأنا بعدكما».

قال سبتيموس: «ثم أنا».

قالت مارشا: «كلما زاد عدد الذاهبين زادت الخطورة».

قال سبتيموس: «يا مارشا، سوف أذهب في صحبة جين، بغض النظر عما تقولينه».

قال مارسيلوس: «سوف نأتي جميعًا، ليس بوسعنا أن نترككم تقومون بتلك المهمة بمفردكم».

تذكرت جينا ما قالته لها جدتها في إحدى الأمسيات أثناء جلوسهما لمشاهدة المياه: «في بعض الأحيان، يا عزيزتي، يتعين عليك القيام بما أطلق عليه أنا العمل الملكي. قد يبدو الأمر غريبًا في البداية، غير أنه دائمًا ما ينجح».

وهذا هو ما فعلته جينا، حيث قالت: «أنا من سألقي **تعويذة الحبس**؛ وسوف أختار من يأتي معي. وكلما قل عدد الأشخاص المعرضين للخطر كان ذلك أفضل، سوف أذهب أنا ومارشا. ولن يذهب أحد آخر». ثم نظرت صوب مارشا، وقالت: «سوف أذهب أولًا».

حَنَت مارشا رأسها، وقالت: «حسنًا».

ومن جيب الساحرة العُظمى، سحبت مارشا ما تبقى من الخاتم ذي الوجهين وسلمته لجينا، لاحظت جينا اهتزاز يد مارشا كما لاحظت مارشا اهتزاز يد جينا. لم تتفوه أي منهما بكلمة في حين نظرت جينا للأسفل صوب الشريط الذهبي الملتوي، والمستقر في كفها، والذي كان خفيفًا حتى إنها كانت تشعر به بالكاد. حان وقت الذهاب، ولكن قبل ذهابها كان هناك شيء تريد جينا الإفصاح عنه».

لذا قالت: «بيتل».

ابتلع بيتل ريقه، وقال: «نعم».

«أنا فقط أردت أن أعرب عن أسـفي في الحقيقة لأننا عندما كنا فـي غرفـة الكتبـة **المقفلـة بإحـكام** ... كما تعلـم ... بعـد **الهيمنة الشـيطانية** ... لـم أنتظر حتـى أطمئن على كونك بخير. حسـنًا، لم تكن بخير تمامًا. أتمنى لو فعلت. فأنا أهتم كثيرًا لأمرك على الرغم من علمي بأنني قد لا يبدو علي ذلك».

اسـتغرق الأمر عـدة ثوانٍ قبل أن يرد بيتل قائـلًا: «أوه، يا إلهي! حسنًا، أشكرك». ثم مد يده لجينا وأمسك بها، ثم قال: «كوني على حذر هناك، أرجوك!».

أومأت جينا برأسها وأمسكت بيد بيتل بقوة.

قالت مارشا محفزة إياها: «حان وقت الذهاب».

ثـم سـارت كل مـن جينـا ومارشـا معًا باتجـاه أسـفل درجات السـلالم، قالت مارشـا بصوت منخفض وبإلحاح: «جينا. تذكري أنني سـأكون خلفك مباشرة طوال الوقت، وعند اقترابك من القمة سوف أضع **درع أمان** حولنا، وعندما نقترب عن كثب من ...»، ثم نظرت للأعلى، وقالت: «منهما ... وعندما تكونين مسـتعدة، فقط أبلغينـي؛ لأزيل الـدرع حينها، وحينئذٍ يتعين عليـك البدء في إلقاء **تعويذة الحبس** على الفور. سـوف أحميك. لا تشـغلي نفسك بأي شـيء آخر. فقـط ركزي في كلمـات **تعويذة الحبـس**، وعند التفوه **بالكلمة الرئيسية**، سـيخرج هناك وميض من الضوء، ألقي بالخاتم

في ذلك الضوء لكن دون التوقف عن الحديث، تأكدي من الانتهاء من التعويذة».

وصلت كل من جينا ومارشا إلى درجات السلم، وألقيتا نظرة خاطفة للأعلى على الشبكة المعدنية الواهية التي تشق طريقها حول الجزء الأسود المنتفخ من المرجل وصولًا إلى الضوء المرتفع فوقهما، ثم تبادلتا الابتسامات التي يعتليها التوتر. وضعت جينا قدمها على درجة السلم الأولى وتبعتها مارشا، وببطء، وهدوء، بدأتا في رحلة التسلق الطويلة والمنعزلة بعيدًا عن حماية الظلال نحو توهج وحرارة النار.

وأثناء اختفائهم عن الأنظار، وضع ميلو ذراعه حول كتفي بيتل وسأله: «هل أنت بخير؟».

قال بيتل: «لا، لست بخير حقًّا».

قال ميلو: «ولا أنا».

توجهت كل من جينا ومارشا إلى أعلى باتجاه حرارة **النار** وزئيرها، وأثناء اقترابهما من قمة درجات السلم، ربتت مارشا على كتف جينا، وقالت وهي تحرك شفتيها فقط دون صوت: «**الدرع** الآن» هزت جينا رأسها، ليهبط غطاء براق من **السحر** حول كل من جينا ومارشا، ليعزلهما عن زئير **النار** الذي تحول إلى همهمة بعيدة، وعن حرارة **النار** الحارقة التي تحولت إلى حرارة فقط، وعن ساحِرَيِ الخاتم اللذين على الرغم من قربهما منهما شعرتا

أنهما بعيدتان للغاية على نحو غريب. شعرت جينا كما لو كانت تسير تحت الماء، وتقدمت نحو محطة المشاهدة، وعلى الرغم من **النار** المحتدمة أمامها، كان أعلى الأصوات التي تناهت إلى سمعها صوت نقر حذاء مارشا المدبب المصنوع من جلد الثعبان وهي تسير خلفها.

كم كان صوت مارشا مجلجلًا داخل **الدرع**، قالت لها: «هم في دائرة التفتيش يسيرون في اتجاه عكس عقارب الساعة، بوسعي رؤية **السحر الأسود** خلف ألسنة اللهب. كي نستفيد من عنصر المفاجأة، أقترح أن نتسلل من خلفهما، فإذا ما دخلنا الدائرة الآن، فلن يتمكنوا حتى من رؤيتنا».

وكانت جينا قد خططت بحذر شديد لما سوف تقوم به، غير أن أي قدر من التخطيط ما كان ليؤهلها لكمِّ الخوف الذي يعتريها الآن، حيث قالت: «تمام، هيا بنا نمضي». ثم خطت للأسفل عبر الممر المهتز على نحو مدهش وشعرت بقدوم مارشا خلفها، لتتجها عكس عقارب الساعة، ولم تجزعا من عدم قدرتهما على الإمساك بالدرابزين بسبب وجود **الدرع**، لم تكن جينا تعبأ بجدار **النار** الواقع على يسارها وتلك الهوة السحيقة الواقعة على يمينها، تحركت جينا للأمام صوب دائرة التفتيش بحذر شديد كما لو كانت إحدى الساحرات التي **تتتبع آثار الأقدام**.

شهقت مارشا فجأة، في حين تسمرت جينا في مكانها كالموتى؛ حيث كان هناك شخصان، بالغا الطول بالنسبة للبشر، يرتديان ملابس شيطانية، وتُحلق شعورهما الطويلة المبعثرة في الهواء في دوامات الهواء كما لو كانت تزود ألسنة اللهيب بالوقود، على بعد بضع خطوات فقط منهما.

قالت مارشا: «إنهما هما». ظنت جينا أنه لم يكن هناك داع لأن تقول ذلك، ثم أضافت مارشا: «أخبريني عندما تكونين مستعدة».

وكل ما كانت تريده جينا هو إنهاء تلك المهمة البغيضة بالنسبة لها، لذا قالت لها: «الآن».

«متأكدة؟».

«نعم. أنا متأكدة. ابعدي **الدرع** عنا».

قامت جينا بإبعاد **الدرع**، وقالت: «لقد خرجنا!» بدا الأمر مثل الدخول إلى موقد تجتاحه عاصفة رعدية. تمايل ساحرا الخاتم حولهما لتلقي مارشا عليهما **حاجز القيد** في الحال، بيد أنه قبل ذلك كانت الأشعة الحمراء المنبعثة من عيونهما قد التقطت عباءة جينا، لتتصاعد أعمدة الدخان.

ومع الإمساك بالخاتم بيدها، بدأت جينا في إلقاء **تعويذة الحبس**. حيث قالت: «بقوتنا، في هذه الساعة، نقوم بـ..».

انطلق الساحران للأمام، ومدا أيديهما التي بدت مثل مخالب الفهد المنقض، وأظافرهما الطويلة نحو عنق جينا، وهما يحاولان بكل قوتهما دفع **حاجز القيد**، غير أن جينا تذكرت ما قاله حُتب رع لها. قفي بثبات. انظري إليهما وعيناك في عينيهما. وانطقي تلك الكلمات.

وهذا ما فعلته.

وبثبات، تابعت جينا إلقاء **تعويذة الحبس**، وهي عازمة على ألا تندفع وأن تنطق كل كلمة من الكلمات بوضوح. وأثناء وقوفها بتحد في الممر، وقد انبعثت حرارة لا تطاق من **النار** التي تحرق عباءتها، لم تكن جينا تدرك أن مارشا كانت تعاني من خلفها، ولم تعلم مارشا إذا ما كان السبب تلك الحرارة الفظيعة، أم القوة المشتركة للساحرين، غير أن **حاجز القيد** واصل الانزلاق، وفي كل مرة يحدث ذلك، يقترب ساحرا الخاتم أكثر فأكثر.

بيد أن جينا لم تتراجع.

وعلى نحو يائس، أخذت مارشا تترقب سماع **الكلمة الرئيسية**، كانت قواها قد خارت؛ فراقبت، وهي مغلوبة على أمرها، الكائنين البالغ طولهما عشرة أقدام يدفعان **سحرها** ويتقدمان ببطء صوب جينا. وأخيرًا، في نهاية المطاف، خرجت كلمة رقيقة، والتي غالبًا ما طغى عليها صوت زئير ألسنة اللهيب: حتحور. ليظهر وميض من الضوء الأرجواني الساطع، وتلقي جينا بالخاتم فيه. عندها

انطلق صوت صرخات ليبدأ ساحرا الخاتم في الانصهار مثل قطعة الشمع. حاولت جينا التركيز بصعوبة، وانتقلت جينا بسلاسة إلى الكلمات السبع الأخيرة، لتقول الكلمة الأخيرة «**الحبس**»، وما إن قالتها حتى خيم الظلام على المكان.

بداخل غرفة **النار**، كان الزمن قد توقف.

والآن، من أعماق فراغ الزمن، أدرك ساحرا الخاتم مصيرهما المحتوم، فانطلقت صرخاتهما - التي تقشعر لها الأبدان المليئة بالغضب والحنق واليأس - لتشق أرجاء غرفة **النار** ملقية بالرعب والفزع في نفوس الموجودين. واستغرق الأمر سبع ثوان خالدة فيما **سُحب** ساحرا الخاتم داخل الخاتم الذهبي، ومع عودة الزمن هبت دوامة من الرياح عاصفة بغرفة **النار**، لتلقي بالجميع على الأرض.

والتصق كل من جينا ومارشا بدرابزين دائرة التفتيش أثناء دوران دوامة الرياح فوق المرجل، لتأخذ ألسنة اللهيب معها وتحلق بها بطريقة حلزونية عبر المدخنة الكيميائية لتطفو عاليًا في سماء المساء.

خيم السكون المحفوف بالصدمة على غرفة **النار**، ولم يتحرك أحد، وكل ما كان بوسع أحد الاستماع إليه هو الصوت الرقيق لألسنة اللهيب الزرقاء والمتناهية الصغر والناتجة عن **النار** الكيميائية، والنقرة الناتجة عن ارتطام خاتم ذهبي بوجهين

أخضريـن يصرخـان في شـبكة الممر وسـقوطه من خـلال إحدى الفجوات.

صرخت مارشا: «الخاتم! أمسكوا الخاتم!».

تمكن ميلو من الإمساك به.

48

ملكة

ابتسم مارسيلوس ابتسامة عريضة فيما كان يقوم بخفض الخاتم ذي الوجهين ببطء، وقد علقه على سلسلة ذهبية، باتجاه النار الكيميائية الرائعة الزرقاء. كانت مارشا على وشك أن تخبره بأن يتابع العمل؛ غير أنها لم تفعل. وكان مارسيلوس، في ظنها، مسموحًا له بالاستمتاع باللحظة. وكان يستحقها.

وكان سعيدًا سعادة لم يشعر بها منذ فترة طويلة للغاية، لقد عاد إلى غرفة النار الخاصة به

وهو على وشك القيام **بتغيير طبيعة** ذات الشيء الذي دمر حياته منذ فترة طويلة للغاية.

ثم تطلع إلى وجوه الأشخاص الذين جمعهم حوله في تلك اللحظة، وهم ثابتون في أماكنهم في حالة من الذهول بسبب رؤيتهم للخاتم متدليًا فوق ألسنة اللهيب الزرقاء المتناهية الصغر، والذي كان يومض برفق فوق قمة مرجل **النار**. كان أولئك هم الأشخاص الذين تربى مارسيلوس ونشأ على الاهتمام بهم؛ وهم الساحرة العُظمى، ورئيس الكتبة السحريين، والملكة المنتظرة، وبالطبع تلميذه السابق، سبتيموس، وتلميذه الحالي، سايمون، الذي جاء في صحبة المهندسة المعمارية التي أنجزت بناء المدخنة الكيميائية، لوسي هيب، كما كان هناك أيضًا ألثر ميلا، وكذلك أول السحرة الأعظمين، حُتب رع، والذي شعر مارسيلوس بالرهبة بسبب وجوده، وبمجرد انضمام شبح جوليوس بايك إليهم، وبرفقته الطارق دوجليوس، شعر مارسيلوس أن السحرة الأعظمين صاروا يفوقونهم عددًا.

تدلى الخاتم ذو الوجهين على ارتفاع أقدام قليلة فقط فوق **النار**، تتقافز أطراف ألسنة اللهيب الكيميائية الرقيقة لتلتقي به، مثل الأسماك التي تقفز في محاولة للوصول إلى الحشرات المتواجدة على سطح جدول الماء. أضاء الضوء النقي المنبعث من **النار** الوجهين الخضراوين الشريرين المقيدين داخل الخاتم للمرة

الأخيـرة، فاستشـاطا غضبًا، ومع قيام مارسـيلوس بإنزالهما داخل النـار، تعالـت أصـوات التصفيـق والتهليـل مـن قِبل المشـاهدين المجتمعين.

التفت مارسـيلوس إلـى جمهوره، وقال: «انتهى الأمر، سـوف يمكـث الخاتـم ذو الوجهين في وسـط النار لمدة واحد وعشـرين يومًا، وبعدها سـوف أقوم أنا والسـاحرة العُظمى - أقصد السـيدة مارشـا أوفرسـتراند، علـى الرغم مـن أنني أرحـب بحضور جميع السـحرة الأعظمين - باسـتعادة الخاتم، والذي سـيكون حينها قد تحول إلى حلقة من الرصاص، فكما نحول الرصاص ذهبًا، يمكننا كذلك تحويل الذهب إلى رصاص. هذه هي الطريقة الكيميائية».

كانت مارشا قد وقفت صامتة لمدة كافية فقطعت صمتها قائلة: «هه، دعنا ننل قسطًا من الراحة، يا مارسيلوس. هيا بنا لنتناول طعام الغداء».

وبعـد مرور ثلاثة أسـابيع، تجمع كافة الطُّرّاق أسـفل المرجل، وقـد وقـف دوجليوس يحدق سـاخطًا صوب الطـراق المتأخرين؛ وهم مجموعة من المراهقين الذين نادرًا ما يخرجون من جحورهم قبل منتصف النهار.

ثم تساءل: «نحن جميعًا هنا، أليس كذلك؟».

سرت همهمات عبر الحشد الذي يكسوه الغبار.

«حسنًا أيها الطُّرَّاق، هناك أحد الأشباح الذي يرغب في إخبارنا جميعًا بشيء ما».

سرت همهمات بين الحشد الغفير بمجرد **ظهور** شبح جوليوس بايك، متوهجًا وساطعًا وسط الظلام.

بدأ جوليوس حديثه في توتر: «أيها الطُّرَّاق، إمممم، لقد جئت لأقدم اعتذاري، لقد تسببت في خطأ بالغ لكافة الطُّرّاق منذ مئات السنوات، ولم أستمع إلى حصافتكم، بل تركتكم جميعًا تواجهون الموت، ولم أعبأ بكم، وهو ما أود أن أعبر عن بالغ أسفي عنه».

سرت همهمات تحمل الاندهاش ما بين الطراق، وهو ما دفع دوجليوس إلى الإيماء لهم بالتحلي بالهدوء، ثم تساءل: «نحن الطُّرّاق نقبل هذا الاعتذار جميعًا، أليس كذلك؟».

سرت همهمة مرة أخرى بين الطراق، ولكن لم يقاطعهم دوجليوس هذه المرة. استمر الأمر لمدة طويلة للغاية حتى بدأ جوليوس في التفكير في عدم قبولهم لاعتذاره. انتابته حالة من الحزن لمجرد التفكير في ذلك، فعلى مدار الأسابيع الماضية، كان الشبح قد رافق مارشا، بناءً على اقتراح منها، في سلسلة من الزيارات التي قامت بها إلى الطُّرّاق من أجل التعرف عليهم وفهم طبيعتهم. وتمامًا مثل مارشا، راحَ جوليوس يحبهم ويُكنّ لهم الاحترام، وما أصابه بالدهشة اكتشافه أنه صار يهتم بأن يبادله

الطُّرَّاق مشاعر الاحترام ذاتها، لذا انتظر جوليوس في قلق أثناء قيام حشد الطُّرّاق بمناقشة أمره وهم يشيرون إليه بأصابعهم الماصة.

وفي نهاية المطاف توقف النقاش وأشار دوجليوس إليهم. ليعاودوا الإشارة إليه، وهو ما بدا لجوليوس أنه رفض للاعتذار. وعندما التفت دوجليوس صوب الشبح كان جوليوس يشعر بالتوتر الشديد.

قال دوجليوس: «نحن، الطُّرّاق». ثم توقف لبرهة، وواصل حديثه، قائلًا: «نقبل اعتذارك، نحن نقبله».

بدت علامات الدهشة والسرور على وجه جوليوس، وقال: «أوه! شكرًا لك يا دوجليوس. وشكرًا لكم جميعًا أيها الطُّرّاق».

ثم انحنى لهم وصعد على السلم لينضم إلى المجموعة الواقفة في محطة المشاهدة في الأعلى.

وكان جوليوس قد حضر في الوقت المناسب ليرى مارسيلوس يُعطي مارشا الخاتم الذي تم تغيير طبيعته، قائلاً: «لقد انتهى الأمر».

نظرت مارشا إلى الحلقة المستوية من الرصاص الموضوعة على باطن كفها. ثم قالت: «لقد انتهى الأمر، شكرًا لك».

انحنى مارسيلوس قائلًا: «حسنًا يمكنني القول صدقًا إن هذا من دواعي سروري».

ابتسمت مارشا وقامت بتسليم حلقة الرصاص إلى حُتب رع، الذي قام بفحصها عن كثب، ثم تنهد وأعاد الخاتم إلى مارشا قائلًا: «هذا أفضل للجميع. ولكن من كان يصدق أنه كان يومًا ما خاتمًا ذهبيًّا رائعًا».

واتت مارشا فكرة ما، فسألت مارسيلوس: «هل بوسعك إعادة هذه الحلقة إلى ذهب، كما كانت عندما أعطاها حُتب رع إلى الملكة؟».

قال مارسيلوس: «بالتأكيد يمكنني القيام بذلك، وسوف أقوم به بكل سرور».

وكانت التحضيرات قد بدأت الآن لتتويج جينا ملكة على البلاد.

قرر حُتب رع البقاء حتى الانتهاء من التتويج وتابع إقامته كضيف شرف في برج السحرة. وكان الجميع، حتى مارشا، في رهبة بعض الشيء لإقامة الساحر الأعظم المؤسس في البرج، غير أن حُتب رع كان معتادًا على الحياة الهادئة في بيت الفوريكس، وفضل قضاء معظم أوقاته في المكتبة الهرمية برفقة سبتيموس وروز. وفي صباح أحد الأيام، وأثناء إحدى الزيارات للمستشفى من أجل رؤية جيم ني وإدموند وإرنولد هيب، أسرَّت مارشا لداندرا درا بما يساورها من قلق حيال كراهية حُتب رع إياها.

«لست أنت المقصودة يا مارشا، وإنما ذلك الكائن البغيض المستلقي على الأريكة».

شعرت مارشا بالارتياح، غير أنها عادت أدراجها إلى غرفتها بقلب مثقل بالهموم، كم كانت ترغب في جلسات مسائية بجانب المدفأة برفقة حُتب رع وسبتيموس. وروز أثناء نقاشهم حول السحر! كانت على يقين من أن جيلي دجين التعيسة تحطم الفرصة التي لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر. لذا فتحت الباب لترحب بها جيلي دجين بتحيتها المعتادة: «النار!».

صعدت مارشا إلى المكتبة، حيث كان حُتب رع يجلس على المنضدة، ويشرح عملية التحول الغامض لكل من سبتيموس وروز المأسورين به بشدة، ثم قالت متأسفة: «عذرًا للمقاطعة».

ابتسم حُتب رع، وقال: «تعالي، يا مارشا، يا عزيزتي. إنه لأمر طيب رؤيتك على الدوام». شجعتها تلك الكلمات على الانضمام لهما، ثم قالت: «يا حُتب رع، لدي تساؤل ما».

«نعم؟».

«هل هناك أي سبيل لإخراج الأشباح من الأماكن التي دخلوا فيها إلى عالم الأشباح أثناء أول عام ويوم؟».

هز حُتب رع رأسه وقال: «بشكل عام، من غير الممكن القيام بذلك، غير أنه، إذا ما كان ذلك الشبح مثل صديقتك المستلقية على الأريكة بالطابق السفلي...».

أُصيبت مارشا بصدمة، وقالت: «صديقتي!».

«أليست كذلك؟».

«لا! لا، لا، لا! أنا لا أطيق تلك المرأة؛ أقصد الشبح. ولهذا السبب أنا أتساءل؛ هل هناك أي سبيل للتخلص منها؟».

ابتسم حُتب رع، وقال: «أها. سوف أبحث في الأمر، حسنًا، أنت محظوظة، هي لديها ساقان قصيرتان، أليست كذلك؟».

شعرت مارشا بالارتباك: «نعم، لها ساقان قصيرتان، وهي سمينة أيضًا».

ابتسم حُتب رع، وقال: «إذن فالأمر يسير».

في ذلك المساء، أشعلت مارشا المدفأة في غرفة الجلوس الخاصة بها وجلست حولها بصحبة حُتب رع، وسبتيموس، وروز، وسايمون، ولوسي، ومارسيلوس وتحدثوا في هدوء حول السحر والكيمياء. في تلك اللحظة كانت مارشا تشعر بالرضا التام؛ هكذا عادت الأمور إلى نصابها الصحيح.

وبالخارج، في الممر الكبير المؤدي إلى السلالم، وُضعت الأريكة، وقد جلس عليها شبح جيلي دجين، دون أن تتمكن ساقاها من ملامسة الأرض أبدًا.

وكان اليوم الذي ينتصف الصيف فيه- وهو اليوم التقليدي للتتويج - قد اقترب؛ وكانت جينا قد قررت أن تقيم حفل التتويج على ضفاف النهر، على الرغم من رفض الملكة سيريس لذلك.

بدأت سارة هيب تشعر بالقلق، ثم تساءلت: «وماذا لو أمطرت السماء؟».

قالت جينا: «لن تمطر».

اعتقدت جدة جينا أنها فكرة رائعة، لذا قالت: «كنت أرغب في إقامة حفل التتويج الخاص بي في منطقة مفتوحة أيضًا يا عزيزتي». غير أنني أعطيت الفرصة لوالدتي بأن تثنيني عن رأيي. تذكري، اليوم بوسعك القيام بما تريدين، خذيها مني كلمة، لن يكون الأمر كذلك دومًا. عليك أن تحققي أقصى استفادة من ذلك».

وعليه، مضت التحضيرات في طريقها، ليصبح القصر وحدائقه مجددًا قلب القلعة الرئيسي المفعم بالنشاط والحيوية، وكان الأبناء فورست هيب الأربعة قد مكثوا من أجل مساعدة سارة وسايلاس في تجهيز الأمور، وقد ساعد الجميع في ذلك .. فيما عدا ميلو، الذي اختفى مجددًا.

وفي صباح يوم التتويج، استيقظت مارشا مبكرًا، وكان ميلو قد أصر، وهو ما أثار انزعاج مارشا، على أن تذهب للقائه في القصر في تمام الساعة السابعة من صباح اليوم، «للتأكد من كون كافة

الأمور تسير على ما يرام. إذا ما كنت لا تمانعين في ذلك يا مارشا».

وصلت مارشا عندما دقت عقارب الساعة السابعة، ثم طرقت أبواب القصر وتثاءبت. ستكون سعيدة عند الانتهاء من حفل التتويج وعودة حُتب رع إلى منزله - على الرغم من كونه شخصًا رائعًا - حتى يتسنى لها هي وسبتيموس العودة إلى ممارسة حياتهما الطبيعية.

فُتحت الأبواب، وغرد ميلو قائلًا: «صباح الخير، يا مارشا».

شعرت مارشا بالخجل وتوقفت في نصف التثاؤب، ثم قالت: «أوه! صباح الخير، يا ميلو».

خرج صوت مألوف من وراء ميلو قائلًا: «صباح الخير، يا سيدة مارشا».

قالت مارشا: «هيلدا جارد!».

التفت ميلو وشبّك يدي هيلدا جارد في كلتا يديه، ثم قال: «شكرًا جزيلًا لك يا هيلدا جارد، لقد كانت ليلة طويلة. وكنت رائعة».

احمر وجه هيلدا جارد، وقالت أثناء خروجها من الباب مرورًا بمارشا: «لقد كان ذلك من دواعي سروري».

شاهدت مارشا هيلدا جارد تسارع الخطى أسفل القصر، وقالت: «حسنًا!».

وكان من الواضح شعور مارشا بالصقيع الشديد أثناء مرافقة ميلو لها عبر البهو الواقع في مدخل القصر. وعند المدخل المؤدي إلى الممشى الطويل، توقف ميلو، ثم قال: «أغمضي عينيك».

قالت مارشا غاضبة: «يا ميلو، ليس لدي وقت لأضيعه في ألعاب سخيفة».

قال ميلو: «من فضلك». وقد ابتسم ابتسامة جانبية بعض الشيء في وجه مارشا، وهي الابتسامة التي كانت مارشا تحبها كثيرًا منذ أمد بعيد.

تنهدت مارشا: «أوه، حسنًا».

أخذ ميلو يد مارشا واقتادها إلى الممشى الطويل؛ كانت على علم بمكان تواجدها بسبب برودة الممر الممهد بالأحجار القديمة. ثم قال ميلو، والابتسامة تخالط نبرة صوته: «بوسعك فتح عينيك الآن».

لم تكن مارشا قادرة على انتقاء الكلمات، وبعد مرور بعض اللحظات، نطقت أخيرًا قائلة: «رائع!».

حيث عادت حاملات الشموع الذهبية القديمة الخاصة بالقصر إلى أماكنها على مرمى البصر. لتقف شامخة وشاهقة، وفي كل منها شمعة من شموع العسل المشتعلة الضخمة، لتملأ الممشى ذا الرائحة العطنة بطبيعته برائحة العسل الرقيقة، وكانت الأضواء المنبعثة من الشموع قد أضاءت تلك الكنوز التي تذكرتها مارشا

بالكاد منذ فترة الأيام السيئة القديمة، كانت عبارة عن لوحات فنية لأوجه الملكات، وتماثيل رائعة ومطلية عادت إلى أماكنها، والصناديق الخشبية المصقولة، ومناضد صغيرة وكراسي مطلية بالذهب، وقد صار السجاد القديم البالي، تكسوه سجادات منقوشة بأنماط معقدة باللونين الأزرق والأحمر.

بدأ ميلو في التحدث، حيث قال: «عندما عُدت للمرة الأولى للقصر ورأيت ما قام بلطجية دومدانيال به من سرقات، أقسمت على إعادة كل شيء في مكانه الصحيح قبل تعيين عزيزتي جينا في منصب الملكة، غير أنني لم أتمكن من ذلك حتى التقيت بهيلدا جارد».

لم تقل مارشا أي شيء، غير أنها بدأت في استيعاب الأمر، لقد كانت هيلدا جارد في وقت من الأوقات جزءًا من قوة المبيعات، التي قامت بناء على تعليمات دومدانيال، ببيع كافة كنوز القصر؛ بشكل أساسي من أجل تمويل الولائم المترفة التي أقامها دومدانيال. وكانت هيلدا جارد قد التحقت ببرج السحرة كجزء من مخطط مارشا لإتاحة فرصة ثانية لبعض السحرة، ودائمًا ما كانت ترغب في التكفير عن ذنبها لمشاركتها في نهب القصر. لذلك عندما طلب منها ميلو مساعدته في تعقب أكبر قدر ممكن من الكنوز القديمة، انتهزت هيلدا جارد تلك الفرصة، وكانت قد دونت مبيعات كافة الأشياء وبمساعدتها تمكن ميلو من إعادة

شراء معظم الكنوز المفقودة منذ أمد بعيد، وكان قد قضى الأسابيع الأخيرة في التجول في المزارع في إحدى العربات الصغيرة، ليلتقط المفقودات بعيدة المنال ويخفيها في الغرف المقفلة الواقعة في نهاية الممشى الطويل. وفي الليلة التي سبقت حفل التتويج، قام كل من ميلو وهيلدا جارد طوال الليل، وبحلول الصباح، كان الممشى الطويل قد تحول إلى ذلك المكان الرائع الذي رأته مارشا الآن.

تساءلت مارشا: «ولمَ لمْ تخبرني بالأمر؟».

«حسنًا، في بداية الأمر اعتقدت أنك ستعترضين على تضييع وقت الساحرة الثمين في أغراض غير سحرية، بيد أنه في أعقاب حالات سوء التفاهم المؤسفة، حاولت إخبارك بالفعل، غير أنك لم تستمعي، لذا كتبت لك خطابًا أشرح فيه الأمر».

قالت مارشا بخجل قليلًا: «يا إلهي!».

قال ميلو باسمًا: «يمكنني القول بأنك لم تقرئيه. ظننت أنك كنت لا تزالين غاضبة، ومن المحتمل أن تكوني قد ألقيت به في نار المدفأة أو شيء من هذا القبيل. لذا فكرت في أن السبيل الوحيد لإخبارك بذلك هو أن أريك إياه».

قالت مارشا: «إنه لأمر رائع، هذه بداية جديدة للقصر، هل رأته جينا؟».

قال ميلو: «لا، أردت أن يكون الأمر مفاجأة في يوم تتويجها، وأنا على وشك أن أريها، غير أنني أردت أن ترى ذلك أولًا».

كان يومًا ساحرًا بحق، حيث أشرقت الشمس - كما كانت جينا تتوقع - وخرج كافة سكان القلعة لرؤيتها.

وفي الصباح، خرجت بصحبة السير هيروارد، واقتادها ميلو لرؤية الممشى الطويل. كادت جينا تطير من فرط سعادتها، أخذت تتجول في حدائق القصر، وهي سعيدة لكونها بمفردها لبعض الوقت لتفكر في مستقبلها. وكانت الحدائق مزينة بعدد كبير من قرابين التتويج التي كانت قد سببت الكثير من المشكلات لسارة هيب. أخذت رايات التتويج ذات اللونين الأحمر والذهبي المعلقة على الأشجار تتوهج وتلمع في ضوء الشمس، بينما كانت المروج الخضراء تكسوها تشكيلة متنوعة من السجادات المفروشة من أجل التتويج، وقد نثرت وسائد التتويج أسفل مظلات التتويج ذات الألوان الزاهية. اعتقدت جينا أن شكلها رائع، وأثناء تجولها للأسفل باتجاه النهر، توقفت جينا فجأة، حيث كانت أطول منضدة ممدودة على طول المرج الأخضر - منضدة التتويج - يكسوها أطول مفرش وأكثرها بياضًا على الإطلاق - مفرش التتويج - الذي لم تره من قبل. وقد منحتها تلك المنضدة شعورًا غريبًا عند رؤيتها، وفي البداية لم تكن على يقين بالسبب وراء ذلك؛ ثم ما لبثت أن تذكرت، لقد كانت منضدة أكبر كثيرًا من

تلك المنضدة التي وضعتها سارة لتناول وجبة الإفطار احتفالاً بعيد ميلادها العاشر؛ وهو اليوم الذي تغيرت فيه حياتها واكتشفت أنها سوف تصبح ملكة القلعة في يوم من الأيام.

وبعد ظهيرة ذلك اليوم، فتحت بوابات القصر وبدأ سكان القلعة في التوافد للاستمتاع بالحدائق واحتساء شاي التتويج، بعد أن تم وضعه على طول المنضدة الطويلة. كانت المنضدة قد رص عليها الكثير من أطباق التتويج، والشمعدانات، وعلب البسكويت، والفناجين وأدوات المائدة الخاصة بحفل التتويج التي تم إحضارها للقصر. وعلى أنغام موسيقى البيانولا التي تبعث على الاسترخاء، تناول الحضور 1006 قطعة من الكعك المكوكب و2027 علبة بسكويت و7063 شطيرة في فترة ما بعد الظهيرة. بالإضافة إلى ثلاث وعشرين يرقة وأربع عشرة بزاقة وعنكبوت صغير دعسه الضيوف من دون قصد.

وبحلول نهاية فترة ما بعد الظهيرة، كانت جينا على قناعة بأنها تحدثت ولا ريب مع كل سكان القلعة مرتين على الأقل. وعندما بدأ ضوء النهار في التلاشي، سادت حالة من الصمت وبدأت جينا في الشعور بقليل من التوتر. ثم انضم إليها كل من بيتل، وسبتيموس، وميلو، ومارشا، وسارة، وسايلاس أثناء سيرها للأسفل باتجاه ضفة النهر، وهو المكان الذي اختارته لإقامة حفل التتويج فيه.

وأثناء وقوف جينا على سجادة التتويج البالية وقد أحاطها سارة وسـايـلاس وأشقاؤها السـبعة، نظر شـبح الملكة سيريس صوب أفراد هيب في حالة من الفزع. ومثل ثيودورا جرينج، تمنت لو كان بوسـعهم التراجع إلى الخلف، غير أن شبحًا آخر، هو شبح الملكة ماتيلدا، وقف يتبادل أطراف الحديث بسعادة مع ألثر ميلا وقرينته، أليـس نيتلـز. وكانـت تعلـو وجهها ابتسـامة عريضـة، حيث كانت الملكـة تعتقـد أن أفراد عائلة هيب كانوا «نسـيمًا من الهواء النقي» وهو ما أخبرت به ألثر والابتسامة تعلو وجهها.

وفيمـا أضفت أشـعة غروب الشـمس لونًا برتقاليًّـا على صفح النهـر وبريقًا وتألقًا على المركبة التنينية، التي أخذت تتمايل بهدوء بجانـب رصيف الميناء، التقـط حُتب رع التاج البسـيط والحقيقي الـذي يتذكـره جيـدًا، ووضعـه علـى رأس جينـا، ثـم قـال: «يـا جينـا. نصبتك ملكة علـى البلاد. ونأمل أن تكـون الأمور على أفضل ما يكون في كافة العوالـم الممكنة».

سـرت موجة صغيـرة من التصفيق عبر الحشـد حيـث لا يؤمن سـكان القلعـة بالإطراء المفـرط لملكاتهم. غير أنـه، وأثناء تجول الملكة الجديدة حول المروج الخضراء للقصر، اندهشت وتأثرت كثيرًا عندما أدركت شعبيتها بين الناس الذين توافدوا عليها أفواجًا مـن أجل تقديم التهاني والهدايا الصغيرة الرمزية لها، وهي صغيرة

نظرًا لما تنص عليه التقاليد من ضرورة أن تكون الهدايا صغيرة بحيث تحمل في اليد الواحدة، وهو ما نسيه ميلو.

وأعطت مارشا الخاتم الذي **تحولت طبيعته** والذي كان يومًا ما يعود إلى الملكة في عهد حُتب رع. كما أعاد حُتب رع ترميم كتاب قواعد الملكة بطريقة **سحرية**، لاسيما الجلد الأحمر الناعم والذي يحمل خاتم المركبة التنينية في الجزء الأمامي، وزينه بزوايا وإبزيم من الذهب الخالص - وهو أول ذهب يتم تصنيعه في **النار** - كهدية من مارسيلوس. وقد حضر الفتى الذئبي - الذي أطلق على نفسه اسم مارويك - حضر بصحبة العمة زيلدا ووصلا بالكاد في الوقت المناسب. ولم تتعثر العمة زيلدا وحسب في باب الخزانة أثناء قدومها من طريق الملكة، بل إنها أصرت على إحضار طائر النوء العملاق أيضًا، وهو ما كانت قد أخبرت مارويك به بأنه قد تبعها إلى المنزل على متن المركبة التنينية. وبعد شعوره بالارتياح لرؤية جينا أخيرًا، ألقى مارويك حقيبة جلدية ذات رباط بسيط في يدها وابتسم.

قالت جينا: «أووه، إنها صدفات ملساوات». ثم ما لبثت أن فتحت الحقيبة في ابتهاج. فحينئذٍ، كانت قد حصلت على الكثير من القطع الذهبية والعديد من المجوهرات، وهو ما جعلها تشعر بسعادة حقيقية حينما رأت تلك الحقيبة ذات الصدفات الملساوات الدائرية والمنبسطة.

قال مارويك بغموض: «حسنًا. ولكن ليست كذلك طوال الوقت».

أخرجت جينا أكبر تلك الصدفات ووضعتها في باطن كفها، وقد بدت مألوفة بالنسبة لها على نحوٍ غريب.

وعلى حين غرة، شعرت جينًا أن الصدفة تتحرك. ثم خرج رأس صغير، ومن بعدها أربع أرجل قصيرة وبدينة؛ لذا صرخت جينا قائلة: «إنها بيتروك تريلوني!» لم تلق الصدفة أي اهتمام لما قالته جينا؛ بل رفعت نفسها على سيقانها الصغيرة وسارت لخطوات قليلة لتلتقط فتات الكعك المكوكب الذي تعلق بأصبع جينا.

قال مارويك: «إن لديها أطفالاً صغارًا، إنهم ينتشرون في كل مكان. كنا نتعجب من السبب وراء عثورنا على الصدفات في المطبخ بشكل مستمر حتى رأتهم زيلدا يسيرون في صباح أحد الأيام».

تساءلت جينا: «إذن هل تذكرت؟».

ابتسم مارويك وقال: «صحيح. لقد اكتشفت من هي على الفور».

وكانت جينا قد أحبت استعادة بيتروك تريلوني، غير أن الهدية التي اعتبرتها كنزًا هي تلك الهدية التي منحها إياها بيتل، وهي

عبارة عن قلب صغير من الذهب منقوش عليه صورة التاج الحقيقي. قال بيتل: «لقد عثرت عليه في سوق السبت، إنه قديم حقًّا. أعتقد أنه كان يخص إحدى الملكات منذ فترة طويلة من الزمن. وآمل ألا يكون لديك مانع من حيازته، أعني ألا تمانعي في أنه قلب».

ابتسمت جينا وقالت: «أووه، يا بيتل، لا أمانع في ذلك على الإطلاق».

49
ساحر أعظم

في أعقاب الانتهاء من حفل التتويج، اتخذ حُتب رع قرارًا بالعودة إلى بيت الفوريكس. وفي وقت مبكر للغاية، في صباح أحد الأيام الدافئة في مطلع شهر يوليو، وقف كل من جينا، وبيتل، وسبتيموس على رصيف الميناء التابع للقصر بجوار المركبة التنينية، التي توهجت بالومضات الساطعة ذات اللونين الذهبي والأزرق السماوي في أشعة الشمس المشرقة في



الصباح الباكر. وكان حُتب رع يقف على ذراع المقود الخاص بالمركبة التنينية.

وهو ما ذكّر حُتب رع إلى حد بعيد بتلك الفترة الزمنية البعيدة عندما وقفت ملكةٌ أخرى تودعه وداعًا دامعًا، وهو ما دفعه للنظر حوله للتحقق من عدم وجود اثنين من السحرة **الشيطانيين** يتتبعانهما. ابتسم حُتب رع، بالطبع لم يكن هناك أي منهم. وفي نهاية المطاف، وأخيرًا ذهب بلا رجعة هذان الكائنان الخبيثان اللذان دمرا أسرته، وزوجته، وأولاده، وقاما بملاحقته ثلاث مرات في جميع أرجاء العالم أينما ذهب.

أمعن حُتب رع النظر في جينا بتفكر، حيث بدت كثيرة الشبه بمليكته العزيزة التي رحلت منذ أمد بعيد، وخاصة مع تلك الحلقة الذهبية التي تلمع في ضوء الشمس، وشعرها الأسود الطويل المتمايل في الهواء، وذلك الاهتمام والقلق الباديين في عينيها. فكر حُتب رع في أنها ستكون ملكة جيدة، لن تكون من تلك الملكات اللاتي يتسمن بالجنون، ولا من الملكات اللاتي يتسمن بالسخافة، وبالتأكيد لن تكون من الملكات اللاتي يتسمن بالبذاءة والكراهة، بل ستصبح واحدة من أكثر الملكات حزمًا وحسمًا.

وبينما كانت جينا تمسك بيدها الغلاف الجديد لكتاب قواعد الملكة الخاص بها قالت: «شكرًا لك، شكرًا لك على كل شيء».

انحنى حُتب رع وقال: «أنا دللتك على الطريق وحسب، ولقد كنت شجاعة بما يكفي للقيام بالمهمة».

ودع سبتيموس جينا ببساطة كما لو كان متوجهًا فقط إلى أسفل الطريق، قائلًا: «وداعًا يا جين. أراك في وقت لاحق».

تنهدت جينا. وقد كرهت فكرة عودة سبتيموس إلى بيت الفوريكس.

لذا قالت: «مع السلامة يا سِب، هلا وعدتني بأن تعود قريبًا!»

قفز سبتيموس على متن المركبة وانضم إلى حُتب رع على ذراع المقود ثم قال: «أعدك بذلك يا جين. مع السلامة، يا بيتل. أراك لاحقًا».

«أتمنى لكما رحلة آمنة، يا سِب».

«شكرًا لكم. حان وقت المغادرة. مع السلااااااااااااااااااامة».

راقب كل من جينا وبيتل المركبة التنينية أثناء إبحارها في وسط النهر واستدارتها حتى تصبح في مواجهة الرياح. وبعدها، أنزل سبتيموس الشراع والصاري. رفعت المركبة التنينية جناحيها الخضراوين في الهواء وخفضتهما للأسفل وهي تضرب الماء محدثةً هديرًا من الموجات، وتناثر الرذاذ على رصيف الميناء. راقباها حتى أقلعت، وارتفعت في السماء فوق المزارع، في طريقها صوب البحر المفتوح وراء الميناء. انتظرا حتى أصبحت

المركبة التنينية عبارة عن بقعة سوداء صغيرة في السماء ليلتفتا بعدها ويسيرا ببطء في طريق عودتهما معًا باتجاه القصر.

وبحلول منتصف الليل، هبطت المركبة التنينية في مكانها المعتاد خارج بيت الفوريكس. وقد أصر حُتب رع على قضاء سبتيموس تلك الليلة معه. ثم قال: «ليس بوسعك العودة محلقًا في هذه الحالة من الإرهاق، أيها التلميذ. ينطوي الأمر على خطورة. بوسعك النوم هنا والعودة غدًا».

وبالتالي، ثقةً منه في قدرة **حجر البحث** الذي بحوزته على إخراجه إلى الفترة الزمنية الخاصة به، كما فعل من قبل، دخل سبتيموس إلى بيت الفوريكس مجددًا. ولكن قبل القيام بذلك، ومن أجل التأكد من عودته إلى الفترة الزمنية الخاصة به عند خروجه، كتب التاريخ على الجليد: الرابع من يوليو عام 12.004.

وفي صباح اليوم التالي – أو هذا ما كان سبتيموس يأمله– أثناء مرافقة حُتب رع له في أسفل الغرف، حدث شيء ما غريب للغاية. كانا قد وصلا إلى مهبط الدرابزين، والمطل على مدخل البهو الكبير، ليتوقف سبتيموس للحظة وينظر إلى المشهد المكتظ بالأسفل، والغائم بأعمدة الدخان الناتجة عن الشموع. وعلى حين غرة، فُتحت الأبواب المؤدية إلى الدهليز الخارجي ودخل شاب. وكان يرتدي رداء الساحر الأعظم.

لهث سبتيموس قائلًا: «سايمون! إنه سايمون!» وسرعان ما اتجه إلى حُتب رع في حالة من القلق، قائلاً له: «لقد حدث شيء ما لمارشا! وهذا ليس سايمون، لا، لا يمكن أن يكون الساحر الأعظم. لا يمكنه ذلك».

ابتسم حُتب رع وقال: «حسنًا، هذا هو حل الرهان الذي راهنت عليه الكيميائي، قلبك مُعلق **بالسحر**». لم يبدِ سبتيموس أي رد، حيث كان يمعن النظر في حالة من الفزع التام صوب الساحر الأعظم الشاب، والذي كان يسلك طريقه الآن عبر الحشد وينظر في توتر إلى الرصيف.

واصل حُتب رع قائلًا: «وهو أمر جيد؛ لأن هذا الساحر الأعظم الشاب ليس سايمون هيب، إنه سبتيموس هيب».

لهث سبتيموس متسائلًا: «أنا؟» وفي حالة من الذهول، شاهد نفسه ينزل عبر درجات السلم.

أمسك حُتب رع يد سبتيموس وصافحه، وهو على دراية باقترابه من ذلك ثم قال: «مع السلامة، أيها التلميذ، سوف نلتقي مرة أخرى، كما ترى».

تمكن سبتيموس من وداعه وهو يكاد يختنق، ثم التفت في طريقه إلى العودة. وبعد أن نزل درجتين للأسفل، قابل ذاته مقبلة عليه. نظر إلى نفسه وقد صار في عمر أكبر، وقد وضع يده أمامه ليوقفه. ثم قال: «قف، ولا تتحدث بكلمة، الأمر خطير بعض

الشيء. لقد جئت في الوقت المناسب، على ما يبدو، وقد تساءلت: متى نلتقي إذا لم نلتقِ هذه المرة؟».

ولم يعتقد سبتيموس أنه سيكون بإمكانه التفوه بكلمة حتى ولو حاول.

وقالت له ذاته الأكبر سنًّا: «مارشا بخير، وهذا هو كل ما تريد معرفته الآن».

لقد كان الأمر حقيقيًّا؛ هذا كل ما أراد سبتيموس معرفته.

وخارج بيت الفوريكس، حدق سبتيموس صوب الخاتم التنيني الذي عاد الآن بأمان إلى أصبعه، وهز رأسه في ذهول، وتفقد الأمر ليتأكد من عودته إلى الفترة الزمنية الخاصة به، وكان على يقين بشكل كافٍ من وجود التاريخ، حيث لا يزال منقوشًا حديثًا على الجليد.

توجه كل من سبتيموس والمركبة التنينية في حالة ذهول صوب منزلهما، في طريق عودتهما إلى القلعة التي سوف يصبح فيها في يوم من الأيام الساحر الأعظم رقم 777.

أدرك سبتيموس هيب، الساحر الأعظم، في هذه اللحظة أن هذا بالضبط هو ما أراده تمامًا.

القانون الثالث لآرثر سي كلارك:

لا يمكن التمييز بين السحر وأي من التقنيات الحديثة المتقدمة

نهايات

نشرة المستشفى:

والتي تنشرها د. داندرا درا

- -

السيد/ جيم ني

استعاد السيد/ ني القوة الكافية للتحول إلى الحالة الجنية، ونحن نعكف الآن على علاج الإصابات الواقعة في يديه، ونأمل في تعافيه بشكل سريع.

الكاتب/ بارنابي إيوي

بحالة جيدة.

السيدان/ إرنولد وإدموند هيب

يخضعان لعملية عميقة للتحرر من السحر. في حالة حرجة.

الآنسة/ سايرا سايارا

هي الآن في غرفة النقاهة وتتماثل للشفاء. كما تحقق تقدمًا ملموسًا، ولكن فضلًا عليكم الأخذ في الاعتبار بأنه لا يُسمح للزوار بالمكوث لما يزيد على نصف ساعة.

القابلة ميريديث
وميرين ميريديث
خروج

تخلصنا منهما أخيرًا.

الملكة جينا

تقلدت جينا منصبها الجديد بصفتها ملكة بجدية تامة. وسرعان ما فتحت غرفة العرش وعقدت اجتماعات رسـمية هناك مرة كل أسبوع لأي مجموعـة مـن سـكان القلعـة الراغبيـن في مناقشـة مشـكلة ما. وسرعان ما وجدت جينا نفسها كما لو كانت قاضية تفصل في العديد مـن النزاعـات الصغيرة، وهو ما أدى بها إلى إنشـاء نظـام قضائي غير رسمي وكان يخضع في إدارته، على غير المعتاد، لشبح أليس نيتلز.

وكانت جينا تتلقى المسـاعدة في الشئون اليومية من قبل شبح جدتهـا، الملكـة ماتيلـدا. بينما كانـت والدتها، الملكة سـيريـس، تغامـر من حين لآخر بالخروج من غرفـة الملكة، غير أنها لم تكن محظوظة لاصطدامها في كل مرة بسارة هيب وبحوزتها تلك البطة المريشـة والتـي كانت قد مرت من خلالهـا ذات مرة. وقد وجدت جينا في عدم استحسان والدتها خيبة أمل كبيرة، بيد أن ذلك دفعها للتقرب من ميلو.

بيتل

سـرعان مـا أصبـح جميـع من فـي القلعة - لا سـيما مارشـا - ينظرون إلى بيتل باعتباره أفضل رؤسـاء الكتبة السـحريين على مر

الزمان. وينحصر الجانب السلبي فقط في شعور والدة بيتل بملل كبير حيال ابنها «لقد أصبح رئيس الكتبة السحريين، وهو ما أفقده قليلًا من الأصدقاء الطيبين».

غير أن كافة الأمور الأخرى الخاصة ببيتل كانت على خير ما يرام، وعندما دعته جينا لتناول العشاء في القصر ذات ليلة، سارت الأمور على نحو أفضل.

مارشا

خلت الأعوام القليلة اللاحقة من الأحداث بالنسبة لمارشا، وذلك مقارنة بالأعوام الأولى في فترة تلمذة سبتيموس. بيد أن مارشا كانت مُحبة لخوض التحديات، وعليه بدأت في ترويض الأمور قليلًا بعد فترة من الزمن. وفي أعقاب زيارة مفاجئة من قبل سام هيب ومارويك، بدأت في البحث عن الطرق القديمة. وكانت تلك دراسة رائعة، لينتابها شعور بانعدام الراحة لتواجدها الدائم في برج السحرة. بيد أن مارشا استطاعت أن ترتب أولوياتها، فقد حافظت على توجيه وإرشاد سبتيموس على مدار الأعوام الأخيرة له في فترة التلمذة لديها، ومن حين لآخر كانت توافق على الذهاب إلى المسرح الصغير الواقع في منطقة العشوائيات بصحبة ميلو باندا.

العمة زيلدا

في طريق عودتها من بيت الفوريكس بصحبة خُتب رع، واجهت المركبة التنينية نهاية عاصفة وقابلت طائر النوء العملاق. وعلى الفور تعرفت العمة زيلدا وذلك الطائر على بعضهما البعض. ولم يكن طائر النوء سوى شقيق العمة زيلدا، ثيو هيب. وكان ثيو قد تحول إلى هيئة طائر النوء منذ أعوام عديدة، وكانت العمة زيلدا دائمًا على علم بأن الرياح سوف تعيده إليها يومًا ما. والآن عاد إليها.

كانت عودة ثيو قد أنبأت العمة زيلدا بقرب وقتها. وهكذا في أعقاب تتويج جينا، طلبت من ثيو اصطحابها إلى الغابة حيث يعيش هناك الآن شقيقهما، بينيامين هيب، المتحول هو الآخر إلى شجرة. وكان ثيو معتادًا على زيارة بينيامين هيب، لذا كان على علم بمكان العثور عليه. وقد توسل سايلاس مطالبًا بالقدوم معهما، فقد اشتاق لرؤية والده مجددًا ولكن نظرًا لإصابته بالنسيان الذي حل به عن طريق مورروينا مولد، لم يكن بوسعه تذكر كيفية العثور عليه. وكان سام قلقًا على إيجاد سايلاس طريقه مجددًا وعرض عليه القدوم معه أيضًا.

وكان أفراد هيب الأربعة يقفون في صباح أحد الأيام الساطعة بالغابة عندما تسلل إليهم ضوء الشمس ببطء من خلال أوراق

الأشجار، وتراقص على أرضية الغابة مثل الانعكاسات على سطح الماء.

جلس طائر النوء على كتف العمة زيلدا وقام بتوجيهها للمضي في أعماق الغابة حتى وصلا إلى هدوء آجام الغابة المخفية وعتمتها الخضراء اللون. وهناك، ترك ثيو كلًّا من العمة زيلدا وسايلاس وسام أسفل الأفرع الممتدة لبينيامين هيب ليُحلّق إلى أعلى قمة الشجرة، ليخبر بينيامين في هدوء بقدوم شقيقته إلى الآجام المخفية للغابة من أجل الدخول إلى عالم الأشباح. خشخشت أوراق بينيامين هيب وهو يومئ برأسه ببطء. لقد فهم الأمر؛ لقد صارت شقيقته طاعنة في السن، وحان وقت رحيلها.

وعندما بدأت الشمس في الأفول في السماء، قام كل من سايلاس وسام بتوديع العمة زيلدا والدموع في عيونهما. وآخر نظرة لهما، كانت العمة زيلدا متكئة في هدوء على بينيامين هيب، وتحيط بها أشعة الشمس. ابتسمت العمة زيلدا صوبهما، ثم بدأت تتلاشى، لتختفي ملابسها البالية المرقعة في ظلال آجام الغابة المنقطة.

ماكسي

عند قدوم الأبناء فورست هيب الأربعة إلى القلعة لحضور حفل زفاف سايمون، مكثوا نتيجة لإصرار سارة معها ومع سايلاس

فـي الغرفة القديمة الخاصة بهما والواقعة في منطقة العشـوائيات. وفـي الليلـة الأولـى لهمـا هنـاك، حضـر كل مـن جينـا، ونكـو، وسبتيمـوس، وسايمون ليقضي الجميع فترة رائعة في ذلك المساء معًا. وبحلول منتصف الليل، كان ماكسـي يستلقي بجانب المدفأة برفقـة أولاد هيـب، كمـا اعتـاد علـى القيام بذلـك. وكانـت، وفقًا لملاحظـة نكو، الابتسـامة النموذجية لماكسـي تعتلـي وجهه أثناء خلوده للنوم.

لـم يسـتيقظ صائد الذئاب العجوز أبدًا مـن نومته: لقد مات في وسط محبيه.

مارويك

بمجـرد أن أصبـح الفتـى الذئبـي حارسًـا، علـم أنـه يجـدر به التخلص تمامًا من اسمه القديم. والآن أصبح يعرف حقيقة باسـم مارويك. وكانت أول أفعاله التي قام بها بصفته حارسًـا هو نجاحه في استخدام جرعة الدواء الخاصة بالعمة زيلدا، وكان ذلك كل ما علمته إياه العمة زيلدا، من أجل إعادة إدموند وإرنولد من على شفا المـوت. ومنـذ ذلـك الحين، تلاشـت كافة الشـكوك التـي كانت تساوره حيال امتلاكه للمهارات الكافية لكي يصبح حارسًا.

وفي أعقاب تتويج جينا، عاد ماريوك بمفرده إلى كوخ الحارس. وعلى الرغم من افتقاده للعمة زيلدا كثيرًا، استمتع بوقته وكان قانعًا تمامًا برفقة الغول وبيرت، بالإضافة إلى قليل من الحيوانات الأليفة التي تملصت من الوقوع في الأسر. ومع ذلك، وبما أن المركبة التنينية قد استقرت في القلعة، شرع ماريوك في التساؤل حول الغرض من البقاء في مهمة الحارس. وساد ذلك التساؤل في ذهن ماريوك، حتى زيارة سام في وقت لاحق له، وهي الزيارة التي لم تفاجئ ماريوك فقط بل فاجأت سام أيضًا، ليفهم بعدها أنه في مهمة لحراسة أحد أقدم الطرق.

وبعد ذلك انطلق ماريوك في رحلة الاكتشاف التي لا تصدق، ليدرك بعدها أن العالم بأسره كان تحت قدميه.

ميرين والممرضة

تم اصطياد كل من ميرين والممرضة بنجاح من الخندق المائي، غير أن الصدمة والكدمات ألمت بكليهما، كما كُسرت ذراع الممرضة. لذا قضيا بعض الوقت في المستشفى من أجل التعافي، ثم عادا إلى بيت الدمية ليستأنفا حياتهما الفوضوية. غير أن الأمور قد تحسنت قليلًا، فقد أصبح جيرانهم الآن، جماعة ساحرات الميناء، يعاملونهم باحترام، كما توقفت **كافة اللعنات**

والصرخات التي كانت تتكرر عند سياج الفناء الخلفي، لتبدأ الممرضة في التحرر من التوتر العصبي.

وما أثار دهشة ميرين، هو عدم معاتبة الممرضة له أبدًا على قيامه بسحب الرافعة، وما نتج عنه من دفعها بعنف إلى أسفل المنحدر المظلم المخيف في الخندق المائي، وللمرة الأولى في حياته، يشعر ميرين فعلًا بتأنيب الضمير على أحد الأفعال التي قام بها. وبدأ يستوعب اهتمام والدته وحبها له حقًّا بغض النظر عن أي شيء يقوم به، ليبدأ هو الآخر في التحرر من التوتر العصبي والاسترخاء قليلًا.

بذل ميرين جهدًا كبيرًا حتى يصبح لطيفًا في التعامل مع والدته، ولم ينجح دائمًا في ذلك، غير أن الممرضة قدّرت جهوده. وكانت أول ابتسامة حقيقية على وجه ميرين مناسبة سعيدة بالنسبة للممرضة، لتعلم حينها في ذلك اليوم أن ولدها ميرين العزيز عليها سوف يصبح ولدًا جيدًا يومًا ما إذا ما حالفه الحظ في ذلك.

سايرا سايارا

ظلت سايرا في حالة من الضعف والارتباك والحيرة لأشهر عديدة بعد استيقاظها. وكانت مارشا قد أعطت جوليوس بايك إذنًا بالبقاء في برج السحرة، ليقضي الشبح معظم الوقت في الحديث مع سايرا عن أيام الزمن القديم. وفي نهاية المطاف قررت داندرا

درا أن ذلك ليس في مصلحة سايرا على الإطلاق، واقترحت عودة جوليوس بايك إلى الأماكن التي كان يتردد عليها. وما أثار دهشة مارشا، هو أن سايرا قد بدت عليها حالة من الارتياح لدى مغادرة جوليوس لها، ومنذ ذلك الحين، بدأت في التعافي وتحسنت حالتها.

انتقلت سايرا إلى بعض الغرف الواقعة في قمة منطقة العشوائيات لتقضي هناك معظم أوقاتها في رعاية حديقة السطح والاهتمام بها. كما تذكرت قليلًا من السحر ولم يعد في ذهنها أي ذكريات عن جزر الحورية، وعلى الرغم من ذلك تشعرها رؤية سبتيموس دومًا بحالة من الارتباك وعدم الاطمئنان.

الأبناء فورست هيب

سام

فكر سام بجدية في تبني اقتراح سايلاس بالعمل في وظيفة تلميذ عادي ببرج السحرة، غير أنه في أعقاب سيره في الغابة بصحبة سايلاس والعمة زيلدا، بدأت الأمور في التغير. أدرك أنه اشتاق إلى الخروج في الأماكن المفتوحة، حيث لم تكن الأجواء الداخلية لبرج السحرة مواتية له. وبالتالي، بعد إخباره سايلاس

الذي اعترته خيبة الأمل، باتخاذه قرارًا بعدم الالتحاق بالتلمذة، صاحب سام مارويك في طريق عودته إلى جزيرة التنين وساعده على المكوث بها.

وفي فصل الخريف، عاد سام إلى معسكر هيب في الغابة ليُصاب بالصدمة نتيجة اكتشافه لاحتلاله من قبل مجموعة من حيوانات الشره. تمكن بالكاد من الفرار من الهجوم عليه، وقضى فترة الصقيع الكبير بشكل غير مريح عاليًا في الهواء فوق الأشجار برفقة الفيزيائية جالين. وبحلول وقت الذوبان الكبير، كان سام قد نال ما يكفيه؛ لذا عاد إلى القلعة، ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا ليتمكن من إقناع أفراد هيب الثلاثة الآخرين بالتوجه معه إلى المستنقعات في فصل الصيف. (ولحسن حظ إد وإريك، كانت مارشا قد أصدرت قرارًا بالسماح بإجازة مدتها شهر لكافة التلامذة). لذا قضى الأبناء فورست هيب شهرًا سعيدًا تحت أشعة الشمس في مستنقعات مرام برفقة مارويك، ليستعيدوا معًا ذكريات معسكر هيب البعيدة. وأصبح قضاء فصل الصيف في مستنقعات مرام من المظاهر الثابتة على مدى أعوام لاحقة.

إد وإيريك

في نهاية المطاف، أصبح إد وإريك من التلامذة في برج السحرة، ليصبح برج السحرة مجددًا مكان استضافة للتوءمين هيب، غير أن هذه المرة كانت العلاقة ناجحة أكثر. حيث التحق إد وإريك بمخطط ورديات التلامذة ومكثا هناك بسعادة، ليقيما في مقر التلامذة الواقع بالمستشفى القديم في الطابق الأول من برج السحرة. وسرعان ما تعلما المهنة، حتى إن سايلاس قال لسارة مرات عديدة، إنهما فخر لاسم عائلة هيب.

جوجو

تعجبت سارة، حين انتقل جوجو خارج القصر للعيش في غرفة صغيرة تقع في نهاية زقاق الخنجر بعد حصوله على وظيفة في متجر الكهف القوطي حتى يتسنى له التواجد عن قرب من صديقته السابقة، ماريسا. وحيث إن كلًّا من مات وماركوس مارويك كانا يعملان هناك، لم يضفِ ذلك حالة من الانسجام على أجواء العمل هناك في متجر الكهف القوطي، كما اشتهر بين مرتاديه. وكانت هناك مناسبات عديدة همّ فيها إيجور، مالك متجر الكهف القوطي،

بإقالة وتسـريح كافة العاملين في المكان والبدء من جديد، غير أنه في حقيقة الأمر كان مراهقو هيب الأربعة مجموعة متميزة وجذابة تجلـب للمكان كثيرًا من المرتادين، ولا سـيما جوجو - كونه ابن سـاحر ونظـرًا لإلمامه بأساسـيات السـحر - فـكان وجـوده ثمينًا للغاية. لذا انسـحب إيجور إلى غرفته الواقعـة في مؤخرة المتجر، ليتعلم هناك بعض الإيقاعات الموسيقية الجديدة على ناي الأنف الذي بحوزته وتركهم يتعاملون دون تدخل.

أبناء هيب الآخرون

نـكو

أنهـى نكو فترة التلمـذة مع جانيت وأصبح شـريكًا في رصيف الميناء، ليسمح لجانيت بالحصول على إجازة ستة أشهر في العام، للتمكن من القيام بالبيات الشتوي بشكل أفضل. وبعد مرور فصلي صيف، تسـبب خطاب مرسـل من قبل سنوري، يشير فيه إلى صياد طويل وشاب، في ارتباك واضطراب نكو أكثر مما كان يتوقع، ليبدأ بعدها في إعداد الخطط. ورأى أنه من الحكمة ألا يخبر أمه بذلك. ليس بعد.

سايمون ولوسي

واصل سايمون وظيفته باعتباره تلميذًا لدى مارسيلوس. وقد استمتع بمعظم جوانب الوظيفة فيما عدا الرحلات المتوجهة إلى الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة. غير أن سايمون تعلم كثيرًا عن الحياة ليستوعب عدم كمال أي شيء، وعندما طلبت منه مارشا أن يصبح حلقة الوصل بين الغرفة الكيميائية والفيزيائية الكبيرة وبرج السحرة، قَبِل الأمر بسعادة بالغة. والآن في نهاية المطاف، أصبح لديه سبب في الذهاب والمجيء -كما أحب- من وإلى برج السحرة، وهو الأمر الذي لم يعتقد أبدًا يومًا ما بإمكانية حدوثه.

وبعد الانتهاء من بناء المدخنة الكيميائية، اجتاحت القلعة موجة جنونية من بناء الأبراج الفاخرة، لتجد لوسي الطلبات تنهال عليها من قبل الكثيرين. وسرعان ما أصبح لديها الكثير من المشروعات قيد التنفيذ، وهو ما كان أمرًا جيدًا نظرًا لأن عملها في حياكة الستائر لم يكن رائجًا تمامًا. وسرعان ما كان لتعليقات لوسي الموجهة لسايمون حيال قدوم الطفل منطقية تمامًا، لتشعر سارة بسعادة غامرة لمعرفتها بقدوم أول حفيد من أبناء هيب في يوم احتفال منتصف الشتاء.

سايلاس وسارة

عاد سـايلاس للعمل في برج السـحرة، ليراقب في قلق أرنولد وإدمونـد ويفتخـر بإد وإريك. وكان سـايلاس قد تأثر بشـكل كبير عندما أعطته مارشـا- بعد اعتذارها له نتيجة الشـكوك التي انتابتها في أمـره واحتجازها له في غرفة الغرباء- **تميمة الحذاء السـحري** الذي اكتشـفته في مكتبة الهرم أثناء إرجاع الملفات الكيميائية إلى أماكنهـا. وعلى الفور بدأ سـايلاس في صناعـة مجموعات جديدة من الأحذية السـحرية. كانت سـارة تقوم بجولات سعيدة فتقضي بعـض الوقت مـع جينا في القصر، وتتفقد أحـوال جوجو (وهو ما أزعجـه في حقيقة الأمر)، وتـزور إد وإريك (وفي بعض الأوقات، كان ذلك مصدر إزعاج لهما أيضًا). كما كانت لوسي تحصل على زيـارات كثيـرة من والـدة زوجهـا أكثر ممـا كانت تحـب، غير أن المحاولات التي قامت بها سـارة لمساعدتها في ترتيب المنزل في الوقـت المناسـب قبل وصـول الوافـد الجديد كانت محـل تقدير بالنسبة لها.

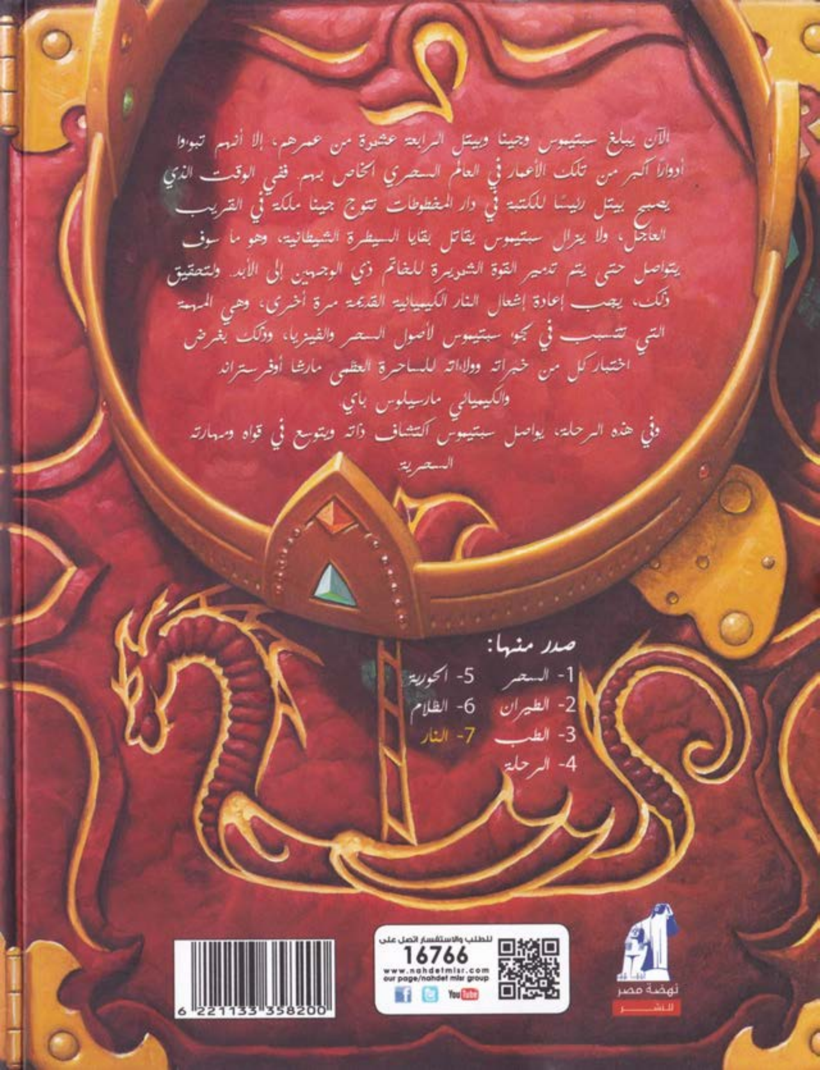
سبتيموس

والآن وبعد أن أصبح سبتيموس على علم في أعماق قلبه بأن السحر هو ما أراد دومًا في الحقيقة القيام به، استقرت فترة تلمذته في مسار خالٍ من الأحداث. كما استمتع هو ومارشا بالأعوام الأخيرة من فترة تلمذته، وهي المرة الأولى التي يتمتعان فيها بذلك من دون أن يخيم عليهما شبح البحث. كما قضى كل من سبتيموس وروز مزيدًا من الأوقات مع بعضهما البعض، وهو ما أثار استياء مارشا، غير أن ذلك قصة أخرى.

البنت الصغيرة في كوخ الصياد

كان اسم البنت الصغيرة التي أشارت بيدها لسبتيموس في تلك الليلة التـي حلّقت فيها المركبة التنينية باتجـاه بيت الفوريكس هو أليـس تـود هانتر مون. ولـم تنس أليس - التـي كانت ترد فقط على مـن يناديها باسـم تود - أبدًا منظـر المركبة التنينية فـي تلك الليلة، وهو ما حافظ عليها وساندها في كثير من الأوقات الصعبة. وكانت علـى علم بأنها سـوف تحلـق، هي الأخـرى، يومًا ما فـي المركبة التنينية وتلتقي بذلك السـاحر الذي أشار لها بيده من فوق النجوم. كانـت أليس علـى صواب، وقريبًا سـيتم سـرد قصتها في سلسـلة جديدة.




الآن يبلغ سبتيموس وجينا وبيتل الرابعة عشرة من عمرهم، إلا أنهم تبوءوا أدوارًا أكبر من تلك الأعمار في العالم السحري الخاص بهم. ففي الوقت الذي يصبح بيتل رئيسًا للكتبة في دار المخطوطات تتوج جينا ملكة في القريب العاجل، ولا يزال سبتيموس يقاتل بقايا السيطرة الشيطانية، وهو ما سوف يتواصل حتى يتم تدمير القوة الشريرة للخاتم ذي الوجهين إلى الأبد. ولتحقيق ذلك، يجب إعادة إشعال النار الكيميائية القديمة مرة أخرى، وهي المهمة التي تتسبب في لجوء سبتيموس لأصول السحر والفيزيا، وذلك بغرض اختبار كل من خبراته وولاءاته للساحرة العظمى مارشا أوفرستراند والكيميائي مارسيلوس باي.
وفي هذه الرحلة، يواصل سبتيموس اكتشاف ذاته ويتوسع في قواه ومهاراته السحرية.
صدر منها:
1- السحر
2- الطيران
3- الطب
4- الرحلة
5- الحورية
6- الظلام
7- النار
للطلب والاستفسار اتصل على
16766
www.nahdetmisr.com
our page/nahdet misr group
You Tube
6 221133 358200
نهضة مصر
للنشر